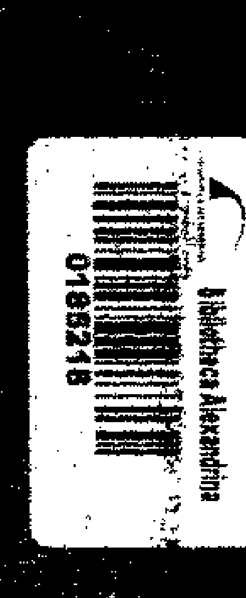


الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية
فى عصر الخليفة المأمون
(١٧٠ ـ ٢١٨هـ -   )

إعداد

الطالب : خالد محمد أحمد بديوى

لنيل درجة الماجستير فى الآداب

قسم التاريخ : تاريخ إسلامى ـ كلية البنات

جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

صدق الله العظيم



جامعة عين شمس

كلية البنات

أسم الطالب:...

الدرجة العلمية:..

القسم التابع له:..

اسم الكلية:...

الجامعة:..

سنة التخرج:..

سنة المنح:...

جامعة عين شمس

كلية البنات

رسالة ماجستير

أسم الطالب:..

عنون الرسالة: الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافيـــة فـي عصـر الخليفة المأمون (١٧٠-٢١٨هـ= ٧٨٦م-٨٣٣م).

اسم الدرجة: ماجستير

لجنة الإشراف:

١- الاسم/ **٢- الوظيفة/**

١- الاسم/ **٢- الوظيفة/**

١- الاسم/ **٢- الوظيفة/**

تاريخ البحث: / /٢٠٠١

ألدراسات العليا **أجيزت الرسالة بتاريخ / /٢٠٠١**

ختم الإجازة

/ /٢٠٠١

موافقة مجلس الكلية **موافقة مجلس الجامعة**

/ /٢٠٠١ / /٢٠٠١

شكر وتقدير

الحمد لله سبحانه وتعالي علي عظيم نعمه وأعانني علي إنجاز هذا البحث في صورته الحالية.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلي أستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة/ سيدة إسماعيل كاشف أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي والوسيط بالكلية لتفضلها بإشرافها علي هذا البحث؛ فقد تعلمت علي يديها الكثير، وبذلت معي جهداً كبيراً في مراجعة البحث وتصحيح مساره، وما قدمته من توجيهات ونصح: فالشكر سيادتها علي هذا العون وأسأل الله عز وجل أن يجزيها عني وعن جميع طلابها خير الجزاء وحسن الثواب.

كما أتوجه بالشكر إلي الأستاذة الدكتورة/ علية عبد السميع الجنزوري رئيسة مجلس قسم التاريخ بالكلية والأستاذ الدكتور/ عفيفي محمود إبراهيم أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية علي تحملهما مشاق الحضور ومناقشتي فلهما جزيل الشكر.

أما أفراد أسرتي بالسعودية؛ والدي ووالدتي وزوجتي وأبنائي فإنني أتوجه إليهم بالشكر عرفاناً لما بذلوه من عون ومساعدة حتي أنجزت هذا البحث، فلهم شكري وتقديري.

وبالله التوفيق،،

الباحث

خالد محمد أحمد بديوي

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

يعتبر عصر المأمون من أزهى عصور التاريخ الإسلامي عامة، والعصر العباسي خاصة؛ ذلك أنه كان يحكم دولة كبيرة شاسعة تمتد من المغرب حتى تخوم الصين، وتضم شعوباً عديدة وأجناساً بشرية مختلفة، وديانات سماوية وغير سماوية عديدة. وواجه المأمون مشاكل عديدة شارك بنفسه في حلها. وتمكن بذكائه وكياسته من المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية وتجنبها التمزق والتفتت. ويتميز عصره بأنه ينقسم إلى دورين مختلفين: الدور الأول (١٩٨ - ٢٠٢هـ = ٨١٣ - ٧١٧ م) كان فيه المأمون في خراسان تحت سلطان وزيره الفضل بن سهل ؛ يوجه مولاه في شئون السياسة وأمور الدولة كما يريد ويطلع المأمون على ما يريد من الأمور ، ويخفي عنه ما يشاء. وبانتهاء هذا الدور يأتي الدور الثاني الذي يبدأ بعام ٢٠٣هـ / ٨١٨ م ، وينتهي بوفاته سنة ٢١٨هـ = ٨٣٣ م ؛ وكان المأمون فيه سيد أمره ، قائماً بأمور الخلافة يوجهها كما ينبغي.

وقسمت دراستي التي جعلت عنوانها: " الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر المأمون (١٧٠ - ٢١٨هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣) أي من مولده حتى وفاته إلى خمسة أبواب وخاتمة وثبت بالمراجع على النحو التالي:

<u>الباب الأول:</u> وعنوانه " أحوال البلاد الإسلامية عند تولي المأمون الحكم ". ويشمل ثلاث فصول: <u>الأول</u> : الاستقرار النسبي للأحوال الداخلية وأثره في

الحياة العامة للسكان. **والثاني:** ولاة الأقاليم والخطوط العامة لسياساتهم. **والثالث:** مناطق الحدود وصلتها بالدول المجاورة.

الباب الثاني: وعنوانه: " شخصية المأمون " وينقسم إلى أربعة فصول ؛ **الأول:** المأمون قبل توليه الخلافة يشمل أربعة أقسام عناوينها كالآتي: مولده ونشأته – وصية هارون الرشيد وولاية العهد لأبنائه الثلاثة – ولايته للعهد وانتقاله إلى مرو – النزاع بين الأمين والمأمون.

الفصل الثاني: بعد توليه الخلافة ، ويشمل ستة أقسام عناوينها كالآتي : الخطوط العامة لسياسته واهتمامه بالنواحي الاقتصادية والمالية والثقافية – الوزارات والأعمال الحكومية في عصره – العصبية العرقية والموالي في عصر المأمون وموقفه منها – كتّاب المأمون – مجلس المأمون – تقريبه لأهل العلم وتعامله مع الفرس .

الفصل الثالث : وعنوانه " حياته الأسرية " ويشمل قسمين : زوجاته وسراريه – أولاده .

الفصل الرابع : وعنوانه " علاقة المأمون بأقربائه " ويشمل ثلاثة أقسام : علاقة المأمون بولي عهده المعتصم – علاقته بآل علي رضي الله عنه وسائر أبناء بني طالب – رعايته للفرس وتقَربهم إليه .

الباب الثالث : وعنوانه " إدارة الدولة في عهد المأمون " ، وينقسم إلى ثلاثة فصول : **الأول :** وعنوانه " تعيينه الولاة وطريقتهم في ممارستهم للأعمال الإدارية " ، وتعّرضت لولاة العراق – الشام – خراسان وما وراء النهر – أرمينية وآذربيجان – الجزيرة والموصل – الحجاز : مكة والمدينة والطائف – مصر – شمال أفريقية .

الفصل الثاني : وعنوانه : " علاقة المأمون بالأمويين بالأندلس " .

الفصل الثالث : " علاقة الولاة بعمال الدولة الآخرين " .

الباب الرابع : " وعنوانه " الثورات والحركات المناهضة للحكم العباسي في عهد المأمون " ؛ وينقسم إلى فصلين ؛ الأول : وعنوانه : الثورات في عهد المأمون " ويشمل ثورات : رافع بن ليث – نصر بن شبث – الزط – العرب والأقباط في مصر – بابك الخرّمي – الدعوات الانفصالية .

الفصل الثاني : حركات العلويين أيام المأمون

الباب الخامس : وعنوانه : " واردات الدولة ونفقاتها " ، وينقسم إلى فصلين ؛ الأول : وعنوانه " الواردات " ، ويشمل واردات السّواد – خراسان – العراق – الشام – مصر – واردات متفرقة .

الفصل الثاني : وعنوانه : " النفقات " ، ويشمل : الإنفاق على المشاريع العامة – رواتب عمال الدولة – العطاء – نفقات البلاط .

الخاتمة : وتشمل ، ما توصلت إليه من نتائج . يتبعها قائمة بالمصادر والمراجع وفهرس الرسالة.

الباب الأول

أحوال البلاد الإسلامية عند تولي المأمون الحكم

الفصل الأول : الاستقرار النسبى للأحوال الداخلية وأثره

في الحياة العامة للسكان

الفصل الثانى : ولاة الأقاليم والخطوط العامة لسياستهم

الفصل الثالث : مناطق الحدود وصلتها بالدول المجاورة

الفصل الأول : الاستقرار النسبي للأحوال الداخلية وأثره في الحياة العامة للسكان :

كلمة عامة :

تنقسم حياة المأمون كخليفة إلى مرحلتين مختلفتين ، على النحو التالي:

الأولى :

فترة إقامته في مرو منذ بويع بالخلافة سنة ١٩٤هـ = ٨٠٩م وتمتد حتى سنة ٢٠٤هـ = ٨١٩م .

الثانية :

فترة إقامته في بغداد من سنة ٢٠٤هـ = ٨١٩م ، حتى وفاته سنة ٢١٨هـ = ٨٣٣م .

أحوال البلاد الإسلامية عند تولي المأمون الحكم

القسم الأول : الفترة الأولى : ١٩٨-٢٠٤هـ = ٨١٣-٨١٩م :

واجه المأمون في بداية عهده ، وهو في مرو مشاكل عديدة تتمثل في حركات سياسية كانت تحمل طابعاً دينياً ، أو حركات دينية تحمل بدورها عناصر سياسية واضحة مما أثر على استقرار الأحوال الداخلية وتأثيرها في الحياة العامة للسكان ؛ ذلك أن غياب السلطة المركزية، الغياب المطلق فكك النظام الإدارى كله ، وبلغ من تمزيق الدولة الحدّ الذى أقام في كل بلد ، وأحياناً في كل قبيلة أو جماعة متغلباً يدعو لنفسه أو لبعض المتنفذين أو لبعض آل البيت . ويعطينا اليعقوبى صورة كاملة واضحة لذلك التفكك ، بقوله:

.... وفي سنة ١٩٨هـ = ٨١٣م ، وجّه المأمون الحسن بن سهل إلى العراق عاملاً عليها ، وعلى غيرها من البلاد ، وقد كان وثب أبو السرايا ، السرى بن منصور الشيبانى بالكوفة ومعه محمد بن إبراهيم العلوى ، .... وأخذ البصرة العباس بن محمد بن موسى (ابن جعفر العلوى) ، وقدم معه زيد بن موسى بن جعفر (المعروف بزيد النار) وأخذ اليمن إبراهيم بن موسى بن

جعفر ، وأخذ واسط[1] محمد بن الحسن (السلق) وأخذ الحجاز محمد بن جعفر. وثغلب على نصيبين[2] وما والاها أحمد بن عمر بن الخطاب الربعي ، وبالموصل[3] السيد بن أنس ، وبميافارقين[4] موسى بن مبارك اليشكري ، وبأرمينية[5] عبد الملك بن الحجاف السلمي ومحمد بن عتاب.

---

(1) واسط : مدينة عظيمة ومشهورة ، سميت واسط واسطا لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخا (معجم البلدان جـ ٤، ص ٣٤٧)، وذكرها جي لسترنج بأنها كانت على جانبي دجلة بينهما جسر سفن ، وكانت أعظم مدن طسوج كسكر . بناها الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في أيام الخليفة عبد الملك الأموي في نحو سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م . وكانت واسط طوال العصور الإسلامية من أشهر مدن العراق (بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢ و ٥٩) .

(2) نصيبين : ذكرها ياقوت الحموي بأنها كانت مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها وبين الموصل ستة أيام ، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان عند فتحه إياها وينسب إلى نصيبين جماعة من العلماء والأعيان (معجم البلدان جـ٥ ، ص ٢٨٨-٢٨٩) .

(3) الموصل : يذكرها ياقوت الحموي بأنها مدينة مشهورة عظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام، وهي محطة رحال الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ؛ فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد إلى أذربيجان . والمدينة تقع على طرف دجلة، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى (معجم البلدان جـ٥ ص ٢٢٣-٢٢٤) .

(4) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر ، ذكرها المقدسي بأنها قليلة البساتين ، زارها الرحالة ناصر خسرو في سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م ، وقال إن عليها سورا عظيمة من الحجر الأبيض للذي يزن الحجر منه خمسمائة من (نحو طن ونصف طن) (جي لسترنج ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٣).

(5) أرمينية : إقليم يقع شمال نهر أرس ، وكان يصعب عده من ديار الإسلام وأكثر أهله نصارى وكانت قصبة أرمينية الإسلامية في الأزمنة الأولى دبيل ، ومكانها حاليا قرية صغيرة في جنوب أريفان قرب نهر أرس . وكان عليها سور له ثلاثة أبواب ، ويطل

وبأذربيجان[1] محمد بن الرواد الأزدى ويزيد بن بلاد اليمنى ... ، وبالجبل[2] أبو دلف العجلي ... ، وبالسلسلة وعين جساس وناحيتها بسطام[3] ابن السلس الربعى ، وبكفر توثا[4] ورأس عين[5] حبيب بن الجهم ، وبكيسوم وما والاها من ديار مضر نصر بن شبث النصرى ، وكان أصعب القوم شوكة، وبقورس[6] وما والاها من كور العواصم[7] العباس بن زفر الهلالي،

جبل أرارات بقمتية على دبيل ، وهى فى جنوبه وراء نهر أرس (لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٦) .

(١) أذربيجان : يحد إقليم أذربيجان من أعلاه نهر أرس ، من أسفله النهر الأبيض (سفيد رود) وكلاهما يصب فى بحر قزوين ، وتعتبر تبريز ومراغة قاعدة الإقليم ، ومن مدنه أردبيل وكانت قاعدة اقليم فى صدر العهد العباسى (جى لسترنج : بلدان الخلافة الإسلامية ، ص ١٩٤) .

(٢) جبل : بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ؛ قرية كبيرة بين النعمانية وواسط فى الجانب الشرقى لنهر دجلة (معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ١٠٣) .

(٣) بسطام : قرية كبيرة شبيهة بالمدينة الصغيرة ، بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين ؛ منها أبو يزيد البسطامى الزاهد (معجم البلدان جـ١ ص ٤٢٢) .

(٤) كفر توثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، ينسب إليها قوم من أهل العلم (معجم البلدان جـ٤ ص ٤٦٨) .

(٥) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر ، بها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور ، والمشهور بالنسبة إليها " الرسعنى " ، وأيضا " الراسى " . (معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ١٤).

(٦) قورس : مدينة قديمة وكورة من نواحى حلب بها آثار قديمة (معجم البلدان ، جـ٤ ص ٤١٢ .

(٧) العواصم : جمع عاصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية ، وقصبتها أنطاكية . (معجم البلدان جـ٤ ، ص ١٩٥) . وتكون خط الدفاع الثانى للثغور الملاصقة للروم. أما الثغور فهى جمع ثغر ، كل موضع قريب من أرض العدو يسمى

وبالجيار[1] وما والاها من كور قنسرين عثمان بن تمامة العبسى ، وبالحاضر[2] الذى إلى جانب حلب منيع التنوخي .. (وحاربهم يعقوب بن صالح الهاشمي حتى ضرّب الحاضر وألصقت بالأرض وكان فيه عشرون ألف مقاتل) . وكان بمعره النعمان[3] وتل منس[4] وما والاها من إقليم حمص الحوارى بن حنطان التنوخي ، وبحماة وما والاها حرّاق البهرانى ، وبشيزر[5] وما والاها وبسطام ، وبمدينة حمص

ثغراً ، وهو فى مواضع كثيرة ، مثل ثغور الشام وثغور الجزيرة . (معجم البلدان، جـ٢ ، ص ٧٩ .

(١) جيار : صقع من برية قنّسرين ، بينه وبين حلب يومان (معجم البلدان جـ٢ ، ص ٢٢٧)

(٢) الحاضر : جمعها حواضر ؛ الحاضر فى الأصل خلاف البادى ، والحاضر الحى العظيم. وكان بقرب حلب حاضرٌ يُدعى حاضر حلب يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم ، بين بنائها وسور المدينة رمية سهم من جهة القبلة والغرب (معجم البلدان ، جـ٢، ص ٢٠٦) .

(٣) معرّة النعمان : مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ، تُنسب إلى النعمان بن بشير ، صحابى اجتاز بها فمات له ولد مدفنه ، وأقام عليه فسُمّيت به ، وينسب إليها جماعة من العلماء والشعراء منهم الشاعر الكفيف أبو العلاء المعرى (معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ١٥٦) .

(٤) تل منس : حصن قرب معرة النعمان بالشام ، وهى قرية من قرى حمص (معجم البلدان جـ٢ ص ٤٤) .

(٥) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب معرّة النعمان ، بينها وبين حماة يوم ، فى وسطها نهر الأردن عليه قنطرة فى وسط المدينة أولّه من جبل لبنان ، تُعد فى كورة حمص وهى قديمة (معجم البلدان ، جـ٣ ص ٣٨٣) .

بنو السمط ، وبالمصيصة[1] وأذنه[2] وما والاهـا مـن الثغـور الشامية ثابت ابن نصر الخزاعي، وكان عاملا للأمين فلما كان من أمره ما كـان تغلب على البلد؛ وأقام بدمشق والأردن وفلسطين جماعة مـن سـائر القبـائل، وبمصر السرى بن الحكم بقصبة الفسطاط والصعيد عبـد العزيـز الجـروى، وبالحوفين القيسية واليمانية. وغلب لخم وبنو مدلج على الإسـكندرية؛ ورئيـس لخم رجل يقال له أحمد بن رحيم اللخمي، ثم غلب الأندلسيون (جماعة الربـض الذين قدموا فى أربعة آلاف مركب بقيادة أبى عبد الله الصوفى؛ وكـان ببرقـة نصر الأعور الأنبارى ...[3].

وكان الجزء الوحيد من الدولة الباقى على النظام العباسي هو خراسـان وإيران؛ حيث كان يستقر المأمون. وكان على المأمون أن يعاود من جديد جـهود المنصور (١٣٦-١٥٨هـ = ٧٥٣-٧٧٤م) لإلغاء الزعامات والتسلطات المحلية وإقرار النظام العباسى المركزى بدلا منها، وحتى خراسان - معقل العباسـيين، فإنها لم تسلم للمأمون؛ إذ خرج بها بعد مغادرته لها ثائر خطر هو منصور بـن

---

[1] المصيصة : مدينة على شاطئ نهر جيحان من ثغور الشام بين أنطاكيـة وبـلاد الـروم تقارب طرسوس . وكان ثغرا إسلاميا مشهورا قد رابط به الصالحون قديمـا. (معجـم البلدان؛ جـ٥ ، ص ١٤٥).

[2] أذنة : بلدة من الثغور قرب المصيصة مشـهور ، بناهـا سـليم فـرج الخـادم سـنة ١٩٣هـ/٨٠٨م. وندب إليها رجالا من أهل خراسان؛ وذلك بأمر الخليفة الأمين ، ينسب إليها جماعة من العلماء (معجم البلدان ، جـ١، ص ١٣٣) ويذكر جى لسترنج نقلا عن الأصطخرى بأنها كانت مدينة عامرة حصينة ، وكان حصنها فى ضفة النهر الشـرقية بينه وبين المدينة قنطرة معقودة عليه على طاق واحدة ، ولها ثمانية أبواب وسور يليـه خندق (بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٣٣).

[3] اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، المجلد الثانى ، نشـر دار صـادر، بـيروت، ١٩٦٠م؛ ص ٤٤٥-٤٤٦.

عبد الله بن يوسف البرم[1]، وحتى بغداد التي فتحت وقتل خليفتها الأمين، وثب بعض أهلها (أهل الحربية) وبعض الجند بقيادة محمد بن أبى خالد بالحسن بن سهل[2] حتى أخرجوه من بغداد ....؛ وبرغم مقتل ابن أبى خالد عند واسط[3]، فإن

---

(1) منصور بن عبد الله بن يوسف البرم : خارجي من موالى ثقيف، رفع راية الثورة فى بخارى باسم الإسلام " يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وكان مثل جده يوسف بن إبراهيم المعروف البرم، ثائرا من أهل خراسان، خرج على الخليفة المهدى منكرا عليه سيرته، واجتمع عليه خلق كثير، ووجه إليه المهدى يزيد بن مزيد الشيبانى وحاربه فأسره بعد قتال شديد؛ فبعث به وبأصحابه إلى المهدى فصلبه ومن معه على جسر دجلة (الطبرى جـ٨ ص ٣٧١ والأعلام للزركلى، جـ٨ ص٢١٢) وهناك مصطلح آخر للأبناء؛ يطلق على جماعة من الفرس أرسلوا فى عهد كسرى أنوشروان لمساعدة سيف بن ذى يزن فى فتح اليمن بعد استيلاء الأحباش عليها وقتل سيف بعد انسحاب الجنود الفرس مما اضطر القائد الفارسى "وهرز" إلى إجلاء الأحباش، وصارت اليمن بعد ذلك دولة تابعة لفارس. وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم دخل الوالى الفارسى باذام، حفيد وهرز، الإسلام هو وقومه، ودانوا بالولاء للنبى الأكرم صلى الله عليه وسلم فأوكل إليه إمارة اليمن كلها. ولما توفى باذام فرق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إمارة اليمن بين جماعة من أصحابه، وولى "شهر" بن باذام على مدينة صنعاء فقط.
(الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ص ١٤٤ وما بعدها ، ودائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول مادة " الأبناء " ص ١٩٣).

(2) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسى وزير المأمون وأحد كبار القادة والولاة فى عصره؛ اشتهر بالذكاء المفرط، وكان المأمون يجله ويبالغ فى إكرامه، وهو والد بوران زوجته؛ أصيب فى عام ٢٠٣هـ = ٨١٨م بمرض السويداء (الجنون)؛ فتغير عقله حتى شد فى الحديد، ثم شفى منه قبل زواج المأمون بابنته سنة ٢١٠هـ = ٨٢٥م وتوفى فى سرخس من بلاد خراسان. (الأعلام للزركلى؛ جـ٢، ص ١٩٢).

(3) واسط: مدينة سميت واسطا لتوسطها بين البصرة والكوفة بخمسين فرسخا. بناها الحجاج بن يوسف الثقفى بموضع يسمى "واسط قصب". وبنى قصرا ومسجدا جامعا وأنفق على

الأبناء وقواد الحربية[1] اجتمعوا فبايعوا لإبراهيم بن المهدي، عم المأمون في بداية سنة ٢٠٢هـ = ٨١٧م، ودعي له بالخلافة وسمي بالمرضي .... ونزل بالرصافة[2] وصلى بالناس وعقد الألوية وكتب بالولايات واستقامت له الأمور ...

وأقام المأمون في هذه الفترة في مدينة مرو حتى منتصف شهر صفر سنة ٢٠٤هـ = ٨١٩م، وكان الفضل بن سهل وزير المأمون مطلق اليد في إدارة شئون الدولة وتصريف أمورها، واستأثر بالنفوذ والسلطان، وعصب عيني الخليفة عما كان يجرى في أنحاء الدولة، وبذل جهد طاقته حتى أقام أقاربه وأصهاره وأعوانه حكاما وولاة، وأطلق لهم العنان في جميع الشئون، ورأى الوزير الفضل بن سهل أن الأمر لا يتم له إلا إذا أبعد عن العراق كلا من هرثمة بن أعين وطاهر بن الحسين؛ وهما القائدان القديران اللذان انتزعا الخلافة من الأمين بحد سيوفهما وحسن بلائهما في الحروب، وأقاما مكانه المأمون.

بناء قصره والجامع وخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم. (معجم البلدان، جـ٥ ص٣٤٨).

(١) سبق التعريف بمصطلح الأبناء. وبصفة عامة كان تقسيم الجند العباسي تابعا لجنسية أفراده؛ فمنهم الحربية، وهم الفرسان الذين كانوا يتسلحون بالرماح وهو من جند العرب؛ والمشاه وكانوا من الفرس ولا سيما من الخراسانيين بسبب مساندتهم للعباسيين في إقامة دولتهم.

(دكتور حسن إبراهيم حسن؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسي الأول، ص٢٧٤).

(٢) الرصافة؛ وهي رصافة بغداد؛ تقع بالجانب الشرقي لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي، وتم بناؤها في عهد المهدي سنة ١٥٩هـ = ٧٧٥م أمر أن يعسكر في الجانب الشرقي، وبنى له فيها دورا، وجعلها معسكرا له؛ فالتحق الناس بها وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور. (معجم البلدان جـ٣، ص٤٦).

واستصدر الفضل بن سهل أمرين من المأمون؛ أولهما بتولية أخيه الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن؛ وطلب من طاهر أن يسلم الوالي الجديد جميع ما بيده من الأعمال، وأن يسير إلى الرقة[1] لمحاربة نصر بن شبث العقيلي[2]؛ الذي ثار في سنة ١٩٨هـ = ٨١٣م مطالبا بثأر صديقه محمد الأمين. وكان الأمر يتضمن تولية طاهر الموصل والجزيرة والشام والمغرب. وقد أطاع طاهر أمر الخليفة، وخرج غاضبا لملاقاة الثائر؛ ولكنه لم يجد في مقاتلته لما كان في نفسه من غضب وألم، وانتصر نصر، وظل ثائراً حتى سنة ٢١٠هـ = ٨٢٥م؛ بعد أن تغلّب عليه المأمون وانتصر عليه قائده عبد الله بن طاهر .

أما الأمر الثاني فهو تكليف هرثمة بن أعين بالشخوص إلى خراسان؛ فأطاع الأمر، وخرج من العراق قاصداً خراسان[3].وبذلك خلى العراق من شخصيتين كبيرتين كانتا السبب في استقرار الأمور، وانتصار المأمون على أخيه الأمين، وإعادة الهيبة للخلافة العباسية.

الانتفاضات التي قامت في الفترة الأولى من حكم المأمون:

نستعرض فيما يلي نوعين من الانتفاضات؛ إحداهما من رجال البيت العباسي والأخرى من البيت العلوي؛ منتهزين فرصة الخلاف بين الأمين والمأمون وبعد الأخير عن بغداد وإقامته في مرو في خراسان:-

---

[1] الرقة : مدينة مشهورة على الفرات؛ بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة؛ لأنها في جانب الفرات الشرقي. (معجم البلدان، جـ٣، ص٥٩).

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٥٢٧ .

[3] المصدر السابق، ص٥٤١ و ٥٤٢.

أولا : العباسيون : كان الهدف من انتفاضات البيت العباسى تحويل الخلافة من فرع عباسي إلى آخر، أو من شخص إلى آخر؛ وتعتبر مشكلة الخلاف بين الأخوين الأمين والمأمون، وخلافة إبراهيم المهدى واحدة من أكبر المشاكل التى قامت فى عهد المأمون.

خلافة إبراهيم المهدي، المعروف بابن شكلة :

وإبراهيم هذا من إخوة الرشيد، وأمه أم ولد من طبرستان تدعى "شكلة". ومع أنه كان أسود شديد السواد وبنصف وجهه شامة وسمج المنظر، حتى كانوا ينادونه "عنقودا" لهذا السبب؛ إلا أنه كان محببا إلى الناس، وكان يجيد الغناء، بل كان مغنيا جيدا .

وقصة خلافته التى دامت سنتين إلا قليلا فى بغداد يجب أن تجعله فى عداد خلفاء بنى العباس[1]. وما كاد إبراهيم يفكر فى الخلافة لولا أن بغداد التى دمرت فى الحرب الأخوية بين الأمين والمأمون ظلت على القلق والاضطراب منذ مقتل الأمين سنة ١٩٨هـ = ٨١٣م. واستمرت على ذلك من الفوضى حتى قدم الحسن بن سهل بغداد من عند المأمون فى سنة ١٩٩هـ = ٨١٤م؛ وأسند إليه الحرب والخراج، فلما قدمها فرق عماله فى الكور والبلدان[2]. ولم يستطع الحسن بن سهل دخول المدينة بسبب رفضها له بالقوة، واستمرت الاضطرابات سائدة حتى تكلم بنو هاشم وفاوضوا أحد أحفاد المنصور، وهو محمد بن صالح بن المنصور فرفض. وفى ذلك يقول اليعقوبي: "ووثب محمد بن أبي خالد وأهل الحربية بالحسن بن سهل حتى أخرجوه من بغداد ...، وأتوا محمد بن صالح بن المنصور، فقالوا: نحن أنصار دولتكم، وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس، وقد أخذ المأمون

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٥٥ و ٥٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢٨.

البيعة لعلي بن موسى الرضى، فهلم نبايعك؛ فإنا نخاف أن يخرج هـذا الأمـر عنكم. فقال لهم: قد بايعت المأمون ...[1].

ثم عرض أهل بغداد الخلافة على إبراهيم بن المهدي وبـايعوه فـي ذي الحجة سنة ٢٠١هـ = ٨١٦م، يقول الطبري في ذلك: "كان في سنة ٢٠٢هـ =٨١٧م بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي بالخلافة وتسميتهم إياه المبـارك ... وخلعوا المأمون؛ فلما كان يوم الجمعة صعد إبراهيم المنبر؛ فكان أول من بايعه عبيد الله بن العباس بن محمد الهاشمي، ثم منصور بن المهدي ثـم سـائر بنـي هاشم، ثم القواد"[2].

إن واقعة خلافة إبراهيم بن المهدي في حقيقـة الأمر كانت سـببا فـي رؤية جديدة للمأمون بعد أن كان الفضل بن سهل يسـتر عنـه مـن الأخبـار، واعتراض أفراد البيت العباسي بيعته ولاية العهد لعلـي بـن موسـى الرضـا، وتغيير لباس السواد، شعار العباسيين، وكتمان بيعة البغداديين لإبراهيـم ابـن المهدي؛ فانتبه المأمون للخطر المحدق به وشعر بخطر نشـوب حـرب أهليـة جديدة بين أفراد العائلة المالكة؛ فأسرع بالقضاء على الفضل بن سـهل وتبعـه بعلي الرضا. وعلى هذا النحو استتب له الأمر.

وبدأ إبراهيم بن المهدي عهده في أول المحرم سـنة ٢٠٢هـ=٨١٧م، وأعطى الجند أرزاقهم مائتي درهم لكل رجل، وتلقـب بـالمرضي[3]، وصلـى بالناس وكتب بالولايات وأطاعه الأبناء وأهل الحربية وما والاها إلا من كان فـي طاعة المأمون. ثم غلب إبراهيم على الكوفة؛ ولكن جيشه هزم أمام قوات الحسن بن سهل المتحصن في واسط.

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٠.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٤٤.

(٣) يذكر السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" ص٣٠٧، أن إبراهيم لقب بالمبارك

عودة المأمون إلى بغداد:

قرر المأمون المسير إلى بغداد حتى يستقر فيها بدلا من "مرو" المنعزلة لينفذ خططه في الإطاحة بالفضل بن سهل وولي عهده علي بن موسى الرضا الذي أثار تعيينه فتنة بين الناس؛ خاصة أهل بغداد وأفراد البيت العباسي. وكانت المسيرة طويلة؛ بدأت مرحلتها الأولى إلى سرخس[1] حيث قتل في أول شعبان سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م، الفضل بن سهل. ثم تحرك الموكب يوم عيد الفطر من نفس العام (٢٠٢هـ) إلى طوس[2]، حيث مات ولي العهد علي الرضا في صفر سنه ٢٠٣هـ=٨١٨م. وكتب المأمون إثر ذلك إلى أهل بغداد يعلمهم موت علي، ويسألهم الدخول في طاعته فأجابوه "بأغلظ ما يكتب به إلى أحد"، وتحرك المأمون بعد ذلك إلى جرجان[3]، ثم الري[4]......، بينما كانت جماعته -على ما يبدو- تشتري له الناس في بغداد؛ فقد تآمر عيسى بن محمد بن خالد مع قائد

(١) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل، خرج منها كثير من الأئمة. (معجم البلدان، جـ٣، ص٢٠٨).

(٢) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ، وبها قبر هارون الرشيد (ت١٩٣هـ=٨١٧م)؛ خرج منها جماعة من أئمة العلم والفقه؛ منهم أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأخيه أبي الفتح أحمد الغزالي. (معجم البلدان، جـ٤، ص٤٩).

(٣) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان؛ خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء، وأيضا خرج منها جماعة كثيرة من العلماء. (معجم البلدان، جـ٣، ص١١٩-١٢٠). ويقول جي لسترنج: "وفي سنة ٩٧٥هـ (١٣٩٣م) ضرب تيمور لنك مازندران والبلاد المجاورة لها، وتوقف في جرجان وابتنى له عن ضفاف نهرها قصره العظيم "شاسمن". (بلدان الخلافة الإسلامية ص٤١٩).

(٤) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن؛ بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا، خرج منها علماء كثيرون. (معجم البلدان، جـ٣، ص١١٦ وما بعدها). ويقول لسترنج: "وكانت الري في أيام الخلافة العباسية

يبدو- تشترى له الناس في بغداد؛ فقد تآمر عيسى بن محمد بن خالد مع قائد جماعة المأمون عند بغداد، وأخذ عدد من بنى هاشم ومن القواد يتسللون إليه، وبعضهم يعرض القبض على إبراهيم الخليفة نفسه، وأسقط في يد إبراهيم؛ فاختفى في أواخر ذى الحجة سنة ٢٠٣هـ=٨١٨م بعد خلافة دامت سنتين إلا أياما. وكان المأمون إذ ذاك في الرى فاتجه إلى بغداد، ودخلها في شهر صفر سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م. وبعد سبع سنوات ظفر بإبراهيم بن المهدى متنكرا في ثياب امرأة؛ فعفا عنه، مع أن أصحابه جميعا أشاروا بقتله[1].

ثانيا: العلويون: وكان الهدف من انتفاضات العلويين انتقال الخلافة إليهم لاعتقادهم أنهم أحق بها من بنى العباس.

حركة ابن طباطبا بالكوفة:

خرج محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بابن طباطبا بالكوفة. وأيد أبا السرايا السرى بن منصور الشيباني. وكان من قبل أحد رجال هرثمة بن أعين المخلصين؛ واستطاع محمد المعروف بان طباطبا بمعاونة صديقه أبى السرايا أن يستولى على البصرة وأغلب بلاد العراق، وضرب نقودا باسمه وكتب عليها: "**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**"[2]. وانتصر على جيش أرسله

يقال لها "المحمدية" نسبة إلى محمد، وهى المهدى الخليفة العباسى، الذى نزلها فى خلافة أبيه المنصور وبنى أكثر مدينة الري، وبها ولد ابنه هارون الرشيد واستولت جمال المغول على الري ونهبتها وأحرقتها، ولم تقم لها قائمة (بلدان الخلافة الإسلامية ص٢٤٩).

[1] اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٥٨.

وأيضا: الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٦٠٣-٦٠٤.

[2] قرآن كريم؛ سورة الصف، الآية ٤.

الحسن بن سهل بقيادة زهير بن المسيب، وأرسل رسله إلى مختلف بلاد العرب ينشرون دعوته. ولكنه مات فجأة في أول رجب سنة ١٩٩هـ=٨١٤م؛ فأقام أبو السرايا مكانه علويا آخر هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين، وكان غلاما أمرد؛ فأرسل الحسن بن سهل جيشا ثانيا؛ فانتصر عليه أبو السرايا انتصارا باهرا في شهر رجب من السنة نفسها (١٩٩هـ)؛ وقتل قائده واستباح عسكره. وكبر شأن أبي السرايا نتيجة لهذه الانتصارات، واشتد ساعد العلويين وخشي الحسن بن سهل عواقب انتشار الفتنة؛ ورأى أن هرثمة بن أعين هو القائد الذي يستطيع أن يقضي على تلك الثورة؛ فأرسل إليه يسأله العودة إلى بغداد، وكان قد وصل إلى حلوان[1]؛ فأبى العودة، ولكن الحسن بن سهل ألح عليه راجيا؛ فعاد وجهز نفسه للزحف على الكوفة. وبعد أن اختار جنده خرج بهم واستولى على المدائن[2]، وطرد منها عمال أبي السرايا. وعند قصر هبيرة[3]، تقابل مع قوات الثائر وتغلب عليه. وفر أبو السرايا إلى

---

(١) حلوان: وتسمى حلوان العراق؛ تقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. وهي بقرب الجبل، وهي مدينة عامرة، وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم (معجم البلدان جـ٢ ص٢٩٠-٢٩١).

(٢) المدائن: بناها كسرى أنو شروان، وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بني ساسان إلى أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. فتحها سعد بن أبي الوقاص في صفر سنة ١٦هـ=٦٣٧م. وقال حمزة (الأصفهاني) إسم المدائن في الفارسية "توسفون" وعربوه الطيسفون، وسمتها العرب المدائن؛ لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى أخرى مسافة قريبة أو بعيدة. وعندما اختطت الكوفة والبصرة انتقل إليها الناس من المدائن وسائر مدن العراق، وتبعد عن بغداد ستة فراسخ، وبها قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه (معجم البلدان جـ٥ ص٧٤-٧٥).

(٣) قصر ابن هبيرة: مدينة بناها يزيد بن عمر بن هبيرة عندما كان واليا على العراق من قبل الخليفة الأموي مروان بن محمد. لكنه كتب إليه يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة فتركها ولم يتمها، وبنى قصره المعروف بالقرب من جسر سورا؛ فلما ملك

القادسية[1] في شهر المحرم سنة ٢٠٠هـ (٨١٥)، ودخل هرثمة بن أعين الكوفة، وأمن أهلها. ثم خرج أبو السرايا من القادسية إلى مدينة شوش[2] من بلاد فارس. وهناك قابله الحسن بن علي المأموني وقاتله قتالا شديدا وتغلب عليه، وجرحه جرحا بليغا، وفر من الميدان طالبا منزله برأس العين[3]، ولكنه وقع في يد رجال الحسن بن سهل، وكان مقيما في تلك الفترة بالنهروان[4]؛

المفتاح نزله وزاد في بنائه وسماه "الهاشمية" وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على المادة الأولى (معجم البلدان، جـ٤، ص٣٦٥).

(١) القادسية: مدينة كانت على سفح البادية، على بعد خمسة فراسخ غرب الكوفة وهي أول مرحلة في طريق الحج إلى مكة. وبالقرب منها أحرز المسلمون في سنة ١٤هـ/٦٣٥م نصرا عظيما في أول وقعة كبيرة جرت لهم مع الفرس أسفرت عن استيلائهم على العراق (لاسترنج: بلدان الخلافة الإسلامية، ص ١٠٢ و ١٠٣).

(٢) شوش: مدينة بخوزستان سماها العرب تستر والفرس شوش وشوشتر؛ كانت تقع على بعد ستين ميلا شمال الأهواز بخط مستقيم. ذكر المقدسي أن بساتين الأترج والعنب والنخيل كانت تحف المدينة، وتتميز بشدة حرارتها، ورواج أسواقها (جي لاسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص٢٦٩).

(٣) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر؛ بينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا، وقريب من ذلك بينها وبين حران، وبينها وبين دنيسر عشر فراسخ (معجم البلدان، جـ٣، ص١٤). ويذكر لاسترنج أن مدينة رأس العين كانت قرب منابع نهر الخابور، مشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠ عينا على ما يقال. (لاسترنج: بلدان الخلافة الإسلامية، ص١٤٠).

(٤) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي؛ حدها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدة بلاد متوسطة (معجم البلدان، جـ٥، ص٣٢٥). ويقول جي لاسترنج: بلدة النهروان هي أول مرحلة في طريق خراسان من بغداد. وقد وصفها ابن رسته في كتابه "الأعلاق النفيسة" بأن مدينة النهروان يشقها نهر النهروان نصفين في وسطها. وكتب حمد الله المستوفي القزويني، وهو من جغرافيي القرن الثامن الهجري (الرابع

فأحضروه إليه فضرب عنقه، وأرسل رأسه إلى المأمون في مـــرو؛ وبعث بجسده فصلب على جسر بغداد. واستراح المأمون مـــن شـــر ثائر قوى دامت ثورته عشرة أشهر. أما غلامه العلوى[1] فقد عفـــا عنه المأمون وأدخله في حاشيته[2].

إسترجاع البصرة وغيرها من البلاد من أيدي عمال أبو السرايا:

استرجع جيش المأمون البصرة، وأسر عاملها من قبـــل أبـــى الســـرايا؛ وكان رجلا ظالما عرف بالحراق لكثرة من أحرق من العباسيين بالنـــار، ومـــا أحرقه من دور البصرة. ثم استمرت قوات المأمون تعمل على استرجاع البلـــدان فى الحجاز واليمن من العمال العلويين الذين كان أبو السرايا قد أقامهم يحكمـــون

عشر الميلادى) أن النهروان صارت خرابا؛ لأن طريق خراسان قد عدل عنها واتجـــه شمالا مارا بباعقوبا. (بلدان الخلافة الإسلامية ص٨٥).

(١) عندما مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة في يوم الخميس لليلة خلت من رجب ســـنة ١٩٩هـــ=٨١٤م، أقام أبو السرايا مكانه غلاما أمرد حدثا يقال له محمد بن محمـــد بـــن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. وفى الحرب التى نشبت بين هرثمة بـــن أعين وأبى السرايا فى سنة ١٩٩هـــ (٨١٤م) وثب محمد بن محمد بن زيد ومن معـــه من الطالبيين على دور بنى العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة فانتهبوها وخربوهـــا، وأخرجوهم من الكوفة، وعملوا فى ذلك عملا قبيحا واستخرجوا الودائع التى كانت لـــهم عند الناس فأخذوها. ولما انتهت ثورة أبى السرايا بعث الحسن بن سهل محمد بن محمـــد بن زيد حين قتل أبو السرايا إلى المأمون بخراسان. وأخيرا مات محمد بن محمد بن زيد العلوى فى سنة (٢٠١هـــ). (الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، صفحـــات ٥٢٩، ٥٣١ و ٥٣٥).

(٢) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٥٣٥.

وأيضا: حسن خليفة؛ الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، الطبعة الأولـــى، نشـــر المكتبـــة التجارية، القاهرة، ١٩٣١، ص٩٤-٩٥.

باسم خليفته. وكان هؤلاء الولاة قد ساءت سيرتهم وكثرت مظالمهم مما أدى إلى إثارة الأهالي ضدهم.

وانتشرت الفوضى في موسم الحج سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م؛ إذ تولاه أكثر من شخص لتعدد السلطات؛ فندب المأمون أخاه أبا إسحق بن هارون الرشيد (المعتصم فيما بعد)، وأيضا وجه إبراهيم بن موسى الطالبي الذي خرج باليمن رجلا من ولد عقيل بن أبي طالب، كما وجه غيره من يمثله؛ مما يدل على الفرقة والإنقسام، وعلى الفوضى والاضطراب.

وقد تمكن هرثمة بن أعين من إعادة تلك البلاد إلى حظيرة الدولة العباسية بعد أن تغلب على العلويين والطالبيين[١] الواحد بعد الآخر. وكان آخرهم محمد بن جعفر الصادق، الذي بايعه أهل مكة بالخلافة بعد قتل أبي السرايا. وقبلها بعد تردد، وقد اشتهر بالورع والتقوى والعلم. وبعد أن تلقب بأمير المؤمنين ومكث خليفة المسلمين بضعة أشهر طلب الأمان من ورقاء بن جميل رئيس القوة التي أرسلها هرثمة بن أعين لإخضاع مكة؛ فأجيب إلى طلبه، وعفا عنه المأمون وعامله بالحسنى[٢].

---

(١) الفرق بين العلويين والطالبيين؛ هو أن العلويين هم كافة البيوت من نسل علي بن أبي طالب. وكان عددهم قليلا لتواري أفرادها وما لاقوه في زمن الأمويين والعباسيين على السواء من قتل وتشريد؛ لكنهم كانوا يعتزون بأنهم أولاد فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واعتبروا أن الحكم لهم دون غيرهم من أبناءعمومتهم. أما الطالبيون فهم كافة الأسر من نسل أبي طالب عم رسول الله، صل الله عليه وسلم، ومنهم آل عقيل وآل جعفر.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٥ و ٥٣٦ وأيضا ، حسن خليفة؛ الدولة العباسية، ص٩٥-٩٦.

انتهاز العلويين فرصة الخلاف بين الأمين والمأمون:

إن أهم ما يسجل للعلويين فى عهد المأمون أن كلمة "آل البيت" أضحت مصطلحا شائعا؛ ولكنه كان يحمل معانى مختلفة يمكن بلورتها بأنها كانت تضم أربعة من العائلات تشكل أربع دوائر متداخلة، وبعضها أكبر من بعض، على النحو التالى:

<u>الدائرة الأولى:</u> الفاطمية؛ وتضم أولاد فاطمة بنت النبى الأكرم، صلى الله عليه وسلم، فقط. وهم بدورهم فرعان: بيت الحسن بن على وبيت الحسين بن على، رضى الله عنهما. وهذه الدائرة أضيق الدوائر.

<u>الدائرة الثانية:</u> العلوية؛ وهى أوسع من الأولى؛ لأنها تضم العلويين، أى كافة البيوت من نسل على بن أبى طالب، رضى الله عنه.

<u>الدائرة الثالثة:</u> الطالبية، وهى أوسع من سابقتها، وتضم الطالبيين جميعا من نسل أبى طالب؛ ومنهم آل عقيل وآل جعفر.

<u>الدائرة الرابعة:</u> الهاشمية، وهى أوسع الدوائر؛ لأنها تضم العباسيين ومعهم باقى الأسر من آل عبد المطلب بن هاشم[1].

ولعل التزاحم والتنافس بين أبناء هذه الدوائر الأربعة فى الميدان السياسى عكس أطماعهم مما أدى حقد بعضهم على بعض وعدم وصولهم آخر الأمر إلى الهدف المطلوب، وهو الإطاحة بالعباسيين وقبلهم الأمويين.

ولدينا تعليق آخر للدكتور شاكر مصطفى، حيث يقول: "وقد أدى هذا التوزع مع تكاثر الأبناء والعدد فى آل البيت، وتشابك الأهواء السياسية والدينية

---

(١) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بنى العباس، جـ١، نشر وكالة المطبوعات بالكويت، الكويت، ١٩٧٣م، ص٦٥٣.

المختلفة إلى ظهور الفرق المختلفة ......، وإلى تضارب الصلات بين هذه الفرق، وتعقد العقائد التى يحملها أشياعها مع الزمن[1].

ثم إن سيطرة العلويين السريعة ومطالبتهم بالخلافة زمن المأمون يعود إلى عوامل، منها:

أولا: بقاء المأمون فى مرو بسبب خوفه من أهل بغداد، وسياسة وزيره الفضل ابن سهل لإبقائه فيها؛ فبقى بعيدا لا يعلم بما يجرى من أمور.

ثانيا: سخط العناصر العربية، والتى كان لها ثقل حتى ذلك الحين فى إدارة شئون الدولة وقيادة الجيوش على سياسة الفضل الفارسية، كذلك سخط العباسيين أنفسهم على المأمون بعد توليه على بن بموسى الرضا ولاية العهد ولبس الخضرة شعار العلويين.

ثالثا: الفوضى الشاملة التى نتجت عن حصار بغداد، ومقتل الأمين، ورفع يد طاهر ابن الحسين العسكرية، بتعيين الحسن بن سهل أخى الفضل بن سهل مكانه.

رابعا: طموح العلويين وانتهازهم الفرصة لطعن العباسيين.

خامسا: ضجر الناس وخشيتهم من عواقب الخصومة الأخوية، وأملهم فى الخلاص من ذلك الوضع السئ.

ومع ذلك تمكن المأمون، عندما انفرد بالسلطة، مقاومة حركات العلويين، واتخاذه قراره التاريخى بتنصيب على بن موسى الرضا لولاية العهد، والمجئ به من المدينة حيث كان يقيم، إلى مرو، ومبايعته فى السابع من شهر رمضان سنة ٢٠١هـ=٨١٦م. ونشر المأمون منشورا على الناس، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة[2]. ويقول الطبرى بعد أن وصل خبر تعيين على

---

(١) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بنى العباس، جـ١، ص ٦٥٤.

(٢) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٥٤.

الرضا ولاية العهد من أخيه الفضل بن سهل أن كتب إلى أحد قادته (علـــى بـــن محمد بن أبي خالد) يخبره بذلك على النحو التالي: "أن أمير المؤمنين قد جعـــل علي بن موسى بن جعفر بن محمد ولي عهده من بعده؛ وذلك أنه نظر في بنـــي العباس وبني علي، فلم يجد أحدا هو أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنه ســـماه الرضى من آل محمد، وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس ثيـــاب الخضـــرة، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة لـــه، وأن يأخذهم جميعا بلبس الخضرة، ويأخذ أهل بغداد جميعا بذلك"[1].

وانتهز المأمون فرصة موت ابن طباطبا المفاجئ؛ فأشاع أن أبا الســـرايا سمه؛ لأنه علم أن لا أمر له معه، وتبع ذلك تخاذل أهل الكوفة عن نصرة أبـــي السرايا، وتخلي أشرافهم عنه، وتهاونوا مع هرثمة بن أعين قائد جيش المـــأمون. وعندما انتصر هرثمة طرد الطالبيين من الكوفة والبصرة؛ فجاءوا إلـــى محمـــد الديباج بن جعفر الصادق. "وكان شيخا وادعا محببا إلى الناس مفارقا لما عليـــه كثير من أهل بيته من قبح السيرة. وكان يروي العلم عن أبيه جعفر (الصـــادق)، وكان الناس يكتبون عنه، وكان يظهر الزهد. فقالوا له: قد تعلم حالك في النـــاس، فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة، فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجـــلان، فأبى ذلك عليهم، فلم يزل به ابنه علي بن محمد ابن جعفر وحسين بـــن حســـن الأفطس حتى غلبا الشيخ على رأيه فأجابهم ... وبايعوه بالخلافة وسموه بـــإمرة المؤمنين"[2].

ولم تكن فترة حكم محمد الديباج حسنة بسبب سوء ســـيرة ابنـــه محمـــد وأصحابه حتى فاجأهم جيش عباسي قدم من اليمن بإمرة إسحق بن موسى بـــن عيسى العباسي، وانتهى الصراع بأن طلب محمد الديباج وجماعته الأمان علـــى

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٥٥٤.

(2) المصدر السابق، ص٥٣٧.

أن يخرجوا حيث شاءوا ...، فخرج الرجل، ويقول الطبرى: "فلقى من العنت والعدوان والعذاب بعد ذلك الكثير، وفقد فى إحدى المعارك عينه، ثم طلب الأمان من الوالى العباسى؛ فدخل إثر ذلك إلى مكة، وصعد المنبر فخلع نفسه وجدد البيعة للمأمون وعليه قباء أسود وقلنسوة سوداء وليس عليه سيف ليخلع نفسه[1]. ثم قال خطبة ذكر فيها "وكان نمى إلي خبر أن عبد الله المأمون أمير المؤمنين كان توفي، فدعانى ذلك إلى أن بايعوا بإمرة المؤمنين"[2].

وبعد هذا العرض لثورات العلويين فى زمن المأمون؛ نجدأن تعيين على الرضا وهو علوى، ومن أجلة العلويين كان مناورة سياسية من المأمون لتهديد بغداد ومن بها من العباسيين ليعودوا إلى القبول به تمهيدا لانتقاله إليهم ولكن الناس فوجئوا بأن البيعة لعلوي، فكان لها وقع الصاعقة فى بغداد؛ فزادت فيها الفوضى والنقمة على الوالى الحسن بن سهل، وعلى أخيه الوزير الفضل بن سهل الموجود فى مرو؛ حتى أن الناس بايعوا إبراهيم بن المهدى. ولم يدر المأمون بما كان يجرى فى بغداد والولايات من اضطراب وغليان، وأخبره بذلك ولي عهده علي الرضا نفسه؛ إذ صرح له بما كان يجرى، ويكتم عليه؛ فاستقبح المأمون خطة وزيره الفضل بن سهل فى تنصيب علوى عهده وأنه يجب العودة عنها والاعتماد على بغداد والعباسيين، ولا بأس بالتضحية بكل من على الرضا والفضل بن سهل طالما فيه صالحه؛ فتخلص من الفضل بن سهل وهو فى طريقه إلى بغداد، ثم تخلص من على الرضا بعد قليل بالسم فى أوائل سنة

---

(1) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٤٠.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.

٢٠٣هـ=٨١٨م[١]. ويذكر اليعقوبي "وقيل إن علي بن هشام أطعمه رمانا فيه سم"[٢].

بيعة المأمون لعلي الرضا:

لم يكن للدولة العباسية قواعد ثابتة لولاية العهد منذ قيامها؛ مما أدى إلى نشوب منازعاتوفتن شديدة كادت تودى بالبيت العباسي؛ فالعباسيون لم يجعلوا ولاية العهد للإبن الأكبر، ولم يأخذوا بمبدأ جعل ولاية العهد لواحد فقط؛ بل كانوا يبايعون لاثنين وأحيانا ثلاثة كما فعل هارون الرشيد وقد اختير أبو العباس ليصبح أول خليفة عباسي من قبل أخيه الإمام إبراهيم، وذلك دون أبي جعفر المنصور الأخ الأكبر. وأيضا عهد أبو العباس لأخيه أبي جعفر المنصور، ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله العباسي الملقب بالمرتضى[٣]. وأخذ البيعة له، فلما كبر المهدى بن أبي جعفر المنصور شغف المنصور به شغفا شديدا؛ فأحب أن يبايع له بالخلافة؛ فخلع عيسى بن موسى سنة ١٤٧هـ=٧٦٤م، وأشهد عليه بالخلع وبايع للمهدى، وجعل عيسى بن موسى وليا لعهده بعده[٤]. ثم تولى الخلافه بعده ابنه موسى الهادى سنة ١٦٩هـ=٧٨٥م، ثم تولى بعده أخوه هارون الرشيد بالخلافة سنة ١٧٠هـ=٧٨٦م. ولما ولي الرشيد الخلافة أخذ البيعة لابنه محمد الأمين فعبد

---

(١) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بنى العباس، جـ١ ص٦٧٢.

(٢) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٥٣.

(٣) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤١٩.

وأيضا الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك. جـ٨، ص٩-٢٠ و ١٦٤.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٢٠.

وأيضا ابن الطقطقى، الفخرى فى الآداب السلطانية، طبعة محمد على صبيح، القاهرة ١٩٦٢م، ١٣٧.

الله المأمون فالقاسم المؤتمن. وحاول المأمون، وهو فى مرو أن يريح الناس من متاعب الخلافة بعد أن رأى عبث أخيه الأمين. وكان أهل فارس وخراسان قد تعهدوا فترة الصراع على الخلافة بين الأمين والمأمون مساعدة الأخير ضد أخيه الأمين، والخروج معه لقتال جيش الأمين على أن يعهد بولاية العهد لمن يرتضيه كبار آل البيت ليكون وليا للعهد؛ فاتفق هؤلاء على مبايعة على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فسمي بعلي الرضا[1]، أى الذى تراضى عليه أهل البيت، وزوجه ابنته وزوج ابنه محمدا ابنته الأخرى، وكان القائم بأمر هذه الاتفاقية الفضل بن سهل الذى تولى الوزارة[2].

وكان المأمون يهدف من إشراك العلويين فى الخلافة الإسلامية حملهم على الظهور على الساحة السياسية ويعرفهم الناس على حقيقتهم، وقد تنتهى مطالباتهم وانتفاضاتهم، أو تخف حدتها ويحقن بذلك دماء المسلمين، ثم إن

---

(1) على الرضا، هو أبو الحسن على بن موسى الكاظم ثامن الأئمة الاثنى عشرية عند الشيعة الإمامية، ومن أجلاء السادة من أهل البيت وفضلائهم. ولد فى المدينة، وكان أسود اللون أمه حبشية، وأحبه المأمون فعهد إليه بالخلافة بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزى العباسى الذى هو السواد فجعله أخضرا، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون وهو في مرو، وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدى، فقصدهم المأمون بجيشه، ومات على الرضا بطوس فدفنه المأمون إلى جانب أبيه الرشيد، ولما تتم له الخلافة، وعاد المأمون إلى لبس السواد، فاستألف القلوب ورضى عنه الناس.

مراجع: ابن خلكان؛ شمس الدين أحمد بن إبراهيم الشافعى؛ وفيات الأعيان، جـ١، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣١٠هـ، ص٣٢١.

(2) المسعودى؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٤، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طـ١، بيروت ١٤١٧هـ=١٩٧٧م، ص٣١. وأيضا: عباس بن على الموسوى؛ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، جـ٢، القاهرة، ١٢٩٣هـ، ص٦٥. وأيضا: الأعلام للزركلى، المجلد الخامس، ص٢٦.

المأمون كان يرى في الخلافة رأى المعتزلة، وهى أن تسند إلى الأصلح لها من المسلمين ولو كان من غير قريش. لقد أثارت هذه المسألة فكر الباحثين منذ زمن المأمون حتى يومنا هذا ولم يتوصلوا إلى شئ أو قرار واضح وثابت. ونعرض تعليقا على ذلك لمحمد كرد علي: "أما قول من قال أن المأمون عهد لعلى بن موسى الرضا لأنه كان يتشيع؛ فإن تشيع المأمون هذا كان مقبولا معتدلا، وهو أقرب إلى الاعتزال، والمأمون يريد أن ينصب خليفة للمسلمين كافة لا للسنة ولا للشيعة ولا للمعتزلة ولا للخوارج"[1]. وأوافقه على هذا الرأى بأن المأمون لعله أراد إسناد البيعة إلى أقدر المسلمين وأكثرهم ورعا وتقوى، وأن صفات الخليفة متوفرة لدى على الرضا.

وعلى هذا النحو تبلورت الفكرة في مخيلة المأمون، وهو في مرو سنة ٢٠١هـ=٨١٦م، وجعل تولية من يخلفه على بن موسى الرضا، والذى كان رجل زمانه من آل البيت علما وورعا وتقوى وصلاحا. وأمر الجند أن يطرحوا السواد لباس العباسيين الرسمي ويلبسوا اللون الأخضر، وهو اللباس الرسمى للعلويين. وأعلن المأمون للملأ أنه بحث بين العباسيين بحثا دقيقا فلم يجد من بينهم أحدا لائقا للخلافة من بعده؛ فبايع على الرضا، وأرسل أمرا لولاته فى مختلف الأمصار بأخذ البيعة لولي العهد، وطلب الفضل بن سهل صاحب الفكرة من أخيه الحسن بن سهل أن يعلن الأمر فى بغداد، ويأخذ البيعة من أهلها لعلى الرضا[2].

---

(١) محمد كرد على؛ الإسلام والحضارة العربية، الجزء الثانى، ط٣، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤٣١.

(٢) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٤٨. وأيضا: الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٥٤.

موقف آل العباس من ولاية العهد لعلي الرضا

استعظم آل العباس ما فعله المأمون، ورأوا فيه عملاً ماساً بحقوق بيتهم، وشعروا أن الضربة موجهة إلى خلافتهم، وأجمعوا رأيهم على خلع المأمون، وانتخبوا في أواخر شهر ذي الحجة من السنة ذاتها (٢٠٠هـ) عم المأمون إبراهيم ابن المهدي خليفة بدلاً منه[1]، وكان صديقاً حميماً للأمين، وكانت تعوزه الكفاية والمقدرة الشخصية والقيادية؛ فلم يستطع القيام بأعمال الدولة، واضطربت الأحوال، ونشب القتال بين جند المأمون والموالين له وجند الخليفة الجديد إبراهيم. وأكره الحسن بن سهل عامل المأمون في بغداد على الخروج منها والارتداد إلى واسط. ثم امتدت الثورة إلى بقية المدن؛ فثارت الكوفة وغيرها من المدن، يقول الطبري: "وغلب إبراهيم مع أهل بغداد على أهل الكوفة والسواد كله، وعسكر بالمدائن"[2].

وإبراهيم بن المهدي (١٦٢-٢٢٤هـ = ٧٧٨-٨٣٨م) هو أبو إسحق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي، يقال له: "ابن شكلة" أخو هارون الرشيد، وأمه أم ولد[3] من طبرستان تدعى "شكلة"؛ وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون، كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وانتخبه الكثير من رجال البيت العباسي وأهل بغداد، فطلبه المأمون بعد فوزه الساحق وعودته إلى بغداد، فاستتر وأهدر دمه؛ فجاءه مستسلماً بعد القبض عليه؛ فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٥٧.

(٣) أم ولد: مصطلح فقهي يرد في باب الرق، يعني الأمة التي يعاشرها سيدها فتحمل منه وعندما تنجب ولداً تصبح "أم ولد" وتتحرر وابنها حرّ. (دائرة المعارف الإسلامية (ترجمة دار التحرير)، المجلد الرابع ص٤١٧. (للمصطلح شروح أخرى حتى ص٤٢٦).

عمله فعفا عنه[1]. وكان إبراهيم بن المهدى أسود شديد السواد وبنصف وجهه شامة وسمج المنظر[2]. ويقول الطبرى: "كانت أيام إبراهيم بن المهدى كلها سنة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً"[3].

ما ذكره المسعودي في شأن استقدام على الرضا:

يقول المسعودى: "أن المأمون بعث في سنة مائتين برجاء بن أبى الضحاك وياسر الخادم إلى علي بن موسي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن على (الرضا) لإشخاصه؛ فحُمِل إليه مكرّما. وفيها (أى سنة ٢٠٠هـ = ٨١٥م) أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ... ووصل إلى المأمون أبو الحسن على بن موسى الرضا، وهو بمدينة مرو، فأنزله المأمون أحسن إنزال، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر فى ولد العباس وولد على ابن أبى طالب، رضى الله عنه، فلم يجد فى وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من على بن موسى الرضا؛ فبايع له بولاية العهد، وضرب إسمه على الدنانير والدراهم، وزوّج محمد بن على بن موسى الرضا بابنته أم الفضل، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة فى اللباس والأعلام وغير ذلك. ونمى ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس؛ فأعظموه؛ إذ علمو أن فى ذلك خروج الأمر عنهم. وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون. واجتمع من بمدينة السلام (بغداد)

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى؛ الأغانى، المجلد الثالث (كتاب التحرير)؛ القاهرة، بدون تاريخ، ص١١١٧-١١٣٤.

وأيضاً؛ خير الدين الزركلي؛ الأعلام، المجلد الأول، ص٥٩-٦٠.

(٢) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٥١.

(٣) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٣.

من ولد العباس ومواليهم وشيعتهم على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة، فبويع له يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين، وقيل: إن ذلك فى سنة ثلاث ومائتين"[1].

أما عن تشيع المأمون فيعلق المسعودى على ذلك بالآتى: "كان تشيع المأمون ضرورة سياسية له؛ إذ استمال بهذه المظاهر أهل فارس لمناصرته، وعندما لم يعد بحاجة إليهم رجع عما كان عليه فى ذلك"[2].

وتعليق آخر لابن طباطبا:

أما ابن طباطبا فيقول: "فعهد المأمون إليه (أى على الرضا)، وكتب بذلك كتابا بخطه، وألزم الرضا -عليه السلام- بذلك، فامتنع ثم أجاب، ووضع خطه فى ظاهر كتاب المأمون بما معناه: "إنى قد أجبت امتثالا للأمر وإن كان الجفر[3] والجامعة يدلان على ضد ذلك. وشهد عليهما بذلك الشهود"[4]. ويلاحظ فى هذا النص لابن طباطبا أن إسناد المأمون ولاية العهد لعلى الرضا بشكل يكاد يكون إجبارا. ولعل الأقرب إلى الواقع أن المأمون رأى ثورات العلويين التى قامت فى العراق والحجاز واليمن، ونفور أهله من بنى العباس عنه بسبب قتله أخيه الأمين أن أراد استقطاب العلويين باختياره واحدا منهم لتهدأ ثورتهم.

---

(١) المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤، ص٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

(٣) الجفر: علم يبحث فيه عن الحروف من حيث هى بناء مستقل بالدلالة، ويسمى بعلم الحروف وبعلم التكسير أيضا. وفائدته الاطلاع على فهم الخطاب المحمدى الذى لا يكون إلا بمعرفة علم اللسان العربى، ويعرف من هذا العلم حوادث العالم إلى انقراضه" (كشاف اصطلاحات الفنون للمولوى محمد أعلى بن على التهانوى جـ١، طبعة معادة من طبعة كلكتة سنة ١٨٦٢م فى طهران سنة ١٩٦٧م ص٢٠٢).

(٤) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة محمد على صبيح، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٧٦.

ويؤكد كل من ابن طباطبا والجهشيارى أن بيعة علي الرضا كان لها وقع الصاعقة في بغداد؛ فزادت فيها الفوضى والنقمة على واليه الحسن بن سهل، وعلى أخيه الوزير الفضل بن سهل المحرك الأكبر للمأمون حتى بايع الناس إبراهيم بن المهدى[1].

وأدرك المأمون سوء تدبير الفضل بن سهل فى اختيار ولي العهد من العلويين ومما زاده تأكيداً ما فعله وزيره فى القائد العربى الشهير هرثمة بن أعين الذى كان ضحية الوزير الفضل بن سهل وغضب المأمون عليه؛ ذلك أن هرثمة بن أعين نجح فى إخماد الثورات التى قامت بالعراق والحجاز واليمن. كما كان له دور فى مصر عندما ثار أهل الحوف على والى مصر إسحق بن سليمان العباسى (١٧٧-١٧٨هـ = ٧٩٣-٧٩٤م)، وكان الرشيد يبعث الجيوش لكنها لم تنل من الثائرين شيئاً، وأخيراً بعث الرشيد بجيش على رأسه هرثمة بن أعين فرضخ أهل الحوف وأدوا الخراج[2].

كذلك كان لهرثمة بن أعين سهم كبير فى الدعوة للمأمون؛ ذلك أن هرثمة أرسل كتاباً إلى عباد بن محمد بن حيان - وكان وكيلاً على ضياع هرثمة بمصر - يدعوه إلى الدعوة للمأمون؛ فجمع الجند فى المسجد وقرأ عليهم كتاب هرثمة ودعاهم إلى خلع الأمين فأجابه نفر عظيم منهم؛ فأعطاهم عباد رزقاً يسيراً وبايعوا المأمون[3].

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص١٧٦. وأيضاً: الجهشيارى؛ كتاب الوزراء والكتّاب، ص٣١٢.

(٢) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر فى فجر الإسلام: من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية، نشر مكتبة الأسرة عام ١٩٩٩م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٦١-١٦٢.

وهناك روايتان ذكرهما كلاً من اليعقوبي والطبري عن هرثمة بن أعين؛ يقول اليعقوبي: "وشخص هرثمة من العراق إلى مرو سنة ٢٠١هـ=٨١٦م، وقيل إنه انصرف بغير إذن من المأمون ... وكلّم المأمون بكلام غليظ، ودخل معه يحيى بن عامر بن إسماعيل الحارثي، فقال: السلام عليك يا أمير الكافرين! فأخذته السيوف في مجلس المأمون، حتى قُتِل، فقال هرثمة: قدّمتَ هذا المجوسي على أوليائك وأنصارك؟ فأمر المأمون بسحب رجل هرثمة، فأقام في محبسه ثلاثة أيام ومات"[1].

أما الطبري فإنه سجّل واقعة هرثمة بن أعين على النحو التالي: "كتب المأمون في سنة ١٩٨هـ = ٨١٣م إلى هرثمة يأمره بالشخوص إلى خراسان"[2]. ثم: "وكان هرثمة حين قَدِمَ عليه الحسن بن سهل العراق والياً عليها من قِبَل المأمون سلّم ما كان بيده من الأعمال، وتوجّه نحو خراسان مغاضباً للحسن. فسار حتى وصل حُلْوان؛ فبعث إليه الحسن بن سهل يسأله العودة إلى بغداد لحرب أبي السرايا، فامتنع وأبى، ثم أجاب، وانصرف إلى بغداد ...... ثم صار هرثمة إلى قصر ابن هبيرة؛ فكانت بينه وبين أبي السرايا واقعة قُتِل فيها من أصحاب أبي السرايا خلق كثير"[3].

ثم يكمّل الواقعة بالآتي: "وفي سنة ٢٠٠هـ = ٨١٥م شخص هرثمة في شهر ربيع الأول (سنة ٢٠٠هـ) من معسكره إلى المأمون بمرو. فلما بلغ مرو خشيَ أن يكتم المأمون قدومه؛ فضرب الطبول لكي يسمعها المأمون. فسمعها فقال: ما هذا؟ قالو: هرثمة قد أقبل يُرْعد ويبرِق، وظن هرثمة أن قوله المقبول. فلما أدخل - وقد أشرِب قلبه ما أشرب - قال له المأمون: مالأتَ أهل الكوفة

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٩-٤٥٠.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٢٧.

[3] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٥٣٠-٥٣١.

والعلويين وداهنت ودسست إلى أبى السرايا حتى خرج وعمل ما عمل؛ وكان رجلا من أصحابك؛ ولو أردت أن تأخذهم جميعا لفعلت، ولكنك أرضيت خناقهم، وأجررت لهم رسنهم. فذهب هرثمة ليتكلم ويعتذر، ويدفع عن نفسه ما قرف به، فلم يقبل ذلك منه، وأمر به وضرب أنفه، وديس بطنه، وسحب من بين يديه. وقد تقدم الفضل بن سهل إلى الأعوان بالغلظ عليه والتشديد حتى حبس، فمكث في الحبس أياما، ثم دسوا إليه فقتلوه وقالوا له: إنه مات"[1].

أما أحمد فريد الرفاعي فعلق على موت هرثمة بالآتي: "ومات هذا القائد العظيم ضحية السعاية ونكران الجميل، كما مات أمثاله من قبل من صناديد هذه الدولة من جراء السعاية والمنافسة، ومن جراء أعمال البطانة ودسائس الحاشية"[2].

وكان من نتائج سقوط هرثمة أن ثار الجنود في بغداد، وطردوا الحسن بن سهل وعماله من المدينة؛ فخرج الحسن إلى المدائن، وارتد منها إلى واسط، وعمت الفتن والقلاقل بغداد، واستمرت فيها عدة شهور؛ حتى صارت بسبب تلك الحروب مسرحا للنهب والسلب والتقتيل، وأصبح الأمر فيها للغوغاء والفساق واللصوص، وأسرفوا في غيهم إسرافا عظيما، مما فزع له أعيان المدينة ووجهائها؛ فاتفق رأيهم وجمعوا جموعهم، وأخضعوا الغوغاء، وأعادوا الأمن والسكينة. وطلبوا إلى المنصور بن المهدى أن يقبل الخلافة؛ فأبى ذلك. وقبل أن يكون أميرا على المدينة يحكمها باسم المأمون[3].

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٤١-٥٤٢.

(٢) أحمد فريد الرفاعى؛ عصر المأمون، الجزء الأول، الطبعة الثانية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب (الألف كتاب الثانى رقم ٢٩٢)، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢١٠.

(٣) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٤٦.

عودة المأمون إلى بغداد:

تأكد المأمون من حقيقة ما يجرى فى البلاد؛ فعمـــل بنصيحـــة أصدقائـــه ومنهم على الرضا، وترك مقرّه فى مرو، وعاد إلى بغداد. وجهّز نفسه للخـــروج وفى نيّته خطّة مؤامرة للإطاحة بالفضل بن سهل. وما أن وصل ســـرخس[1] - وهو مكان يبعد عن مرو مسافة يوم- ثم توقف قليلاً للاستراحة؛ وفى تلك الفـترة قُتِل الفضل بن سهل وهو فى الحمّام؛ قتله جماعة بالسيوف فى الثانى من شـــهر شعبان سنة ٢٠٢هـ = ٨١٧م[2]. أما اليعقوبى فيقول: "فلمـــا صـــار المـــأمون بقومس[3] قُتِل الفضل بن سهل وهو فى الحمّام؛ دخل عليه غالب الرومى وسرّاج الخادم بالسيوف، وقتل قوما معهما، وقتَل ذا العلمين على بن أبى سعيد وكـــان ابن خالة الفضل بن سهل، وقال إنه الذى دسّ فى قتله، ... وأقصى قومـــاً مـــن قواده سمّاهم "الشامتة" وأظهر عليه أشد الجزع"[4].

وتابع المأمون سيره ومعه ولى عهده على الرضا. ولمـــا وصـــل طـــوس حيث يوجد بها قبر والده هارون الرشيد، أقام أياماً طلباً للراحة. وفى صفر ســـنة ٢٠٣هـ = ٨١٨م، مات على الرضا فجأة، وهو ابن تسع وأربعين سنة وســـتة أشهر[5] وفى موضع آخر يذكر المسعودى أن على بن موسى الرضا مات وهـــو

---

[1] سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومـــرو فـــي وسط الطريق، وخرج منها كثير من العلماء (معجم البلـــدان جـــ٣، ص٢٠٨-٢٠٩) ويقول لسترنج نقلاً عن المقدسي أن لها قلعة حصينة (بلدان الخلافة الشرقية ص٤١٤).

[2] الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٦٥.

[3] قومس: كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقـــرى ومـــزارع، وقصبتـــها المشـــهورة دامغان، ومن مدنها بسطام وسمنان (معجم البلدان جـ٤ ص٤١٥).

[4] اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٥١-٤٥٢.

[5] المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤، ص٦.

ابن ثلاث وخمسون سنة وصلى عليه المأمون[1]. ويقول الطبرى "وكتب المأمون فى شهر ربيع الأول سنة ٢٠٣هـ = ٨١٨م، إلى الحسن بن سهل يعلمه أن علياً بن موسى ابن جعفر مات؛ ويعلمه ما دخل عليه من الغم والمصيبة بموته"[2].

وبعد أن تمكن المأمون من السلطة، واستمال قادة العسكر إليه أسفر عن مخططاته، ويقول المسعودى: "ورفض المأمون كل ما كان قد وافق عليه وتخلص من العبء الذى جعله على نفسه وهو القضاء على الوزير الفضل بن سهل أولاً، ثم الخلاص من علي الرضا بعده، ثم البطش بأنصار الإثنين فيما بعد، وهذا ما حصل"[3].

وبعد أن تخلّص المأمون من مأزق حرج بموت علي الرضا، أرسل إلى بغداد يخبر أهلها بموته، وطلب منهم العودة لطاعته، ويعرّفهم بزوال سبب خروجهم عليه؛ فلاقت دعوته آذاناً صاغية، وصادف هوى فى نفوس البغداديين؛ لما كان عليه إبراهيم بن المهدى من سوء إدارة. وزحف المأمون نحو بغداد؛ ولما قَرُب من المدائن خرج منها إبراهيم مرتداً إلى بغداد؛ فدخلها المأمون؛ ثم أكمل المسيرة نحو بغداد. وفى تلك الفترة أخذ قواد إبراهيم بن المهدى وجنده يتركون الصفوف وينضمون إلى جند المأمون. ولما رأى إبراهيم أن مركزه العسكرى أصبح لا يمكنّه من الاستمرار فى القتال ترك المدينة وهرب بعد أن حكم سنتين، وظل مختفياً فى إحدى دور بغداد حتى سنة ٢١٠هـ = ٨٢٥م، ثم خرج متنكراً فى زى امرأة فى ساعة مبكّرة إلى الطريق؛ فاشتبه فى أمره رجال الشرطة، وتحققوا منه، وقبضوا عليه، وساقوه إلى المأمون على الحالة التى كان

---

(١) المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤، ص٣٢.

(٢) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٦٨.

(٣) المسعودى، مردج الذهب، جـ٤، ص٣١.

عليها، وطلب العفو من الخليفة، فعفا عنه المأمون وهو يقول: "**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**"[1].

ووصل المأمون بغداد في شهر صفر سنة ٢٠٤هـ = أغسطس ٨١٩م في موكب حافل، واستقبل استقبالاً عظيماً، وعقد مجمعاً من رجال الدولة وسألهم حاجاتهم؛ فطلب قائده طاهر بن الحسين - وكان قد حضر خصيصاً من الرقة لتهنئة الخليفة، إعادة السواد شعار العباسيين، وترك اللون الأخضر شعار العلويين فوافق المأمون على ذلك[2].

وهناك رأى آخر ذكره ابن الطقطقي، يقول: "لما دخل المأمون البلد تلقاه العباسيون، وكلّموه في ترك لباس الخضرة والعودة إلى السواد؛ واجتمعت به زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس[3]، وكان سليمان في طبقة المنصور، وكان بنو العباس يعظمونها، وإليها ينسب الزينبيون، قالت له: يا أمير المؤمنين: ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي. قال: يا عمّه، إني رأيت علياً حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس؛ فولّى عبد الله[4] البصرة،

---

[1] قرآن كريم؛ سورة يوسف، الآية رقم ٩٢. ولا تثريب: أي لا لوم ولا تعيير بالذنب.

[2] الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٤-٥٧٥.

[3] زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (...- بعد ٢٠٤هـ-...بعد ٨٢٠م): أميرة عباسية من ذوات الرأى والفصاحة. كان أبوها أمير البصرة، وتزوجها إبراهيم الإمام، وبعض أحفاده يُعْرفون بالزينبيين نسبة إليها. (الزركلى- الأعلام؛ جـ٣ ص٦٦).

[4] عبد الله بن العباس (٣ق هـ- ٦٨هـ = ٦١٩-٦٨٧م)؛ هو عبد الله بن عباس، حبر الأمة والصحابى الجليل. ولد بمكة، ونشأ فى بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع على الجمل وصفين، وكف بصره فى آخر عمره؛ فسكن الطائف وتوفى بها. له فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً (الأعلام للزركلى، جـ٤ ص٩٥).

وعبيد الله[1] اليمن، وقثم[2] سمرقند، وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضي الأمر إليهم كافأوه على فعله في ولده؛ فأحببت أن أكافئه على إحسانه. فقالت له: يا أمير المؤمنين؛ إنك على برّ بني علي والأمر فيك أقدر كعلى برّهم والأمر فيهم. ثم سألته تغيير لباس الخضرة، فأجابها إلى ذلك، وأمر الناس بتغييره والعودة إلى لباس السواد[3].

القسم الثاني:

الفترة الثانية: ٢٠٤هـ=٨١٩م حتى وفاته سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م

تشمل الفترة الثانية من عهد المأمون إقامته في بغداد من سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م حتى وفاته سنة سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م؛ وهي الفترة التي كان المأمون فيها هو المتسلّط الحقيقي والمدبّر لأمور الدولة، ونهج في هذه الفترة سياسة الدهاء والحكمة والمعرفة والخبرة؛ وكان أمامه صعوبات كثيرة ومشاكل عديدة؛ حيث نشبت الثورات والاضطرابات التي استمرت بعضها منذ فترة نزاعه مع أخيه الأمين وحتى مقتله، وبعضها استمر بعد اعتلاء المأمون عرش

---

(١) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب (١-٨٧هـ = ٦٢٢-٧٠٦م)؛ وال، كان أصغر من أخيه عبد الله بأربع سنوات. رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرو عنه شيئاً، واستعمله على اليمن؛ فحج بالناس سنة ٣٦هـ =٦٥٦م و ٣٧هـ = ٦٥٧م. وكان على مقدمة الحسن بن علي إلى معاوية، مات بالمدينة. (الأعلام للزركلي، جـ٤، ص١٩٤).

(٢) قُثَم بن العباس (٠٠٠-٥٧هـ = ٥٧هـ ... - ٦٧٧م): هو قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أمير عباسي، أدرك صدر الإسلام في طفولته، وذات مرّة مرّ به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب فحمله، وولّاه ابن عمه علي بن أبي طالب على المدينة؛ فاستمر فيها إلى أن قتل علي؛ فخرج في أيام معاوية إلى سمرقند فاستشهد بها. وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس له عقب (الأعلام للزركلي، جـ٥، ص١٩٠).

(٣) ابن الطقطقي؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص١٧٧-١٧٨.

الخلافة، وزاد على ذلك تبَرُّم الأهالى من ظلم الولاة وعدم استقرار الأمن والأمان؛ والتى كان على المأمون مجابهتها والقضاء عليها.

ورغم أن المأمون استبدل الخضرة بالسواد شعار العباسيين؛ إلاّ أنه ظل يعامل العلويين معاملة حسنة تتناسب مع اعتقاده فى فضل أبيهم، إلى أن خرج عليه العلوى عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن بن عمر على بن أبى طالب ببلاد عك[1] من اليمن، يدعو إلى الرضا من آل محمد (أى من يرتضيه القوم إماماً) سنة ٢٠٧هـ = ٨٢٢م، ويذكر الطبرى قصته على النحو التالى: "وكان السبب فى خروجه أن العمال باليمن أساءوا السيرة، فبايعوا عبد الرحمن هذا، فلما بلغ ذلك المأمون وجّه إليه دينار بن عبد الله فى عسكر كثيف، وكتب معه بأمانه؛ فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحج. فلما فرغ من حجه سار إلى اليمن حتى أتى عبد الرحمن؛ فبعث إليه بأمانه من المأمون؛ فقَبِل ذلك، ودخل ووضع يده فى يد دينار فخرج به إلى المأمون؛ فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه، وأمر بأخذهم بلبس السواد، وذلك يوم الخميس لليلة بقيت من ذى القعدة (سنة ٢٠٧هـ = ٨٢٢م)[2].

ونستطيع القول أن حُكمَ المأمون الحقيقى بدأ منذ دخوله بغداد فى شهر صفر سنة ٢٠٤هـ = أغسطس ٨١٩؛ حيث تجلت قدراته العالية ومزاياه العظيمة. وقد استخرج الدكتور شاكر مصطفى خطوطاً ومؤشرات سياسية عامة استنبطها من عهده فى المرحلة الثانية التى نحن بصددها؛ تتركز فى نقاط ثلاث، نذكرها فيما يلى:

---

(١) بلاد عك: إسم قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن، ومقابله مرساها دهلك (معجم البلدان، جـ٤ ص١٤٢.

(٢) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٩٣.

أولاً: السياسية المكيافيلية: فقد استخدم المأمون كل وسيلة للوصول إلى غرضه بصرف النظر عن "أخلاقية" تلك الوسيلة؛ فنجده حارب بالدعاية مسالك أخيه والتي ما تزال تلاحق الأمين في المصادر التاريخية، وحالف العلويين حين احتاج إليهم، ثم تخلص منهم، واستخدم بني سهل؛ وكان بيدهم كل شيء حتى حياته، ثم نكبهم نكبة أعادت إلى الأذهان بعض صور نكبة البرامكة، واستفاد من أخواله أهل خراسان الذين فرحو به وضحّوا في سبيله، وكانوا يرددون "ابن اختنا وابن عم رسول الله"، حتى انتقل إلى بغداد. ثم إنه اصطنع التجسس والتصنت على الناس بجهاز كامل من المخبرين[1]. وأورد شاكر مصطفى نصاً لابن طاهر الأزدي المؤخ يقول: "جعل المأمون برسم الأخبار ألف عجوز ببغداد وسبعمائة عجوز؛ فما كان يخفى عليه شئ من أمور الناس ظاهراً وباطناً. وكان لا ينام كل ليلة حتى يقف على جميعها..."[2].

ثانياً: إفساح المجال للفرس أول الأمر ثم اهمالهم في الدولة: فقد كانت أم المأمون فارسية، ونشأ منذ صغره ليرى نفسه وسط حزب فارسي في بلاط الخلافة، ثم كان مقر عمله في خراسان، التي توجه إليها وعمره لم يتجاوز الخامسة عشر حتى استخلف، ومعظم من كان في حاشيته من الفرس. وأخيراً لم يحقق المأمون للفرس، أو لبعض الطامحين منهم على الأقل غايتهم في النهاية؛ فتحول بعد سنوات من خلافته عن خراسان كلها وعن الفرس جميعاً. وما أن انتقل إلى العراق حتى أهمل الخراسانيين، وساوى بين المواطنين، واتخذ من العرب والإيرانيين وزراء وكتّاب وولاة وقضاة وعمال دون تفرقة لا لشئ سوى أنه أحكم قبضته على الحكم وهو في بغداد.

---

(1) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٤١١.

(2) ابن ظافر، أبو الحسن على بن منصور الخزرجي الأزدي (ت٦١٣هـ = ١٢١٦م) كتاب "أخبار الدول المنقطعة"، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٣٦٨٥ ورقة ١٧ ظهر. نقلاً عن كتاب "دولة بني العباس- الجزء الأول" للدكتور شاكر مصطفى، ص٤١٢.

ثالثاً: تألّف القلوب بالعفو والعطاء: وهو مذهب في السياسة عُرف عن المأمون وسجّل له المؤرخون، ويقول القعقوبي في كتابه "مشاكلة" الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر" ما يلي: "وكان أكرم الناس عفواً وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال وأبذلهم للعطايا"[1]. ثم عدد اليعقوبي سبع عشرة حادثة يستحق صاحب كل واحدة منها لدى أمثال المنصور القتل، ولكنها قوبلت من المأمون بالعفو" كالذي كان من العفو عن إبراهيم المهدي، وقد بقي خليفة سنتين، وعن نعيم بن حازم[2] الذي حاربه سنتين، وعن نعيم بن حازم الذي حاربه سنتين (٢٠٢-٢٠٣هـ = (٨١٧-٨١٨م)، وعن سهل بن سلامة المطوّعي[3]، الذي

---

[1] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت٢٨٢هـ = ٨٩٥م)؛ مشاكلة الناس لزمانهم/ تحقيق محمد كمال الدين، نشر عالم الكتب، القاهرة ص٤٠.

[2] نعيم بن حازم: كان من الذين رافقوا المأمون إلى مرو، ومن خاصته، وعندما عقد المأمون للفضل بن سهل لواءً ذي شعبتين وأعطاه علماً وسمّاه "ذا الرياستين" حَمل العلم نعيم بن حازم. ثم حارب المأمون عندما بيّن له أن الفضل بن سهل يريد أن يزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي، ثم يحتال عليهم فيغيّر الملك كسرويا. ويعلّل ذلك بأنه عدل عن البياض لبسة علي وولده إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٣٤١ و ٤٢٤ و ٥٦١)، ويقول الجهشياري: "قال المأمون للفضل: 'ينبغي أن تحضر نعيم بن حازم فإنه وجه من الوجوه، وله مسابقة وجلالة ورياسة، لكنه انضم إلى إبراهيم بن المهدي: "(الوزراء والكتاب ص٣١٢-٣١٣). وأيضا ابن الأثير: الكامل جـ٦، ص١١. وأيضاً ابن الأثير، الكامل في التاريخ الجزء السادس، ص١١.

[3] سهل بن سلامة المطوّعي: هو سهل بن سلامة الأنصاري، رجل من أهل الحربية، دعا الناس في سنة ٢٠١هـ=٨١٦م إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله عزّ وجل وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم. وعلّق مصحفاً في عنقه ثم بدأ بجيرانه وأهل مَحلّته فأمرهم ونهاهم، فقبلوا منه، ثم دعا الناس جميعاً إلى ذلك، وجعل له ديواناً يثبت فيه إسم من أتاه منهم؛ فبايعه على ذلك خلق كثير. وحبسه إبراهيم بن المهدي، وعفا عنه المأمون بعد أن كان يدعو الناس إلى خلعه. وفي سنة ٢٠٣هـ = ٨١٨م،

كان يدعو الناس إلى خلعه، وعن مهدى بن علوان الخارجى[1] الـــذى حاربـــه، وعن دعبل الشاعر[2] الذى هجاه وعن عدد من العلويين الثـــائرين وعـــدد مـــن المتسلطين فى الأقاليم، كما عدد اليعقوبى أخبار جوده بالمال لدرجة إفراغ بيـــت المال؛ وذكر أنه أمر فى يوم واحد لثلاثة أشخاص بألف ألف دينـــار وخمســـمائة ألف دينار. ثم جاءه بعد ذلك مال خراسان، وكان على عزم أن يقترض عشـــرة ملايين درهم من التجار، وكان هذا المال ثلاثين مليون فركب ليراها، ولم يعـــد

اختفى وتحول إلى منزله، ثم ظهر. وعندما قدم المأمون بغداد أتاه وأجازه ووصله وأمره أن يجلس فى منزله (الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك؛ جــ٨، صفحات ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٦٢).

(١) مهدى بن علوان الحرورى: خرج مهدى بن علوان الحرورى فى شـــهر شـــوال ســـنة ٢٠٢هــ = ٨١٧م، وقيل فى سنة ٢٠٣هــ = ٨١٨م، وكـــان خروجـــه ببزرجســـابور (بزرك سابور) وغلب على طساسيج هناك. فوجه إليه إبراهيم بن المهدى أبـــا اســـحق (المعتصم) بن الرشيد فى جماعة من القواد، منهم أبو جعفر أشناس الـــتركى، وأخـــيرا هزم مهدى. (الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جــ٨، ص٥٥٨).

(٢) دعبل الخزاعى (الشاعر) (١٤٨-٢٤٦هــ = ٧٦٥ - ٨٦٠م): هو دعبل بن علـــى بـــن رزين الخزاعى، شاعر هجاء أصله من الكوفة، وأقام ببغداد. يقول ابـــن خلكـــان فـــى ترجمته: كان بذئ اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء: الرشـــيد والمأمون والمعتصم والواثق، وإبراهيم بن المهدى، وطال عمره. أمـــا معجـــم البلـــدان لياقوت الحموى فذكر أنه خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا مـــن الـــوزراء. وكان من مشاهير الشيعة. قصد على بن موسى الرضا ومدحه بتائية مشهورة مطلعـــها (بحر الطويل):

مدارس آيات خلت من تلاوة　　　ومنزل وحي مقفر العرصات

فأعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه. (المرجع: تاريخ الرسل والملـــوك للطبرى، جــ٨ ص٦٦٠، والأعلام للزركلى، جــ٢، ص٣٣٩. ومعجم الأدباء ليـــاقوت الحموى، جــ٣ ص٣١٥ - ٣٢٠).

من رؤيتها إلا وقد فرقها جميعا وهو راكب ...، ثم عاد وأعطى عامله على الهند ابن عباء ستة ملايين درهم كان عاد بها إليه"[1].

رابعا: العناية بالعلم والعلماء: كان للمأمون ولعه الشخصي بالأمور العلمية والفلسفية، وكان يعقد مجالس المناظرة في حضرته، ويبعث في طلب العلماء الأعلام لحضورهم حتى من بيزنطة، وكان يتصيد الكتب النادرة ويدفع فيها الأموال الطائلة. كما أقام "دار الحكمة" فجمع فيه مكتبة ضخمة هائلة وجهازا كبيرا للترجمة من مختلف اللغات إلى اللغة العربية؛ حشد له قرابة سبعين مترجما، ونشطت الترجمة في عهده مما أثرى الفكر الإسلامي. كما مزج الثقافات المختلفة مزجا قويا وأغنى اللغة العربية بتراث فكرى واسع[2].

وهكذا كانت محاور سياسة المأمون التي سار عليها حتى وفاته.

المأمون في بغداد:

وما أن حط المأمون رحاله في بغداد، وشرع يدير الدولة العباسية منها، يقول الطبري: "وحتى صار المأمون إلى النهروان، أقام فيه ثمانية أيام، وخرج إليه أهل بيته والقواد ووجوه الناس، فسلموا عليه"[3]. وعفا عن الفضل بن الربيع وزير أخيه وعن الذين كانوا مصدر الاضطراب والقلاقل، يقول اليعقوبي في هذا الشأن: "وهرب الفضل بن الربيع إلى البصرة، فاستتر عند يزيد بن المنجاب المهلبي، وأمر المأمون أن يقبض ضياعه وأمواله وعقاراته، ثم صار إلى باب المأمون طالبا للأمان، وقد كان بلغ المأمون أنه مات، وشهد عنده بذلك جماعة. فلما قيل للمأمون: هذا الفضل بن الربيع!. فقال: إن كان بعث من الآخرة، فقد

---

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٢هـ)؛ مشاكلة الناس لزمانهم، مرجع سابق ص٤٠-٤١.

(2) حسن إبراهيم حسن؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٣٤٦-٣٤٧.

(3) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٤.

بُعِث الرشيد معه. ثم أدخله فأعطاه الأمان ومَنّ عليه"[1]. ويشـــرحها اليعقوبـــي على النحو التالي: "أحضر المأمونُ الفضل بن الربيع ليلة فقال: هبك تعتذر فـــي محمد بأنه كانت له في عنقك بيعة من الرشيد، فما عذرك في ابن شـــكلة وإنمـــا محلّه المغنّين والسفهاء؛ إذ قوّيتَ عزمه على ما خرج إليه من خلعـــي بعـــد أن صارت بيعتي في عنقك؟. فقال: يا أمير المؤمنين! ما أجد قلبي مكانه، وقد عظـم جرمي عن الاعتذار، وجلّ ذنبي عن الإقالة، وما أرجو الحيـــاة إلاّ مـــن ســـعة عفوك، فهب دمي لحرمتي بآبائك! فأمسكَ عنه وردّ عليه ضيعة من ضياعه مبلغ مالها ثلاثمائة ألف درهم وستون ألفاً، قدّرها لقوته وقوت عياله"[2]. فـــدلّ ذلـــك على تسامح وكرم عظيمين. ثم إن المأمون ولىّ طاهر بن الحسين مـــن مدينـــة السلام إلى أقصى عمل المشرق، وكان قبل ذلك ولاّه الجزيرة والشّرَط وجـــانبي بغداد ومعاون السواد وقعد للناس[3]. أما اليعقوبي فيقول: "وثب الجند بطاهر بـــن الحسين وهو بالرقة يحارب نصر بن شبث فـــانصرف إلـــى بغـــداد ... وولـــىّ المأمون طاهراً الشّرَط فأقام سنة. ثم شكى إلى أحمد بن أبي خالد الأحول كـــاتب المأمون ببرمه بالمقام بالباب ومحبته الخروج من بغداد"[4]. وخرج طـــاهر إلـــى خراسان لما تولاّها وهو لا يكلّم الحسن بن سهل. وفي سنة ٢٠٦هـــ = ٨٢١م، ولىَ المأمون عبد الله بن طاهر الرقة لحرب نصر بن شبث ومُضر[5].

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٤.

(٢) المصدر السابق، ونفس الصفحة.

(٣) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧ ص٢٤. ومصر في عصر الأخشيد. القاهرة، ١٩٥٠، وأيضاً محمد شريف الرحموني، نظام الشرط فـــي الإسلام إلى أواخر القرن الرابع. الدار العربية للكتاب المغرب، ١٩٨٣.

(٤) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٥.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٨١.

وانتهز طاهر بن الحسين تلك الفرصة وأدار البلاد التي تحت إمرته بحـزم وسداد رأى، فتقوى مركزه فيها، ثم خرج على المأمون، وأسقط إسمه من خطبـة الجمعة. وكان المأمون قد أرسل وراءه العيون والجواسيس ليكون دائم الاتصـال بأخبار قائده الكبير؛ فلما أقدم طاهر على خطوته الجريئة وصلت أخبارها فـورا إلى الخليفة في بغداد. وما لبث أن ذاع خبر موت طاهر وهو على فراشه، وكـان ذلك سنة ٢٠٧هـ = ٨٢٢م. وقد اختلف المؤرخون في كيفية المـوت، ويقـول اليعقوبي في ذلك: "إن محمد بن فرخ أقام عند طـاهر شـهرا وأن ابـن أخـي العمركي سقاه سما فقتله"[١]. أما الطبري فذكر خبر وفاته ذي اليمنيين" أنها كانت من حمى وحرارة أصابته وأنه وجد في فراشه ميتا"[٢].

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢ ص٤٥٧.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٣.

الثورات في عصر المأمون

ثورة نصر بن شبث العقيلي

شق عصا الطاعة في عصر المأمون نصر بن شبث العقيلي، وهو عربي قيسي كان يتعصب للأمين لأنه يمثل العنصر العربي، وينقم على المأمون لاتخاذه الخراسانيين دون العرب أنصاراً له. وتزعم القيسية في شمال الشام والجزيرة[1]. وتمثل ثورته غضب أهل الشام والجزيرة وعروبة الدولة. وقد ظهرت ثورته في الجزيرة أولاً، ثم في شمال الشام.

ولئن كان نصر بن شبث عباسياً من أنصار الأمين، إلا أنه ثار على كل من الأمين والمأمون في سنة ١٩٨هـ=٨١٣م. وذكر أبو زكريا الأزدي ما يلي: "أن ابن شبث كان والياً على الجزيرة من قبل الأمين، فعزله بعبد الله بن سعيد وأنفذ إليه داود بن عيسى فقتله نصر سنة ١٩٨هـ، وأنه حارب المأمون محاماة عن العرب لأنهم يقدرون عليهم العجم فتبعه من تبعه بهذا الهدف"[2]. وكان جميع من أيد نصر بن شبث من العرب، يدل على ذلك قوله لمن جاءه يشترط عليه أن يطأ بساط المأمون ليعفو عنه، فكانت إجابته: "ويلي عليه! لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه (يعني ثورة الزط) فكيف يقوى على حلبة العرب؟"[3].

---

(١) الجزيرة: منطقة بين دجلة والفرات مجاورة للشام تشتمل على ديار بكر وديار مضر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات. (معجم البلدان؛ جـ٢، ص١٣٤-١٣٥).

(٢) الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤، ٩٥٤م)؛ تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٢٨.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨،ص٥٩٩.

وتغلب نصر بن شبث علي بلدة كيسوم، الواقعة شمالي حلب قرب سميساط[1]، وعلي ما جاورها من البلاد، وفشا أمره مدة خمس سنوات، وصار له ما بين سميساط إلي الضفة الشرقية للفرات إلي أرض الجزيرة، وتبعه من كان بها من الأعراب.

يقول ابن الأثير:"وأتى نصر بن شبث بعض الطالبين، وقالوا له: قد وترت (أي آذيت) بني العباس، وقتلت رجالهم، وأغلقت المغرب عنهم؛ فلو بايعت خليفة كان أقوى لأمرك. قال: من أي الناس؟. قالوا: بعض آل علي. قال: أبايع أولاد السوداوات، أنه خلقني ورزقني. قالوا: فنبايع لبعض بني أمية. قال: أولئك قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبدا ... ولو سلم علي مدبر لأعداني إدباره، وإنما هواي في بني العباس؛ وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم..."[2].

ولما انتصر طاهر بن الحسين واستولى علي العراق وأطاح بالأمين، ندبه المأمون لمحاربة نصر، وأن يتخذ الرقة مركزاً لأعماله الحربية. ولكن طاهراً لم يجد في حرب نصر؛ لأنه كان يحقد علي المأمون ووزيره الفضل ابن سهل لانتزاعه بلاد العراق منه بعد فتحها، وأحرزت جيوش ابن شبث النصر علي جيوش طاهر بن الحسين بعد أن تحصن منه بكيسوم سنة ١٩٩هـ=٨١٤م، ولم يقبل دعوته إلي الطاعة، ولم يظفر طاهر بن الحسين منه بشئ حين لقيه في

---

[1] سميساط: مدينة علي شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم، وعلي غربي الفرات، ولها قلعة. (معجم البلدان، جـ٣، ص٢٥٨) وأيضاً لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ترجمة ص١٤٠.

[2] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ،جـ٦، ص٣١٨.

القتال المرير، بل عاد إلي الرقة شبه مهزوم[1]. وبقيت الجزيرة وشمال الشام في يد ابن شبث سنوات عديدة، صادر فيها أحيانا التجـــار وسيطر علـــي طـــرق التجارة[2].

ويظهر أن المأمون شعر بخطورة ثورة نصر بن شبث؛ "فولى المـــأمون عبد الله ابن طاهر الجزيرة والشام ومصر والمغرب، وصير إليه جميع أعمالـــها، وأمره بمحاربة المتغلبين بها، فنفذ عبد الله في سنة ٢٠٦هـــ=٨٢١م بعـــد نفـــوذ أبيه إلي خراسان بشهرين، فصار إلي الرقة، فواقع نصر بـــن شـــبث المتغلـــب بكيسوم وما والاها من ناحية الجزيرة"[3].

وضيق عبد الله بن طاهر علي نصر بن شبث، وجد في حربه وحـــاصره قرابة ثلاث سنوات حتى طلب الأمان. يقول الطبري: "ولما حصر عبد الله بـــن طاهر نصر بن شبث وبلغ منه، طلب الأمان فأعطاه، وتحول من معسكره إلـــي الرقة سنة تسع ومائتين (٨٢٤م) وصار إلي عبد الله بن طاهر"[4]. ولمـــا خـــرج نصر بن شبث إلي عبد الله بن طاهر بالأمان هدم كيسوم وخربها[5]. وسيق إلـــي بغداد في شهر صفر سنة ٢١٠هـــ=٨٢٥م، بعد أن حارب جيوش المأمون نحـــوا من خمس سنوات[6].

---

(١) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـــ)=١٢٦١م)؛ زبدة الحلـــب مـــن تاريخ حلب، الجزء الأول، تحقيق سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي بدمشـــق، دمشـــق ١٩٥٤-١٩٥٦م، ص٦٥-٦٦ وأيضا ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـــ٦، ص٢٩٨.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٥٩٨.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـــ٢، ص٤٥٦.

(٤) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٥٩٩.

(٥) المرجع السابق، ص٦٠١.

(٦) نفس المرجع السابق، ص٦٠٢.

ثورة الزط

من الانتفاضات التي عكرت صفو المأمون ثورة الزط. والزط قوم من أخلاط الناس انتقلوا إلي البطائح[1] من حوض السند وبعده، وكثروا في المنطقة ما بين البصرة وواسط. والزط هم النور[2]؛ كان يقدر عددهم وقت قيامهم بسبع وعشرين ألفا. وصلوا لسبب غير واضح إلي سواحل الخليج العربي. ويقول البلاذري: "أن أصل الزط من منطقة السند، وأنهم كانوا أهل مستنقعات يرعون فيها الجواميس فتنقلوا من بلاد كرمان[3] وفارس[4] وكور الأهواز[5]، ووصلوا أخيراً إلي بطائح العراق"[6]. وعن سبب ترحلهم يقول المسعودي: "مجاعة وغلاء حلت بهم في ناحية الهند، واسم الزط في العربية مشتق من أسمهم الهندي

---

[1] البطائح: جمع بطيحة، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، كانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة. (معجم البلدان، جـ١، ص٤٥٠-٤٥١).

[2] المعجم الوسيط، جـ٢، ص٩٧١: النور: جيل من الناس دأبهم الترحال والتطواف لهم لغة خاصة ويعيشون في الغالب علي السرقة والكدية والتكهن بمعرفة البخت، الواحد نوري.

[3] كرمان: ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخيل والزرع والمواشي تشبه البصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات (معجم البلدان، جـ٤، ص٤٥٤. وأيضاً لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٣٧١.

[4] فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح في إيران. أول حدودها من جهة العراق أرّجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران (معجم البلدان، جـ٤، ص٢٢١). وأيضاً لسترنج في بلدان الخلافة الإسلامية صـ٣٢٥-٣٣٢.

[5] الأهواز: كورة بين البصرة وفارس، وهي قاعدة إقليم خوزستان (معجم البلدان، جـ١، ص٢٨٤)، وأيضاً لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، أيضاً أنظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية صـ٢٦٨،٢٨١.

[6] البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (ت٢٧٩هـ-٨٩٢م)؛ فتوح البلدان، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، ١٩٥٩م،ص٤٦١.

(الجات)، ومازال منهم هناك بقايا يعيشون في الحوض الأدني المستنقعي من حوض السند، ولغتهم هناك مستعملة إلي اليوم"[1]. أي حتى زمن المسعودي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري. وانتهز الزط قيام الفتنة الأخوية بين الأمين والمأمون واستولوا علي طريق البصرة، ومنعوا الميرة عن بغداد، وفرضوا المكوس الجائرة علي السفن التجارية.

ويقول الطبري: "وكان رئيس الزّط رجلاً يقال له محمد عثمان، وكان صاحب أمره والقائم بالحرب" سَمْلَق"[2]. ولما استقر المأمون ببغداد بعث عيسي ابن يزيد الجلودي[3] لحربهم سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م، ولم ينجح في القضاء عليهم بسبب أنهم كانوا إذا أخرجتهم الجنود تفرقوا في الفيافي. وفي سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م ولىّ المأمون داود بن ماسجور[4] البصرة وكور دجلة واليمامة البحرين، وندبه لمحاربة الزط؛ فلم يكن لحربه هو ومن سبقه من القواد أثر ظاهر.

واستمر هؤلاء الزط يعيثون في الأرض فساداً في أيام المأمون، حتى وفاته سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م، ولم تخضع ثورتهم إلاّ في أيام خلفه المعتصم؛ الذي أرسل عجيف بن عنبسه؛ فأحاط بهم وسدّ مسالك الأنهار والقوت عليهم تسعة

---

[1] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ=٩٥٧م)؛ التنبيه والإشراف، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٦٩.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٩،ص٩.

[3] عيسي بن يزيد الجلودي: قائد عسكري ولاّه المأمون سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م محاربة الزط. وقد سبق أن كلّفه في سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م بالتوجه إلي مكة والمدينة واليمن لمحاربة من بها من الطالبيين، الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ص٥٣٩، ٥٨٠.

[4] داود بن ماسجور: قائد عسكري ولاّه المأمون في سنة ٢٠٦هـ=٨١٨م محاربة الزط وأعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٨١).

أشهر، واضطرهم لطلب الأمان وقضى عليهم تماما في سنة ٢١٩هـ=٨٣٤م ثم حملهم في السفن مطلع سنة ٢٢٠هـ=٨٣٥م؛ فمر بهم في بغداد، وكانت عدتهم من النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفا، والمقاتلة منهم إثنا عشر ألفا؛ فاستعرضهم الخليفة (المعتصم) في سفنهم علي تعبئتهم وهم ينفخون البوقات[1] ثم نقلوا في البر إلي "عين زربي"[2] في آسيا الصغرى فأسرهم هناك الروم سنة ٢٤٠هـ = ٨٥٤م[3].

ثورة بابك الخرمي (٢٠١-٢٢١هـ=٨١٦-٨٣٦م)

أسس الديانة المزدكية "مزدك"[4] في أيام قباد[5] والد كسري أنوشيروان، ورغم دخول بلاد فارس في الإسلام، إلا أن هذه الحركات الدينية

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٨١٠.

(٢) عين زربي: بلد بالثغر من نواحي المصيصة، أمر ببنائها وتحصينها هارون الرشيد وندب إليها ندبه من أهل خراسان وغيرهم واقطعهم بها المنازل، ثم لما كانت أيام المعتصم نقل إليها وإلي نواحيها قوما من الزط الذين كانوا قد غلبوا علي البطائح بين واسط والبصرة، فانتفع أهل الثغر بهم (معجم البلدان جـ٤، ص١٧٧-١٧٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص١٠، ١١.

(٤) مزدك: قام مزدك بمحاولة لتجديد الزردشتية في القرن السادس الميلادي في عهد قباد الأول (٤٨٨-٥٣١م) محاولا حل مشاكل الظلم الاجتماعي: المال والنساء بإباحة هذين المصدرين. وكانت مبادئ المزدكية الشيوع في المال والنساء (البغدادي: الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩٢٤ وابن الجوزي: المنتظم جـ٢، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧هـ، ص١١٢.

(٥) قباد: هو قباد بن فيروز، اعتلي العرش الساسا في سنة ٤٨٧م، ظهر في عهده مزدك ونشر مذهبه الاشتراكي ومال إليه قباد واصدر أوامره بمشاركة الناس في النساء والمال. فوقف في وجهه رجال الدين الزردشتي. وفي أواخر أيامه ابتعد عنهم وترك عقائدهم، وخلفه ابنه خسرو الأول (كسرى) أنوشروان سنة ٥٣١م (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص ٩٠-٩٤).

الهدامة التي ظهرت في إيران الساسانية بين الحين والحين واستمرت، حتى ظهرت "الخرمية" وهي التسمية التي عرف بها أتباع مزدك الذين ثاروا في جرجان[1]، وكانوا يملأون "نواحي الجبال فيما بين أذربيجان وأرمينية وبلاد الديلم[2]... وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز"[3]، ونشأت من طائفة الخرمية المزدكية، طائفة الخرمية البابكية التي تنتسب إلي بابك الذي عكر صفو الدولة العباسية في أيام المأمون.

وقد أفاض ابن النديم الحديث عن بابك وسيرته بين أتباعه وطبيعة مذهبه، فقال: "إن بابك أدعى أنه الله، أو أن الله قد تجلى فيه، وأن روح مولاه جاويدان بن سهل قد حلت فيه. فهو بهذا قد قال بالحلول[4] والتناسخ[5]

---

(1) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق كثير من ا لعلماء والفقهاء والمحدثين (معجم البلدان، جـ٢، ص١١٩).

(2) الديلم: منطقة جنوب بحر قزوين، تضم جيلان وأقاليم الجيل التي في شرقيها المحاذية لبحر قزوين، وتعتبر طبرستان وجرجان وقومس ضمن إقليم الديلم (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٠٦-٢٠٧).

(3) ابن النديم؛ الفهرست، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م، ص٤٧٩-٤٨٠.

(4) الحلول: امتداد آخر لفكرة الفناء غلا فيه الحلاج ونادي بالحلول الذي قال به بعض المسيحيين من قبل، وزعم أن الإله قد يحل في جسم عدد من عباده، أو بعبارة أخرى "أن اللاهوت يحل في الناسوت، وقال قولته المشهورة التي كانت من أسباب تعذيبه حتى الموت وهي: "ما في الجبة إلا الله". (المعجم الفلسفي، إعداد مجمع اللغة العربية- جمهورية مصر العربي، القاهرة، ١٣٣٩هـ=١٩٧٩م، ص٧٦).

(5) التناسخ: انتقال الروح بعد الموت من بدن إلي آخر إنسانا أو حيوانا، قال بهذه النظرية بعض مفكرى الهنود وفيثاغورس بين اليونان، وعرفت في العالم الإسلامي (المعجم الفلسفي، إعداد مجمع اللغة العربية،مصر، ص٥٥).

والرجعة[1] ومضى بابك بعد جاويدان بالزعامة، والقتل والسلب والحرب والعقوبة الصارمة التي لم يكن لهم عهد بها من قبل"[2]. ويؤكد ذلك أبو منصور البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" بقوله: "أن الخرميين كانوا علي مذهب المزدكيين"[3]، وكان بابك وأتباعه من الخرمية.

ويذكر الدينوري: "أن بابك الخرمي من سلالة أبي مسلم الخراساني، وأنه ثار في وجه العباسيين لأبي مسلم، .. ، والذي صح عندنا وثبت أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم التي تنسب إليها الفاطمية من الخرمية لا إلي فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم)"[4].

وبدأت حركة بابك علي حدود آذربيجان وأران وبيلقان، حيث كانت مدينة "بذ"[5] أو "بذين" التي كان فيها، ثم أخذت

---

[1] الرجعة: وصف كل ما يرجع إلي الوراء. والرجعي من يتشبث بالماضي. (المعجم الفلسفي، إعداد مجمع اللغة العربية، ص٩٩١).

[2] ابن النديم؛ الفهرست، ص٤٨٠-٤٨٢.

[3] البغدادي، أبو منصور عبد القادر بن طاهر الاشعري (ت٤٢٩هـ)؛ الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٢٦٨.

[4] أبو حنيفة الدينوري؛ الأخبار الطوال، جـ٢، ص٢٩٧.

[5] بَذّ: كورة بين أذربيجان وأرّان، بها كان مخرج بابك الخرّمي في أيام (المأمون) والمعتصم. وبجانبها نهر الرس (Arax)، الذي وصفه جي لسترنج بأنه ينبع في بلاد قاليقلا في غربي أرمينية، وبعد أن يجري بمحاذاة حدود أذربيجان الشمالية يلتقى بنهر كر في بلاد قراباغ علي بعد قليل أسفل من برذعة حيث يصب في بحر قزوين. ونهر الرس يخرج إلي صحراء البلاسجان. وفي هذا الصحراء خمسة آلاف قرية وأكثرها خراب؛ إلاّ أن حيطانها وأبنيتها باقية لم تتغير لجودة التربة وصحتها، ويقال إن تلك القرى كانت لأصحاب الرس الذين ذكرهم الله في القرآن المجيد. (معجم البلدان لياقوت الحموى، جـ١ ص٣٦١ (مادة بذ) وجـ٣ ص٤٤ (مادة نهر الرس) وجي لسترنج؛ بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٣).

الحركة تقوى حتى عمّت نواحي آصفهـــان والبرج[1]... وبــلاد الشيروان[2] وأريوجان[3] وقم[4] وقاشان[5] والري[6] وخراسان[7] وســائر أرض

---

[1] البرج: من قرى أصفهان أو ناحيته، ينسب إليها جماعة من العلماء (معجم البلدان جـــ١ ص٣٧٣).

[2] شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب، بناها أنوشروان فسميت باسمه، وبيـــن شــروان وباب الأبواب مائة فرسخ؛ قصبتها "شماخي" وهي قرب بحر قزوين، خرج منها جماعـــة من العلماء (معجم البلدان، جـــ٣، ص٣٣٩).

[3] أريوجان: مدينة جيدة في كورة ماسبذان عن يمين حلوان للقاصد إلى همذان في صحـــراء بين جبال كثيرة الأشجار، وبينها وبين "الرذّ" التي بها قبر المهدي أمير المؤمنين فراســـخ قليلة. (معجم البلدان، جـــ١، ص١٦٧).

[4] قم: مدينة ليس عليها سور؛ وهي خصبة تكثر بها الفواكة والأشجار والفســتق والبنــدق، ينسب إليها جماعة من العلماء (معجم البلدان جـــ٤ ص٣٩٧-٣٩٨).

[5] قاشان: مدينة قرب أصفهان تذكر مع قم؛ وأهلها كلهم شيعة إمامية، وبين قم وقاشان إثنـــا عشر فرسخاً، وبين قاشان وأصبهان ثلاثة مراحل. وينسب إليها طائفة مـــن أهـــل العلـــم (معجم البلدان جـــ٤، ص٢٩٦-٢٩٧).

[6] الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد الفارسية، وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخـيرات. قال الأصطخري: والري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها، وخرج منها علمـاء وأدباء كثيرون، ومن ينسب إليها يسمى "الرازي". (معجـــم البلـــدان، جـــــ٣، ص١١٦-١١٧).

[7] خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخـــر حدودهـــا ممـــا يلـــي الـــهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وتشمل على أمهات من البـــلاد، منـــها نيســـابور وهراة ومَرْو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. ينسب إليها الكثير من الرجال والعلماء (معجم البلـــدان؛ جـــ٢، ص٣٥٠-٣٥١).

الأعاجم[1]. ولقد حاول بابك أن يستميل جيرانه من الترك إلي دعوته؛ لكنـه لـم يوفق إلي ذلك تماماً. وقَبل دعوته رؤسـاء العشـائر الكرديـة فـي همـدان[2] وكرمانشاه[3] غير مكرهين[4]. أما "عدد الخرمية الذين انضموا إلي جيش بـابك في آذربيجان والديلم فقد بلغ ثلاثمائة ألف نفس" علي حد قول البغدادي[5]. ويقول اليعقوبي: "لم يقم حاتم بن هرثمة بن أعين في البلد (أرمينيا) إلاّ اياماً قلائل حتـى أتاه خبر موت أبيه هرثمة بن أعين، والحال التي مات بها؛ فخرج من برذعـة[6] حتى نزل كسال-مكان بأرمينيا؛ فبني بها حصنا، وعمل علي أن يخلع، وكـاتب البطارقة[7] ووجوه أهل أرمينية المسيحيين، وكاتب بابك والخرّمية الثائرين علـي

---

[1] المسعودي؛ أبو الحسن بن الحسين بن علـي؛ التنبيـه والإشـراف، القـاهرة، ١٩٣٨م، ص٤٥٣.

[2] همدان: من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها، ومازالت محلاً للملوك ومعدنـا لأهـل الديـن والفضل؛ وهي اكباتانا القديمة عاصمة إقليم مادى، معجم البلدان جـ٥، ص٤١٢).

[3] كرمانشاه: كان إسمها قديما قرميسين، وصفها ابن حوقل في المائة الرابعـة (العاشـرة) فقال: "مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثمر وعيون متدفقة وخيرات وتجارات" وكـان المقدسي أول من ذكرها باسمها الفارسي "كرمان شاهان" ثم خَرّبها المغـول فـي المائـة السابعة الهجرية (العاشرة). لسترنج؛ بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٢١-٢٢٢).

[4] أبو منصور البغدادي؛ الفرق بين الفرق، ص٢٢٦.

[5] المرجع السابق، ٢٦٨.

[6] برذعة: بلد في أقصى آذربيجان، فتحت في أيام عثمان بن عفان، رضى الله عنه، وينسـب إليها جماعة من الأئمة. (معجم البلدان، جـ١، ص٣٧٩-٣٨٠). ويذكر لسترنج برذعـة (ص٢١١ و ٢١٩ من بلدان الخلافة الإسلامية) أن برذعة كانت قصبة أقليم الـران فـي المائة الرابعة، وترد أيضاً بصورة "بردعة"

[7] البطارقة: جمع بطريق. وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجـل، وهـي كلمة لاتينية معرّبه، وتجمع أيضا بطارق وبطاريق وهو أيضا رئيس رؤسـاء الأسـاقفة، وعند اليهود العالم؛ معرّب "باتيرارخوس" باليونانية" ومعناه الأب الرئيس. وتبطرق؛ مشى

الدولة العباسية، وهوّن أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك والخرمية، وغلب بـابك في عمل آذربيجان[1] فاشتدت شوكة بابك.

وفي سنة ٢٠١هـ=٨١٦م، ثار بابك علي الدولة العباسية يدعو النـاس إلي اعتناق مذهبه الإباحي (الشيوعية المزدكية في المال والنساء). وكـان هـو وطائفته يدينون بما يرون ويشتهون، وأباحوا المحرمات من الخمر وسائر اللذات ونكاح ذوى المحارم. وذكر ابن النديم: "أن بابك كان يقول لمن استغواه: إنه إلـه. وأحدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة، ولم يكن الخرميـة يعرفون ذلك"[2].

ويقول البغدادي بأنه "أباح لأتباعه المحرمـات وحـرّم عليـهم القـول بالتحريم، وأسقط عنهم الصلاة والصيام وسائر العبادات"[3] وذكر الطـبري فـي كتابه "تاريخ الرسل والملوك، جـ٨" "أن بابك نشأ في قرية تدعى "بلال آبـاد" [4] وأسمه "بابك بن بهرام"، ثم اتصل بجاويدان بن سهل الذي أصبح أستاذه ومربّيـه، وكان زعيما للخّرمية. ولما مات جاويدان أقامت امرأته بابك مكانه، وادّعـت أن روحه حلّت في جسده، وأوزعت إلي رجاله بوجوب طاعته، ثم تزوّجـت منـه، وخلفه في نفوذ ولايته، وأخذ يعيث في الأرض فساداً، ونشر مذهبه الإباحي حتى قلق أهل بغداد، ودخلت آذربيجان تحت حوزته ... وانتشرت جيوشـه، وأدخـل الرعب في نفوس الأهالي الذين كـان تنتشـر بينـهم الديانـات والمذاهـب

مشية فيها زهو وخيلاء. (المعجم الوسيط، جـ١، ص٦١ وأقرب الموارد لسعيد الخـورى الشرتونى–طبعة بيروت، ١٨٨٩م، صـ٤٨.

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٢.

[2] ابن النديم؛ الفهرست، ص ٤٨٠.

[3] أبو منصور البغدادي؛ الفرق بين الفرق، صـ٢٦٧.

[4] بلال آباد: ذكرها ابن النديم بأنها من رستاق ميمذ (ص٤٨). أما ياقوت الحموى فيذكر أن ميمذ مدينة بآذربيجان أو أرّان منها والد بابك (معجم البلدان جـ٥، ص٢٤٤).

المختلفة؛ فهناك الزرادشتية والمانوية والمزدكية، ومن كـــل هـــذه العقائد مجتمعة تكونت عقائد الخرّمية[1]. ثم يكمّـــل البلخي ما قـــال الطبري بالآتي. "وانضوى إليه القطّـــاع[2] والخـــراب[3] والذعـــار[4] وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة، وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسان رجالـــه عشرين ألف فارس سوى الرّجّالة، واحتوى علي مدن وقرى، وأخـــذ بـــالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك في الفساد، وقلّة همّة والمبالاة، وهزم جيوشـــاً كثيرة للسلطان، وقتل عدّة قوّاد، وذُكر في بعض الكتب أنه قتل فيما حفظ ألـــف ألف إنسان من بين رجل وامرأة وصبيّ[5] وقد عرف المأمون خبره، وكـــان لا يزال بمرو؛ فشمّر عن ساعد الجدّ في مطاردته وعيّن المـــأمون أربعـــة قـــواد لمحاربة بابك، أولهم يحي بن معاذ[6] الذي كلفه لحربه واستئصال شأفته، ولكنـــه لم يستطع التغلب عليه؛ فاختار المأمون قائداً آخر هو عيسي بن محمد بن أبـــي

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٤، الصفحات ٥٥٦،٥٧٦،٥٨٠،٥٨١،٥٩٥،٦١٩.

[2] القطاع: جمع قاطع الطريق وتجمع أيضا قطع؛ اللص الذي يرصد السابلة (أي الطريـــق المسلوك) للسلب (الشرتوني؛ أقرب الموارد جـ٢ ص١٠١٤. أما المعجم الوسيط فيقـــول: قاطع الطريق: اللص الذي يترقب المارة في الطريق ليأخذ ما معهم بالإكراه (ص ٧٥٢).

[3] الخراب: حامل الخربة، وأيضا الخربة تعنى السلب بالتحريك (الشرتوني جـ ص ١٧٦).

[4] الذعار: جمع ذاعر، وورد في الحديث: "لا يزال الشيطان ذاعرا من المؤمن"، أي الرجـــل الخبيث، الخائف، ويقال رجل ذاعر: أي ذو عيوب" (الشرتوني، أقـــرب المـــوارد جـــ١ ص٣٦٩) وأيضا (المعجم الوسيط جـ١ص٣١٢).

[5] البلخي، أحمد بن سهل؛ كتاب "البدء والتاريخ" جـ٦ ص١١٥-١١٦.

[6] يحيي بن معاذ: أحد قادة المأمون، كان من كبار رجال الدولة العباسية زمن الرشيد الـــذي عقد له علي الشام. ثم اختاره مع من وجههم لصحبه المأمون إلي مرو قبل وفاتـــه ســـنة ١٩٣هـ-٨٠٨م. وواقع يحي بن معاذ بابك في سنة ٢٠٤هـ-٨١٩م، ولم ينتصر عليـــه، توفى سنة ٢٠٦هـ-٨٢١م (الطبري؛ تـــاريخ الرســـل والملـــوك، جـــ٢، الصفحـــات ٣٢٣و٣٤١و٥٧٦و٥٨١).

خالد[1]، وولاه أرمينية وآذربيجان معا، وأمره بمحاربه بابك؛ لكنه نكب وفشل أيضا، ثم كلف المأمون عبد الله بن طاهر[2] محاربة بابك؛ لكنه ترك المكان وتوجه إلي خراسان سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م. وفي سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م قتل قائدا رابعا هو محمد بن حميد الطوسي[3]، وفرق شمل جيشه وقتل عددا كبيرا

---

[1] عيسي بن محمد بن أبي خالد: أحد كبار القادة العباسيين، أيد المأمون علي أخيه الأمين وحارب المأمون مع طاهر بن الحسين عند فتحه بغداد، واختلف مع الحسن بن سهل وحاربه حتي طرد من بغداد، وأحصي ما كان في عسكر عيسي بن محمد ابن أبي خالد فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل. وناصر إبراهيم بن المهدي وكان يظهر له الطاعة والنصيحة. ولاه المأمون في سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك. وفي عهد المعتصم غلبت جيوش يحي بن معاذ وعيسي بن محمد بن أبي خالد بابك وكان جميع من قتل في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألف وخمسمائة إنسان. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، الصفحات ٥٢٨و ٥٥٠و ٥٥٣و ٥٦١و جـ٩ص٥٥).

[2] عبد الله بن طاهر: هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، ولي الشام مرة، ونقل إلي مصر سنة ٢١١هـ=٨٢٦م، فأقام سنة، ونقل إلي الدينور، ثم ولاه المأمون خراسان، ثم ولاه المأمون خراسان بعد وفاة أخيه طلحة، وتوفي بنيسابور سنة ٢٣٠هـ=٨٤٤م (وفيات الأعيان لابن خلكان، جـ١،ص٢٦٠).

[3] محمد بن حميد الطوسي: من قواد جيش المأمون، ولاه قتال بابك. فسار إلي آذربيجان فأخرج منها المتغلبين عليها، وتوجه إلي بابك الخرمي، فقاتله وكمن له جماعة من أصحاب بابك، فخرجوا عليه، فصمد لهم فضربوا فرسه بمزراق (الرمح القصير: المعجم الوسيط جـ١ ص٣٩٤)؛ فسقط علي الأرض؛ فأكبوا عليه فقتلوه، وعظم مقتله علي المأمون. وكان قتله في سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م بهشتادسر، وقتل بابك جمعا كثيرا ممن كان معه. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك جـ٨، ص٦١٩، ٦٢٢، وأيضا ابن الأثير؛ الكامل، جـ٦، ص١٣٨و ١٣٩).

منهم[1]. وبذلك خسرت حملات المأمون الأربعة خسارة شديدة، ولم يتمكن المأمون من السيطرة علي الموقف حتى وفاته.

وفي آخر سنة من عهد المأمون (٢١٨هـ=٨٣٣م)؛ جهز المأمون جيشاً بقيادة اسحق بن إبراهيم وإلي الجبال[2]، أنفق عليه المال الكثير؛ فشتت هذا الجيش أصحاب بابك في منطقة همذان سنة ٢١٨هـ، ودفع بابك إلي الجبال وحصره في آذربيجان. ثم انشغل المأمون بحرب الدولة البيزنطية، وظل بابك متحصناً، ثائراً علي الدولة حتى مات المأمون. وكتب قبل موته يوصي أخاه المعتصم بشأنه، يقول: "... والخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد، وأكنفه بالأموال والسلاح والجنود؛ من الفرسان والرجالة؛ فإن طالت مدتهم، فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك، وأعمل في ذلك مقدم النية، راجياً ثواب الله عليه"[3] وفي عهد المعتصم قبض علي بابك في سنة ٢٢٣هـ=٨٣٧م، وأتى به إلي مدينة السلام، ويقول الطبري "ووافي به رأس الجسر، وأمر اسحق بن إبراهيم بقطع يديه ورجليه، فلم ينطق ولم يتكلم، وأمر بصلبه في الجانب الشرقي بين الجسرين بمدينة السلام"[4].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٦.

(٢) إسحق بن إبراهيم: هو إسحق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، كان صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، ومقربا من الخلفاء؛ استخلفه المأمون علي بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م، أضاف إليه ولاية السواد وحلوان وكور دجله، وعقد له المعتصم علي الجبال سنة ٢١٨هـ لقتال بابك وأصحابه فأوقع بهم في أطراف همذان وعاد ظافراً. مات في بغداد سنة ٢٣٥هـ=٨٤٩م (ابن الأثير؛ الكامل، جـ٧، ص١٧) والإعلام للزركلي جـ١، ص٢٩٢).

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٢.

(٤) الطبري؛ المرجع السابق،جـ٩، ص٥٤.

ولا شك أن حركة بابك الخرمي قد هزت من قوى الدولة العباسية زمن المأمون وأضعفتها، وقد شد من أزر بابك استعانته بقوات أجنبية مثل الدولة البيزنطية وبطاركة الأرمن. ولعل عدول المأمون عن توليه العهد لأبنه العباس، وتوليه أخيه المعتصم بسبب الحرب ضد بابك وفعلا صدق ظن المأمون واستطاع المعتصم بعد جهد جهيد أن يقضى علي بابك الخرمي بعد وفاة المأمون بنحو خمس سنوات.

الثورة في مصر (٢٠٠-٢١٠هـ=٨١٥-٨٢٥م)

أحس ولاة مصر بضعف نفوذ العاصمة عليهم في الفترة التي كان المأمون فيها بمرو؛ فاضطربت الأحوال بسبب الخلاف بين الأمين والمأمون؛ وانقسم أهلها إلي ثلاثة فرق: فريق يؤيد الأمين، وفريق ثان يؤيد المأمون وفريق ثالث بزعامة السرى بن الحكم وأولاده يعمل لحسابه الخاص ويضرب الفريقين السابقين بعضهما ببعض. يقول الكندي المصري في هذا الشأن ما يلي: "كتب المأمون إلي أشراف أهل مصر؛ فأجابوه جميعا سرا وأتي كتاب هرثمة بن أعين[1] إلي وكيل ضياعه بمصر عباس بن محمد بن حيان مولي كنده؛ وكان

(١) هرثمة بن أعين (ت٢٠٠هـ=٨١٦م) من مشاهير قادة الدولة العباسية، له مواقف بطولية، منها أنه أخرج هارون الرشيد ليلا فأقعده الخلافة سنة ١٧٠هـ=٧٦٦م، ولاه الرشيد علي أفريقية، ثم عزله سنة ١٨٠هـ=٧٩٦م) وفي سنة ١٩١هـ=٨٠٦م ولاه الرشيد غزو الصائفة، وضم إليه ثلاثين ألفا من جند خراسان، ثم ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه في سنة ١٩١هـ، وتوجه إلي خراسان واليا عليها. وحارب الثائر رافع بن الليث بن نصر بن سيار سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م وانتصر عليه وأرسله إلي المأمون. وقاد الجيوش مع طاهر بن الحسن لقتال الأمين؛ فانتصر علي جيوش بغداد، ودخلها من الجانب الشرقي. وفي سنة ١٩٨هـ=٨١٣م، كتب المأمون إلي هرثمة يأمر بالشخوص إلي خراسان. وفي سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م غادر هرثمة معسكره إلي المأمون. وما أن وصل حتى دعاه إليه وشتمه وضربه وحبسه، وكان الفضل بن سهل يبغضه، فدس اليه من قتله في الحبس سرا

وكيلا عن هرثمة بمصر، فأظهر عباد كتاب هرثمة، وأحضر الجند إلي المسجد الجامع، وقرأه عليهم، ودعاهم إلي خلع الأمين؛ فأجابه أغلب الناس إلي ذلك؛ فأعطاهم عباد رزقا يسيرا وبايعوا للمأمون، وكان خلع الأمين بمصر لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ١٩٦هـ=٨١١م، وبايع عباد بن محمد للمأمون بيعة عامة لثمان خلون من رجب سنة ١٩٦هـ؛ ووثب الجند علي جابر بن الأشعث[1] والي مصر من قبل الأمين؛ فأخرجوه من ولايته بعد أن مكث عاما واحدا (١٩٥-١٩٦هـ=٨١١-٨١٢م)؛ وأخرجوه من ولايته. ثم تولي العباد بن محمد من قبل المأمون[2].

ثم بلغ الأمين ما فعله المصريون من خلعه؛ فكتب إلي ربيعة بن قيس الحريشي[3]، رئيس قيس بالحوف بولايته علي مصر؛ فاستنفر أهل الحوف

بمرو. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص١٢٤و٢٨٦و٣٢٣و٤٢٧و٤٢٨و٣٤١و٣٧٥و٤٤١و٥٣٠و٥٤١-٥٤٣- وأيضا الأعلام للزركلي جـ٨، ص٨١).

[1] جابر بن الاشعث: (توفي بعد ١٩٦هـ=٨١٢م): هو جابر بن الأشعث بن يحيي الطائي، من ولاة مصر في عهد العباسيين، ولاه إمرتها الأمين سنة ١٩٥هـ=٨١٠م. واتصلت فتنة الأمين والمأمون بأهل مصر، وتعصب للمأمون بعضهم ووثبوا علي جابر فقاتلوه وأخرجوه من ديارهم بعد ولايته نحو عام واحد. (ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة، جـ٢، القاهرة، ١٩٣٠م، ص١٤٨).

[2] الكندي المصري، أبو عمر محمد بن يوسف؛ كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصليح روفن جست Rhuvon Guest ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٤٩.

[3] ربيعة بن قيس الحريشي: كان أبرز شيوخ القبائل القيسية ورئيسها، كان طوال عهد الأمين (١٩٦-١٩٨هـ=٨١١-٨١٣م) قائد جيوشه خلال المعارك العنيفة الطويلة ضد أنصار المأمون. (كتاب الولاة للكندي المصري، ص ١٥٣ وأيضا كتاب القبائل العربية

وأظهروا دعوة الأمين وخلعوا المأمون؛ وساروا إلي الفسطاط لمحاربة أهلها فخندق عباد بن محمد علي الفسطاط، وتقدم ربيعة بن قيس واشتبك مع أنصار المأمون. ثم عقد عباد بن محمد بن حيان للسرى بن الحكم علي حرب مؤيدي الأمين، وصاروا في قتال مستمر؛ قتل عدد غفير من الفريقين حتى بلغهم مقتل الأمين وبيعة المأمون فتفرقوا[1].

وهذا يدل علي أن الأمور في مصر قد ساءت ولعبت القبائل العربية دورا نشطا في الاضطراب؛ منتهزين فرصة الخلاف بين الأمين والمأمون ليستفيدوا من وراء النزاع ويسيطروا علي ما تحت أيديهم من مناطق. وفي هذا تقول الأستاذة الدكتور سيدة إسماعيل كاشف: "هكذا قسمت مصر بين الخارجين علي الخلافة؛ فالجروى كان صاحب السلطة الفعلية في شرقي البلاد، كما كان صاحب الفضل في توليه السري بين الحكم علي مصر ليتخلص بذلك من المطلب بن عبد الله إلا أنه لكي يتخلص من المطلب، أوجد له منافسا آخر في شخص السري، الذي سرعان ما طمع في أن يكون صاحب السلطة الفعلية في مصر كلها؛ فبعد أن كان الجروى والسرى يحاربان لأجل الخليفة المأمون، أصبح كل منهما يحارب الآخر، وهذا أدى إلي النزاع بين الجروى والسرى نزاعا متواصلا في السنين التالية، بل أن هذا النزاع استمر بين أولادهما بعد وفاة الإثنين"[2].

وأصبحت مصر مسرحا للحروب بسبب كثرة الولاة وعزلهم وبسبب عدم سداد العطاء. وكان التنافس علي الولاية من أسباب ثورة الأهالي العرب

في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة للدكتور عبد الله خورشيد البري، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٣٧).

[1] الكندي المصري؛ كتاب الولاة وكتاب القضاء، ص١٥٠.

[2] سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦٦.

ومن ذلك أن المطلب بن عبد الله الخزاعي[1] الذي ولاه المأمون أمر مصر سنة ١٩٨هـ=٨١٣م) الذي قدم مصر والثورات قائمة، وأهلها فريقان: فريق من حزب الأمين وفريق من حزب المأمون، وعزله المأمون بعد سبعة أشهر من ولايته. وأمر المأمون بالقبض عليه فحبس مدة. وولي المأمون العباس بن موسى بن عيسى العباسي الهاشمي أمر مصر بدلا منه؛ فأرسل ابنه عبد الله نائبا عنه، وتشدد مع الأهالي؛ فثار عليه أهل مصر العرب والقبط، فقاتلهم، فأخرجوه من بلدهم، وأطلقوا سراح المطلب بن عبد الله، وأعادوه إلي الإمارة سنة ١٩٩هـ، ٨١٤م، وأحسن السياسة؛ فأقره المأمون، ثم عزله في سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م فأوقد الفتنة ولم يفلح؛ فخرج هاربا إلي مكة وتوارى بها[2].

ثم ولي المأمون السرى بن الحكم (ت٢٠٥هـ=٨٢٠م) مصر سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م فأقام ستة أشهر وثار عليه بعض قواد جند الخلافة في سنة ٢٠١هـ=٨١٦م وانتهبوا منزله، فأعاده المأمون في السنة نفسها واليا علي مصر، فتتبع آثار القائمين بالثورة فقتل وصلب كثيرين وأباد أهل الحوف[3].

وكتب إبراهيم بن المهدي إلي وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون والوثوب علي السري؛ فقام العديد من رؤساء العرب بمخالفة السري بن الحكم؛

---

[1] المطلب عبد الله (ت بعد سنة ٢٠٠هـ= بعد ٨١٥م): هو المطلب بن عبد الله ابن مالك الخزاعي. ولي أمر مصر للمأمون سنة ١٩٨هـ=٨١٣م، وقبض عليه وعندما ثار أهل مصر في أيام خلفه العباس بن موسى؛ أطلقوا المطلب وأعادوه إلي الإمارة في أوائل سنة ١٩٩هـ=٨١٤م؛ فأحسن السياسة، وأقره المأمون، ثم عزله في سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م، وحاول القيام بفتنة موجهة ضد المأمون ولكنه لم يصلح؛ فخرج هاربا إلي مكة، واستقر فيها. (أبو المحاسن بن تغرى بردي؛ النجوم الزاهرة، جـ٢،ص١٥٧،١٦٢).

[2] الكندي المصري؛ كتاب الولاة والقضاة، ١٥٣.

[3] ابن تغرى بردي؛ النجوم الزاهرة؛ جـ٢، ص١٥٧،١٦٢. وأيضا الكندي المصري؛ الولاة والقضاة، ص١٦١و ١٦٧..

ودعوا لإبراهيم بن المهدي، وعقدوا علي ذلك الأمر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي وأجمعوا علي ولايته؛ فظفر السري بعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدى وقتله هو وجمع من أهل بيته[1]. ونورد فيما يلي نص ما ورد في كتاب الـــولاة للكندي المصري: "وقد لعب آل عبد الجبار (وهم بطن من الأزد) بقيـــادة عبـــد العزيز بن عبد الرحمن دوراً مهماً في سياسة مصر، وتزعم الثورة علي السرى بن الحكم أمير مصر فخلعوه سنة ٢٠١هـ=٨١٦م وولـــوا غـيره. وتزعمـــوا العناصر العربية الأخرى واستجابوا لإبراهيم بـن المـــهدي الـــذي دعـــا ســـنة ٢٠٢هـــ=٨١٧م إلي خلع المأمون وولي عهده علي بن موسى العلـــوى. ولكـــن أمير مصر هزمهم وظفر بعبد العزيز وبجمع من أهل بيته وقتلهم جميعاً[2].

ثم أتي دور ابنى الزعيمين المتنافسين؛ أبي نصر بن السرى الذي ولـــى مصر سنة ٢٠٥هـــ-٨٢٠م، وكان بيده أرض مصـــــر: فسـطاطها وصعيدهـــا وغرب الدلتا، وظل يواصل سياسة والده[3]. ولم تهدأ مصر حتى قدم عبد الله بـن طاهر بن الحسين واستأمن إليه عبيد الله ابن السري بن الحكم[4]. وتمكـــــن مـــن استتباب الأمن والتوفيق بين القبائل المتناحرة ورؤساء العرب المتحـــاربين، ثـــم قصد عبد الله بن طاهر الإسكندرية وفتحها في سنة ٢١٠هـــ- وقيل كان فتحــــه إياها في سنة إحدى عشرة ومائتين وأجلى من كان تغلب عليها من أهل الأندلــس عنها[5].

---

(١) الكندي المصري، الولاة والقضاة، ص١٥٣.

(٢) الكندي؛ الولاة والقضاة، ص ١٦٥، ١٦٨.

(٣) المرجع السابق؛ ص١٩٨.

(٤) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٠٩.

(٥) المرجع السابق، ص٦١٣.

عبد الله بن طاهر يجلو الأندلسيين من الإسكندرية:

يقول اليعقوبي: "وغلب لخم وبنومدلج علي الإسكندرية، ورئيس لخم رجل يقال له أحمد بن رحيم اللخمي، ثم غلب الأندلسيون. وكان ابتداء أمر الأندلسيين أنهم قدموا من الأندلس في أربعة آلاف مركب فأرسوا في ميناء الإسكندرية في الرمل، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف رجل، فأقاموا علي ساحل البحر...، ثم وثب بعض أعوان السلطان علي رجل منهم؛ فوقعت عصبية، فوثب الأندلسيون علي الفضل بن عبد الله أخي المطلب بن عبد الله، وقتلوا صاحب شرطته، وصاروا إلي الحصن وحاربوا أهل الإسكندرية، حتى أجلوهم عن منازلهم؛ فخلّوا الديار والأموال، ورأسوا عليهم رجلاً يقال له أبو عبد الله الصوفي يسفك الدماء ويقتل المسلمين، ثم عزلوه وصيرّوا عليهم رجلاً يقال له الكناني، وأجلوا بني مدلج ولخما عن البلد؛ فصار البلد كله لهم"[1].

وهذا دليل علي عدم تكاتف ولاة العرب حكام مصر بحيث أن الأندلسيين انفردوا علي من بالإسكندرية وهزموهم وحلوا محلهم دون أن يشعر حكام مصر المختلفين بخطورة الموقف.

ولم تهدأ الأمور في مصر حتى قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين إليها، وتمكن من استتباب الأمور فيها والتوفيق بين القبائل ورؤساء العرب المتحاربين ثم قصد الإسكندرية في ربيع الأول سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م، وحاصرها؛ فخرج أهلها بأمان وصالح الأندلسيين علي أن يرحلوا من الإسكندرية، علي أن لا يخرجوا في مراكبهم أحداً من مصر ولا عبداً ولا آبقاً[2]، فإن فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكثُ عهدهم؛ فاستعدوا للرحيل. وبعث عبد الله بن طاهر من يُفتّش عليهم مراكبهم؛ فوجدوا فيها جمعاً من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم؛

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٦.

[2] الآبق: أي العبد الهارب من المصدر أبق بمعنى هرب؛ أقرب الموارد؛ لسعيد الشرتوني اللبناني جـ١ص٢، وأيضاً المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)، جـ١ص٣.

فأمر عبد الله بن طاهر بإحراق مراكبهم؛ فسألوه أن يردّهم إلي شرطهم ففعـل؛ وولّيَ علي الإسكندرية إلياس بن أسد بن سامان خدا من ولد بهدام شـوبين ثـم؛ عاد عبد الله بن طاهر إلي الفسطاط، وركب النيل متوجهاً إلي العـراق لخمـس بقين من رجب سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م[١].

وبعد صراعات علي السلطة والنفوذ أرسل المأمون أخاه أبا إسحق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد إلي مصر، وتمكن من القبض علي عبد الله بـن جليس وعبد السلام بن أبي الماضي، وضرب عنقها وصلبهما، ثـم رحـل إلـي الشام تاركاً قائده الأفشين حيدر بن كاووس الصغدي الذي تمكـن مـن إرهـاب الجميع[٢].

ومثل ذلك ذكره الطبري علي النحو التالي: "في سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م خلع عبد السلام وابن جليس بمصر في القيسية واليمانية ووثوبهما. وفـي نفـس السنة ولّى المأمون أخاه ابا اسحق (المعتصم) الشام ومصـر"[٣]. "وفـي السـنة التالية (أي ٢١٤هـ=٨٢٩م) قُتل عُمير بن الوليد الباذغيسي عـامل أبي اسـحق ابن الرشيد بمصر بالحوف في شهر ربيع الأول؛ فخـرج أبـو اسـحق إليـها فافتتحها، وظفر بعبد السلام وابن جليس، فقتلهما"[٤].

أما الثورة الثانية فهي ثورة القبط التي لازمت ثورة العرب؛ فقـد انتـهز المصريون، عرب وأقباط، وقوع الفتنة بين الأمين والمأمون، واضطراب أحـوال الخلافة؛ فانتفضوا علي ولاتهم العباسيين؛ فقد كـان ولاة العباسـيين يحكمـون المصريين بالشدة، ولم تتحسّن أحوال مصر علي يدهم؛ مع أن الخلافة العباسـية نادت بالاعتراف بحق الشعوب المفتوحة في الحياة الكريمة وعلي أسـاس مبـدأ

---

(١) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦٨-١٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٦.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٠.

(٤) المرجع السابق، ص٦٢٢.

الإسلام الذي آخي بين المسلمين بصرف النظر عن جنسياتهم. ولكن استغل الولاة العباسيون الموقف فزادوا علي المصريين في الخراج وضاعفوه، وأوجدوا شيئاً جديدا هو ما عُرف بالالتزام أو قبالات الأرض[1]. وذلك بالتزايد عليها لقاء ضمان الخراج للخليفة في مدة معينة، كما فرضت الضرائب علي الأسواق لأول مرة[2]. وقد شمل الاضطهاد الديني في مصر المصرين جميعاً؛ أقباط ومسلمين أما أكبر ثورة قبطية قامت في عهد المأمون؛ تلك التي وقعت في سنة ٢١٦هـ=٨٣١م، بسبب سوء سيرة العمال؛ وحشد الأقباط أعداداً كبيرة بحيث أن عيسي بن منصور الرافقي (ت٢٣٣هـ=٨٤٧م) الذي ولي مصر في أوائل سنة ٢١٦هـ=٨٣١م، وأخرج العرب والقبط معاً العمال وأظهروا العصيان؛ فتقاتلهم عيسى وضعف علي لقائهم وتقهقر؛ فدخل القبط الفسطاط وأخرجوه علي أقبح وجه حيث اضطر المأمون أن يحضر بنفسه[3]؛ فخرج إلي دمشق، ثم وصل إلي مصر في المحرم سنة ٢١٧هـ (ديسمبر ٨٣١م) ومعه أخوه المعتصم وأولاده أخيه الواثق والمتوكل بما يدل علي خطورة الوضع في مصر؛ فحارب المأمون القبط بالأقشين في أدني قراهم في الصعيد والدلتا[4]. أما أهل الدلتا فاضطروا أن ينزلوا علي حكم المأمون؛ وقُرئ كتاب فتحها لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٧هـ=٨٣٢م[5]، أما الوالي عيسي بن منصور الرافقي فقد سخط عليه المأمون وأمر بحل لوائه، وقال: "لم يكن هذا الحدث العظيم إلاّ

(١) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخطط المقريزي، الجزء الأول، القاهرة، ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م)؛ ص١٣١-١٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٢، وأيضاً دكتور سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام ص٦١-٦٣.

(٣) الكندي المصري؛ الولاة والقضاة، ص١٨٨و ١٩١.

(٤) المقريزي؛ الخطط، جـ١، ص١٢٨.

(٥) الطبر ي؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٧.

سخط عليه المأمون وأمر بحل لوائه، وقال: "لم يكن هذا الحدث العظيم إلاّ من فعلك وفعل عمّالك، حمّلتهم الناس ما لا يطيقون وكتمتموني الخبر"[1].

وأقام المأمون في مصر تسعة وأربعين يوماً، وتنقل في أنحاء كثيرة، مثل الفسطاط وسخا في الدلتا، كما زار الصعيد. وكان لا يمشي إلاّ والتراجمة بين يديه من كل جنس، حيث كان المصريون حتى ذلك الحين يتكلمون المصرية القديمة[2].

خروج بعض الطالبيين على المأمون:

كان للمأمون أسلوب مميز في إخماد فتن الطالبيين، وكان يحاول في كل مرة مع كل ثائر أن تكون سياسته اللين والدهاء، حيث كان يرى أن ما يفعله اللين لا تفعله القسوة، وأنه يجب أن يكون وراء اللين والدهاء ليستتب الأمر. ونستعرض فيما يلي ثورات الطالبيين زمن المأمون:

أولاً: ثورة ابن طباطبا:

هو محمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب. وهو من أئمة الزيدية؛ كان مقيماً في المدينة، وحجّ سنة ١٩٦هـ=٨١١م؛ والحرب قائمة في العراق بين الأمين والمأمون؛ فأقبل عليه الناس بمكة، وكثر تردّدهم؛ فخاف الفتنة فاستتر[3]. وكان من حجّاج تلك السنة (أي سنة ١٩٦هـ=٨١١م) رجل من كبار الشيعة يدعى نصر بن شبيب؛

---

[1] ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢١٥ وسيدة كاشف مصر في فجر الإسلام ص٢٣٧-٢٣٩.

[2] المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٣٨٨هـ=٩٩٨م)؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة دي خويه، ليدن، ١٩٠٦م، ص٢٤٠.

[3] الأصبهاني، أبو الفرج؛ مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٧٨.

فاجتمع بمحمد بن طباطبا، وعرض عليه الخروج علي بني العباس؛ فوعده باستشارة من في الكوفة من أنصاره. ثم عاود نصر بن شبيب الكرة في سنة ١٩٨هـ=٨١٣م؛ فدخل المدينة، وزار محمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) في بيته، وبالغ في تحريضه علي الخروج، وقصد الكوفة؛ فدخلها وكتم خبره، وبايعه فيها نحو مائة وعشرين رجلاً[1]. يقول الطبري "وكان القيّم بأمر في الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبو السرايا، واسمه السريّ بن منصور، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني"[2]. وأقام محمد بن إبراهيم بالكوفة وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب وغيرهم[3]. واستفحل أمره، ولكن لم يلبث أن مرض ابن طباطبا بخاصرته، ومات ودفن بالكوفة. وكانت مدة خروجه علي العباسيين شهرين، وله من العمر ستة وعشرين عاماً[4].

وأقام أبو السرايا، السرى بن منصور مكان ابن طباطبا بعد وفاته علوياً آخر هو محمد محمد بن يحيي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، واتسع أمر أبي السرايا، وضرب في الكوفة الدراهم، وسير الجيوش إلي البصرة ونواحيها، وعمل علي ضبط بغداد، وامتلك المدائن وواسطا، وأرسل العمال والأمراء إلي اليمن والحجاز وواسط والأهواز، وتوالت عليه جيوش العباسيين فلم تنل منه شيئاً، حتى تمكن منه الحسن بن سهل والي بغداد من قبل المأمون وقتله، وبعث برأسه إلي المأمون، ونصبت جثته علي جسر بغداد[5].

---

(١) المسعودي؛ مردج الذهب، جـ٤، ص٢٤.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص٥٢٩.

(٤) خير الدين الزركلي؛ الأعلام: قاموس تراجم، المجلد الخامس، نشر دار العلم للملايين، ط١٠، بيروت، ١٩٩٢م ص٢٩٣-٢٩٤.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك؛ جـ٨، ص٥٣٥.

ثورة محمد بن جعفر المسمّى بالديباجة:

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان من أعيان الطالبيين؛ كانت إقامته بمكة، ويظهر الزهد. ولما ظهر الخلاف علي المأمون العباسي في أوائل أيامه؛ أقبل بعض الطالبيين علي محمد هذا سنة ١٩٩هـ=٨١٤م، وبايعوه بالخلافة وإمارة المؤمنين سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م، وبايعه أهل الحجاز. ويعتبر أول من بايعوا له بالخلافة من ولد علي ابن أبي طالب، وقاتلهم اسحق بن موسى العباسي[1] وعيسى بن يزيد الجلودي[2] فانهزموا؛ وانصرف محمد إلي الجُحَفة[3]، وهي علي بُعد أربع مراحل من مكة في طريق المدينة، وانهزم، وقُتل كثير من أصحابه، وفُقئتْ عينه، فنقل إلي مكة واستأمن عيسي بن يزيد الجلودي، فأمّنه، فخلع نفسه، وخطب معتذراً بأنه ما رضي البيعة إلاّ بعد أن قيل له إن المأمون توفي، وأنفده

---

(١) اسحق بن موسي العباسي: هو اسحق بن موسى بن عيسي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس. كان والياً علي اليمن من قبل المأمون؛ فلما سمع بقدوم إبراهيم بن موسى العلوى وقربه من صنعاء خرج منصرفاً عن اليمن وبجميع من عسكره من الخيل والرجال، وخلي لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن كره قتاله سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م، وفي سنة ٢٠١=٨١٦م حج بالناس. (الطبري، جـ٨، ص ٥٣٦، ٥٥٦).

(٢) عيسى الجلودي: هو عيسي بن يزيد الجلودي (ت بعد ٢١٤هـ=بعد ٨٢٩م) من ولاة الدولة العباسية، ناب في إمرة مصر عن عبد الله بن طاهر أيام ولايته لها سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م، واقره المأمون علي الإمارة؛ فاستمر سنة وسبعة أشهر وأياماً، ثم عزل في أواخر سنة ٢١٤هـ=٨١٦م. (الكندي المؤرخ؛ الولاة والقضاة، ص١٨٤ وأيضاً ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٠٨).

(٣) الجُحفة: كانت قرية كبيرة ذات منبر علي طريق المدينة من مكة علي بعد أربع مراحل؛ كان ميقات أهل مصر والشام إن لم يمّروا علي المدينة وكان إسمها "مُهَيْعَة" وسميت "الجُحفة" لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، (معجم البلدان جـ٢، ص١١١).

الجلودي إلي المأمون فأكرمه واستبقاه معه إلي أن توفي بجرجان؛ فكان المأمون أحد من صلّوا عليه[1].

ويقول المسعودي: "وكان محمد بن جعفر قد دعى في بدء أمره وعنفوان شبابه إلي محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا؛ فلما مات ابن طباطبا دعا محمد بن جعفر لنفسه...، وكان يسمّى بالديباجة؛ لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال، وكان له بمكة قصص حُمل فيها علي المأمون بخراسان والمأمون يومئذ بمرو، فأمّنه المأمون وحمل معه إلي جرجان؛ ومات فدفن بها"[2].

ثالثاً: خروج ابن الأفطس:

هو حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وجّهه أبو السرايا إلي مكة. ومضى يريدها فلما قَرُب منها، بلغ عاملها العباسي داود بن عيسى توجيه أبي السرايا حسين بن حسن إلي مكة لإقامة الحج؛ فجمع موالي بني العباس وعبيدهم؛ لكنه لم يرغب الحرب بسبب أنه لا يستحل القتال في الشهر الحرام. ثم إن "الحسين بن الحسن الأفطس بعد الحج وتفرق الحجيج من مكة أمر في شهر الحرام سنة ٢٠٠ هـ=٨١٥م، بثياب الكعبة التي عليها فجّردت منها حتى لم يبقى عليها من كسوتها شئ، وبقيت حجارة مجرّدة، ثم كساها ثوبين من حرير رقيق كان أبو السرايا وجّه بهما معه مكتوب عليها: أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد، لكسوة

[1] أبو الفرج الأصفهاني، علي بن حسن (ت ٣٥٦هـ=٩٦٦م)؛ مقاتل الطالبيين ص٣٥٣ وأيضاً الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ=١٠٧٢م) تاريخ بغداد، جـ٢، ص١١٣.

[2] المسعودي؛ مردج الذهب، جـ٤، ص٢٩.

بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كُسوه الظلمة من ولد العباس؛ لتطهّر من كسوتهم. وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة"[1].

أما المسعودي فإنه ذكر خروج ابن الأفطس علي النحو التالي: "وظهر في أيام المأمون أيضاً بالمدينة الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وهو المعروف بابن الأفطس. وقيل أنه دعا في بدء أمره إلي ابن طباطبا، فلما مات ابن طباطبا دعا إلي نفسه، والقول بإمامته وسار إلي مكة؛ فأتي الناس وهم بمني، وعلي الحجيج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي؛ فهرب داود، ومضى الناس إلي عرفة، ودفعوا إلي المزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس. وقد كان ابن الأفطس وافي (أي حضر) الموقف ليلاً، ثم صار إلي المزدلفة والناس بغير إمام؛ فصلى بالناس ثم مضَى إلي منَى، فنحر ودخل مكّة، وجرّد البيت مما عليه من الكسوة إلاّ القباطي[2] البيض فقط[3].

وبتحليل ما ورد في كلام كلّ من الطبري والمسعودي؛ نجد أن الطبري ذكر اسم "ابن الأفطس" علي النحو التالي: "حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب". وأن المسعودي أورد إسمه كالآتي: "الحسين بن حسن ابن علي بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والمسعودي في هذا أقرب إلي الصواب. كذلك ذكر الطبري أن "ابن الأفطس أمر بثياب الكعبة التي عليها وجرّدها، وبقيت حجارة مجردة"، بينما يذكر المسعودي أنه "جرّد البيت مما عليه من الكسوة إلاّ القباطي البيض فقط". ولعل المسعودي أقرب إلي الصواب.

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٢، ٥٣٦.

(٢) القباطي: جمع قُبْطية، ثياب من كتّان أبيض تنسج في مصر منسوبة إلي القبط، وتقول: "هو يلبس القباطي". وأيضاً معجم أقرب الموارد، جـ٢ تأليف سعيد الخوري الشرتوني، طبعة مصوّرة عن طبعة بيروت سنة ١٨٨٩م-١٣٠٧هـ.

(٣) المسعودي؛ مروج الذهب، جـ٤، ص٣٠.

رابعاً: ثورة إبراهيم بن موسى بن جعفر:

واشتعلت في اليمن ثورة بزعامة إبراهيم بن موسى بن جعفر، وساعد علي اشتعالها أن أهل اليمن كانوا غير راضين عن عمال المأمون؛ فأرسل الخليفة المأمون محمد بن إبراهيم الزيادي في سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م، ليقمعها؛ فتم إخضاعها؛ لكن محمد بن إبراهيم الزيادي استولى علي الأمر فيها، وأصبح هو الحاكم، وخلفه من بعده أبناؤه يتداولون عليها، ولا يفعل هو إلاّ الدعاء للخليفة علي المنابر فقط. وهو في غير ذلك صاحب الأمر المطلق. وعلي هذا النحو تشكلت في اليمن الدولة الزيادية التي دامت حتى سنة ٤١٢هـ=١٠٢١(١).

خامساً: خروج عبد الرحمن بن أحمد ببلاد عكّ(٢) من اليمن:

خرج ببلاد عك من اليمن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب يدعو إلي الرضا من آل محمد صلي الله عليه وسلم سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢؛ فأرسل إليه المأمون دينار بن عبد الله فاستماله، وكتب معه بأمانة. فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحجّ؛ فلما فرغ حجّه سار إلي اليمن حتى أتى عبد الرحمن؛ فبعث إليه بأمانه من المأمون، فقبل ذلك ودخل ووضع يده في يد دينار؛ فخرج به إلي المأمون. فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه، وذلك في سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، وأمر بأخذهم بلبس السواد، وذلك يوم الخميس لليلة بقيت من ذي الحجة(٣).

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٥، ٥٣٦. وأحمد السعيد سليمان؛ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، جـ١، ص١٩٧.

(٢) تقع بلاد عكّ جنوبي الجزيرة العربية، وهي تهامة اليمن، وتمتد مساكنهم شمالاً حتى إقليم جدة (The Encyclopaedia of Islam, Vol. 1, P240) أما ياقوت الحموى فذكر في معجم البلدان (جـ٤ ص١٤٢-١٤٣) أن عكّ قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن ومقابلة مرساها "دَهْلَك" سميت بعك حين نزولها.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٣.

نستشف من الثورات والانتفاضات العلوية التي تمت في عهد المـــأمون سواء في فترة إقامته في مرو أو في بغداد؛ أن المأمون واجه أمامـــه صعوبـــات كثيرة؛ تلك الأزمات التي كانت مستمرة منذ فترة صراعه مع أخيـــه الأميـــن أو بعد مقتله للثأر منه أو الاستهانة به. وكان يتعامل مع هذه الثـــورات بـــالحروب؛ لكنه كان يُفضّل أن تنتهى دون سفك دماء.

الفصـــل الثانـــي

ولاة الأقاليم والخطوط العامة لسياساتهم

الفصل الثاني

ولاة الأقاليم والخطوط العامة لسياساتهم

تمهيد:

لم يغير العباسيون التقسيم الإداري وجهاز الإدارة إلا أقل تغيير عما كان عليه في العهد الأموي. وبصفة عامة كانت حدود الأقاليم الجغرافية تتطابق لحد كبير في الدولة العباسية مع حدود الأقاليم الإدارية.

نموذج من تعديل الولايات:

إن التعديل الوحيد الذي طرأ علي الدولة العباسية تم في عهد الخليفة أبي العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح (١٣٢-١٣٦هـ=٧٤٩-٧٥٣م) وتناول بلاد الشام، التي كانت بسبب كونها مركز الأمويين مقسمة إلي أجناد[1] لا ولايات. كذلك فصلت أرمينية وأذربيجان عن الجزيرة لأسباب عسكرية دفاعية. وفي عهد هارون الرشيد أجرى تعديل تناول الثغور والعواصم[2].

---

(١) أجناد الشام: جميع جند، وهي خمسة: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنسرين. ويقول البلاذرى في "فتوح البلدان" اختلفوا في الأجناد؛ فقيل سمي المسلمون فلسطين جندا لأنه جمع كورا والتجند يعني التجمع وجندت جندا أي جمعت جمعا. وكذلك بقية الأجناد. وقيل: سميت كل ناحية بجند كانوا يقبضون أعطياتهم فيه، وذكروا أن الجزيرة كانت مع قنسرين جندا واحدا؛ فأفردها عبد الملك بن مراون وجعلها جندا. ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة إلي حمص حتى كان ليزيد بن معاوية؛ فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج جندا برأسه فلما ولي الرشيد أفرد قنسرين بكورها فجعلها جندا، وأفرد العواصم (معجم البلدان جـ١،ص١٠٢). وأيضا؛ كتاب تاريخ العرب، المجلد الثاني، لفيليب خوري حتى نقله إلي العربية محمد مبروك نافع، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٢.

(٢) العواصم: جمع عاصم، وهو المانع. والعواصم: حصون مواقع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية. وربما دخل في هذه الولاية ثغور المصيصة وطرسوس وتلك

وظل النظام الإداري العباسي في عصره الأول يعتمد علي ركيزتين كما كان النظام الإداري في العصر الأموي؛ هما:

١-أسلوب الإدارة المبسطة.

٢-اعتبار المدينة أساس التنظيم الإداري.

وعلي ذلك كانت الوحدة الإدارية، أو الولاية، تقسم إلي أجزاء، ويقسم كل جزء بدوره إلي أجزاء صغيرة؛ فكانت كل ولاية تقسم إلي كور؛ فحوض دجلة والفرات كان حوالي ١٥ كورة. وتتألف الكورة من مدينة هي القصبة يتبعها مدن أو بلدان تكثر أو تقل، ولكل مدينة أو بلد إقليمه (أي ريفه) أو زمامه. وعلي هذا النحو فالوالي المركزي يتبعه عمال الكور، وهؤلاء يتبعهم عمّال المدن المسئولون عن المدينة وإقليميها. وتأخذ الكورة في فارس والعراق أحياناً التسمية الفارسية: الطسوج أو الرستاق الذي هو أكبر من الطسوج[1].

وكانت الدولة العباسية في عهد المأمون تنقسم سياسياً إلي عدة ولايات؛ وكان الولاة يشرفون علي ولاية أو أكثر حسب الأهمية وظروف الإقليم المشرف عليه. وقد أورد اليعقوبي أسماء الولاة في عهد المأمون:

النواحي. وسميت العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر، ولما استخلف هارون الرشيد جعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ١٧٣هـ=٧٨٩م؛ فبني فيها أبنية مشهورة. (معجم البلدان؛ جـ٤، ص١٦٥-١٦٦).

(١) أبو القاسم محمد بن حوقل؛ كتاب صورة الأرض تحقيق كرامرس Kramers، ليدن ١٩٣٨-١٩٣٩.

- المطلب بن عبد الله الخزاعي.	مصر
- العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي.	مصر
- طاهر بن الحسين (ومعها الجزيرة والشام).	مصر
- عبد الله بن طاهر بن الحسين (ومعها الجزيرة والشام والمغرب).	مصر
- خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني	مصر
- أبو اسحق المعتصم بن هارون الرشيد (ومعها المغرب).	مصر
- الحسن بن سهل (ومعها الجبال وفارس والأهواز. والبصرة والكوفة والحجاز واليمن.	العراق
- إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي.	البصرة
- صالح بن الرشيد.	البصرة
- رجاء بن الضحاك.	خراسان
- غسان بن عباد.	خراسان
- طاهر بن الحسين.	خراسان
- طلحة بن طاهر بن الحسين.	خراسان
- عبد الله بن طاهر بن الحسين.	خراسان
- طاهر بن الحسين (ومعها الشام والموصل والمغرب).	الجزيرة
- عبد الله بن طاهر (ومعها الشام ومصر والمغرب).	الجزيرة
- العباس بن المأمون.	الجزيرة
- طاهر بن الحسين (ومعها الجزيرة ومصر).	الشام
- عبد الله بن طاهر بن الحسين (ومعها الجزيرة ومصر والمغرب)	الشام
- نصر بن حمزة بن مالك الخزاعي	الثغور

الولاة	الإقليم
- أبو اسحق المعتصم بن الرشيد (ومعها مصر). - عبد الله بن طاهر (ومعها الجزيرة والشام ومصر).	المغرب
- بشر بن داود المهلبي. - حاجب بن صالح. - موسى بن يحيي بن خالد البرمكي.	السند
- طاهر بن محمد الصنعاني (ومعها آذربيجان). - سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي(ومعها آذربيجان). - محمد بن حميد الطوسي. - عبد الله بن طاهر (ومعها كور الجبال).	أرمينية
- طاهر بن محمد الصنعاني (ومعها أرمينية). - سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي (ومعها أرمينية). - عيسى بن محمد بن أبي خالد (ومعها أرمينية). - عبد الله بن طاهر (ومعها أرمينية وكور الجبال). - عبد الأعلي أحمد بن يزيد بن أسيد المسلمي. - خالد بن يزيد بن مزيد. - عبد الله بن حصاد الأسدي. - الحسن بن علي البادغيسي المعروف بالمأموني.	آذربيجان
- الحسن بن سهل (ومعها فارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن) - دينار بن عبد الله - عبد الله بن طاهر (ومعها أرمينية وآذربيجان).	كور الجبال
- عبد الله بن خرداذ - موسى بن حفص (ومعها الرادويان ودنباوند). - محمد بن موسى	طبرستان

- عبد الله بن طاهر		الرقة

- عبد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب		الحرمين

- عيسى بن يزيد الجلودي.
- محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي.		} اليمن[1].

يتضح من هذا السرد أن ولايات الدولة عديدة، وقد كان يحكمها وال بمفردها أو تسند إليه ولاية أخرى أو ولايات حسب الظروف؛ ونوردها فيما يلي:

١- مصر ٢-العراق ٣-البصرة ٤-خراسان ٥-الجزيرة
٦- الشام ٧-الثغور ٨-المغرب ٩-السند ١٠- أرمينية
١١-آذربيجان ١٢-الجبال ١٣-طبرستان ١٤-الرقة
١٥-اليمن ١٦-الحرمين (الحجاز).

وقد فصل السفاح فيما بعد فلسطين عن الشام، كما فصل أرمينية وآذربيجان وجعل منهما ولايتين، وأصبحت صقلية تابعة لولاية أفريقية؛ واستمرت أفريقية تحت إشراف والي مصر إلي إن استقل إبراهيم بن الأغلب بحكم هذه الولاية استقلالا داخليا في عهد هارون الرشيد[2].

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، صفحات متعددة من ص٤٤٤ حتى ٤٦٥. وأيضا زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي أخرجه الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وحسن أحمد محمود ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الأول. واشترك في ترجمة بعض فصوله كل من الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، وحافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي من خريجي كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م.

[2] حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، (العصر العباسي الأول)، الطبعة الثامنة، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٦٧.

سياسة الخلفاء تجاه الولاة:

تميز الخلفاء العباسيون الأوائل بكثرة عزل الولاة ليضمنوا عدم الاستبداد بالسلطان أو الاستقلال مستفيدين من الإقليمية الجديدة؛ التي تتمثل في إطلاق السلطات مع قصر مدة التولية. وقد بدأت الدولة العباسية منذ نشأتها الأولى تطبق السياسة المركزية؛ وهذه السياسة التي انتهجها خلفاء بني العباس جعلت الولاة أقل نفوذا وأضيق سلطانا وقد يكون ذلك راجعا إلى ضعف الخلفاء العباسيين الحقيقي بالرغم من مظاهر العظمة الخارجية؛ ولذا عنى الخلفاء العباسيون بتولية ولاة كثيرين في مدد متقاربة قصيرة كيلا يتمكن أحدهم من الاستقلال بالولاية أو التمكين لنفسه فيها، كما استخدموا البريد للتجسس على أعمال هؤلاء الولاة[1]. وفي عهد المأمون كان هناك صراع بين المركزية والإقليمية، وفي الحفاظ علي التوازن الذي لا يفقد الدولة فعاليتها؛ مما ترك أثرا في الولاة علي البلدان، وفي اختصاصاتهم، وفي السلطات المخولة لهم، بحيث اكتسب الولاة سعة في النفوذ وانطلاقا في اليد، وتطورت هذه السلطات إلى استقلال وتكوين إمارات كما فعل الأغالبة في تونس أو الطاهريون في خراسان[2]، والزياديون في اليمن.

وقد حدد الماوردي نقاط سبعة يجب أن تتوافر في الوالي، وهي:

١-النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم؛ إلا أن يكون الخليفة قدرها فينذرها عليهم.

٢-النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

٣-جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيها وتفريق ما استحق منها.

---

(١) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف؛ العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص١١٣.

٤-حماية الدين والذب عن الحريم، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

٥-إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين.

٦-الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها، أو يستخلفها عليها.

٧-تسيير الحج.

وأضاف الماوردي بندا ثامنا، وهو أنه في حالة ما إذا كان الإقليم ثغرا متاخما للعدو، وهوجم ومن يليه من الأعداء، وتقسيم الغنائم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس[1].

أما شروط الوالي فقد أوردها الماوردي كالآتي:

أولا: أن يكون عليما بالسياسة وشئون الإدارة.

ثانيا: أن يكون قادرا علي قيادة الجند. وهذا يعني أن الوالي كان يجمع بين القيادتين السياسية والعسكرية.

ثالثا: أن يكون خبيرا بجمع المال، رقيبا علي عمال الخراج وجباة الأموال.

رابعا: أن يعدل بين الرعية، ويحسن التصرف في الأمور ويشاور أهل الرأي.

---

(١) الخمس: من خمس خمسا، أي أخذ خمس أموالهم، ويقال "ربع في الجاهلية وخمس في الإسلام". معجم أقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتوني، جـ١، ص٣٠٤). وورد في القرآن الكريم: "وأعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله، وما أنزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله علي كل شئ قدير" (قرآن كريم، سورة الأنفال، آية ٤١). وشرح القاضي أبو يوسف في كتاب "الخراج" ذلك بأن ما يصيب المسلمون من عساكر أهل الشرك وما أجلبوا من المتاع والسلاح والكراع فإن في ذلك الخمس لمن سمى الله عز وجل في كتابه العزيز وأربعة أخماسه بين الجند الذين أصابوا ذلك. (القاضي أبو يوسف، كتاب الخراج، ص٩).

خامسا: أن يكون منصويا في تنظيمات الحزب العباسي، مشساركا في الأحداث[1].

ونلاحظ أن الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية يكتب عما يجب أن يكون بغض النظر إذا كان ما يقوله كان مطابقا أم لا.

وكان العباسيون في العصر العباسي الأول بصفة عامة يكلفون بعض أفراد البيت العباسي وأكابر القواد بشغل منصب الوالي في ولايات الدولة البعيدة والمهمة؛ لأن الولاة في تلك الحقبة كانوا دعاة؛ يمسكون خيوط الدعوة ويتصلون بالرقباء، وكان الإقبال علي تولى منصب الولاية كبيرا، وفي عصر المأمون ظهر كثير من الولاة وكان لهم شأن كبير وتأثير بالغ في الأحداث؛ مثل طاهر بن الحسين وولده عبد الله بن طاهر، والحسن بن سهل وهرثمة بن أعين. ومن ناحية أخرى كان بعض أفراد البيت العباسي وأكابر القواد يؤثرون البقاء في بغداد، وينيبون عنهم نوابا يحكمون بأسمهم[2]. وذلك خشية أن تدبر ضدهم الدسائس، كما كان الخليفة نفسه يرحب ببقائهم في عاصمة الخلافة خوفا من أن يستقلوا بالبلاد التي كانوا يحكمونها. فكان هؤلاء القواد والحكام يستخلفون من يقوم بالأمر نيابة عنهم علي أن يحمل هؤلاء النواب الأموال ويدعون لهم علي المنابر كما يدعي للخليفة.

وفي سنة ١٩٦هـ=٨١١م عندما انتهي إلي المأمون وهو في مرو خبر هزيمة جيش الأمين وقتل قائده علي بن عيسى واستيلاء طاهر بن الحسين علي عسكره، وتسميته إياه "أمير المؤمنين"، وسلم الفضل بن سهل عليه بذلك وصح عنده الخبر؛ دعا الفضل بن سهل فعقد له في شهر رجب سنة

---

[1] الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب المصري البغدادي؛ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٣٢.

[2] زكي محمد حسن، دكتور؛ مصر والحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٢، ص٥.

١٩٦هـ=٨١١م علي المشرق؛ من جبل همذان إلي جبـل سـقينان والتبـت[١] طولا، ومن بحر فارس والهند إلي بحر الديلم وجرجان، وجعل عمالتـه ثلاثـة آلاف ألف درهم[٢].

استعراض لأهم الولايات وولاتها في عهد المأمون:

وإذا استعرضنا الولايات الهامة، وبعض من تولاها في عصر المـأمون نجد أمامنا عددا كبيرا من الولاة كانوا يتعاقبون الحكم ولا يمكثون طويلا، علـي النحو الآتي:

العراق: يذكر اليعقوبي فـي تاريخـه أن المـأمون وجـه فـي سـنة ١٩٨هـ=٨١٣م الحسن بن سهل إلي العراق عاملا عليها وعلي غيرهـا مـن البلدان[٣]. وأسند إليه ما كان طاهر بن الحسين قد افتتحـه مـن كـور الجبـال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن؛ فقدم الحسن بن سهل بغداد من عند المأمون وأسند إليه الحرب والخراج فلما قدمها فرق عماله في الكور والبلدان[٤].

وفي فترة ولاية الحسن بن سهل وثب أبو السرايا؛ وهـو السـري بـن منصور الشيباني بالكوفة؛ ومعه محمد بن إبراهيـم العلـوى المعـروف بـابن طباطبا. وعندما توفى محمد بن إبراهيم أقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمـد ابن زيد، وأخذ البصرة العباس بن محمد بن موسى الجعفرى[٥].

---

(١) تبت: بلد بأرض الترك ومملكة متاخمة لمملكة الصين؛ ومتاخمة من إحدى جهاتـها لأرض الهند، ومن جهة المشرق لبلاد الهياطلة، ومن جهة ا لمغرب لبلاد الـترك. ولـهم مـدن وعمائر كثيرة ذوات سعة وقوة، وأهلها حضر وبدو وبداويهم ترك لا تدرك كثرة ولا يقوم لهم أحد من بوادي الترك؛ وهم معظمون في أجناس الترك. (معجم البلدان؛جـ٢،ص١٠).

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٢٤.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٥.

(٤) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٢٧-٥٢٨.

(٥) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٥.

وفي سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م، ولي المأمون قائده طاهر بن الحسين من مدينة السلام "بغداد" إلي أقصى عمل المشرق، وكان قبل ذلك ولاه الجزيرة والشرط وجانبي بغداد[١].

وفي سنة ٢٠٦هـ-٨٢١م ولي المأمون عبد الله بن طاهر لحرب نصر ابن شبث ومضر؛ فولي عبد الله بن طاهر اسحق بن إبراهيم الجسرين (شطري بغداد) حتى يتوجه إلي الرقة لحرب نصر بن شبث[٢].

البصرة: يذكر اليعقوبي أنه بعد أن صارت البصرة في قبضة العباس بن محمد الجعفرى ولم يبق أحد إلا لبس الخضرة ما عدا إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي؛ وكان عاملا علي البصرة؛ فامتنع عن لبس الخضرة. قال: هذا والله نقض لله وله، وأظهر الخلع؛ فوجه المأمون إليه عيسى بن يزيد الجلودي. فلما أشرف علي البصرة هرب إسماعيل من غير حرب ولا قتال، ودخل الجلودي البصرة؛ فأقام بها. وصار إسماعيل بن جعفر إلي الحسن بن سهل فحبسه؛ وكتب في أمره إلي المأمون، فكتب بحمله إلي مرو فحمل. فلما صار بالقرب من مرو أمر المأمون أن يرد إلي جرجان وفي سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م ولي المأمون أخاه صالح بن الرشيد البصرة؛ فاستخلف أبا الرازي محمد بن عبد الحميد[٣].

وفي سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م ولي المأمون داود بن ماسجور أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين، وكلفه بمحاربة الزط[٤].

مصر: ذكر أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري في كتابه "الولاة والقضاة"؛ أن المأمون كتب إلي أشراف مصر يدعوهم إلي القيام بدعوته؛

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص٥٨١.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، الصفحات ٤٤٨و٤٥٥و٤٦١.

(٤) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٨١.

فأجابوه جميعا سراء، وأتي كتاب هرثمة بن أعين إلي عباد بن محمد بن حيان مولى كنده، وكان وكيلا لهرثمة علي ضياعه بمصر؛ فأظهر عباد كتاب هرثمة، وأحضر الجند إلي المسجد الجامع، وقرأ عليهم "كتاب هرثمة"، ودعاهم إلي خلع محمد؛ فأجابه معظم الناس إلي ذلك؛ فأعطاهم رزقا يسيرا وبايعوا المأمون. وكان خلع محمد بمصر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائة، ووثب الجند علي جابر بن الأشعث الخزاعي-والي الأمين-فأخرجوه[1].

وكان أول وال من قبل المأمون هو عباد بن محمد بن حيان علي صلاتها وخراجها لثمان خلون من رجب سنة ١٩٦هـ=٨١١م؛ وبلغ الأمين وهو في بغداد ما فعله المصريون من خلعه، وإخراج عامل جابر بن الأشعث؛ فكتب إلي ربيعة بن قيس الجرشي رئيس القيسية بالحوف، كما كتب إلي آخرين يأمرهم بمعاونة ربيعة بن قيس؛ فأظهروا جميعا دعوة محمد الأمين وخلع المأمون، وساروا إلي الفسطاط لمحاربة أهلها، وانشغلت القبائل العربية بالقتال؛ ما بين مؤيد للأمين ورافض للمأمون والعكس، حتى بلغهم مقتل الأمين وبيعة المأمون فتفرقوا، ثم صرف عباد عن مصر في صفر سنة ١٩٨هـ=٨١٣م؛ فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر[2].

ثم ولي المأمون العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي مصر سنة ١٩٩هـ=٨١٤م؛ فوجه ابنه عبد الله بن العباس فحبس المطلب بن عبد الله الخزاعي، واستخلف إبراهيم بن تميم علي الخراج، وصير شرطته إلي عبد العزيز بن الوزير الجروى وساءت سيرة عبد الله بن العباس؛ فوثب السرى بن الحكم البلخي واستمال الجند، ثم حارب عبد الله بن العباس حتى أخرجه من

---

(١) الكندي المصري، أبو عمر محمد بن يوسف؛ الولاة والقضاة، تهذيب وتصليح رفن جست (Rhurvon Gust)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٤٨-١٤٩.

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٤.

البلد؛ وأخرج المطلب بن عبد الله الخزاعي من الحبس فبايع له، ونزل دار الإمارة، وأخذ كل ما كان مع عبد الله بن العباس من الأموال؛ ومضى عبد العزيز الجروى إلي تنيس[1]؛ فأقام متغلبا عليها وعلي ما والاها من كور أسفل الأرض (الوجه البحري)، وغلب السري بن الحكم علي قصبة الفسطاط والصعيد. وتغلب العباس بن موسى ابن عيسى في قيس علي الحوف، ثم خذلته؛ فأقام ببلبيس خمسة وثلاثين يوما[2].

وعلي هذا أصبح يحكم مصر شخصان في آن واحد، هما: السرى بن الحكم بقصبة الفسطاط والصعيد، وبأسفل الأرض (الوجه البحري) عبد العزيز بن الوزير الجروى، وبالحوفين القيسية واليمانية.

استيلاء الأندلسيين علي الإسكندرية:

وغلب لخم وبنو مدلج علي الإسكندرية، ورئيس لخم يقال له أحمد بن رحيم اللخمي، ثم غلب الأندلسيون. وكان ابتداء أمر الأندلسيين أنهم قدموا من الأندلس في أربعة آلاف مركب؛ فأرسوا في ميناء الإسكندرية في الرمل؛ وكانوا زهاء ثلاثة آلاف رجل فأقاموا علي ساحل البحر، ثم وثب بعض أعوان السلطان علي رجل منهم فوقعت عصبية؛ فوثب الأندلسيون علي الفضل بن عبد الله أخي المطلب بن عبد الله، وقتلوا صاحب شرطته، وساروا إلي الحصن، وحاربوا أهل الإسكندرية حتى أجلوهم عن منازلهم؛ فخلوا الديار والأموال، ورأسوا عليهم

---

[1] تنيس: جزيرة في مصر وسط بحيرة مفردة عن البحر الأعظم (الأبيض المتوسط) ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها. يحيط بها البحر من كل جهة، وبينهما وبين البحر الأعظم بر آخر مستطيل. وهناك فوهة يدخل منها ماء البحر الأعظم إلي بحيرة تنيس، وبالقرب منها فوهة النيل (مصب فرع دمياط) الذي يلقى ماءه في بحيرة تنيس. وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم (معجم البلدان؛ جـ٢، ص٥١-٥٤).

[2] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٤. وأيضا دكتورة سيدة إسماعيل . كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص١٦١-١٦٧.

رجلا يقال له أبو عبد الله الصوفي يسفك الدماء ويقتل المسلمين، ثم عزلوه وصيروا عليهم رجلا يقال له الكناني، وأجلوا بني مدلج ولخما عن البلد؛ فصار البلد كله لهم[1].

ووجه المأمون خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني إلي مصر، ومعه عمر ابن فرج الرخجي في جيش، وأمرهما أن يتكاتفا علي النظر؛ فإذا فتحت البلاد نظر عمر بن فرج الرخجي في أمر الخراج، وكان خالد بن يزيد بن مزيد المعاون والصلاة؛ فسارا من العراق وأخذا الطريق البرى حتى صارا بفلسطين؛ ثم قدما إلي مصر، وعلي بن عبد العزيز الجروى متغلب بأسفل الأرض. فلما قربا منه كتب إليهما أنه في السمع والطاعة، وأنه لم يزل هو وأبوه علي ذلك، وأن كتبهما لم تزل بهذا؛ فأقاما عدة شهور يكاتبان عبيد الله بن السري، ثم زحف إليه خالد؛ فأقام عمر بموضعه، وخرج إليه عبيد الله من الفسطاط؛ فلما التقيا خذل خالدا أصحابه الذين كان الجروى أنفذهم معه؛ فحارب خالد ساعة في مواليه وعشيرته، وكاثره عبيد الله وأسره؛ فأقام عنده مكرما في أحسن حال وأجملها، ثم حمله في البحر وزوده وأجازه إلي العراق. وكان خالد يقول: ما شكرت أحدا شكرى لعبيد الله بين السري؛ لقد أحسن لي كل الإحسان لولا أنه حملني في البحر. وأقام عمر بن فرج بأسفل الأرض إلي أن حضر وقت الحج[2].

وهذا دليل علي أن الأوضاع في مصر كانت غير هادئة ومقسمة بين قوى متصارعة مما حمل المأمون علي أن يرسل أحد قادته لحسم الموقف لصالحه. ففي سنة ٢١٠هـ=٨٢٥م وجه المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين لما فرغ من حرب نصر بن شبث العقيلي يأمره بالتوجه إلي مصر واليا عليها.

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٦.

(٢) المصدر السابق؛ ص ٤٥٦-٤٥٧.

وقرب عبد الله بن طاهر من مصر وصار منها علي مرحلة. وقدم قـــائدا مـــن قواده إليها ليختار لمعسكره موضعا يعسكر فيه. وقد خندق ابن الســـرى عليـــها خندقا؛ فاشتبك جيش ابن السرى وجيش المقدمة التي أرسلها عبد الله بن طـــاهر، وهم في قلة؛ فجال القائد وأصحابه جولة؛ وأبرد القائد إلي عبد الله بريـــدا ينـــهي إليه خبره وخبر ابن السرى، فحمل رجاله علي البغال، علي كل بغـــل رجليـــن بآلتيهما وأدواتهما، وجنبوا الخيل، وأسرعوا السير حتي لحقـــوا ابـــن الســـرى؛ فهزمه عبد الله ودخل الفسطاط، وأغلق علي نفسه وأصحابه ومن فيـــها البـــاب. وحاصره عبد الله بن طاهر، ولم يعاوده ابن السرى الحرب بعد ذلك. فما كـــان منه إلا أن خرج إليه طالبا الأمان[1].

نهاية الأندلسيين ورحليهم من الإسكندرية:

وبعد أن فرغ عبد الله بن طاهر من ابن السرى؛ زحف إلي الإســـكندرية لمحاربة الأندلسيين الذين كانوا تغلبوا عليها؛ فحاصرهم حصـــارا شـــديدا، ثـــم آمنهم، وفتح الإسكندرية ســـنة ٢١٢هـــ=٨٢٧م؛ وولاهـــا إليـــاس بـــن أســـد الخراساني، وعاد إلي الفسطاط بعد أن وطد حكم المأمون، ثم توجه إلي العـــراق وحمل معه الجروى وجماعة من أهل مصر والشام، واســـتخلف علـــي مصـــر عيسي بن يزيد الجلودي[2].

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٦١٠ ودكتورة سيدة الكاشف؛ مصر في فجـر الإسلام، ص١٧٦-١٧٧.

(2) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـــ٢، ص٤٦٤.

ثورة العرب والأقباط زمن المأمون:

وفي سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م ولي المأمون أخاه أبا اسحق محمد المعتصم ابن هارون الرشيد الشام ومصر، وأمر له بخمسمائة ألف دينار[1]. وذلك بعد أن وثبت القيسية واليمانية بناحية الحوف؛ فحاربهم عيسى بن يزيد الجلودي؛ فهزموه غير مرة. فوجه أبو اسحق بعمير بن الوليد بن يزيد الجلودي فحاربهم وأكثر فيهم النكاية، ثم قتل في إحدى المعارك. فما كان من المأمون إلا أن أمر أخاه أبا اسحق المعتصم أن ينفذ إليهم في سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م؛ فسار إليهم من الرقة، ودعاهم إلي الأمان؛ فأبوا عليه فقاتلهم وظفر بهم، وأسر عبد الله بن جليس الهلالي رئيس القيسية، وعبد الله الجذامي رئيس اليمانية؛ فضرب عنقيهما، وصلبهما علي جسر مصر، وأسر منهم خلقا عظيما حملهم إلي بغداد[2]. وفي سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م انصرف أبو اسحق المعتصم بن الرشيد من مصر؛ وتوجه إلي العراق؛ فلقي المأمون قبل دخوله الموصل[3].

ثم تولي بعده عمير بن الوليد التميمي؛ فأقام مدة يسيرة وعزل. ثم تولى بعده عبدوية بن جبلة، وذلك سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م؛ فأقام مدة يسيرة وعزل[4].

ثم تولى بعده الأمير عيسي بن منصور الرافقي، وأقام في مصر. وفي أيامه اضطربت الأحوال في مصر وخرج أهلها عن الطاعة، وحصل بينهم وبين عساكر الفسطاط من الحروب العظيمة الشئ الكثير. فكاتبوا المأمون بذلك؛ فجهز

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٠ وأيضا سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام ص٢٣٧-٢٣٩.

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٤-٤٦٥.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٤.

(٤) ابن إياس، محمد بن أحمد؛ بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول-القسم الأول، تحقيق محمد مصطفي، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، مجموعة الذخائر رقم ٣٦، القاهرة، ص١٤٢.

العساكر، وخرج بنفسه من بغداد صحبتهم، وتوجه إلي مصر فدخلها في شهر المحرم أوائل سنة ٢١٧هـ=٨٣١م؛ فدخل وفي صحبته أخوه أبو اسحق محمد المعتصم وولده العباس بن المأمون وولدي أخيه الواثق والمتوكل، ورافقه القاضي يحيي بن أكثم والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وكثير من أعيان بغداد فلما حضر عيسي بن منصور الرافقي بين يديه وبخه بالكلام، وقال له: "هذا كله بسوء تدبيرك، وجورك علي أهل القرى، وقد حملت الناس مالا يطيقون، وكتمت الأمر عني حتى عظم"(١).

ثم أن المأمون عين الأفشين لحرب القبط؛ فأخذ طائفة من العسكر وتوجه إلي أعلى الصعيد، وحارب أهلها، وقتل منهم جماعة كثيرة، واسر النساء والصبيان، وأحضرهم بين يدي المأمون؛ فأمر بقتل الرجال، وبيع النساء والصبيان، وكان أكثرهم من القبط والحوف(٢).

وأقام المأمون بمصر أربعين يوما، ورحل عنها لثمانية عشرة خلون من صفر من السنة المذكورة؛ فكانت مدة غيبته ذهابا وأيابا نحو أربعة أشهر وأياما، ودخل عليه من المال في هذه السرحة (الجولة) نحو أربعة آلاف ألف ألف دينار، غير الهدايا والتحف؛ ففرق علي عسكره لما رجع إلي بغداد؛ لكل واحد منهم ملء كفه دنانير ذهبا. وعند رحيل المأمون عزل عيسي بن منصور الرافقي وولي نصر بن كيدر السعدي، وكان آخر من ولاهم المأمون(٣).

وفي هذا العرض التاريخي رؤية عن ولاة مصر وعددهم؛ فعند اليعقوبي ستة فقط، والطبري أقل من ذلك، وأحصاهم ابن إياس فكانوا خمسة عشر واليا، وعند الكندي إثنا عشر، وهو أكثر دقة(٤).

---

(١) ابن إياس؛ بدائع الزهور، الجزء الأول-القسم الأول، ص١٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٠.

(٤) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٣٧٨-٣٨٢.

الشام: استمر أهل الشام علي موقفهم المعادي للعباسيين؛ وأن اضطـروا في كثير من الأحيان إلي إرسال وفود الطاعة والترضية والولاء الظاهري إلـي بغداد. وكان العباسيون بدورهم يعرفون ذلك جيد المعرفة ويعاملون الشام تـارة بالإهمال، وتارة بالشدة العنيفة وثالثة بالمداراة تبعا للظـروف[1]. ومـن ناحيـة أخرى شعر الأمويون في الشام متأخرين أنهم فرطوا في خلافتهم تفريـط أهـل العراق في علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وأن الشام حـالت إقليمـا مـن الأقاليم الثانوية بعد أن كانت مركز الدنيا ومصب خراجها وأموالها وتجارتها.

وقد أزيلت عن الشام صبغته الحربية السابقة والتي كانت فـي العصـر الأموى بعد خضوعهم للخلافة بحد السيف، بحيث أصبح يعرف بالكور أو كـور الشام بدلا من الأجناد التي كانت في أيام الأمويين لتعني تجمع جندهم فيه. ومـع ذلك عمدت الخلافة العباسية التخفيف من عدواتها لأهل الشام وهم من العـرب، علي أساس أن هؤلاء ظلوا يكونون فيه قسما من جيوشـهم، ولأن خلفـاء بنـي العباس اعتبروا دولتهم عربية بحكم أصلهم ولغة القرآن؛ ولإيجاد التـوازن مـع القومية الفارسية التي قامت الدولة العباسية علي أكتافها؛ وأن يقى أهـل الشـام دائما مراقبين من قبل العباسيين، بسبب انتمائهم السابق للأمويين[2].

سياسة المأمون في الشام ورأيه في معاوية:

حرص المأمون عندما تولى الخلافـة أن يولـي الشـام جماعـة مـن الهاشميين من أهل بيته؛ فكان يولهم إياها كورة كورة ليعملوا علي مراقبة أهـل الشام ومن ناحية أخرى تغاضى الخلفاء العباسيون حتى وقت المأمون عن سـب معاوية تمشيا مع سياستهم في التقرب إلي أهل الشام؛ بقصد التوازن بين العـرب

---

(1) فيليب خوري، تاريخ العرب، المجلد الأول (الشام)، نقله إلي العربية محمد مبروك نـافع، ص١٤٠.

(2) فيليب حتى؛ الشام، مترجم، المجلد الأول، صـ١٢٥.

الذين ينتسبون إليهم والقوميات الأخرى التي يحكمونها ولاسيما القومية الفارسية التي قامت دولتهم علي أكتافهم، حتى كان يقال: "رحم الله معاوية ولعن الله علي بن أبي طالب"[1].

ثم أن المأمون الذي أخذ علي العرب تأييدهم لأخيه الأمين، نجده غير في هذه السياسة ويظهر تعاطفه مع الأمويين، حتى أنه أمر في عام ٢١٢هـ=٨٢٧م مناديا يقول: "برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بن أبي سفيان بخير، أو قدمه علي أحد من أصحاب رسول الله" فقويل لعن معاوية بغضب أهل الشام[2].

أما أهل الشام فإنهم كانوا يأخذون علي العباسيين، لاسيما زمن المأمون، ميلهم إلي الفرس، حتى استوقف واحد من أهل الشام مرة المأمون، وكلمه في ذلك قائلا: "يا أمير المؤمنين: أنظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان. فقال: أكثرت علي يا أخا أهل الشام. والله ما أنزلت قيسا من ظهور الخيل إلا وأرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد. وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط. وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه. وأما ربيعة فساخطة علي الله منذ بعث الله نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريا، اعزب فعل الله بك!!!"[3].

اليمن: كان بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية بغداد، ووعورة طرقها وتقسيمها إلي مخاليف[4] موزعة بين قبائل وحكام عديدين من أهم الأسباب التي

---

[1] فيليب حتي؛ الشام، مترجم، جـ١، ص ١٣٧.

[2] المرجع السابق؛ ص ١٤٠-١٤١.

[3] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٥٢.

[4] مخاليف: جمع مخلاف، وهي بمنزلة الكور والرساتيق وذكر ياقوت عددها بستة وثلاثين مخلافا (معجم البلدان ص٦٧-٧٠، جـ٥) وذكر أيضا أن المخاليف أكثر ما يقع في كلام

حالت بين الخلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلي اليمن بقصد إحكام قبضته عليها[1].

أما عن تولية محمد بن زياد اليمن فقد ذكرها ياقوت الحموى عند حديثه عن مدينة زبيد، ويقول: أن المأمون كان قد أتي بقوم من ولد زياد بن أبيه وقوم من ولد هشام وفيهم رجل من بني تغلب يقال له محمد بن هارون، فبكى المأمون (لعله تذكر اسم أخيه الأمين). وقال: مالي بمحمد بن هارون، ثم قال فيطلق كرامة لاسمه واسم أبيه، وأما الأمويون والزياديون فيقتلون، فقال ابن زياد: ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين، إنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو، متورع عن الدماء بغير حق. إن كنت تقتلنا عن ذنوبنا فإنا والله لم نخرج أبدا عن الطاعة ولم نفارق في تبعيد الجماعة، وأن كنت تقتلنا عن جنايات بني أمية فيكم فالله تعالي يقول: ولا تزر وازرة وزر أخرى؛ قال: فاستحسن المأمون كلامه وعفا عنهم جميعا، وكانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم الحسن بن سهل، فلما بويع إبراهيم بن المهدي في سنة ٢٠٢هـ-٨١٧م، ورد في كتاب عامل اليمن خروج الأعاشر بتهامة عن الطاعة؛ فأثني الحسن بن سهل علي الزيادي وكان إسمه محمد بن زياد وعلي المرواني والتغلبي عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال؛ فأشار إلي إرسالهم إلي اليمن فسير ابن زياد أمير وابن هشام وزيرا والتغلبي قاضيا، وحج الزيادي سنة ٢٠٣هـ=٨١٨م ومضى إلي اليمن وفتح تهامة واختط زبيد في سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م[2].

أهل اليمن، ولكل مخلاف منها اسم يعرف به، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمرته فغلب عليه إسمها (معجم البلدان، جـ١، ص٣٧).

[1] عبد المنعم ماجد، دكتور؛ العصر العباسي الأول، ص٣٢٦.

[2] ياقوت الحموى؛ معجم البلدان، جـ٣، ص١٣١-١٣٢. وأيضا: محمد الخضرى؛ الدولة العباسية، ص٢٢٦-٢٢٧. وأيضا حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٦٧.

وكان المأمون يحرص كثيرا علي إبقاء اليمن ضمن ولايـــات الخلافـــة العباسية؛ فأرسل محمد بن زياد واليا عليها سنة ٢٠٣هـــ=٨١٨م بعد أن اختلـف أمر اليمن ويقول أبو الفداء في كتابه "المختصر" أن ابن زيـــاد أخضـــع تهامـــة وانتزعها من أيدي المتغلبين عليها بعد حروب شديدة، واختط مدينة زبيـــد ســـنة ت٢٠٤هـــ=٨١٩م وجعلها مقر حكمه وسيطر علي بلاد اليمـــن كلـــها: الجبـــال والتهائم وعدن وحضرموت وصنعاء ونجران وامتد في جهة الحجاز[1].

ويذكر زامباور في كتابه "معجم الإنساب والأسرات الحاكمة في التـــاريخ الإسلامي" أن الزياديين حكموا قرنين من الزمان في زبيد في الفترة مـــن ٢٠٤-٤٠٩هـــ=٨١٩-١٠١٨م، فلما ضعفوا ظـــهرت فـــي بلادهـــم دول وولايـــات مستقلة[2].

وذكر اليعقوبي ولاة آخرين تولوا حكم اليمن، منهم عيســـي بـــن يزيـــد الجلودي الذي وجهه المأمون عاملا علي اليمن، وبها حمدوية بن عليّ بن عيسي متغلبا قد أظهر المعصية، فنفذ الجلودي إلي اليمن وزحف إلي حمدوية؛ فـــالتقوا لخمس خلون من جمادي الأولي سنة ٢٠٥هـــ=٨٢٠م؛ فدعـــاه إلـــي الطاعـــة؛ فامتنع وشبت الحرب بينهم؛ فقتل من أصحاب حمدوية خلـــق عظيـــم، وانـــهزم حمدوية حتى دخل مدينة صنعاء، فتبعه الجلودي حتى صار إلي الدار التي كـــان ينزلها فأخذه الجلودي، وهو في ثوب جارية من جواريـــه ثـــم أشـــخصه إلـــي المأمون[3].

وفي سنة ٢١٢هـــ=٨٢٧م، ولي المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي اليمن؛ وكان قد وثب باليمن أحمد بن محمد العمرى من ولد عمـــر

---

(١) محمد الخضرى؛ الدولة العباسية، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) زامباور؛ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص١٧٩.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٥.

ابن الخطاب، وأخرج محمد بن نافع واحتوى علي بيت المال. فلما قدم أبو الرازي اليمن طلب العمري الأمان؛ فأعطاه أياه، ثم مكر به أبو الرازي فأخذه وجماعة من أهل بيته وولده؛ فأوثقهم في الحديد وحملهم إلي باب المأمون، وأخذ أهل اليمن بأداء خراجين جباهما ابن العمري[1].

الحجاز: في سنة ١٩٦هـ=٨١١م، خلع داود بن عيسي عامل مكة والمدينة الأمين- وهو عامله يومئذ عليها- وبايع المأمون، وأخذ البيعة، وكتب بذلك إلي طاهر بن الحسين والمأمون، ثم خرج بنفسه إلي المأمون[2].

وربما كان استقرار أحوال الحجاز، بعد تنازل محمد بن جعفر العلوى عن لقب الخلافة، وهو الاستقرار الذي استمر إلي آخر العصر العباسي الأول، راجع إلي أن المأمون تغافل عن قيام دولة علوية فيه، وهي دولة السليمانيين التي تنتمي إلي محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الذي ظهر بالمدينة في أثناء فتن العلويين. وبقيت الأسرة السليمانية لا تخطب لنفسها، بل كانت تعترف بخلافة العباسيين[3].

أرمينية وآذربيجان: كان المأمون قد ولي طاهر بن محمد الصنعاني أرمينية وأذربيجان، وقيل وجهه هرثمة بن أعين من همذان، وهو متوجه إلي العراق؛ فصار إلي ورثان[4] من عمل أذربيجان؛ وكاتب قواد أرمينية ووجوه جندها؛ فبايعوا للمأمون، وكان العامل بها من قبل الأمين اسحق بن سليمان،

---

(1) المرجع السابق، ص٤٦١.

(2) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٣٨، وزامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٢٩.

(3) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٣ وأيضا محمد الخضري، الدولة العباسية ص٢٣٣-٢٣٤.

(4) ورثان: بلد في آخر حدود أذربيجان، بينه وبين وادي الرس فرسخان، وبين ورثان وبيلقان سبعة فراسخ (معجم البلدان، جـ٥، ص٣٧٠-٣٧١).

وصار بطريق الران[1] هو وجماعة من البطارقة، وأقبل يريد برذعة[2] ليوقع بأهلها لإخراجهم أبنه جعفر بن اسحق بن سليمان؛ فوجهه ومن معه من الأسوى إلي المأمون[3].

ولم يقم طاهر الصنعاني إلا أياما حتى خرج عليه عبد الملك بن الجحاف السلمي خالعا، ووثب في أهل البيلقان؛ فحصروا طاهرا الصنعاني في برذعة فأقام محصورا عدة أشهر، وبلغ المأمون ذلك؛ فولي سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي؛ فقدم البلد، وطاهر محصور، فأخرجه وصرفه وأعطي عبد الملك بن الجحاف السلمي الأمان واستقامت البلاد[4].

ثم ولي حاتم بن هرثمة بن أعين أرمينية، فقدم البلد، ولم يقم حاتم بن هرثمة في البلد إلا أياما قلائل، حتى أتاه خبر موت أبيه هرثمة، والحال التي مات عليها؛ فخرج من برذعة حتى نزل كسال؛ فبنى بها حصنا وعمل على أن يخلع، وكاتب البطارقة ووجوه أهل أرمينية، وكاتب بابك والخرمية، وهون من أمر المسلمين عندهم، فتحرك بابك والخرمية، وغلب بابك في عمل آذربيجان[5].

وبلغ المأمون الخبر؛ فولي يحيي بن معاذ بن مسلم مولى بني ذهل أرمينية[6]. وفي سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م، ولي المأمون عيسي بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان، وأمره بمحاربة بابك؛ فانصرف من أذربيجان إلى

---

(1) الران: مدينة في أذربيجان بين واحة رزنجان (معجم البلدان، جـ٣، ص١٨).

(2) برذعة: سبق التعريف بها.

(3) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦١-٤٦٢.

(4) المصدر السابق؛ ص٤٦٢.

(5) المصدر السابق؛ ص٤٦٢.

(6) المصدر السابق؛ نفس الصفحة.

أرمينية[1]. وفي سنة ٢٠٩هـ-٨٢٤م ولي المأمون صدقة بن علي المعروف برزيق أرمينية وآذربيجان ومحاربة بابك[2].

وفي سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م، ولي المأمون عبد الله بن طاهر وعقد له علي كور الجبال وأرمينية وأذربيجان، وكتب إلي القضاة وعمال الخراج بالانتهاء إلي أمره. وعندما توفي طلحة بن طاهر عامل المأمون بخراسان، ولي مكانه عبد الله بن طاهر أخاه؛ فنفذ إلي خراسان[3]، ثم ولي المأمون في نفس السنة (٢١٤هـ) علي بن هشام الجبل وقم وآصفهان وآذربيجان[4].

وكان لبعد أرمينية وآذربيجان عن دار الخلافة؛ أن كثر تغيير الولاة، ولم تستقر الأمور طوال عهد المأمون، ولكنها هدأت في عهد خلفه المعتصم بقضائه علي بابك وعلي القبائل العربية المتناحرة في تلك المنطقة.

خراسان والتركستان: كان المشرق الإسلامي (خراسان والتركستان) يشكل وحدة إدارية واحدة، وكان ولاة العباسيين في عهد المأمون الذين تقلدوا الأمور بخراسان حتى قيام الدولة الطاهرية، بعد أن ترك المأمون مرو إلي العراق، واجهوا صعوبات عديدة حتى حدثت الاضطرابات في خراسان.

وعندما خرج المأمون من مرو قاصدا بغداد استخلف علي خراسان عند خروجه رجاء بن أبي الضحاك قرابة الحسن بن سهل. وكانت خراسان قد استقامت وأعطى ملوكها جميعا الطاعة. ولما أحس المأمون ضعف رجاء بن أبي الضحاك وضعف تدبيره، وأنه لم يكن بالحازم في أموره، خاف المأمون أن

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٨٠.

[2] المصدر السابق؛ ص٦٠١.

[3] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٣، وأيضا زامباور؛ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص٧٨.

[4] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٢.

يضطرب خراسان فعزله، وولي غسان بن عباد فأحسن السيرة واستمال ملــوك النواحي[1].

وفي عهد المأمون قامت ثورة في بخاري بالتركستان؛ قام بها منصــور ابن عبد الله حفيد يوسف البرم الخارجي من موالي ثقيف الذي رفع راية الثــورة باسم الإسلام "يدعو إلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ثم تتوالى بعد ذلك الحركات التي قام بها الخوارج بسجستان وبادغيس. وقد ظلت سجســتان مــهدا للفتن والاضطرابات حتى عهد الطاهريين والسامانيين[2].

وفي سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م ولي المأمون طاهر بن الحســين خراســان؛ فخرج إليها لما تولاها، وهو لا يكلم الحسن بن سهل[3]، بســبب جفــاء حــدث بينهما. خلفا لغسان بن عباد. وذكر اليعقوبي قصة تولية طــاهر بــن الحســين خراسان في سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م علي النحو التالي: "وثب الجند بطــاهر بــن الحسين وهو بالرقة يحارب نصر بن شبث، فانصرف إلي بغداد، وولــي مكانــه يحيي بن معاذ؛ فأقام بالرقة حتى توفي. وولي المأمون طاهرا الشــرطة فأقــام سنة، ثم شكا إلي أحمد بن أبي خالد الأحول كاتب المأمون ببرمه بالمقام بالبــاب، ومحبته الخروج من بغداد، وكان بينهما مودة وخلة، وجعل له ثلاثة آلاف درهم. فاحتال أحمد بن أبي خالد أن كتب عن غسان بن عباد عامل خراسان كتابا إلــي المأمون ذكر فيه أن يعفي من خراسان. فقال المأمون: والله مــا أعــرف فــي المملكة إلا خراسان، وما أدرى ما حمل هذا الجــاهل علــي الاســتعفاء، إلا أن يكون ما رأي نفسه لها أهلا. فقال له أحمد بن أبي خالد: فولها طــاهرا. فولــي

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٢-٤٥٣.

[2] بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش؛ تركستان: من الفتح العربي إلي الغزو المغولي، نقله إلــي العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعــة الأولــي، الكويــت، ١٤٠١هـــ=١٩٨١م، ص٣١٩.

[3] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٨٠.

طاهر بن الحسين خراسان في أول سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م مكان غسان بن عباد. فقدمها طاهر وغادرها غسان بن عباد؛ فحجبه المأمون عنه شهرا. ثم كتب الحسن بن سهل فيه، فأذن له. فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، ما ذنبي؟ قال: تستعفيني من خراسان وهي المملكة بأسرها. فحلف له علي ذلك ووقف علي تدبير أحمد بن أبي خالد[١].

ولم تمض فترة علي مباشرة طاهر بن الحسين عمله في خراسان، حتى كتب صاحب الخبر بخراسان أن طاهر بن الحسين صعد المنبر في يوم الجمعة فخطب الناس. ولم يدع لأمير المؤمنين. فدعا المأمون بأحمد بن أبي خالد ليلا وقال له: بعثتني بثلاثة آلاف درهم أخذتها من طاهر؟!!. فقال له: أن أخرج إليه فأكفيك أمره. ثم ورد كتاب طاهر علي أحمد بن أبي خالد يسأله أن يوجه إليه محمد بن فرخ العمركي، وكان أحب الناس إلي طاهر، وأوثقهم في نفسه. فقال أحمد بن أبي خالد للمأمون: يا أمير المؤمنين. إن محمد فرخ يقوم بما كنت أقوم به؛ فأقطع عدة قطائع، ووصل بمال عظيم، ونفذ إلي خراسان، فأقام عنده شهرا حتى توفي. ويقال إن ابن أخي العمركي سقاه سما فقتله. وتوفي طاهر بن الحسين بخراسان في سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، وهو ابن ثمان وأربعين سنة؛ فولي المأمون ابنه طلحة بن طاهر خراسان، وأنفذ أحمد بن أبي خالد في الجيش الذي كان ضمه معه، وأقدم معه الأفشين حيدر بن كاووس الأسروشني وجملة من أبناء ملوك خراسان[٢].

وتوفي طلحة بن طاهر بخراسان؛ فولي المأمون مكانة أخاه عبد الله بن طاهر ووجهه إليه بعهده، وعقده مع اسحق بن إبراهيم ويحيي بن أكثم قاضي

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٦.

(٢) المصدر السابق؛ ص٤٥٧.

القضاة؛ فنفذ عبد الله إلي خراسان في سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م[١]. وهو آخر من تولى خراسان زمن المأمون.

السند: كانت أحوال السند في خلافة المأمون مستقيمة، وجبي خراجها في عهده. وفي سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م مات واليها داود بن يزيد المهلبي، فولاها المأمون بشر بن داود علي أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم؛ ولكنه عصى وخالف ولم يحمل إلي المأمون شيئا من الخراج[٢].

وبلغ المأمون أن بشر بن داود المهلبي عامل السند قد خالف فوجه حاجب بن صالح عاملا مكانه في سنة ٢١١هـ=٨٢٦م[٣]. ويذكر اليعقوبي أن "حاجب بن صالح لما صار بكرمان قابل أخا لبشر بن داود، فقال له: سلم العمل إن سبيل كتاب العمل أن يقرأه بشر ليكتب بالتسليم، وقال: إنما أنا من قبل بشر، وبشر بالمنصورة، وبينك وبينه يومان؛ فإذا اجتمعت معه وكتب إلي بالتسليم سلمت إليك. فوقعت بينهما المنازعة، وكتب إلي المأمون يخبره أن بشرا قد خلع، وأنه علي محاربته. فأحضر المأمون محمد بن عباد المهلبي، وكان سيد أهل البصرة في زمانه، فقال: معاذ الله! قال: فأخرج مع غسان بن عباد، فوجه معه جماعة من القواد وموسى بن يحيي بن خالد البرمكي، وأمره أن يولي موسى البلد. فلما صار غسان إلي بلاد السند خرج إليه بشر وأعطاه الطاعة من غير حرب ولا منازعة؛ فأشخصه، وولى البلد موسى بن يحيي، فلم يزل موسى في البلد حتى مات؛ فصار عمران بن موسى مكانه. ولما قدم بشر بن داود العراق ومن كان معه من آل المهلب أطلقهم المأمون جميعا وأحسن إليهم"[٤].

---

[١] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي،جـ٢، ص٤٦٣.

[٢] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٦.

[٣] المصدر السابق، ص٦١٨ وأيضا؛ زامباور؛ معجم الأنساب والأسر الحاكمة، ص٤١٦.

[٤] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٨.

وهناك ولايات أخرى نجد ذكرا لبعض ولاتها؛ نذكر منهم وولاياتهم:

جرجان: يذكر الطبري أنه عندما لحق القاسم بن هارون الرشيد ومنصور بن المهدي بالمأمون وهو في مرو، وجه المأمون أخاه القاسم إلى جرجان واليا عليها[1].

طبرستان: وفي سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، ولي المأمون موسى بن حفص طبرستان والرويان ودنباوند، ومات موسى بن حفص في سنة ٢١١هـ=٨٢٦م فولي المأمون محمد بن موسى طبرستان مكان أبيه[2].

الكوفة: ولي المأمون أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة؛ فاستخلف محمد ابن الليث. وهو الذي حج بالناس في سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م[3].

الثغور: ولي المأمون نصر بن حمزة بن مالك الخزاعي الثغور، وكان الرشيد قد ولاها ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، وخيف معصيته وتسلمها منه نصر بن حمزة، ولم يلبث ثابت بن نصر إلا أقل من جمعة حتى مات؛ فقيل إن نصر بن حمزة بن مالك سقاه السم[4].

وفي سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م ولي المأمون ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم، وأمر له بخمسمائة ألف دينار[5].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٤٥.

(٢) المصدر السابق؛ ص٥٩٦و ٦١٨.

(٣) المصدر السابق؛ ص٥٩٦.

(٤) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٥.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٠.

الفصل الثالث

مناطق الحدود وصلتها بالدول المجاورة

تمهيد:

كانت الدولة العباسية زمن المأمون ذات وضع جغرافي واستراتيجي هام جعلها في المركز الأول بين دول العالم آنذاك، وكانت على اتصال مباشر بكافة الدول المعاصرة لها سواء عن طريق البحر أو البرّ، أو بقوتها العسكرية، كما كان للدولة العباسية سياسة خارجية مع كافة الدول استوحتها من وضعها الديني والعسكري والاقتصادي والثقافي.

العلاقات مع المشرق:

ويشمل المشرق الهند والصين والتركستان[1] والخزر[2]، وهي بلدان في آسيا وتبدأ علاقة المأمون بالترك منذ أن كان يقيم في خراسان وجاور الترك، واتبع سياسة إسلام الترك سواء كان في مرو أو بغداد.

وكان الخليفة هارون الرشيد قد وجّه هرثمة بن أعين في جيش إلى رافع بن الليث وهو في سمرقند[3]،

---

(1) تركستان: إسم جامع لجميع بلاد الترك، وأوسع بلاد الترك بلاد التغزغز والخرلخ والقرغيز وغيرهم، وحدّهم الصين والتبّت، وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب. (معجم البلدان، جـ٢ ص٢٣-٢٤).

(2) الخزر: مملكة تقع خلف باب الأبواب المعروف بالدربند. والخزر اسم إقليم من قصبة تسمى إتل، وإتل اسم لنهر يجرى إلى الخزر من الروس والبلغار، وإتل مدينة والخزر إسم المملكة لا إسم مدينة، والخزر وملكهم كلهم يهود. وقد ذهب بعضهم إلى أن يأجوج ومأجوج هم الخزر. (معجم البلدان، جـ٢، ص٣٦٧-٣٦٩).

(3) سمرقند: بلد معروف مشهور (في بلاد الترك)، وهي قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، خرج منها علماء وأدباء كثيرين. (معجم البلدان، جـ٣ ص٢٤٦-٢٥٠).

وقد استكثف جمع رافع واستمال أهل الشاش[1] وفرغانـــة[2] وأهــــل خجندة[3] وأسروشنة[4] والصغانيان[5] وبخارى[6] وختل[7] وغيرهـــا

---

[1] الشاش: الشاش كورة قصبتها بنكث، تقع في ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الـــترك، خرج منها الكثير من العلماء، ونسب إليها خلق من الرواة والفصحاء، وأهلـــها شـــافعية المذهب (معجم البلدان، جــ٣، ص٣٠٨-٣٠٩).

[2] فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد التركستان في زاوية من ناحية هيطل، وقصبتها أخسيكث، وقراها كثيرة ذات كثافة سكانية كبيرة. وينسب إليها جماعـــة من العلماء. (معجم البلدان؛ جـــ٤، ص٢٥٣).

[3] خجنده: بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ نهر سيحون، بينها وبين سمرقند عشـــرة أيام مشرقا، وخيراتها كثيرة، وفي وسطها نهر جار، والجبل متصل بها. وطولها أكـــثر من عرضها وتمتد أكثر من فرسخ؛ كلها دور وبساتين خرج منها جماعة مـــن العلمـــاء والأدباء. (معجم البلدان؛ جـــ٢، ص٣٤٧-٣٤٨).

[4] أسروشنة: بلد كبير بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند وبينها وبيـــن سمرقند ستة وعشرون فرسخا، ومن مدنها بنجيكث وهي التي يسكنها الـــولاة. وينســـب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم. (معجم البلدان، جـــ١، ص١٩٧).

[5] صغانيان: صغانيان أو جغانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمـــال بـــترمذ. والمدينة على اسم الولاية شديدة العمارة كثيرة الخيرات، مشارب أهلها من أنهار تمتـــد إلى جيحون، خرج منها علماء كثيرون. (معجم البلدان، جـــ٣ ص٤٠٨-٤٠٩).

[6] بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، والمدينة علـــى أرض مســـتوية ويحيـــط أبنيتها سور يكون إثنى عشر فرسخا في مثلها، يجمع القصور والأبنية والقرى والقصبة، ثم سور آخر داخل المدينة. خرج منها علماء كثيرون (معجم البلدان، جـــ١، ص٣٥٣-٣٥٦).

[7] ختل: كورة واسعة كثيرة المدن، وهي أول كورة على نهر جيحـــون مـــن وراء النـــهر، ينسب إليها جماعة من أهل العلم. (معجم البلدان، جـــ٢، ص٣٤٦).

من كور بلخ[1] وطخارستان[2] والسغد[3] وما وراء النهر والترك والخَرْلجي والتغزغز وجنود التبّت وغيرهم، واستنصرهم على قتال السلطان وقتل المسلمين، وصار إلى مدينة سمرقند؛ فتحصن بها، فلم يزل هرثمة بن أعين محارباً له حتى قُتِل خلق من أصحابه[4] وانتهى الأمر باستسلام رافع في سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م. وقد ذكر واقعة استسلامه الطبري على النحو التالي: "وكان رافع ابن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى إليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته في أهل عمله وإحسانه إليهم، بعث في طلب الأمان لنفسه؛ فسارع إلى ذلك هرثمة، وخرج رافع فلحق بالمأمون، وهرثمة بعدُ مقيم بسمرقند؛ فأكرم المأمون رافعاً"[5].

وتمكن المأمون وهو مقيم في مرو من السيطرة على كافة نواحي خراسان التي كان يخشى قيام ملوكها بالثورة على الدولة العباسية. وفي ذلك يقول اليعقوبي: "وأعطى ملوكها جميعاً الطاعة، وأسلم ملك التبّت الذي قَدِم على

---

(١) بلْخ: مدينة مشهورة بخراسان من أجل مدن خراسان وأكثرها خيراً، وأوسعها غلّه؛ بينها وبين ترمذ إثنا عشر فرسخاً، ويقال لجيحون نهر بلخ، بينهما نحو عشرة فراسخ، وينسب إليها خلق كثير. (معجم البلدان، جـ١، ص٤٧٩-٤٨٠).

(٢) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان وأكبر مدنها طالقان؛ وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وقد خرج منها طائفة من أهل العلم.(معجم البلدا، جـ٤، ص٢٣).

(٣) السّغد: أو الصّغد: ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند. وقصبتها سمرقند(معجم البلدان: جـ٣ ص٢٢٢).

(٤) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٧٥.

المأمون يضم من ذهب على سرير من ذهب مرصع بالجوهر؛ فأرسله المـــأمون إلى الكعبة يُعرّف الناس هداية الله لملك التبت"[1].

ومن الذين وردوا على المأمون مسلمين "كاووس التركي ملك أسروشـــنة" وملّكه المأمون على بلاده، ثم ملّك بعـده ابنـه حيـدر بـن كـاووس الملقّـب بالأفشين[2].

ويقول البلاذرى ما يلي: "انتهت المؤامرات الداخلية التركية التـي انتـهت بحيدر، ثم من بعده بأبيه إلى المأمون والإسلام، والجيش الذى قاده أحمد بن أبـي خالد الأحول؛ فأناخ به على بلد أسروشنة، ودخلها قبل أن تصل نجدات الــترك إلى كاووس، الذى لم يجد بدّاً من الاستسلام والقدوم إلى دار السلام والإسلام"[3].

وهذا دليل على ثبات موقف المأمون وسماحته، وحسن تعامله مع هـؤلاء الملوك والأمراء فى المشرق، وخضوعهم له آخر الأمـر، واسـتتباب المنطقـة بأكملها واستسلامهم لسلطان المأمون.

العلاقات مع الجبهة الشمالية:

أولا: أرمينية: تعقد الأمر فى ولاية أرمينية زمن المأمون بسبب مجاورة المنطقة لثورة بابك الخرمي وانعكاساتها فيها، وتضاءلت سيطرة الخلافة العباسية زمـن

---

(١) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٥٢ وأنظر أيضاً الطبرى، وأيضاً تاريخ الرسـل والملوك، جـ٨ ص٤٠٣.

(٢) الأفشين: لقب ملك أسروشنة، كما كسرى ملك فارس وقيصر ملك الروم واشتهر حيـدر هذا كقائد عباسي ثار فى أواخر أيامه على الدولة العباسية. (المعجم الفارسـي الكبـير، للدكتور إبراهيم شتا، جـ١، ص١٤٠).

(٣) البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ=٨٩٢م)؛ فتوح البلدان، تحقيـق صـلاح المنجد، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٥٢٩.

المأمون (والياً على أرمينية) فقبل هداياهم وخلطهم بنفسه؛ فأفسدهم ذلك من فعله، وجرّأهم على من بعده من عمّال المأمون ..."[1].

<u>ثانيا: الدولة البيزنطية:</u> لما استتب الأمر للمأمون بعد مقتل أخيه الأمين عام ١٩٨هـ=٨١٢م، كان عليه أن يواجه بعض الفتن العنيفة ولكنه لم يصرف نظره تماماً عن دولة الروم. ويذكر الدكتور أحمد العدوى: "انتهز المأمون إحدى الثورات العامة التى أعلنها توماس الصقلى[2] على الإمبراطور ميخائيل الثانى (٨٢٠-٨٢٩م = ٢٠٥-٢١٥هـ)، وعمل على شد أزر هذا الثائر على الإمبراطور، وكانت كل آسيا الصغرى تساعد توماس بسبب الأحوال الدينية والاجتماعية السيئة التى سادت دولة الروم فى ذلك الوقت"[3].

وقد أدّى انشغال توماس بإخضاع البلاد لسلطته إلى ترك الحدود البيزنطية مع المسلمين فى آسيا الصغرى بلا حراسة. ونتج عن ذلك قيام المسلمين فى عهد المأمون بغارات على البلاد البيزنطية القريبة. وتنبّه لذلك الجند المنخرط فى جيش توماس وأوضحوا له أنه بثورته تلك إنما يفتح آسيا الصغرى على مصراعيها للمسلمين. وإرضاء لهم قرّر توماس القيام بحملة على المسلمين بالشام، وذلك فى صيف عام ٢٠٥هـ=٨٢٠م؛ حيث عبر توماس جبال طوروس

---

(١) البلاذرى؛ فتوح البلدان، ص٢١٨.

(٢) كان توماس من أولئك الرجال الذين امتلأت بأتباعهم دولة الروم من خروج على الأباطرة ومنازعتهم السلطان، وأخذ صفة الصقلي من الجالية التى انتمى إليها والتى كانت فى آسيا الصغرى، ولكن توماس فى الحقيقة من أصل أرمنى. (إبراهيم العدوى؛ الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص٩٦).

(٣) إبراهيم أحمد العدوى، دكتور؛ الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ص٩٦

المأمون على أرمينية؛ ويستدل على ذلك من عدد الولاة الذين أرسلتهم الدولة إلى هذه البقعة النائية ذات الصبغة المسيحية. وذكر اليعقوبى الوضع فى أرمينية فترة المأمون على النحو التالى: "كان المأمون قد ولى طاهر بن محمد الصنعانى أرمينية وآذربيجان ... وأقبل برزعة ليوقع بأهلها لإخراجهم ابنه؛ فوجه إليهم طاهر الصنعانى عامل المأمون زهير بن سنان التميمى فى خلق عظيم، فالتقوا واقتتلوا عامه يومهم"[1].

ثم ولى المأمون سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي، ثم ولى حاتم بن هرثمة ابن أعين أرمينية. ولم يقم حاتم بن هرثمة إلا أياما قليلة حتى أتاه خبر موت أبيه هرثمة، فخرج من برذعة، وعمل على أن يخلع وكاتب البطارقة ووجوه أهل أرمينية وكاتب بابك والخرمية في آذربيجان وهون من أمر المسلمين[2].

ثم ولى المأمون عيسي بن محمد بن أبى خالد أرمينية وآذربيجان معا، واستقامت له أرمينية، بعد تعيين عدد من العمال على نواحيها، ثم ولى المأمون عبد الله بن طاهر، وعقد له على كور الجبال وأرمينية وآذربيجان، تلاه تولية عبد الأعلى ابن أحمد بن يزيد بن أسيد السلمى أرمينية فقدم البلد؛ ولم يكن له ضبط ولا معرفة بالحرب فولى المأمون خالد بن يزيد بن مزيد[3].

ولا شك أن المأمون قد تعقدت الأمور فى زمنه فى أرمينية بعد ثورة بابك الخرمي، وفى ذلك يقول البلاذرى: "... كان خالد بن يزيد بن مزيد فى خلافة

---

(1) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٦١.

(2) المرجع السابق، ص٤٦٢.

(3) المرجع السابق، ص٤٦٣-٤٦٢. وأيضا الطبرى، جـ٨، ص٥٨٠. وأيضا دكتور حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام جـ٢ العصر العباسى الأول، ص١٠٨-١٠٩.

بجيش كبير وهاجم البلاد الشامية؛ لكن توماس منع أتباعه من إتيان أى عمل من أعمال التخريب أو النهب فى البلاد الشامية خوفاً من غضب المأمون[1].

ويعلّق على ذلك عبد القادر اليوسف بقوله: "أن المأمون أرسل وفداً لمقابلة هذا الثائر (توماس)، وتم أثناء المقابلة تحالف بين الطرفين؛ اعترف فيه المأمون بتوماس إمبراطوراً للدولة البيزنطية، كما وعده تقديم المساعدة العسكرية؛ مقابل أن يصبح توماس بعد وصوله للعرش البيزنطى تابعاً للخليفة العباسى يدفع له الجزية. وقد تم تتويج توماس إمبارطوراً عقب إبرام هذه المعاهدة فى مدينة أنطاكية على يد أيوب بطريرك كنيستها. والواقع أن حفلة التتويج هذه كانت لها أهميتها الكبرى؛ إذ أعطت سلطة الإمبراطور العلمانية طابعاً دينياً باعتباره ممثل الله على الأرض"[2].

وهناك تعليق آخر للمؤرخ الإنجليزى بيورى "Bury" يقول فيه: "إنه من المرجح أن اقتراح التتويج جاء من جانب الخليفة المأمون، ولم يأت من جانب توماس نفسه. وكان المأمون يرمى من وراء ذلك إلى هدف سياسى، وهو تأكيد تبعية توماس له بعد أن يتسلم شارة السلطة من يد بطريرك أنطاكية الذى كان تابعاً للخليفة المأمون. وفى ذلك اعتراف ضمنّي من توماس بالخليفة العباسيّ كسيد أعلى له"[3].

---

(١) عبد القادر أحمد اليوسف، دكتور؛ الإمبراطورية البيزنطية، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٦م، ص٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص٧٨-٧٩.

(٣) Burey, Y.B.; History of Eastern Roman Empire, London, 1912, P.89.

وما أن انتهت ثورة توماس بإعدامه حتى تلاشت آمال الخليفة المأمون فى إزهاق دولة الروم، على حين ظلت الخرمية تقلق باله بحيث أنها أبادت جيشا بأكمله بعثه المأمون سنة ٢١٤-٢١٥هـ=٨٢٩-٨٣٠م[1].

ثم إن الخليفة المأمون استفزه إيواء الإمبراطور البيزنطى نيوفيل (٨٢٩-٨٤٢م = ٢١٤-٢٢٨هـ) بعض الهاربين من وجه الخليفة مما أثار حربا متقطعة بين الطرفين. ويبدو أن حماس المأمون لحرب البيزنطيين دفعه إلى أن يتولى بنفسه قيادة حملاته على آسيا الصغرى؛ فاستولى على ممرات طوروس[2]، ثم على مدينة الطوانة[3]، التى اتخذها قاعدة لعملياته الحربية فى تلك الجهات[4].

وفى سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م قرر المأمون الشخوص إلى آسيا الصغرى لحرب الروم؛ وفى ذلك يقول الطبرى: "وفى سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم...، واستخلف حين رحل عن مدينة السلام عليها إسحق بن إبراهيم بن مصعب، فوصل تكريت وأقام بها، ثم سلك طريق الموصل حتى صار إلى منبج، ثم إلى دابق، ثم إلى أنطاكية، ثم إلى المصيصة،

---

(١) إبراهيم أحمد العدوى، دكتور؛ الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص٩٨.

(٢) طوروس: منطقة جبلية حدودية بين بلاد المسلمين والروم فى أيام بنى أمية وبنى العباس تتألف من سلسلة جبال طوروس وطوروس الداخلة، وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع تعرف بالثغور يمتد من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط (جى لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص١٦٠).

(٣) طوانه: بلد بثغور المصيصة. وكان المأمون لما قدم الثغر غازيا أمر أن يسور على الطوانة قدر ميل فى ميل، وعينه مدينة، وهيأ له الرجال فمات بعد شروعه بقليل فبطله المعتصم. (معجم البلدان، جـ٤، ص٤٥-٤٦.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، دكتور؛ الحركة الصليبية، جـ١، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٥٢.

ثم خرج منها إلى طرسوس، ثم دخل من طرسوس إلى بلاد الروم. ورحل العباس بن المأمون من ملطية؛ فأقام المأمون على حصين يقال له قسره، حتى فتحه عنوة، وأمر بهدمه، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الأولى (سنة ٢١٥هـ = ٨٣٠م)، وكان قد افتتح قبل ذلك حصنا يقال له ماجدة فمن على أهلها. وقيل إن المأمون لم أناخ على قرة؛ حارب أهلها فطلبوا الأمان، فأمنهم المأمون. ووجه "أشناس" (القائد التركى) إلى حصن سندس فأتاه برئيسه، ووجه عجيفا وجعفرا الخياط إلى صاحب حصن سنان فسمع وأطاع"[١].

أما اليعقوبى، وهو معروف باختصاره فيالحديث ذكر الآتى: "وخرج المأمون متوجها إلى أرض الروم فى المحرم سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م فغزا الصائفة، وافتتح أنقرة[٢] نصفا بالصلح ونصفا بالسيف وخربها، وهرب منويل البطريق منها، وفتح حصن شمال، ثم انصرف، فنزل دمشق[٣].

وبذلك يكون الخليفة المأمون قد أمن حدوده مع الدولة البيزنطية استعدادا للجولة التالية التى أعد لها.

وفى السنة التالية (٢١٦هـ=٨٣١م) بلغ المأمون أن ملك الروم قتل قوما من أهل طرسوس والمصيصة؛ فكانوا ألفا وستمائة فقرر حرب ملك الروم ودخل أرضه فى يوم الإثنين لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى من السنة نفسها (٢١٦هـ=٨٣١م)؛ فلم يزل مقيما فيها إلى النصف من شعبان[٤]. وغزا

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٦٢٣.

(٢) أنقرة: مدينة بآسيا الصغرى؛ فتحها المعتصم وهو فى طريقه إلى عمورية (معجم البلدان، جـ١، ص٢٧٢.

(٣) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى؛ جـ٢، ص٤٦٥.

(٤) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٥.

أرض الروم وفتح إثنى عشر حصنا وعدة مطامير[1]، وبلغه إن طاغية الروم قد زحف فوجه العباس إبنه؛ فلقيه؛ فهزمه وفتح الله على المسلمين[2].

محاولة إمبراطور الروم الصلح مع المأمون

وما أن وجد ثيوفيلوس (٨٢٩-٨٤٢=٢١٤-٨٢٢هـ)، وهو من الأسرة العمورية[3]، أنه لا طائل له بحرب المسلمين، كتب إلى المأمون كتابا بدأ فيه بإسمه؛ فلما ورد الكتاب عليه لم يقرأه، وقال: لا أقرأ له كتابا يبدأ فيه بإسمه وردة[4]. ويذكر الطبرى "أن المأمون خرج إلى أرض الروم فوافاه رسل توفيل ابن ميخائيل بأذنة، ووجه بخمسمائة رجل من أسارى المسلمين إليه؛ فلما دخل المأمون أرضه، ونزل على أنطيغوا، فخرج أهلها على صلح وصار إلى هرقلة[5]؛ فخرج أهلها إليه على صلح. ووجه أخاه أبا إسحق (المعتصم)؛ فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة، ووجه يحيى بن أكثم من طوانة؛ فأغار وقتل وحرق، وأصاب سبيا ورجع إلى العسكر، ثم خرج المأمون إلى كيسوم؛ فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم ارتحل إلى دمشق"[6].

---

(1) مطامير: جمع مطمورة، وهي حفرة أو مكان تحت الأرض، وقد هيئ خفيا يطمر فيه الطعام أو المال. (معجم البلدان، جـ٥، ص١٤٨).

(2) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٥.

(3) نورمان بينز؛ الإمبراطورية البيزنطية، تعريب دكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٣٩٨.

(4) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ٦٢٥.

(5) هرقلة: مدينة ببلاد الروم، غزاها الرشيد بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمي بالنار والنفط حتى غلب على أهلها، وبقي حصنها عامرا مدة حتى خرب. (معجم البلدان، جـ٥، ص٣٩٨-٣٩٩).

(6) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٥.

أما اليعقوبى فإنه ذكر أن "توفيل بن ميخائيل سأل (المأمون) أن يقبل منه مائة ألف دينار والأسرى الذين عنده، وهم سبعة آلاف أسير، وأن يدع لهم ما افتتحه من مدائن الروم وحصونهم، ويكف عنهم الحرب خمس سنين؛ فلم يجبه إلى ذلك، وانصرف إلى كيسوم من أرض الجزيرة من ديار مضر"[١].

غزو المأمون بلاد الروم للمرة الثالثة:

وفى سنة ٢١٧هـ=٨٣٢م، دخل المأمون أرض الروم، ويقول الطبرى: "أن المأمون أناخ على لؤلؤة[٢] مائة يوم، ثم رحل عنها، وخلف عليها عجيفا ابن عنبسة، أحد قادته؛ فاختدعه أهلها وأسروه، فمكث أسيرا فى أيديهم ثمانية أيام، ثم أخرجوه، وصار توفيل إلى لؤلؤة؛ فأحاط بعجيف؛ فصرف المأمون الجنود إليه، فارتحل توفيل قبل موافاتهم، وخرج أهل لؤلؤة إلى عجيف بأمان[٣].

أما اليعقوبى فإنه ذكر رواية قريبة الشبه لما ذكره الطبرى، وهى: "وخلف المأمون على الناس عجيف بن عنبسة؛ فمكرت الروم أصحاب لؤلؤة بعجيف، فأسروه، فمكث فى أيديهم شهرا، وكاتبوا ملكهم فسار نحوهم، فهزمه الله بغير قتال، وظفر من كان فى الحصنين من المسلمين بعسكره، وأخذوا كل ما كان فيه. فلما رأى ذلك أهل لؤلؤة، وأضر بهم الحصار، أعمل رئيسهم الحيلة فقال

---

(١) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٦٥-٤٦٦.

(٢) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس غزاها المأمون وفتحها. (معجم البلدان، جـ٥، ص٢٦)، أما اليعقوبى فذكر أنها حصن من حصون الروم فأقام عليه المأمون حينا لم يفتحه؛ فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا إسحق (المعتصم) والرجال (تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٦٧)، وأيضا لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص١٧١.

(٣) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٨.

لعجيف: أخلي سبيلك على أن تطلب لى الأمان من المأمون فضمن له ذلك، فأخذ لهم عجيف الأمان وفتحها، وأسكنها المسلمين"[1].

طلب ملك الروم الصلح وعرضه الفدية:

وجد إمبراطور الروم توفيليس نفسه في مأزق حرج قد يطيح به وبدولتــــه فهداه تفكيره إلى إرسال كتاب إلى الخليفة المأمون، ذكره الطبرى، هــذا نصـــه: "أما بعد، فإن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما في الـــــرأى ممـــا عـــاد بالضرر عليهما، ولست حريا أن تدع لحظ يصل إلى غيرك حظا تحــوزه إلـــى نفسك، وفي علمك كاف عن إخبارك، وقد كنت كتبت إليك داعيا إلى المســــالمة، راغبا في فضيلة المهادنة؛ لتضع أوزار الحرب عنا، وتكون كل واحد لكل واحــد وليا وحزبا، مع اتصال المرافق والفسح[2] في المتاجر، وفك المستأســـر وأمـن الطرق والبيضة[3]؛ فإن أبيت فلا أدب لك في الخمر[4] ولا أزخـــرف لـــك فـــى القول، فإنى لخائض إليك غمارها، آخذ عليك أسدادها[5] شـــأن[6] عليـــك حيلـــها

---

[1] اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٦٧.

[2] الفسح: مفردها فسحة أى السعة. يقال في هذا الأمر فسحة أى سعة، والفسحة السعة بيــن عملين للراحة والتنزه. (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦٩٤).

[3] البيضة: بيضة القوم: حوزتهم وحماهم. وفلان بيضة البلد: إذا عرف بالســيادة (المعجــم الوسيط جـ١، ص٧٩).

[4] الخمر: ما وراء الشئ من شجر أو بناء أو جبل أو نحوه. ويقال: جاءنا على خمـــر: أى في سر وغفلة وخفية (المعجم الوسيط، جـ١، ص٢٥٥).

[5] أسداد: جمع السد: الحاجز بين الشيئين (المعجم الوسيط جـ١ ص٤٢٤).

[6] شان: لعلها من شن الغارة على العدو: أغار عليه من كل ناحية. (المعجم الوسيط جـــ١، ص٤٩٩).

ورجالها، وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة، وأقمت بيني وبينك علم الحجة والسلام"[1].

لكن كتاب تيوفيلس إمبراطور الروم يبدو أنه أثار غضب المأمون؛ كما يذكر دكتور حسن إبراهيم حسن؛ لأنه كان يجمع بين اللين والشدة، ولأن المأمون كان يرغب في فتح القسطنطينية؛ لذلك رفض الصلح مع الروم[2]. وكتب المأمون إلى تيوفيلس رسالة، ذكرها الطبري، وهي:

" أما بعد؛ فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة، ودعوت إليه من الموادعة، وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به، من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفك الأسارى، ورفع القتل والقتال. فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ في تقليب الفكرة، وألا أعتقد الرأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوثره في معتقبه؛ فجعلت جوابك خيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيرة، ينازعكم في ثكلكم[3]، ويتقربون إلى الله بدمائكم، ويستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم، ثم أوصل إليهم من الإمداد، وأبلغ لهم كافيا من العدة والعتاد؛ هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرتهم[4] عليكم؛ موعدهم إحدى الحسنيين: عاجل غلبة، أو كريم منقلب؛ غير أني رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة، من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنفية؛ فإن أبيت ففدية توجب

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٦٢٩.

(2) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ٢٤٧.

(3) ثكلكم: أي موتكم وهلاككم. (المعجم الوسيط، جـ١، ص٢١٥.

(4) معر: بمعنى قل. ومعر فلان: أي أفنى زاده، ويقال: معر من ماله: أي افتقر (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٨٨٣).

ذمة، وتثبت نظرة، وإن تركت ذلك؛ ففي يقين المعاينة لنعوتنا مسا يغنسى عسن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة. والسلام على من اتبع الهدى[1].

إن كتاب المأمون إلى تيوفيلس يفهم منه الإصرار على الحرب والتصميسم في القضاء على دولة الروم قضاء نهائيا، لكن المنية عاجلته وهو في بلاد السروم بعد أن رتب جيوشه وكلف كل قائد بالمهمة الموكلة إليه دون أن يحقسق هدفسه. وكان في تلك الفترة التي لقي فيها ربه في البدندون[2]، وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ، ٨٣٣م، ودفن بطرطوس[3].

أفريقيـة

كانت أفريقية إحدى أقاليم الدولة العباسية، وتشمل ما بين طرابلسس إلسى مراكش (أي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب حاليا) وقصبتها القيروان[4]. وكسان يقيم بها علاوة على العنصر العربي عناصر أخسرى مسن الإيرانييسن؛ فسرس وخراسانيين وفدوا إليها مع الحملات التي كان العباسيون يرسلونها إلى أفريقيسة بين الحين والآخر[5].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٩-٦٣٠.

(٢) البدندون (Podandun): قرية بينها وبين طرطوس يوم، من بلاد الثغر، مات بها المأمون؛ فنقل إلى طرسوس ودفن بها. (معجم البلدان، جـ١ ص٣٦٢).

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٩. وأيضا الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨،ص٤٦٤.

(٤) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٣١٧.

(٥) ابن عذاري، أبو عبد الله محمد؛ البيان المغرب في أخبار المغرب، جـ١، بيروت، ١٩٥٠م، ص٨٣.

دولة الأغالبة:

ينتسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمي (ت سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م). وكان مع أبي مسلم الخراساني حين قيامه بالدعوة العباسية ورحل إلى أفريقية من محمد بن الأشعث الخزاعي سنة ١٤٤هـ=٧٦١م، ثم ولاه الخليفة المنصور الإمارة بأفريقية سنة ١٤٨هـ=٧٦٥م. ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: "خلف محمد بن الأشعث الخزاعي، الأغلب بن سالم بن عقال بن عبد الله بن عباد بن محارب، فقدمها في جمادى الآخرة سنة ١٤٨هـ=٧٦٥م[1]؛ فأقام بالقيروان حتى قتل في حرب داخلية سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م[2].

ثم توالى بعده بعض ولاة أثبتوا عدم فعاليتهم في إدارة البلاد؛ خاصة وأن هذه الولاية في أطراف الدولة، حتى ولي الرشيد إبراهيم بن الأغلب التميمي؛ فأقام بها إلى أن مات سنة ١٩٦هـ=٨١٢م. وهو الذي نهض بالإمارة وضبط أمورها. وابتنى مدينة العباسية[3] على مقربة من القيروان[4] وانتقل إليها، وعرف بنفوذه وشخصيته، واتفق مع بغداد على أن تبقى ولايته وراثية في أسرته؛ لقاء أن يرسل إلى بيت المال في بغداد كل عام أربعين ألفا، ولا ترسل إليه المساعدة السنوية المعتادة التي كانت ترد إليه من مصر وقدرها مائة ألف؛ فكتب الرشيد له عهدا بذلك يوم الخميس ٢٠ محرم سنة ١٨٤هـ=٨٠٠م[5].

---

(١) ياقوت الحموي؛ معجم البلدان؛ جـ١، ص٢٣٠.

(٢) ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ١، طبعة مصر، القاهرة، ١٣١٠هـ، ص٣٩٣.

(٣) العباسية: مدينة بالمغرب العربي بناها إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية قرب القيروان نسبها إلى بني العباس. (معجم البلدان، جـ٤، ص٧٥-٧٦).

(٤) قيروان: معرب الكلمة الفارسية "كاروان" بمعنى قافلة. مدينة بالمغرب العربي بنيت في العهد الإسلامي بعيدة عن البحر حتى لا تصلها من مراكب الروم، وينسب إليها جماعة من العلماء. (معجم البلدان، جـ٤، ص٤٢٠-٤٢١).

(٥) ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة، جـ٢، القاهرة، ١٩٣٠، ص١١٩

وفى زمن المأمون انقطعت الصلة بأفريقية لانشغاله بالخلافة مع أخيه الأمين واضطراب أحوال البلاد الإسلامية؛ فلم يجد بدا سوى التسليم بالأمر الواقع. هذا وقد استغل إبراهيم بن الأغلب الفرصة أحسن استغلال ليؤسس دولة بعد أن أصبح القوة الأولى فى أفريقية.

ويذكر ابن الأثير أن "أهل البلاد (أى أفريقية) حملوا إبراهيم بن الأغلب على أن يكتب إلى الرشيد يطلب منه ولاية أفريقية. وكان ضمن طلبه أن عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التى كانت تحول من مصر إلى أفريقية ومقدارها مائة ألف دينار، وأن يدفع بالعكس ٤٠ ألف دينار إلى بيت المال"[١].

وما أن توفى إبراهيم بن الأغلب حتى خلفه ابنه عبد الله (١٩٦-٢٠١هـ=٨١١-٨١٦م)، وكانت إمارته فيها استقلالا والخطبة لبنى العباس. ويقول ابن عذارى أنه "لما قتل الخليفة الأمين فى سنة ١٩٨هـ=٨١٣م وولى الخلافة بعده المأمون أقر عبد الله بن إبراهيم على إفريقية"[٢].

وخلف عبد الله أخاه زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١-٢٢٣هـ=٨١١-٨٤٧م)، وهو رابع الأغالبة، وجاء تقليده من قبل المأمون. ويقول ابن الأثير: "أن زيادة الله ثبت على دعائه له (أى للمأمون) أيام وثوب إبراهيم بن المهدى، فلما خلصت "الخلافة" للمأمون شكر له ذلك"[٣].

<u>**زيادة الله وفتح صقلية:**</u> إن أهم أعمال زيادة الله بن إبراهيم فتحه جزيرة صقلية فى سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م، فى عهد المأمون، ويقول ياقوت الحموى: "أن

---

[١] ابن الأثير؛ الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص١٥٥.

[٢] ابن عذارى؛ البيان المغرب، جـ١، ص٨٦. وأيضا دكتورة سيدة إسماعيل كاشف؛ مصر فى فجر الإسلام، ص٨١-٨٤.

[٣] ابن الأثير؛ الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص١٦٧.

زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هون على المأمون أمرها وأغراه بها؛ فندب زيادة الله الناس لذلك فابتدروا إليه ورغبوا في الجهاد؛ فأمر عليهم أسد بن الفرات، وهو يومئذ قاضي القيروان، وجمعت المراكب من جميع السواحل، وتوجه نحو صقلية في سنة ٢١٢هـ=٨٢٧، في أيام المأمون في تسعمائة فارس وعشرة آلاف راجل؛ فوصل إلى الجزيرة، وجمع الروم جمعا عظيما، ثم كبر المسلمون وحملوا على الروم حملة صادقة؛ فانهزم الروم وقتل منهم قتلا ذريعا..."[1].

يتضح من ذلك أن قيام دولة الأغالبة في المغرب قد أعاد للدولة العباسية بعض الهيبة التي كادت تفقدها في المغرب العربي. وإذا كان إرساء دولة مستقلة في المغرب تتبع الخليفة العباسي؛ فإن هذا الوضع كان سيادة إسمية للمأمون قنع بها؛ فذكر اسمه في الخطبة ونقش إسمه على السكة والطرز، وما كان يرد إليه من أموال تدفع بانتظام كل سنة فضلا عن الهدايا التي كان يرسلها الأمير الأغلبي إلى بغداد في المناسبات.

الأندلس:

لم تهدأ الأمور للعباسيين بعد القضاء على الأمويين في المشرق الإسلامي؛ ذلك أن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك كان قد هرب إلى الأندلس ليضع هناك أسس دولة أموية في المغرب ناهضت الدولة العباسية في المشرق الأمر الذي خسرت معه الدولة الإسلامية الجديدة (أي العباسية) الأندلس، ولم يتخذ عبد الرحمن لنفسه لقب خليفة أو لقب أمير المؤمنين؛ وإنما اكتفى بلقب الأمير فقط[2]. ويقول جي لسترنج: "أصبحت بغداد قاعدة الدولة

---

(١) ياقوت الحموي؛ معجم البلدان، جـ٣، ص٤١٧.

(٢) محمد الخضري؛ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة العباسية، تحقيق وتعليق إبراهيم أمين محمد، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٠١.

الإسلامية في الشرق، ولكن هذه الدولة منذ أيام أول خلفاء بني العباس لم تحافظ على وحدتها ولو إسميا؛ فانفصلت عنها الأندلس، وصار في قرطبة أمير أموى زاحم خليفة بغداد العباسي"[1]. ثم إن سياسة الرشيد الخارجية تجاه الأمويين في الأندلس تمثلت بالاعتراف بالأمر الواقع[2].

هذا وعاصر المأمون من أمراء الأندلس كل من:

(١) الحكم الأول بن هشام الأول، حكم في الفترة من ١٨٠ حتى ٢٠٦هـ=٧٩٦-٨٢١م.

(٢) عبد الرحمن الثاني بن الحكم الأول، حكم من ٢٠٦ حتى ٢٣٠هـ=٨٢١-٨٤٤م.

ورغم عدم وجود صلات بين الدولتين العباسية في بغداد والأموية في الأندلس؛ إلا أنه في عهد المأمون كانت هناك صلات ثقافية، يقول في ذلك المقري: "وفد على الأندلس أبو الحسن على بن نافع في عهد عبد الرحمن الأوسط بن هشام (٢٠٦-٢٣٠م=٨٢١-٨٤٤م) الملقب بزرياب زمن المأمون. وقد سبقته إليها شهرته؛ فركب عبد الرحمن بن الحكم الأموى بنفسه لتلقيه، وجعل له في كل شهر مائتي دينار؛ فأقام بقرطبة وتوفي بها سنة ٢٣٠هـ=٨٤٥م"[3]. كما ذكر المقري قصة هذا المغني والموسيقي المشهور، وكيف تفوق على استاذه اسحق بن إبراهيم الموصلي الموسيقي المشهور في بلاط بغداد[4].

---

(١) جي لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص١٥.

(٢) المقرى؛ أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠١٤هـ=١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٥٥.

(٣) المقرى؛ نفح الطيب، جـ٢، ص٧٤٩.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

كذلك انتقل كثير من التراث اليونانى والفارسى الذى استحوذ عليه العباسيون إلى قرطبة بفضل جهود عبد الرحمن الأوسط[١].

وبصفة عامة لم يكن الخليفة المأمون يطمع فى استرداد الأندلس ويضمها إلى دار السلام، أو حتى التعامل معها؛ فمشاكله فى الشرق كانت كبيرة الأمر الذى دفعه ترك الأمويين وشأنهم. ومن ناحية أخرى لم يهتم الأمويون فى الأندلس بأمور الشرق بعد توطيد حكمهم فى الأندلس قدر اهتمامهم بمشاكلهم فى الغرب.

النوبة:

النوبة بلاد واسعة عريضة تقع فى جنوب مصر، وهم أهل شدة فى العيش؛ أول بلادهم بعد أسوان؛ يجلبون إلى مصر فيباعون بها، وهم نصارى يعاقبة. ومدينة النوبة هى دمقله (دنقلة حاليا)، وهى منزل الملك على ساحل النيل ولقب ملكهم كابيل، وكتابته إلى عماله وغيرهم: من كابيل ملك مقرى[٢] والنوبة[٣].

ويقول البلاذرى: "وكان أهل النوبة على هدنة وحلف مع العباسيين؛ يسكنون جنوب مصر وهم من العناصر الحامية الزنجية"[٤]. ثم يتحدث عن بعض وثائق فتح النوبة وادعاء النوبيين "أن البقط ليس مفروضا عليهم كل سنة،

---

(١) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ التاريخ الإسلامى: العصر العباسى الأول، جـ٢، ص٣٢٣.

(٢) مقرى: بلد بأرض النوبة افتتحه عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى سنة ٣١هـ-٦٥١م (معجم البلدان، جـ٥، ص١٧٤).

(٣) ياقوت الحموى؛ معجم البلدان، جـ٥، ص٣٠٩.

(٤) البلاذرى؛ فتوح البلدان، ص٢٨١.

وأنه لا يوجد لهذه الدعوى ثبت في دواوين الحضرة (أي بغداد) ووجد في الديوان بمصر"[1].

وتحدث المقريزى عن "البقط" هذا بقوله: "البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ضريبة عليهم" و "وما كان يدفعه أهل النوبة للمسلمين، وهى ٣٦٠ رأسا و "يدفع المسلمون ألف أردب من القمح وثلاثمائة أردب أخرى لرسل ملك النوبة وكذلك من الشعير، عدا فرسين ومائة ثوب وأربعة أثواب من القباطي وأنواع أخرى من الأثواب"[2].

وتورد الأستاذة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف فتح النوبة "بأن عمرا لم يغفل تأمين الحدود الجنوبية لمصر، فبعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح على رأس حملة إلى النوبة في سنة ٢٠هـ، ويقال في سنة ٢١هـ=٦٤١م، إلا أن تلك الحملة لم تستطع عمل شيء إزاء مقاومة النوبة ... وانتهت حملة عبد الله بن سعد بن أبى سرح الثانية إلى غزو النوبة سنة ٣١هـ=٦٥١م أثناء ولايته على مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان، ووصلت حملته إلى دنقله، واشتدت فيها وطأة القتال من الجانبين، وانتهت هذه الحملة بعقد هدنة بين مصر وبين ملك النوبة عرفت بالبقط؛ كانت أشبه بمعاهدة سياسية وتجارية بين مصر ومملكة النوبة المسيحية؛ إذ كان أهم ما اشترط فيها ألا يعتدى أحدهما على الآخر، وأن تؤدى النوبة إلى مصر عددا معينا من الرقيق كل سنة، وأن تؤدى مصر إلى النوبة قدرا معينا من القمح والعدس وغيره من منتجات مصر كل سنة أيضا"[3].

---

(١) البلاذرى؛ فتوح البلدان، ص٢٨١.

(٢) المقريزى؛ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جـ١، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٠٠.

(٣) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام: من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٥-١٦.

وفي عهد المأمون كثرت غارات البجة[1] علـــى جـهات أسـوان واشــتد إيذاؤهم للمسلمين فيها منتهزين فرصة اندلاع الثورات في مصر؛ فرفع الوالـــي أمرهم إلى المأمون في سنة ٢١٦هـ=٨٣١م فكانت له معــــهم وقـائع انتـهت بموادعتهم وإبرام عهد بينه وبين زعيم البجة كنون بن عبد العزيز. ومن شـروط هذا العهد:

(١) أن تكون بلاد البجة من حدود أسوان إلى البلاد التي تمتد بيــن دهلـك[2] وباضع[3] ملكا للخليفة، وأن يكون كنون ملكا على البجة.

(٢) أن يؤدي ملك البجة كل عام الخراج على ما كان عليه أسلافه مائة مـــن الإبل أو ثلاثمائة دينار.

(٣) أن يحترم البجة الإسلام، وألا يذكروه بسوء، ولا يعينوا أحدا على أهله.

(٤) ألا يمنعوا أحدا من المسلمين من الدخول في بلادهم والتجارة فيـــها بـرا وبحرا.

(٥) ألا يمنعوا أحدا من المسلمين تاجرا أو مقيما، مجتازا أو حاجا؛ فهو آمـــن حتى ينزح من بلادهم.

(٦) إذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين أو تجارا فلا يظـــهرون سـلاحا ولا يدخلون المدن والقرى بمال[4].

---

[1] بلاد البجـــة: تمتـــد مـــن صحـــراء قوص إلى أول بلاد الحبشة (الخطـــط للمقريـــزي جـــ١، ص١٩٤).

[2] دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد الحبشة واليمن، شديدة الحرارة، كـان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (معجم البلدان جـــ٢ ص٤٩٢).

[3] باضع: جزيرة في بحر اليمن. (معجم البلدان جـــ١، ص٣٢٤).

[4] حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تـــاريخ الإســـلام، جـــ٢ (العصـــر العباســـي الأول)، ص٢٠٤-٢٠٦.

ويتضح من تحليل هذا العهد نجد الآتي:-

أ - لأول مرة تكون فيها منطقة السودان ملكا للخليفة (بند رقم ١).

ب- أن العرب المسلمين كانوا يذهبون إلى شرقي السـودان للتجـارة أو الإقامة أو المرور أو للحج مما يدعو إلى الاستقرار أو البقـاء فـي تلك المنطقة. (بند رقم ٥).

ج- أن من البجة من أسلم وأن عمال المأمون كـانوا يغشـونها لقبـض الجزية.

البــــاب الثانـــي

شخصيـــــة المــأمـــــون

الفصـــل الأول : المأمون قبل توليه الخلافة

الفصل الثانـــي : المأمون بعد توليه الخلافة

الفصـــل الثالث : حياة المأمون الأسرية

الفصل الرابـــع : علاقة المأمون بأقربائه

الفصل الأول

المأمون قبل توليه الخلافة

مولده ونشأته-وصية هارون الرشيد وولاية العهد لأبنائه الثلاثة الأمين فالمأمون فالقاسم- ولاية المأمون للعهد وانتقاله إلي مرو -النزاع بين الأمين والمأمون

تمهيد: هو عبد الله أبو العباس المأمون بن هارون الرشيد سابع الخلفاء العباسيين.

مولده: ولد عبد الله المأمون في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ=٧٨٦م، وهي الليلة التي مات فيها عمّه الخليفة موسى الهادي وملّك هارون الرشيد[١].

وأكد ذلك الجهشيارى: "فإذا بخادم يقول لي: وُلدت مراجل غلاماً فسأتيت الرشيد فأنبهته، فسُر لي لما رآني، وقال: ما الخبر؟ فقلت له: "لنهنئك الخلافة وغلام من مراجل" وكان عبد الله المأمون، وكانت ليلة مات فيها خليفة وولي فيها خليفة، ووُلد خليفة وذلك في سنة سبعين ومائة"[٢].

وكانت أمه أم ولد فارسية إسمها "مراجل" من بادغيس[٣] القريبة من هراة[٤].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٢١٢و٢١٣.

(٢) الجهشياري؛ الوزراء والكتاب، ص١٧٥.

(٣) بادغيس وباذغيس: ناحية تشتمل علي قرى من أعمال هراة ومروالروز ينسب إليها جماعة من أهل الذكر. (معجم البلدان، جـ١ن ص٣١٨).

(٤) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان؛ فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات وفيرة، محشوّة بالعلماء، ومملوّة بأهل الفضل والشعراء، ينسب إليها الكثير من الأئمة والعلماء، والنسبة إليها "هروى" (معجم البلدان، جـ٥، ص١٩٦).

ويقول صاحب "العيون والحدائق في أخبار الحقائق" أن أمّه مراجل تمت إلي أسرة عريقة في المجد من الأسر الفارسية[1]. وفي موضع أخر يقول نفس المؤلف: "أهداها إلي الرشيد قائده علي بن عيسي بن ماهان، وماتت في ولادتها للمأمون[2] ووصف الطبري المأمون بأنه كان "ربعة"[3]، أبيض جميلاً، طويل اللحية قد خطّه الشيب[4]. وقيل كان أسمر تعلوه صفرة، أحنى[5]، أعين[6]، طويل اللحية رقيقها، أشيب، ضَيِّقَ الجبهة، نجده خال أسود[7].

تربيته:

نشأ الأخوان عبد الله ومحمد تحت رعاية والدهما هارون الرشيد، وعُني بتربيتهما دون غيرهما من أبنائه؛ نستشف ذلك من حديث هارون الرشيد الذي أورده الطبري علي النحو التالي: "وقال (الرشيد) للقاسم يوماً قبل البيعة له: قد أوصيت الأمين والمأمون بك، قال: أما أنت يا أمير المؤمنين قد تولّيت النظر لهما، ووكلت النظر لي إلي غيرك[8].

---

(1) مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، نشر دي خوية، ليدن ١٨٧١م، ص٣٤٤.

(2) المرجع السابق، ص٤٦٨.

(3) الربعة؛ يقال فلان ربعة ومربوع أي وسيط القامة (الشرتوني، أقرب الموارد، جـ١، ص٣٨٥).

(4) خطه الشيب: أي خالطه البياض وفشا فيه، أو استوى سواده وبياضه (المعجم الوسيط، جـ١، ص٢٤٣).

(5) أحْنيَ: رجل أحني؛ أي في ظهره أحديداب، الأحدب. (أقرب الموارد، جـ١، ص٢٤٠).

(6) أعين: أي اتسعت عينه وحَسُنت. (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦٤٧).

(7) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٥١.

(8) المرج السابق، ص٤٦٣.

واختار هارون الرشيد لولديه محمد وعبد الله أكبر رجال عصره؛ فكان أبو محمد اليزيدي[1] والحسن اللؤلؤي[2] يؤدبان عبد الله، كما اختار أعظم رجال الدولة للأشراف علي تأهيلهما للحكم والتمرس فيه؛ فكان محمد في وصاية الفضل بن يحيي البرمكي، وعبد الله من نصيب أخيه جعفر بن يحيي البرمكي، حيث نال المأمون علي يديه تربية عالية وتهذيباً تاماً وتعليماً بالغاً[3].

ويقول ابن النديم: "كان عبد الله المأمون أعلم الخلفاء بالفقه والكلام وكان دون أخيه محمد في الفصاحة، وله من الكتب "كتاب جواب ملك البرغر"[4] فيما سأل عنه من أمور الإسلام"؛ وله في التوحيد رسالته "في حجج مناقب الخلفاء بعد النبي صلي الله عليه وسلم"؛ ورسالة في أعلام النبوة[5].

---

[1] اليزيدي (١٣٨-٢٠٢هـ=٧٥٥-٨١٨م): يحيي بن المبارك بن المغيرة العدوي أبو محمد اليزيدي، من أهل البصرة، كان عالماً بالعربية والأدب، اختاره يزيد بن منصور الحميري خالد المهدي ليؤدب ولده فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب عبد الله المأمون، وجعله في حجره (وفيات الأعيان جـ٦، ص١٨٣-١٩١).

[2] اللؤلؤي (ت٢٠٤هـ =٨١٩م): أبو علي الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي؛ كان أبوه من موالي الأنصار، ونسبته إلي بيع اللؤلؤ. كان قاضياً فقيهاً من أصحاب أبي حنيفة؛ أخذ عنه وسمع منه، وكان عالماً بمذهبه بالرأي. ولي القضاء بالكوفة سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م، ثم استعفي وأخيراً توفي ببغداد سنة ٢٠٤هـ (الخطيب البغدادي؛ تاريخ بغداد، جـ٧، طبع بمصر، القاهرة، ١٣٤٩هـ=ص٣١٤).

[3] حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. الجزء الثاني: العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٦٦.

[4] بُرْغر: نوع من الترك، متصلة بلادهم بخوارزم وأرض خراسان. أما صفتهم فهم صفة البلغار، ويظن ياقوت الحموي أنهما واحداً، وأن كانت لغتاهما مختلفتين (معجم البلدان، جـ١، ص٣٨٥).

[5] ابن النديم؛ الفهرست، ص١٦٨.

وفي سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م عينه أبوه ولياً للعهد تالياً لأخيه محمد الأمين بعد انصرافه من مكة ومسيره إلي الرقة. وولاّه خراسان؛ يقول الطبري: "وأخذ البيعة لعبد الله علي الجند بذلك بالرقة، وضمّه إياه إلي جعفر بن يحيي، ثم توجيهه إياه إلي مدينة السلام ومعه أهل بيته جعفر بن أبي جعفر المنصور وعبد الملك بن صالح[1]. ومن القواد علي بن عيسي؛ فبويع له بمدينة السلام حين قدمها، وولاّه أبوه خراسان وما يتصل بها إلي همذان وسمّاه "المأمون"[2].

ثم تبع ذلك أن بايع الرشيد ابنه القاسم في سنة ١٨٦هـ=٨٠٢م، وسمّاه المؤتمن، وولاّه الجزيرة والثغور والعواصم. وبذلك قسم هارون الرشيد الأرض بين أولاده الثلاثة[3].

يفهم من ذلك أن محمد الأمين كان وكيل أبيه في بغداد، وأن للمأمون ولاية خراسان، وللمؤتمن الجزيرة والثغور والعواصم. وإذا كان اختيار بغداد للأمين أمراً طبيعياً بحكم كونه أوّل ولي للعهد؛ فإن اختيار خراسان للمأمون -وهو ابن الفارسية- كان في الغالب نتيجة بعض المساعي الفارسية في البلاط العباسي؛ خاصة وأن عبد الملك بن صالح هو الذي حض الرشيد علي البيعة

---

(1) عبد الملك بن صالح، هو الأمير أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. ولاّه الهادي إمرة الموصل سنة ١٦٩هـ=٧٨٥م، وعزله الرشيد سنة ١٧١هـ=٧٨٧ن، ثم ولاّه المدينة والصوائف، وولاه دمشق وقام فيها أقل من سنة، وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سنة ١٨٧هـ=٨٠٢م. ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣هـ=٨٠٨م فأقام بالرقة أميراً إلي أن توفى سنة ١٩٦هـ=٨١١م، كان أديباً شاعراً وفصيحاً. (ابن شاكر الكتبي؛ فوات الوفيات، طبعة دار صادر بيروت، ١٩٧٤، ص٣٩٨-٤٠١).

(2) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص١٦٩.

(3) المرجع السابق، ص١٧٦.

للقاسم حيث كان في حجرة[1]. ويضاف إلي ذلك أن المأمون كان يبدو عليه في صباه مخايل النجابة والذكاء والحزم، وحسن التدبير وجودة الحدس والطموح إلي الكمال؛ مما حبب تلك الخصال والده هارون الرشيد، وقدره فجعله ولي العهد بعد أخيه الأمين.

صفات المأمون وأخلاقه:

كان المأمون يتحلى بكثير من الصفات التي امتاز بها عن سائر من سبقه من الخلفاء العباسيين؛ من ذلك ميله إلي العفو وكراهته للانتقام. وليس أدل علي هذه الصفة عفوه عن عمّه إبراهيم بن المهدي الذي تربع في كرسيّ الخلافة نحواً من سنتين[2]، وعن الفضل بن الربيع الذي حرمه من السلاح والعتاد الذي كان أبوه هارون الرشيد قد أوصى بتسليمه إليه بعد وفاته، وقال: "لأدع مُلْكاً حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من أمره، وأمر الناس بالرحيل، وتركوا البيعة التي كانت أخذت عليهم للمأمون"[3]. ومع ذلك لم يعمل المأمون علي التخلص منه وعفى عنه بعد أن كان مختفياً[4].

أما عن كرمه فقد شهد له الجميع وفاق الخلفاء العباسيين قاطبة، ورد في الكامل لابن الأثير: "وقال العبسي صاحب اسحق بن إبراهيم: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قل المال عنده حتى أضاق وشكي ذلك إلي المعتصم، فقال له: يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعه، وكان قد حُمل إليه ثلاثون ألف ألف ألف درهم من خراج ما يتولاه له. فلما ورد عليه المال، قال المأمون

---

[1] الكتبي، محمد بن شاكر؛ فوات الوفيات، تحقيق أحسان عباس، المجلد الثاني، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٧٤، ص٣٩٩.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٥٧و٥٧١و٦٠٤.

[3] المرجع السابق؛ ص ٣٧٠.

[4] نفس المرجع، ص٥٤٧.

ليحيي بن أكثم: أخرج بنا ننظر هذا المال؛ فخرجا ينظرانه، وكان قد هيئ بأحسن هيئة، فنظر المأمون إلي شئ حسن، واستكثر ذلك، واستبشر به الناس ينظرون إليه ويعجبون منه، فقال المأمون: يا أبا محمد ننصرف بالمال وأصحابنا يرجعون خائبين إن هذا للؤم، ثم دعا محمد بن يزداد فقال له: وقع لآل فلان بألف ألف، ولآل فلان بمثلها. فمازال كذلك حتى فرّق أربعة وعشرين ألف ألف ورجله في الركاب. ثم قال: أدفع الباقي إلي المعلّي يعطيه جنودناً. قال العبسيّ: فقمت نصب عينيه أنظر إليهما، فلما رآني كذلك قال: وقّعْ لهذا بخمسين ألف فقبضتها"[1].

ونورد فيما يلي رأيين لاثنين من المؤرخين أحدهما قديم والأخر حديث عن شخصية المأمون؛ يقول ابن طباطبا في كتابه الفخري في الأداب السلطانية والدولة الإسلامية: "وأعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال، وله اختراعات كثيرة في مملكته"[2]. أما سيد أمير علي فيذكر في كتابه المترجم إلي العربية بعنوان "مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي" أن المأمون كان قوى البنية بهي الطلعة، لا يضارعه أحد من بني العباس هيبة ووقاراً؛ نظراً لما كان يتحلى به من الشجاعة والإنصاف وشدة العزم وبُعد الهمة والبسالة وغيرها من الصفات المحمودة والخصال السامية، وقد سجّل التاريخ سلسلة طويلة من الوقائع والحوداث الخالدة، وعلي الجملة لم يسبق أن اعتلي عرش الدولة العباسية خليفة يضاهيه حكمة وبعد نظر"[3].

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٦، الطبعة الثالثة، نشر دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، ص٩.

[2] ابن طباطبا؛ الفخرى في الأداب السلطانية، ص ١٧٥.

[3] سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م، ص٢٣٥.

ميل المأمون إلي الخراسانيين:

قامت الدولة العباسية علي أكتاف الفرس وسيوفهم؛ فظـــهروا وتـــألقوا؛ فكان ذلك علي حساب العرب بعد أن ظهر فيـــهم الـــوزراء والقـــادة والكتـــاب والعمال والجند، وأتقنوا اللغة العربية وأصبحوا رجال علم وأدب؛ فكـــان ذلـــك مدخلهم إلي قصر الخلافة. ويعلق الدكتور عبد المنعم ماجد بين عنصري الدولة: العرب والفرس بالآتي: "كان يوجد صراع مكتوم أو مكشوف بين العرب والعجم من رجالات الدولة بحيث أن الدولة وقـــت المـــهدي (١٥٨-١٦٩هـــ=٧٧٥-٧٨٥م) أصبحت تتردد بين العنصرين"[١]. ومع نمـــو القـــوة الفارســـية عـــادت الشعوبية؛ تلك الحركة الأدبية التي كانت قد ظهرت في أواخر عـــهد الأمويـــين، وزاد الحوار والجدل بين العرب والعجم. فبعد أن كان العـــرب يتعـــالون علـــي العجم في العهد الأموي، أصبح العجم هم الذين يتعـــالون بســـطوتهم ونظمـــهم الحضارية، ويفضلون أنفسهم علي العرب.

ومع ذلك لا يجب أن نبالغ في إيجاد تفرقة كبيرة بين العرب والعجم فـــي العهد العباسي الأول؛ لأن العجم تكلموا اللغة العربية وحذقوها، واتخذوا أســـماء وكني عربية، ولم يعودوا يفترقون عن العرب في شئ؛ ثم إنهم تعصبوا للعربيـــة ممثلة في الدين الإسلامي، وعروبة النبي عليه الصلاة والســـلام، وفـــي اللغـــة العربية التي أتقنوها.

وتميز عنصر المأمون بدخول الموالي في صفـــوف الجيـــش العباســـي تحقيقاً للمكاسب التي نالوها؛ فهم أصحاب الثورة الحقيقية، وهم الذيـــن نـــاصروا المأمون ضد أخيه الأمين الذي وقف معه العرب. واستمروا علـــي ذلـــك حتـــي وصلوا إلي مراتب الوزارة والكتابة وقيادة الجيوش، بل وكافة المناصب القياديـــة في الدولة، فكانوا عمود جند الخلافة وعونا لها وأداتها في فاعليتـــها ونضالـــها.

---

[١] عبد المنعم ماجد، دكتور؛ العصر العباسي الأول، ص١٥٨.

وهذا مما حدى بالجاحظ -وهو أحد الكتّاب الذين عاصروا المأمون- أن يقول: "دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية"[1].

وتبدأ صلة المأمون بالفرس منذ اختياره ولياً للعهد سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م وهو في الثالثة عشرة من عمره، واشترط والده الرشيد عليه في عهده أن يذكر: "أن أمير المؤمنين هارون ولاّني العهد والخلافة في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها وشرط علي محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية أمور العباد والبلاد بعده، وولاية خراسان وجميع أعمالها ولا يعرض لي في شئ مما أقطعني أمير المؤمنين..."[2].

لقد كان ما بين الأخوين متباعداً في حياة أبيهما؛ فلما مات لم يُسرد أحدهما الآخر؛ فالمأمون قصد ولايته ولم يبرحها، أما الأمين فكان يخشى عاقبة هذا الاعتكاف عنه.

ثم إن الخراسانيين الذين كانوا جند العباسيين، وهم الذين قضوا على الدولة الأموية، فهم بعد سبعة عقود جند المأمون الذين دخلوا بغداد وقتلوا أخاه الأمين ليضعوا حداً للنفوذ العربي؛ الذي برز في سماء بغداد منذ عهد الرشيد وحتى مصرع الأمين؛ فليس بمستغرب أن يحقق الخراسانيون أطماعهم، وأن تطلق يد طاهر بن الحسين في خراسان، حتى أن المأمون من إعجابه به سمّاه "ذا اليمينين"[3]. وأيضاً تكررت ظاهرة البرامكة بظهور آل سهل في عهد

---

[1] الجاحظ؛ البيان والتبيين، جـ٣، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ=١٩٦١م، ص٢٠٦.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص(٢٨١-٢٨٢).

[3] ذو اليمينين: التسمية التي منحها المأمون لطاهر بن الحسين سنة ١٩٥هـ=٨١٠م (الطبري: تاريخ الرسول والملوك جـ٨، ص٤١٥). أما الثعالبي فذكر في كتابه "ثمار القلوب" ص ٢١٩ ما يلي: "أن طاهراً لقب بذلك لأن المأمون كتب إليه 'يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين". أما ابن خلكان فذكر في "وفيات الأعيان" جـ٢ ص٥٢٢ ما يلي:

المأمون؛ ذلك أن الفضل بن سهل -وهو خراساني- تقرب من المأمون بمثل ما تقرب يحيي بن خالد البرمكي من الرشيد. وهو الذي لعب دوراً رئيسياً في تكتيل الخراسانيين خلف المأمون؛ فأحبه أهل خراسان، وأقبلوا عليه وكانوا يقولون: "ابن اختنا وابن عم رسول الله"[1].

وعلي هذا النحو استفاد المأمون من العناصر الفارسية وأطلق يدها في أمور الدولة حتى اختل مبدأ التوازن بين العنصرين العربي والفارسي.

وكان المأمون وهو في حداثة سنه حسن التوفيق في اختيار حاشيته ومشيريه، فجمع حوله طائفة من ذوى الدهاء والحنكة؛ وأغلبهم من الإيرانيين الخراسانيين أصحاب المطامع والأغراض. وقد ذكر الطبري أن الرشيد "وجه إنبه المأمون قبل وفاته بثلاثة وعشرين ليلة إلي مرو، ومعه عبد الله بن مالك ويحيي بن معاذ وأسد بن يزيد مزيد، والعباس بن جعفر بن الأشعث، والسندى ابن الحرشي ونعيم بن حازم، وعلي كتابته ووزارته أيوب بن أبي سُمَير"*[2].

ولا ريب أن التربية والبيئة الفارسية أثرتا في نفس المأمون، وقابل حسن الصنيع بمثله؛ فأم المؤمنين فارسية، والفرس كفلوه، وهم الذين قاموا علي تثقيفه، وأحاطوا به وتعاملوا معه وكأنه واحد منهم، ونصروه حتى اعتبر بعض المؤرخين أن انتصار المأمون علي الأمين كان انتصاراً للفرس علي العرب؛ شأنه في ذلك شأن انتصار العباسيين بجيوش فارسية خراسانية علي الأمويين العرب، ثم أن البيئة الفارسية التي نشأ فيها والمتشبعة بالروح الشيعية صبغت

---

*واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأي معني كان؛ فقيل لأنه ضرب شخصاً في وقعته علي بن ماهان؛ فعده نصفين، وكانت الضربة بيساره فقال فيه أحد الشعراء: كلتا يديك يمين حين تضربه فلقبه المأمون "ذا اليمينين" وقيل غير ذلك.

[1] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٧٩.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٤١.

المأمون بشئ من ألوانها؛ مما كان له أثر بارز في حياته؛ في السياسة ونظام الملك والعقائد.

صلة المأمون بالفضل بن سهل:

هو أبو العباس الفضل بن سهل السرخسيّ، أسلم علي يد المأمون في سنة ١٩٠هـ=٨٠٥م[١] وقيل أن أباه أسلم علي يد الخليفة المهدي[٢]، وهو الذي دبّر للمأمون كيف يصل إلي الملك، وكان المأمون قد وثق به وترك له حكم المشرق، وكانت فيه فضائل أديبا بليغاً، وكان يلقب بذي الرياستين؛ لأنه تقلد الوزارة والسيف معاً، وكان يتشيع، وأيضاً كان من أخبر الناس بعلم النجامة وأكثرهم إنصافاً في أحكامه[٣]. ويقال إن الفضل بن سهل لما رأي نجابة المأمون في صباه ونظر في طالعه؛ فدلّته النجوم علي أنه سيصير خليفة فلزم ناحيته وخدمه ودبر أموره حتى أفضت الوزارة إليه وأستوزره[٤].

ومن الروايات التي حكيت عنه ونقلها ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" عن كتاب "تاريخ ولاة خراسان" لأبي الحسن علي بن أحمد السلامي أنه "لما عزم المأمون علي إرسال طاهر بن الحسين إلي محاربة أخيه محمد الأمين نظر الفضل بن سهل في مسألته؛ ووجد الدليل في وسط السماء وكان ذا يمينين؛ فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين، ويلقب بذي اليمينين؛ فتعجب المأمون من إصابة الفضل، ولقب طاهرا بذلك"[٥].

---

[١] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك؛ جـ٨، ص ٣٢٠.

[٢] ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٤، ص٤١.

[٣] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[٤] ابن طباطبا؛ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، ص١٧٩.

[٥] ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٤، ص٤١-٤٢.

ثانياً: وصية هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة:

حسّنَ الفضل بن يحيي بن خالد البرمكي للرشيد توليه أبنه محمداً العهد؛ وتعهد بأخذ البيعة له في خراسان؛ فبايعه وسماه "الأمين" في سنة ١٧٥هـ=٧٩١م، وكان محمد ابن خمس سنوات. ويقول اليعقوبي في تاريخه: "فقام عبد الصمد بن علي، فقال: "أيها الناس لا يغرّنكم صغر السن؛ فإنها الشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء". ولقد اضطر الرشيد إلي هذه البيعة لتطاول أعناق كثير من بني العباس للخلافة[1]. ويضيف إلي ذلك التبرير الدكتور حسن إبراهيم حسن بأن العباسيين اختلفوا في هذه البيعة؛ فبعضهم كان يميل إليها لأن الأمين ابن السيدة زبيدة، وهي عربية عباسية، وبعضهم لم يعجبه هذا العمل، لأنه كان يتطلع إلي الخلافة بعد الرشيد لصغر سن الأمين، وبعضهم كان لا يميل إلي المأمون لأن أمه كانت "أم ولد" من خراسان. ولكن الرشيد أحسّ أنه أخطأ بتولية ابنه الأمين عهده، وهو أصغر من أخيه عبد الله (المأمون) وأنه فعل ذلك بتأثير زوجته زبيدة أم الأمين، وميل بني هاشم إلي الأمين؛ لأن أمه هاشمية، مع أنه لم يكن يصلح للخلافة، لما عرف عنه من سوء التصرف والتبذير، ومع ما عرف عن أخيه المأمون من الاستقامة وحسن التدبير وبعد النظر، وما تحلي به" من حزم المنصور، ونسك المهدي وعزّة نفس الهادي".

ويظهر أن الرشيد أحسّ أنه تعجّل بتولية ابنه الأمين دون عبد الله، وأخذ يفكّر في تحويل هذه البيعة إلي عبد الله؛ فعقد له في سنة ١٨٣هـ=٧٩٩م وسمّاه المأمون، وولاّه من حد همذان إلي آخر الشرق[2]، أي الولايات الشرقية، وأكد

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٢٥ وأيضاً الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك جـ٨، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام السياسي، الجزء الثاني، العصر العباسي الأول، ص١٧٦-١٧٧. وأيضاً المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص٢٧٢.

هذا العقد بين الأخوين بتوقيعهما عليه وقَسَمهما علي الوفاء بـه، وتعليقـه فـي الكعبة سنة ١٨٦هـ=٨٠٢م، وهي السنة التي بايع الرشيد بولاية العـهد لأبنـه القاسم بعد أخويه، ولقّبه "المؤتمن"، وضم إليه الجزيرة والثغور، وكان لا يـزال صبيًا.

ثم زاد الموضوع تعقيداً أن الأمين بايع ابنه الطفل موسى، وكان رضيعـاً وصغيراً لم يفطم وكان ذلك بعد تولية الخلافة بعد وفاة الرشيد، وأمر بالدعاء لـه علي المنابر بالإمرة في سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م، ثم أظهر خلع المـأمون، وبـايع لإبنيه موسى وعبد الله- في جميع الآفـاق مـا عـدا خراسـان- فـي سـنة ١٩٥هـ=٨١٠م، وأعطي عند بيعتهما بني هاشـم والقـواد والجنـد الأمـوال والجوائز، وسمّى موسى "الناطق بالحق" وسمّى عبد الله "القائم بـالحق"، وعقـد ولايته لابنه موسى بولاية العهد لثلاث خلون من شهر ربيـع الأول فـي سـنة ١٩٨هـ=٨١٣م. وانتهي أمر هـذا الفتـي العباسـي بـأن مـات فـي سـنة ٢٠٨هـ=٨٢٣م[1].

وهناك تعليق آخر للدكتور شاكر مصطفي علي توليـة الرشـيد أبنـاءه الثلاثة هو: "لقد ارتكب هارون الرشيد غلطة بتولية أبنائه الثلاثة: الأميـن، ثـم المأمون، ثم القاسم (المؤتمن)؛ أحدهم بعد الآخر لولاية العهد بالتتالي؛ ولم يكـن القاسم مشكلة لأنه لم يكن بذى حزب قوى واضح، بعد أن قضى علي حامية عبد الملك بـن صالح[2] حيث كان القاسم في حجرة. وقد اسـتطاع الأميـن حيـن

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، الصفحـات ٣٨٩و ٣٩٠و ٣٩٦و ٤٠٦و ٤٣٩و ٤٩٨و ٥٩٧.

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أمـير عباسـي، ولي مناطق عديدة. وبلغ الرشيد أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سـنة ١٨٧هـ=٨٠٢م ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاّه الشام والجزيرة سنة ١٩٣هـ=٨٠٨م فأقـام بالرقـة أميراً إلي أن توفي سنة ١٩٦هـ=٨١١م. وكان شخصاً صاحب مهابة وجلالة كما كـان

استخلف أن يتخلّص تخلّصاً هيناً من القاسم. أما محاولته التخلص من أخيه المأمون والبيعة لابنه موسى "الناطق بالحق" فقد كلفّه عرشه وحياته معاً، وكانت من أكبر الهزّات التي تناولت العرش العباسي، كما كانت واحدة من أكبر مشاكل ولاية العهد في التاريخ الإسلامي"[1]. ونضيف إلي هذه التعليقات أنه قد خطر ببال الرشيد تحت ضغط الصراع الحزبي في البلاط خاطرة ذكية ظنها الضمان الكافي لإقرار عهده من بعده.

لقد كان صغَر سنّ ابني الرشيد محمد وعبد الله سبباً في طمع بعض بني العباس بولاية العهد. ويذكر المسعودي عن سبب البيعة للأمين أن بني هاشم "مائلون إلي محمد بأهوائهم؛ فقد عقد الرشيد لابنه هذا وهو ابن خمس سنين... ودخلت أم جعفر (زبيدة) علي الرشيد فقالت: ما أنصفت ابنك محمداً حيث وليتّه العراق وأعريته العدد والقواد، وصيّرت ذلك إلي عبد الله دونه. فقال لها: وما أنت وتميز الأعمال واختيار الرجال؟. إني وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب، وصاحب الحرب أحوج إلي الرجال من المسالم، ومع هذا فأنا متخوّف ابنك علي عبد الله، ولا نتخوف عبد الله علي ابنك إن بويع"[2].

وهكذا نرى أن النزاع علي ولاية العهد بدأها الرشيد بعهده في سنة ١٧٥هـ=٧٩١م إلي ولده محمد الأمين، وكان ابن خمس سنوات، ويعقب اليعقوبي علي ذلك بقوله: "لقد اضطر الرشيد إلي هذه البيعة لتطاول أعناق كثير من بني العباس للخلافة"[3]. ثم إن آخرين من بني العباس أنكروا عليه ذلك لصغر سنه.

أخطب الناس وأفصحهم في عهده. (ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، صفحات ٢٦٩، ٣٢٩-٣٣٠، ٣٨٣، ٣٨٤).

[1] شاكر مصطفي، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٤٢٧-٤٢٨.

[2] المسعودي؛ مروج الذهب، جـ٣، ص٣٦٥-٣٦٦.

[3] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٢٦.

وعلي كلٍ؛ فقد تصرف الرشيد تصرفاً لإقرار عهده من بعده، وإحلال السلام والتعاون بين الأخوة، وتأكيد تعاقبهم علي الخلافة؛ وذلك تحت ضغط الصراع الذي ظهر في البلاط نتيجة ذلك. وانتهز الرشيد مناسبة حجّه سنة ١٨٦هـ=٨٠٢م؛ فاصطحب ولديه: الأمين والمأمون معه. كما جمع عدداً كبيراً من قوّاده ووزرائه وقضاته وبني هاشم. وفي مكة استكتب الرشيد كلاً من ولديه بخطّه عهداً صيغ بشكل كتاب مرفوع إلي أبيه الخليفة؛ يشترط علي نفسه الوفاء بالعهد لأخيه الآخر والتعاون معه. ونص كتاب الأمين علي أن للمأمون إن أفضت إليه الخلافة أن يبقى أو يخلع أخاه القاسم كما يشاء. ثم أمر الرشيد فقُرىء الكتابان علي الأخوين في المسجد الحرام، وشهد عليهما من حضر من رجال الدولة. تلي ذلك قراءة الكتابين علي من كان حاضراً في موسم الحج ليشهدوا عليه. ثم كتب الرشيد بذلك كله إلي الأمصار يأمر العمّال أن يعلنوه للناس، ويثبتوه في الديوان، فأخذت البيعة "علي الناس كلهم حتى أهل الأسواق" علي حد قول اليعقوبي[1].

أما رواية الطبري، فتذكر أنه في سنة ١٨٩هـ=٨٠٤م "كان قيل للرشيد إن علي بن عيسي قد أجمع علي خلافك؛ فشخص (أي الرشيد) إلي الري من أجل ذلك، منصرفه من مكة؛ فعسكر بالنهروان لثلاث عشر ليلة بقيت من جمادي الأولى، ومعه إبناه عبد الله المأمون والقاسم، ثم سار إلي الري، فلما صار بقرماسين[2] أشخص إليه جماعة من القضاة وغيرهم، وأشهرهم أن جميع ماله في عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سوى ذلك لعبد

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤١٥.

[2] قرماسين وقرمايسين؛ موضع في طريق مكة يبعد عن الزبيدية ثمانية فراسخ وهو ليس المكان الذي عقد الرشيد عهده ثانية. أما قرماسين فهي تلك المدينة القريبة من الدينور والتي تبعد عن همذان ثلاثين فرسخاً، وهي بين همذان وحلوان علي طريق الحاج. (معجم البلدان، جـ٤، ص٣٣٠-٣٣١).

الله المأمون. ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلي بغداد؛ فأعاد أخذ البيعة علي محمد بن هارون الرشيد وعلي من بحضرته لعبد الله والقاسم، وجعل أمر القاسم في خلعة وإقراره إلي عبد الله إذا أفضت إليه"[1].

يتضح من الإجراء الذي أخذه الرشيد وهو في طريقه إلي الري أنه كان متشككا في قرارة نفسه إمكان تنفيذه عهده هذا. ولعلنا نجد ردا مقنعا فيما أورده الطبري الذي يتكشف حدوث بعض التعديل والإضافة عليهما، وأنهما في شكلهما الموجود متميزان للمأمون. وقد نبتت مشاكلها وترعرعت بعد موت الرشيد نذكرها في الآتي:

١-إصرار الكتابين علي منح المأمون فقط دون الأمين التأكيدات والضمانات الكافية لكافة حقوقه في ولاية العهد وفي خراسان وفي الأموال وفي الحاشية.

٢-التأكيد علي منح المأمون الاستقلال الكامل في خراسان الذي يقطعها تماما عن الدولة.

٣-إعطاء العذر الشرعي للمأمون في أخذ الخلافة فورا؛ إن انتقصه أخوه الأمين قليلا أو كثيرا مما أعطاه أبوه.

٤-التأكيد أكثر من مرة علي أن المأمون يفى للأمين "ما وفي له أخوه"؛ فإن انتقصه شيئا فلا وفاء.

٥-أدخل علي الكتابين تحديد ولاية خراسان والكور التي أضيفت إليها ليكون ذلك نقطة انطلاق لبداية مشكلة قامت بعد ذلك بين الأخوين علي سلخ بعض الكور المضافة إلي تلك الولاية.

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣١٥-٣١٦.

٦-وفي العهد الذي تم في قرماسين جعل أمر القاسم في خلعه وإقراره إلي عبد الله والذي كان برفقة والده الرشيد وأخيه المأمون وقد دون العهد في سنة ١٨٩هـ.

٧-ورد في كتاب الأمين بيعة القاسم، وجعل المأمون أن ينفذها أو يلغيها؛ بينما لم يرد في كتاب المأمون شئ من ذلك.

٨-الثابت أن هارون الرشيد أوصى وهو بطوس الجيش الذي معه وبالمال والسلاح إلي ابنه المأمون، وجدد له البيعة علي القواد الذي كانوا معه.

وكان الأمين يتوقع وفاة أبيه، فأرسل رسوله بكر بن المعتمر بخطابين يسلمان لصاحبيهما بعد وفاة الخليفة. وكان أحد الخطابين للمأمون يعزيه فيه عن أبيه، ويأمره أن يأخذ البيعة علي من قبله للأمين بالخلافة، وللمأمون بولاية العهد وللقاسم المؤتمن بعده. أما الخطاب الثاني فكان لأخيه صالح بن الرشيد يأمره فيه بالاجتهاد، وأن يأخذ له البيعة علي من معه، ثم للمأمون، ثم للمؤتمن علي الشريطة التي اشترطها الرشيد، وطلب أن يسير إليه بجميع الجنود والذخائر والسلاح والكراع، وإلا ينفذ رأيا أو يبرم أمرا إلا برأي الفضل بن الربيع، فانتهز الفضل بن الربيع هذه الفرصة وأمر الناس بالرحيل؛ ففعلوا ذلك "محبة منهم للحاق بأهلهم ومنازلهم ببغداد، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون". ولما وصل الفضل بن الربيع إلي بغداد بايع الأمين بالخلافة، وفرح به الأمين فرحا شديدا واستوزره، ووكل إليه تدبير الملك، وأمره بتوزيع مرتبات الجند مدة سنتين مقدما[1].

وحمل صاحب البريد خبر وفاة الرشيد إلي العاصمة. وعاد صالح بن الرشيد والذي كان مع والده عندما حضرته الوفاة إلي بغداد، وسلم الأمين العبلة

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٦٦-٣٦٧.

والسيف. وفي اليوم التالي خرج الأمين إلي الجامع الكبير وصلي بالناس. وأعتلي المنبر وخطب خطبة العرش وبويع بالخلافة. وأرسل إليه أخوه المأمون، وكان في مرو، بالهدايا الثمينة، وهنأه بالخلافة وبايعه بها. كذلك أسرع أخوه القاسم المؤتمن -وكان في قنسرين وبايعه بالخلافة. أما أم جعفر زبيدة والدة الأمين فكانت بالرقة. ولما بلغها خبر وفاة زوجها واعتلاء ابنها العرش رجعت إلي بغداد وقابلها عند مدينة الأنبار، ودخلا بغداد في موكب عظيم[1].

موقف المأمون من عودة الجيش:

كان المأمون يقيم في مرو ليتدرب علي الإدارة بعد أخذه العهد، وكان معه الفضل ابن سهل[2]. ورأي فريق من مستشاري المأمون أنه يمكن إرسال ألفين من رجاله إثر الجيش ليرده إليه طبقا للعهد المبرم في ذلك. ولكن الفضل ابن سهل رأي أن يكتفي بإرسال رسل يذكرون القوم بسابق عهدهم وأخذ المأمون برأيه، وأرسل رسولين بكتاب إلي زعماء الجيش وقواده، ولحقا بالجيش في نيسابور، فلم يعر القواد طلب المأمون التفاتا، وصمموا علي العودة إلي بغداد، وعلي رأسهم الفضل بن الربيع[3]. وزير الرشيد. ولما وقف الفضل بن

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٣٧٣.

(2) الفضل بن سهل كان قهرمانا ليحيي بن خالد البرمكي (أي المشرف علي دخول الناس وخروجهم) كان أبوه سهل مجوسيا واسلم في أيام الرشيد؛ أما الفضل فأسلم علي يدي المأمون. ورأي نجابة المأمون في صباه ونظر في طالعه، وكان خبيرا في علم النجوم؛ فدلته النجوم علي أنه يصير خليفة فلزم ناحيته وصحبه قبل أن يلي الخلافة إلي مرو. فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش؛ فكان يلقب بذي الرياستين لجمعه بين الحرب والقلم. كان مولده ووفاته في سرخس بخراسان وقتله جماعة بينما كان في الحمام. وكان حازما عاقلا فصيحا. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٤ن ص٤١-٤٤).

(3) الفضل بن الربيع بن يونس (١٣٨-٢١٨هـ، ٧٥٥-٨٢٣م) وزير أديب حازم من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي واستحجبه لما

سهل علي الخبر قال للمأمون: "أعداء استرحت منهم" في حين قال الفضل بن الربيع: "لا أدع ملكا حاضرا لأخر ما أدرى ما يكون ما أمره"[1].

وكان المأمون يعتمد اعتمادا كليا علي الفضل بن سهل الذي كان كغيره من الفرس ينتصر للعنصر الفارسي. ورغم أن المأمون وثق بـه وثوقا تاما، وسلم إليه مقاليد أموره؛ إلا أنه كان يعتقد أن العلويين أحق بالتاج؛ لأنهم يجمعون بين أشرف دم عربي، وهو دم النبوة، وأشرف دم فارسي، وهو دم الأكاسرة، وعمل علي أن تكون السيادة للعنصر الفارسي، وكان يتشبه بوزراء الأكاسرة ليعيد المجد الفارسي القديم. يقول الجهشياري[2]: "إن الفضل بن سهل بن زادانفرخ كان يجلس علي كرسي مجنح، ويحمل فيه إذا أراد الدخول علي المأمون، فلايزال يحمل حتى تقع عينا المأمون عليه. فإذا وضع الكرسي ونزل عنه فمشي، وحمل الكرسي حتي يوضع بين يدي المأمون، ثم يسلم ذو الرياستين فيعود ويقعد عليه، وإنما ذهب ذو الرياستين إلي مذهب الأكاسرة".

وكان الفضل بن سهل يمثل العنصر الفارسي، حتى أنه عندما نشب النزاع بين الأمين والمأمون، كان في الواقع نزاعا حزبيا بين العرب من ناحية

ولي أباه الوزارة. وكان الفضل بن الربيع من كبار خصوم البرامكة؛ فلما نكبهم الرشيد استوزره. ومازال علي الوزارة إلي أن مات الرشيد بطوس؛ فجمع الفضل بن الربيع مما فيه من العسكر والأموال والسلاح-وكان الرشيد قد أوصى به للمأمون- وتوجه به إلي بغداد؛ فاستوزره الأمين. وهو الذي حسن له خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وأن يبايع لأبنه موسى، فخلعه وبايع موسى وسماه "الناطق بالحق"؛ فكانت الفتنة بين الأخوين. ولما دخل المأمون بغداد استتر الفضل بن الربيع، ثم عفى عنه المأمون وأهمله بقية حياته، وتوفي بطوس سنة ٢٠٨هـ=٨٢٣م. (ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٤، ص٣٧-٤٠).

(١) مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، ص٣٢٠.

(٢) الجهشياري؛ الوزراء والكتاب، ص٤٠١-٤٠٢.

ممثلين في الفضل بن الربيع ومعظم بني هاشم، والفرس من ناحية أخرى ممثلين في الفضل بن سهل وزير المأمون.

ثالثا النزاع بين الأمين والمأمون:

وما أن تولى محمد الأمين الخلافة حتى وقعت الفتنة بينه وبين أخيه عبد الله المأمون. الذي كان أبوه قد عينه معه في ولاية العهد من بعده في سنة ١٨٣هـ=٧٩٩م. وظهر من أول وهلة أن النزاع وقع نتيجة تنافس رجلين قويين؛ أحدهما كان يسيطر علي الأمين، والآخر كان يسيطر علي المأمون. فبعد موت الرشيد في رحلته الأخيرة، كان معه وزيره الفضل بن الربيع، الذي اسرع بالعودة إلي بغداد، مصطحبا معه الجيش والمال، الذي أوصى به الرشيد لابنه المأمون ليبايع الأمين؛ فعلي حد قوله: "لا أدع ملكا حاضرا لأخر ما أدرى ما يكون من أمره"[1] وقد أضاف ابن طيفور إليها جملة وهي: "إن المأمون ليس بمأمون"[2]. ومن الناحية المقابلة كان الفضل بن سهل يحرض المأمون علي الاستقرار في خراسان ويشد من أزره؛ فكان يقول له: "أصبر قليلا، أضمن لك الخلافة"[3]. وأصبح الفضل بن سهل صاحب الدور الأول في هذه المسرحية، واختفى دور المأمون طوال فترة النزاع مع أخيه.

ولعل الفتنة حدثت أيضا نتيجة لتنافس الفضليين: الفضل بن الربيع والفضل بن سهل علي السيطرة في الدولة العباسية. وقد تكون الفتنة صراعا بين العرب والعجم؛ فالأمين وهو من نسل عربي صميم كان يسيطر بالفعل علي الإقاليم العربية، ووزيره الفضل بن ربيع، رغم أنه من الموالي إلا أنه كانت له أحاسيس عربية، واعتبر زوال الأمين معناه زوال العصبية العربية وعلي العكس

---

(١) مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق، جـ٣، ص٣٢٠.

(٢) ابن طيفور؛ تاريخ بغداد، جـ٦، ص١٥.

(٣) الجهشباري؛ كتاب الوزراء والكتاب، ص٢٧٨.

كان المأمون فيه أصل فارسي من ناحية أمه، وكان يسيطر علي الأقاليم الفارسية، واعتبر نفسه بين أخواله[1]، ومال إلي العجم، كما أن المأمون كان واقعا تحت تأثير الفضل بن سهل، وهو من أسرة فارسية كانت حتى وقت قريب علي ديانة المجوس، ولم يسلم سهل إلا في أيام البرامكة وعلي أيديهم[2]، وكان لأسرة آل سهل ميل صادق إلي بعث القومية الفارسية.

يقول الطبري: "وسارت الأمور في أول الأمر لا تنذر بوقوع الفتنة بين الأخوين؛ ولعل الأمين كان يقدر أن أباه سيموت في رحلته الأخيرة إلي خراسان، فأعد لأخيه المأمون كتابا يواسيه، ويدعوه فيه أن يشد من أزره بحكم أخوته"[3]. ولكن كانت هناك بوادر خلاف بين الأخوين زادها اشتعالا وزيراهما؛ كل يناصر مولاه.

بداية النزاع:

ومع كل الود والتحية التي بعثها الأمين لأخيه المأمون يواسيه ويشد من أزره نجد أن المأمون تمرد علي أخيه؛ معلنا وجود وصية مؤداها أن الجند والمال في جيش أبيه له من دون الأمين، حتى أنه لا حق بجنده الفضل بن الربيع الذي كان رحل بالجند والمال؛ فلما لم يلحقوهم، قال الفضل بن سهل للمأمون: "أعداء استرحت منهم؛ فلا تهتم لذلك؛ فالخلافة صائرة إليك، وأنت قد قرأت القرآن، وسمعت الأحاديث، وتفقهت في الدين؛ فالرأي أن تبعث إلي من بالحضرة من الفقهاء، فتدعوهم إلي الحق والعمل به وإحياء السنة"[4].

---

[1] مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق، جـ٣، ص٣٢١.

[2] الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، ص١٧٩.

[3] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٥٩.

[4] مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق، جـ٣، ص٣٢١.

وفي هذا تحريض ساف من الفضل بن سهل للمأمون علي عصيان أخيه ومعاداته.

ورد الأمين علي أخيه المأمون متحديا بإدخال ابنه موسى في ولاية العهد في سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م، وسماه "الناطق بالحق". وكتب الأمين إلي جميع العمال في الأمصار بالدعاء لابنه موسى بعد الدعاء لأخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن. ثم تحرش الأمين بالمأمون وطلب منه أن يقدم ابنه موسى علي نفسه؛ فرد المأمون ذلك وأخبر الرسل الذين بعثهم الأمين بامتناعه فما كان من الفضل بن الربيع إلا أن ألح علي الأمين في خلع المأمون، وإسقاط ذكره من علي المنابر وتقديم ابنه. ووجه رسولا إلي مكة، وأخذ من الحجبة الكتابين اللذين كتبهما الرشيد؛ فمزقهما وأبطلهما. كذلك عزل الأمين في سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م أخاه القاسم المؤتمن عن جميع ما كان ولاه أبوه الرشيد من أعمال وهي الشام وقنسرين والعواصم والثغور؛ فتنكر المأمون من ذلك وأظهر الفساد بينه وبين الأمين[1]. واعتبر ذلك مقدمة لعزله.

تطور النزاع:

مر النزاع بين الأخوين: الأمين والمأمون في مرحلتين: مرحلة سلمية حاول فيها الأمين الوصول إلي ما يريد؛ بالسياسة والمراسلة والضغط علي أخيه المأمون كنوع من التهديد، وقابله المأمون بمثل ما فعل مع استعداده للقتال في أي لحظة. ثم مرحلة صدام مسلح حيث تقارعت السيوف وانتهت المعركة لصالح المأمون، وفقد الأمين عرشه وحياته معا.

المرحلة السلمية:

قاد العملية السياسية لكل من الأخوين المتنافسين وزيراهما: الفضل بن الربيع وزير الأمين، والفضل بن سهل وزير المأمون. وقد وردت أخبار

---

[1] مجهول المؤلف، مرجع سابق، جـ٣، ص٣٢٢-٣٢٣.

مراسلات الأخوين في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير دون ترتيب تاريخي[1]، وأيضا في غيرهما من ثقات المؤرخين. وبصفة عامة تعطينا صورة عن سير مرحلة النزاع نجملها في الآتي:-

١-محاولة الأمين أخذ الحيطة وتركيز كافة القوى في يديه حيث شعر بعلة أبيه ودنو أجله في طوس، وإرساله من يأتيه بأخباره، وبرسائل يسأل فيها عن صحة والده الرشيد ظاهرة؛ ورسائل أخرى باطنة تطلب من القادة والجند العودة إلي بغداد في محاولة منه تجريد أخيه من القوة؛ رغم أن الرشيد أوصى قبل وفاته بأن يكون الجيش للمأمون، واعتمد الأمين علي وجود الفضل بن الربيع برفقة القوات العباسية في طوس كافيا لإعادة هذه القوات إلي بغداد دون تكملة مسيرتها إلي مرو حيث المأمون[2].

٢-وفي المقابل حاول المأمون توطيد مركزه؛ وذلك باسترضاء الخراسانيين ليقفوا بجانبه؛ فكرم القادة وكبار الشخصيات والفقهاء، وسلك طريق العدل وخفض ربع الخراج، حتى سر بذلك الناس، وكانوا يرددون دائما: "ابن اختنا وابن عم رسول الله"[3]. ومن جهة أخرى حافظ المأمون علي مظاهر الولاء لأخيه، وتواترت كتب المأمون إلي الأمين بالتعظيم والهدايا من طرف خراسان.

٣-شرع الأمين بسط نفوذه بأن عزل أخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن من ولاية العهد وتقديم ابنه موسى عليهما؛ فبدأ بالقاسم الذي كان أبوه ولاه الشام وقنسرين والعواصم والثغور؛ فعزله عن

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٧٤-٣٨٤و ٣٩٤-٤٠٥. وأيضا ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦٣.

(2) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، ص٢٧٧.

(3) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦٠-٣٦١.

الجزيرة أولا ثم عن الولاية كلها، في سنة ١٩٤هـ=٨٠٩م، وولى مكانه خزيمة بن خازم[١]. وأمره المقام بمدينة السلام. أما ابن الأثير فذكر أن الأمين عزل أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة، وأقره علي قنسرين والعواصم، واستعمل علي الجزيرة خزيمة بن خازم[٢]. وقد تم ذلك دون عناء كبير لقلة أنصار القاسم الذي لحق بأخيه في خراسان سنة ١٩٧هـ=٨١٢م؛ فولاه جرجان[٣]. وقد أدرك المأمون منذ سمع بعزل أخيه القاسم ما سيفعله الأمين به؛ فقطع البريد عنه، ومحا اسمه من الطراز[٤] إيذانا بعدم الموافقة علي قرار الأمين واستنكارا لتصرفه مع القاسم، وضرب الدنانير والنقود بخراسان، ولم يثبت فيها اسم محمد، وسمى نفسه "إمام الهدى" وكوتب بذلك[٥].

٤-شرع الأمين في مغازلة أخيه المأمون بإضعافه بتقليم أظفاره والحد من نفوذه. وكان يطلب منه بعض أرض ولايته، ولكن أحد المستشارين "القاسم بن صبيح" نصح الأمين إلا يفعل حتى لا يسوء ظن المأمون ويأخذ حذره[٦] ويقول الدينوري: "فإذا قدم عليك وفرقت بينه وبين جنده ظفرت به وصار رهنا في يدك"[٧]. وأرسل الأمين وفدا بهذه الرسالة فأكرمه المأمون؛ وحار ما يجيب أخاه. ولكن الفضل بن سهل شد من عزيمته ونصحه بتقوية الجيش

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٧٤.

(٢) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦٢.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٣٩و ٤٤٥.

(٤) راجع مصر في فجر الإسلام ص٢٨٦-٢٨٧: دكتورة سيدة كاشف وما ذكرت من مراجع.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٤٨٩.

(٦) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، ص٢٩١

(٧) الدينوري؛ الأخبار الطوال، جـ٢، ص١٣١.

والاعتذار عن المسير، ودبج للاعتذار رسالة ورد فيها: "إن الإمام الرشيد ولاني هذه الأرض... ومتى نزلت عنها لم آمن انتقاض الأمور فيها وغلبة أعدائها بما يصل ضرره إلي أمير المؤمنين حيث هو؛ فرأي أمير المؤمنين أن لا ينقض ما أبرمه الإمام الرشيد".

٥-عاود الأمين الطلب مرة أخرى، وطلب من المأمون أن يسلمه بعض كور خراسان، وأن يرسل إليه العمال من قبله، وأن يقيم عامل بريد لديه، فاضطرب المأمون، وعقد مجلس شورى وافق علي طلبات الأمين، إلا أن الفضل ابن سهل رأي رفض مطالب الأمين. ثم كتب الأمين إلي أخيه المأمون يأمره بالقدوم عليه مع جميع القواد؛ فكتب إليه يعلمه أنه لا سمع عليه في هذا ولا طاعة؛ فكتب الأمين إلي من بخراسان من القواد؛ فإجابوه بمثل ذلك وقالوا: إنما يلزمنا لك الوفاء، إذا وفيت لأخيك، وأنت قد نقضت العهود، وأحدثت الأحداث، واستخففت بالإيمان والمواثيق[1].

٦-ثم عاود الأمين الكتابة إلي المأمون وأرسل له الرسالة التالية: "أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين الرشيد، وإن كان أفردك بالطرف، وضم إليك ما ضم من كور الجبل، تأييدا لأمرك، وتحصينا لطرفك، فإن ذلك لا يوجب لك فضلة المال عن كفايتك إلي ما يفضل من رده، وقد ضم لك إلي الطرف كورا من أمهات كور الأموال لا حاجة لك فيها، فالحق فيها أن تكون مردودة في أهلها، ومواضع حقها، فكتبت إليك أسألك رد تلك الكور إلي ما كانت عليه من حالها؛ لتكون

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٣٦.

فضول ردها مصروفة إلي مواضعها، وأن تأذن لقائم بالخبر يكـون بحضرتك يؤدي إلينا علم ما نعنى به من خبر طرفك.."[1].

٧-أحيط الوفد القادم من الأمين منـذ وصـل حـدود أرض المـأمون بالنتيجة مسبقا. فلم يدعه الفضل بن سهل يقابل أحدا غير المـأمون. وسماه أمام الوفد "بالإمام" ومنعه مناقشته. وكلـف المـأمون الوفـد بإبلاغ أخيه الأمين رسالة شفوية ورد فيها: "لا تبعثني يا ابـن أبـي علي مخالفتك، وأنا مذعن بطاعتك، وأرضى حكم الحق في أمـرك، أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك.." وقـال أيضـا للوفد: "أعلموه أني لا أزال علي طاعته حتى يضطرني بترك الحـق الواجب إلي مخالفته..."[2].

٨-ثار الأمين علي رفض أخيه لمطاليه، فبعث بكتاب مـلأه بالتـهديد والوعيد قال فيه: "... بلغني كتابك غامطا لنعمة الله عليك معترضـا لحراق نار لا قبل لك بها... وإن كان قد تقدم منـي متقـدم فليـس بخارج عن مواضع نفعك... فاعلمني رأيك". فأجاب المـأمون: "... أولى به (أي بالأمين). أن يدير الحق في أمره، ثم يأخذ به ويعطـي من نفسه. وأما ما وعد من بر طاعته وأوعد من الوطأة بمخالفتـه. فهل أحد فارق الحق في فعله فأبقى للمتبين موضع ثقة بقولـه؟. إن شاء الله"[3].

٩-وحين صرح الأمين بالخلاف؛ أرسل وفدا من ثلاثة رجـال عليـه العباس بن موسى بن عيسي يطلب إلي المأمون تقديم موسـى بـن

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٨٠.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٨٠-٣٨١.

[3] المرجع السابق، ص٣٨١.

الأمين. ويذكر له أن جد العباس (رئيس الوفد عيسي بن موسى) قد تنازل عن ولاية العهد مرتين. وكاد المأمون يقر ذلك لولا أن الفضل بن سهل تمكن من إيقاف النقاش، وقال: "اسكت: لقد كان جدك بين أيديهم أسيرا، وهذا بين أخواله وشيعته"[1]. ومع ذلك استطاع الفضل بن سهل أن يمني رئيس الوفد بالوعود، ويأخذ منه البيعة للمأمون، ويجعل منه عينا في بلاط الأمين؛ يكتب إلينا (إي إلي الفضل بن سهل) بالأخبار ويشير علينا بالرأي"[2].

وبدأ النزاع يدخل وجهة أخرى هي مرحلة الحرب، ومع ذلك استمر النزاع السياسي قائما خلال الحرب الأخوية؛ فالمأمون يلقب نفسه بالإمام لا بالخليفة؛ ذلك أن المسلمين لم يألفوا حتى تلك الفترة علي وجود خليفتين في آن واحد. ثم إن المأمون تريث بالخلع عدة أشهر متخوفا من ذلك، ثم جهر بالخلع سنة ١٩٦هـ=٨١١م حين انتصر جيشه علي جيش علي بن عيسي بن ماهان قائد أخيه الأمين. ولعل المأمون رأي في اتخاذ لقب "الإمام" تأكيدا للسلطة الدينية التي يحتاجها في نضاله.

ومما زاد الموقف اشتعالا أن الأمين وجه إلي أم عيسي بنت موسى الهادي زوجة المأمون يطلب منها جوهرا كان عندها للمأمون، فمنعته وقالت: ما عندى شئ أملكه فوجه من هجم منزلها، فانتهب كل ما فيه، وأخذ ذلك الجوهر، فلما انتهي ذلك إلي المأمون جمع القواد الذين قبله، فقال لهم: قد علمتم ما كان أبي شرط علي وعلي محمد، وقد نكث ونقض العهود، وأوجد السبيل إلي خلعه بنكثه ونقضه وتعرضه لأموالي وأسبابي وأعمالي، وتحريفه الشروط والعهود

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٨٠-٣٨١.

[2] المرجع السابق، ص٣٨١.

التي عليه، واستخفافه بحق الله فيما نكث من ذلك، واشتغاله بالخصيان، فاتفق رأيهم على مراسلته، فإن رجع وإلا خلعوه[1].

مرحلة الحرب:

وما أن بلغ الأمين ما اتفق عليه رأي مستشاري المأمون حتى اختار قادته عصمة بن أبي عصمة السبيعي لقتال المأمون، وسير جيشا كثيفا؛ فخرج حتى صار إلي حد خراسان، ثم وقف وكتب إليه الأمير يحركه على المسير فامتنع، وقال: أخذت علينا البيعة أن لا ندخل خراسان، وأخذت عليك إلا تدخلها، ولا ترسل أحدا إليها، فإن جاءني إنسان من قبل المأمون إلي هاهنا قاتلته، وإلا لم أجز الحد، فوجه الأمين علي بن عيسي بن ماهان واليا علي خراسان، وأمره باشخاص المأمون ومن معه، وضم إليه من القواد والجند أربعين ألف مرتزق، وحملت إليه الأموال، ودفع إليه قيد فضة، وقال: إذا قدمت خراسان قيد بهذا القيد المأمون، وأحمله إلي[2].

وذكر ابن الأثير اختيار علي بن عيسي بن ماهان لقيادة جيش الأمين بأن العين التي بثها الحسن بن سهل عند الفضل بن الربيع أشار عليه إنفاد ابن ماهان لحربهم وكان مقصوده أن ابن ماهان لما ولي خراسان أيام الرشيد أساء السيرة في أهلها فظلمهم، فعزله الرشيد لذلك. ونفر أهل خراسان عنه وأبغضوه فأراد ذو الرياستين أن يزداد أهل خراسان جدا في محاربة الأمين وأصحابه، ففعل ذلك الرجل ما أمر ذو الرياستين، فأمر الأمين علي بن عيسي بن ماهان بالمسير، وقيل: كان سببه أن عليا قال للأمين: إن أهل خراسان كتبوا إليه يذكرونه أنه إن قصدهم هو أطاعوه، وانقادوا له، وإن كان غير ذلك فلا فأمره الأمين بالمسير وأقطعه كور الجبل كلها نهاوند، وهمذان، وقم، وأصبهان، وغير

---

(1) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٣٦.

(2) المرجع السابق، ص ٤٣٧.

ذلك وولاه حربها وخراجها، وأعطاه الأموال وحكمه في الخزائن، وجهز معـــه خمسين ألفا"[1].

ويصف لنا ابن الأثير مشاعر الأمومة والأخوة التي أعربت عنها زبيـدة أم الأمين بقوله: "فلما عزم علي بن عيسي بن ماهان علي المسير مـــن بغـداد، ركب إلي باب زبيدة أم الأمين ليودعها، فقالت له: يا علي إن أمير المؤمنيـن إن كان ولدي، وإليه انتهت شفقتي، فإني علي عبد الله منعطفة مشفقة لمـــا يحـدث عليه من مكروه وأذى. وإنما ابني ملك نافس أخساه فـي سـلطانه الكريـم...، فأعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته ولا تتطاول عليه بالكلام فإنك لست بنظـيره، ولا تقتسره اقتسار العبيد، ولا توهنه بقيد، ولا غل، ولا تمنع عنـه جاريـة، ولا خادما، ولا تعنف عليه في السير، ولا تساوه في المسيرة، ولا تركب قبله، وخـذ بركابه، وإن شتمك فاحتمل منه؛ ثم دفعت إليه قيدا من فضة"[2]. ويقول الطـبري: "وخرج علي بن عيسي بن ماهان لسبع ليال خلون مـن شـعبان سـنة خمـس وتسعين ومائة هـ ٨١٠م من بغداد حتى عسكر بالنهروان وخرج محمـد يشـيعه، وركب القواد والجنود وحشرت الأسواق، وأشخص معه الصناع والفعلة، فيقـال: إن عسكره كان فرسخا بفسطاطيه وأثقاله؛ فذكر بعض أهل بغداد أنهم لهم يـروا عسكرا كان أكثر رجالا، وأفره كراعا، وأظهر سلاحا، وأتم عده وأكمل هيئة من عسكره"[3].

وفي موضع آخر يقول الطبري: "ولما جاز علي بن عيسي بـن ماهـان حلوان لقيته القوافل من خراسان؛ فكان يسألها عن الأخبار؛ يستطلع علـم أهـل خراسان، فيقال له: إن طاهرا مقيم بالرى يعرض أصحابه، ويرم آلته؛ فيضحـك

---

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٧١.

[2] المرجع السابق، ص٣٧١-٣٧٢

[3] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٠٦.

ثم يقول: وما طاهر! فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني، أو شرارة من ناري، وما مثل طاهر يتولى علي الجيوش، ويلقى الحروب"[1]. ويقول أيضا: "وكان علي بن عيسي بن ماهان يقول لأصحابه: "بادروا القوم، فإن عددهم قليل، ولو زحفتم إليهم لم يكن لهم صبر علي حرارة السيوف وطعن الرماح، وعبأ جنده ميمنة وميسرة وصير عشر رايات، في كل راية ألف رجل، وصير أصحاب الدروع والجواشن والخود أمام الرايات، ووقف في القلب في أصحابه من أهل البأس والحفاظ والنجدة منهم[2].

وكان مع عبد الله بن طاهر أربعة آلاف جندي؛ فخرج بهم لملاقاة جند الأمين واشتبك الجيشان في شهر شوال سنة ١٩٥هـ=٨١٠م، وحاول طاهر بن الحسين المراوغة، وتكرار قصة صفين بأن علق عهد البيعة علي الرماح، ونادي مناد: يا علي بن ماهان ألست أنت الذي أخذ البيعة من الناس لعبد الله!!!؟[3].

ووقع القتال بين الطرفين؛ وكانت نتيجة المعركة غير متوقعة؛ إذ هزم جيش الأمين، وقتل قائده علي بن عيسي بن ماهان، ويقول ابن الأثير: "وخرج من أصحاب علي بن عيسي بن ماهان رجل يقال له: حاتم الطائي يريد ضرب طاهر بن الحسين فحمل عليه طاهر، وأخذ السيف بيده، فصرعه، فلذلك سمي طاهر ذا اليمينين"[4]. وكتب طاهر إلي الفضل بن سهل يبشره بالنصر كتابا قصيرا جاء فيه: "أطال الله بقاءك، وكبت أعداءك، وجعل من يشنوك فداءك؛ كتبت إليك ورأس علي بن عيسي بين يدي وخاتمه في أصبعي؛ والحمد لله رب

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٤٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠٩-٤١٠.

(٣) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٧٣-٣٧٤.

(٤) المرجع السابق، ص٣٧٤.

العالمين"[1]. وما أن وصل الكتاب إلي الفضل بن سهل حتي نهض؛ فسلم علـــي المأمون بأمير المؤمنين وأمد طاهرا بالقواد والرجال وسماه "ذا اليمينين"[2].

واقم هزيمة جيش ابن ماهان علي الأمين وجند بغداد:

كان من نتائج هزيمة جيش علي بن عيسي بن ماهان الغير متوقـــع؛ أن ثار الجند ببغداد، وطلبوا الأرزاق لاعتقادهم أن الأمين أصبح في حاجة إليـــهم، فاجابهم إلي مطالبهم، وأعطاهم أرزاق أربعة أشهر. وعلي عجل وجـــه الأميـــن قائدا من قواده يسمي عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألف رجل إلـــي همذان لقتال طاهر، فحصن المدينة، واستعد للقتال، وخـــرج إليـــه طـــاهر بـــن الحسين، واقتتل الفريقان قتالا عنيفا انتهي بهزيمة عبد الرحمن وقتله، وانتصـــر طاهر، ثم توجه إلي قزوين ودخلها؛ ففر قائدها من قبل الأمين، وولاهـــا رجـــلا من أصحابه. وبعد وصول هذه الأخبار إلي بغداد اضطربـــت الأحـــوال فيـــها، ورأي الفضل بن الربيع اسناد قيادة الجيش إلي أسد بن يزيد بن مزيـــد[3]، فقبـــل القيادة علي شروط؛ لم يوافق عليها الأمين، وغضب عليه وسجنه، وأسند القيـــادة إلي أحمد بن مزيد[4]. وأمر الفضل بن الربيع أن يدفع له ذخائر أسد، وضم إليـــه

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٣٩٤.

[2] المرجع السابق، ص٣٩٣.

[3] أسد بن يزيد بن مزيد: قائد عربي، والده يزيد بن مزيد الشيباني ابن أخي معن بن زائـــدة الشيباني، تولي أرمينية في سنة ١٨٥هـ=٨٠١م بعد وفاة أبيه، ثم وجهـــه الرشـــيد مـــع جماعة من القادة لصحبة المأمون، وهو متوجه إلي مرو قبل وفاته بثلاثة وعشرين ليلـــة. وقد حبسه الأمين لأنه اشترط عليه أن يدفع إليه ولدي المأمون حتي يكونا أسيرين في يـــده بعد أن كلفه بقيادة الجيش. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨؛ الصفحـــات ٢٧٣، ٣٤١، ٣٦٩، ٤١٨، ٤٢٠) وأيضا (وفيات الأعيان لابن خلكان جـــ٦، ص٣٢٨).

[4] أحمد بن مزيد: قائد عربي من أسرة يزيد بن مزيد الشيباني؛ وجهه الأمين هو وعبـــد الله ابن حميد بن قحطبة بعشرين ألفا من الأبناء، وأمرهما أن ينزلا حلـــوان ويدفعـــا طـــاهرا

رجالا من الجزيرة والأعراب، وبلغ عددهم نحو عشرين ألفا، ثم ضم إليه قائدا آخر هو عبد الله بن حمن بن قحطبة في عشرين ألفا أخرى، وأمرهما أن ينزلا حلوان، ويدفعا طاهر عنها؛ فتوجها حتى نزلا قريبا من حلوان. فدس طاهر بن الحسين الجواسيس في عسكريهما؛ فأوقعوا الخلاف بين القائدين، فتقاتلا ورجعا من حيث أتيا، فتقدم طاهر ودخل حلوان في سنة ١٩٦هـ=٨١١م.

وإزاء هذه النتائج غير المتوقعة؛ جلس المأمون للتهنئة. وبعد عدة أشهر أعلن خلع أخيه الأمين، ودعا لنفسه بالخلافة في خراسان، وتحول جيش طاهر من الدفاع إلي جيش مهاجم، وعبر منطقة الجبال باتجاه العراق[١].

الأمين يواجه موقفا صعبا:

وجد الأمين نفسه في موقف صعب بعد هزيمة جيوشه، ومع ذلك جمع آخر قواته لصد جيش طاهر بن الحسين؛ فجند عشرين ألفا من العرب بقيادة أحمد بن مزيد ومثلهم من الأبناء[٢] بقيادة عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي، ومن ناحية المأمون نجده سلم ما بيد طاهر من البلاد لقائد جديد هو هرثمة بن أعين[٣]، وانحدر من الأهواز ليدخل العراق من الجنوب، فانتصر هناك علي

وأصحابه عنها. كان مشهورا بأنه سيد قومه وأصحهم نية في الطاعة، وله بأس ونجدة وبصر بسياسة الجنود ولقاء الحروب. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك؛ جـ٨، الصفحات ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٣).

(١) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦٣.

(٢) الأبناء؛ هم أبناء الجنود الخراسانية الذين أقاموا في العراق مع جيش أبي مسلم الخراساني واستوطنوها؛ فكانوا فرقة من فرق الجيش العباسي. (شاكر مصطفي؛ دولة بني العباس؛ جـ١، ص٦١٨، ٦٢٠، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٤٩-٦٥٠)

(٣) هرثمة بن أعين؛ أمير عربي الأصل من القادة الشجعان؛ له عناية بالعمران، بني في أرمينية وأفريقية عندما كان واليا عليهما. ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ=٧٩٤م، ثم وجهه إلي أفريقية لإخضاع عصاتها؛ فدخل القيروان سنة ١٧٩هـ=٧٩٥م، وأحسن

محمد بن يزيد المهلبي، وأنفذ العمال إلي البحرين وعمان واليمن ومكة والمدينة.
وبينما كان هرثمة بن أعين يجد في السير إلي العراق عن طريق حلوان لحصار بغداد بعد هزيمة ما كان يرسل الأمين من قوات لصده، وافاه جيش طاهر بن الحسين.

وما كاد جيش المأمون يسجل نصرا علي جيش الأمين سنة ١٩٦هـ=٨١١م حتى زحف المنتصرون علي الفور إلي بغداد وحاصروها، حتى سنة ١٩٧هـ=٨١٢م وحفرت الخنادق، وبنيت الحيطان، وهدمت الدور بالمجانيق والحرادات، وكانت فرصة للعيارين للممارسة اللصوصية والفوضى، وانتهي الأمر باستلام المحاصرين ودخلت جيوش المأمون بغداد، بعد أن فقدت الأمن والأمان والمؤونة[1].

معاملتهم فأصبوه، وأطاعته قبائل البربر الثائرة، وعاد إلي القيراون، وبنى بها القصر المعروف بالمنستير وبني سور طرابلس الغرب، ومكث واليا علي أفريقية سنتين ونصف، وطلب من الرشيد أن يعفيه فنقله سنة ١٨١هـ=٧٩٧، وعقد له علي خراسان؛ فأقام بها، وولاه غزو الصائفة سنة ١٩١هـ=٨٠٦م، ثم ولاه ما كان لعلي بن عيسي بن ماهان فانتقل إلي مرو سنة ١٩٢هـ=٨٠٧م. ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلي المأمون فقاد جيوشه، واقتحم بغداد من جانب وطاهر بن الحسين من جانب آخر، وأخلص الخدمة حتى سكنت الفتنة بمقتل الأمين، ثم نقم عليه المأمون بتحريض من الفضل بن سهل، وعندما توجه إليه أهانه وضربه وحبسه، وأخيرا دس له إليه من قتله وهو في حبسه سرا بمرو سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨؛ صفحات عديدة؛ ٤٢، ١٢٤، ٣٢٠، ٢٥٦، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١٥، ٣٢٣-٣٣٢... ٥٤١-٥٤٣).

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ٣٩٦.

اقتل الأمين:

وما إن ازدادت الحالة سوءاً في بغداد نتيجة الحصار الـذي دام سـنتين حتى أحسّ الأمين بالضيق، وأن الأمر فلت من يده، ومُنعتْ عنه الأموال؛ فـأمر ببيع كل ما في الخزائن من الأمتعة، وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهـم وحملها لأصحابه في نفقاته، كما قاست المدينة من الحصار مـن جـرّاء الـهدم والتحريق وسفك الدماء والجوع الشديد حتى درست محاسنها، وكـادت تمحـى معالمها. وكان الأمين قد استعان في حروبه بالعيارين والشطار والمسجونين مـن أهل بغداد؛ فكان الشرّ الذي أصاب المدينة منهم وبسببهم أكثر مما أصابها مـن العدو المهاجم[1].

ومما زاد الموقف سوءاً أن الأمين وقف ينظر إلي قواده، وهم ينضمـون إلي جيش طاهر، هُمْ ومَنْ معهم من جند؛ ومع ذلك صمّم علي القتال حتى آخـر رمق في حياته، ولم يقف بجانبه سوى أهل بغداد، واستمر القتـال طـوال عـام ١٩٧هـ=٨١٢م وأخيراً صمّم طاهر علي أخذ المدينة عنوة؛ فسار إلي المدائـن واستولى عليها دون قتال، ثم تقدم نحو بغداد، وعسكر علـي الجهـة الشـرقية وحاصر المدينة من جهته أيضاً، واستمر الحصار سنة؛ دافع فيها أهـل بغـداد عنها دفاعاً مستميتاً، ومات من الطرفين خلق كثير، ثم اقتحم طاهر بن الحسـين المدينة عنوة.

ويصف لنا ابن الأثير الموقف الصعب للأمين، يقول: "زيّن بعض القـادة للأمين الهروب بعد أن أحاط به العدو، وقالوا له: قد بقى معك من خيلك سـبعة آلاف فرس من خيارها، ونرى أن تختار من الأبناء سبعة آلاف فتحملهم علـي هذه الخيل، وتخرج ليلاً علي باب من هذه الأبواب؛ فإن الليل لأهله، ولن يثبـت

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٣٩٧.

لنا أحد؛ فتخرج حتى نلحق بالجزيرة والشام، ونؤسس مملكة واسعة ومُلكاً جديداً، فأجابهم الأمين" نعم ما رأيتم"، وعزم علي ذلك.

وبلغ الخبر طاهر، وكان بعض قادة الأمين أثنوه عن عزمه؛ فأجاب إلي طلب الأمان والخروج. وقالوا له: إنما غايتك السلامة واللهو، وأخوك يتركك حيث أحببت وكل ما تحبّ وتهوى، واتفقوا علي أن يسلّموه لهرثمة، ولكن طاهراً اشتد عليه، وأبي أن يدعه يخرج إلي هرثمة.

وقد اتفق أن يخرج الأمين ببدنه إلي هرثمة. ويدفع إليه الخاتم والقضيب والبردة وعلم طاهر بذلك؛ فصمّم علي أن يكون هذا النصر له وليس لهرثمة. ولما تهيأ الأمين للخروج إلي هرثمة عطش قبل خروجه عطشاً شديداً. وفي ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ١٩٨هـ=٨١٣م خرج بعد العشاء إلي صحن الدار وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود، ودعا بابنيه فضمّهما إليه وقبّلهما وبكى، وصعد حراقة هرثمة. فلما دخلها الأمين جثي هرثمة علي ركبتيه واعتذر إليه من نقرس به، ثم احتضنه وضمه إليه، وجعل يقبل يديه ورجليه وعينيه. وأمر هرثمة الحراقة أن تدفع إذا هاجمها طاهر الذي شرع جنوده في الرمي بالآجر والنشاب وثقبوا الحراقة؛ فدخل الماء إليها؛ فغرقت وسقط هرثمة إلي الماء؛ فتعلّق الملاّح بشعر رأسه وأخرجه.

أما الأمين فإنه لما سقط في الماء شق ثيابه وخرج إلي الشط، وأخذه رجل من أصحاب طاهر، وأدخلوه بيتا وهو عريان. وفي منتصف الليل دخل قوم من العجم ومعهم السيوف مسلولة يدفع بعضهم بعضاً؛ وأخذ الأمين بيده وسادة وجعل يقول: ويْحكم أنا ابن عم رسول الله، أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون. الله الله في دمي. فدخل عليه رجل منهم فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه وضربه الأمين عليّ وجهه، وأراد أن يأخذ السيف منه، ودخل جماعة فضربه واحد منهم بالسيف في خاصرته وركبوه؛ فذبحوه ذبحاً من قفاه، وأخذوا رأسه ومضوا به إلي طاهر وتركوا جثته. ثم بعث طاهر برأس الأمين

إلي أخيه المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسين بن مصعب، وكتب معه الفتح[1].

إن نظرة فاحصة إلي الحرب الأخوية، وما قيل فيها، نعلق بالآتي:

١-مبالغة الكتّاب في تقليل جيش المأمون، حيث جعلوه ثلاثة آلاف وثمانمائة مقاتل، أما جيش الأمين الذي ذكروا أنه كان أربعين ألفاً.

٢-استخفاف علي بن عيسي بن ماهان قائد جيش الأمين بطاهر بن الحسين، وعدم إعطائه القيمة التي يستحقها، ثم ضعف معنويات جيش الأمين الثاني والذي يتمثل في عودة قائده أحمد بن مزيد دون قتال. كذلك أندس في جيش الأمين اللصوص والشطار والعياريون والمساجين، والذي كان هدفهم الوحيد السلب والنهب. ولم يشتركوا في القتال عن عقيدة ومبدأ.

٣-ثبت أن جيش خراسان وجيش الأبناء الموجودين في جيش الأمين ويشكلون القوة الأساسية فيه لم يخلص له بأي حال؛ فكان أفراد الجيشين ميالين إلي شيعة المأمون، الموجود بين أخواله في خراسان مما أضر بالأمين، وأيّد المأمون في انتصاره.

٤-أفسد الأمين جنده بكثرة العطاء دون التأكّد من ولائهم، حتى أنهم عندما شغبوا بعد مقتل قائدهم علي بن عيسي بن ماهان، زاد الأمين في عطائهم.

٥-أخطأ الأمين خطأ كبيراً بتولية علي بن عيسي بن ماهان قيادة الجيش المتجه إلي المأمون في خراسان؛ خاصة وأن الخراسانيين كانوا يكرهونه؛ فقد أقام عندهم زمن الرشيد والياً مدّة، فظلمهم وجمع أموالاً كثيرة منهم، وكانت حكاياته متداولة بين الجنود

---

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٠٢-٤٠٤.

ومعظمهم خراسانيين، فلم يحاربوا عن قناعة مع قائد مكروه؛ بل قاتلوا قتالا رخوا؛ الأمر الذي مكن طاهر بجيشه القليل العدد من التغلب عليه.

٦-وفي المقابل كان المأمون موفقا في اختيار من يقود جيشه؛ فقد كان طاهر بن الحسين من أعظم القادة، وساعده أن الجيش كان متجانسا، ودافع جنوده عن وعود منوا أنفسهم بها.

٧-نشوب الفوضى الشاملة في بغداد، فانتهز اللصوص والشطار من القيام بسلب الناس نهارا جهارا، مما ألزم الكثير علي البقاء في منازلهم ليدافعوا عن زوجاتهم وبناتهم وممتلكاتهم.

٨-أدي قتل الأمين وهزيمة مناصريه، وكان أغلبهم من العرب إلي اختلال التوازن بين القوى العربية والفارسية في الدولة زمن المأمون، الذي أخذ الناس عليه نظره فقط للخراسانيين، مما مهد للجوء المعتصم الذي خلف المأمون الاستعانة بعنصر جديد، هو العنصر التركي.

رابعاً: ولايته للعهد وانتقاله إلي مرو:

ومع تسلسل الأحداث التاريخية نجد أن هارون الرشيد انصرف من مكة سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م، واتجه إلي الرقة، وبايع بها لأبنه عبد الله المأمون بعد ابنه محمد الأمين في سنة ١٨٣هـ=٧٩٩م[1]. ثم إن هارون الرشيد لما قسمَ الدولة بين أولاده الثلاثة، "قال بعض العامة: قد أحكم أمر المُلك، وقال بعضهم: بل يلقى بأسهم بينهم، وعاقبة ما صنع مخوفة علي الرعية"[2].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٦.

وكان سنّ عبد الله المأمون عندما تولى العهد بعد أخيه الأمين ثلاثة عشر سنة، وضمّه إلي جعفر بن يحيى، وولاّه خراسان وما يتصل بها إلي همذان، وقدم المأمون من مدينة السلام في شهر ربيع الأول سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م[١]. ورغم أنه تولى عشر الخلافة بعد قتل أخيه الأمين في سنة ١٩٨هـ=٨١٣م، وكان إن ذاك في الثامنة والعشرين من عمره، ودخل الناس في بيعته عامة، واعترف الجميع بخلافته اعترافاً جلياً صريحاً، ولكنه ظل في مرو عاصمة خراسان، ولم يتركها إلي بغداد عاصمة الخلافة، كما كان يفعل الخلفاء الذين سبقوه[٢].

وينقسم حكم المأمون من الناحية الزمنية إلي مدتين: مدة في مرو وأخرى في بغداد.

وبدأ المأمون حكمه الفعلي في خراسان والجزء الشرقي من الخلافة بعد وفاة والده في سنة ١٩٣هـ=٨٠٨م بطوس، وكان قد وجهه قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلي مرو ومعه جماعة من القادة والقضاة، واتخذ المأمون الفضل ابن سهل وزيراً له علي كافة البلاد التي تحت تصرفه وهي خراسان والأقاليم الشرقية من الدولة العباسية، فكان يطلق عليه الوزير الأمير[٣]. وقد أكد ذلك الجهشياري بأن الفضل كان يؤمر مع الوزارة، وقال إنه أول وزير لُقب بالأمير وأول وزير اجتمع له اللقب والامارة[٤]. ولكي يكسب المأمون محبة الناس في ناحيته جلس للمظالم وتقرب للفقراء، وخفض الضرائب وأمر بإعطاء الجند

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص١٥٣. وأيضاً محمد الخضري؛ الدولة العباسية، ص٢٠٩.

(٢) حسن خليفة؛ الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، ص٩٢.

(٣) ابن طباطبا؛ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، ص١٧٩.

(٤) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، ص٣٠٦.

رزق اثني عشر شهراً. ووضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند أهلها، وقالوا: ابن أختنا وابن عم رسول الله[1].

ثم أن الفضل بن سهل كان يرى أنه صاحب الفضل الأكبر في تأسيس دولة المأمون، وأراد أن يستفيد من الوضع القائم ويستأثر بنفوذ الكلمة فيها، ورأي أنه لن يتم لـه ذلك والعراق بين يدي القائدين طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين اللذين لم يتحمل أن يكونا إلي جانبه هاتين الشخصيتين القويتين؛ ويقول ابن الأثير[2]: "وفي هذه السنة (١٩٨هـ=٨١٣م) استعمل المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل علي كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن بعد أن قتل الأمين. وكتب إلي طاهر بتسليم ذلك إليه... وقدم الحسن سنة تسع وتسعين (أي ١٩٩هـ=٨١٤م) وفرق العمال، وأمر طاهر أن يسير إلي الرقة لمحاربة نصر بن سيار بن شبث، وأرسل إليه يدعوه إلي الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه إلي ذلك؛ فتقدم إليه طاهر والتقوا بنواحي كيسوم واقتتلوا شديداً أبلي فيه نصر بلاءً عظيماً وكان الظفر له، وعاد طاهر شبه المهزوم إلي الرقة. وكان قصارى أمر طاهر حفظ تلك النواحي، وكتب المأمون إلي هرثمة يأمره بالسير إلي خراسان وتسبب تواجد المأمون في مرو بعض الأزمات الداخلية وقيام الثورات ضده، حتى أن عهده حفل بالعداء بين الشيعة والسنّة، وبين العرب والعجم، وأطلقت الشائعات حول المأمون، منها:

١-خشية المأمون من أهل بغداد أنصار أخيه الأمين.

٢-استهدف المأمون نقل عاصمة الخلافة من بغداد إلي مرو ليكون علي مقربة من أنصاره في خراسان، حيث نشأ وتربي في أحضانهم

---

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦١.

[2] المرجع السابق، جـ٥، ص٤١٣.

وعلي حب الفرس؛ وبويع بالخلافة وهو بخراسان؛ فاستبشر خيراً من تواجده فيها.

٣-كان الفضل بن سهل يصرف الأمور علي هواه، ويمسك ناصيتها بيد من حديد.

٤-اشتعال الولايات بالفتن والثورات، خاصة الولايات العربية.

٥-حدوث زعزعة في صفوف الجيش في بغداد، وانتشار الفوضى من جديد وكراهية أهلها للحسن بن سهل عامل المأمون وأخيه الفضل بن سهل وزير المأمون.

٦-وجد المأمون نفسه لا يصله أي شئ من أخبار بغداد، ولم يوصل إليه الفضل بن سهل إلا ما يشتهي؛ وحجب عنه أشياء كثيرة.

وقد أثارت مبايعة المأمون بولاية العهد لعلي بن موسى الرضا في سنة ٢٠١هـ=٨١٦م، وإصداره أمره للجنود بطرح السواد، شعار العباسيين، ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين والكتابة بذلك إلي سائر أنحاء الدولة[1]. فأثارت هذه الخطوة تساؤلات كثيرة لدي الجمهور، خاصة وأن المأمون أمر عماله بالاقتداء به. وفي أواخر سنة ٢٠١هـ، أي نفس السنة التي اختير فيها علي الرضا لولاية العهد، تلقى الحسن بن سهل من أخيه الفضل أمراً بإعلان ذلك وتنفيذه؛ ويقول ابن الأثير: "فكان لذلك أسوأ الأثر في أهل بغداد، وكذلك شعر العباسيون بأن الضربة موجهة للقضاء علي خلافتهم؛ فشقوا عصا الطاعة، وهمّوا بخلع المأمون واختيار خليفة سواه، وعارض زعماء البيت العباسي ذلك، فلم تأت أخر جمعة من هذه السنة حى دُعى لإبراهيم بن المهدي، عم المأمون، علي المنابر خليفة بدلاً من المأمون، وسرعان ما بويع له بالخلافة، ولكن كانت

---

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٣١.

تنقصه المؤهلات التي يستطيع بها أن يضطلع بأعباء الملك التي ألقيت على عاتقه والتي ناء بحملها مدة سنتين"[1].

إن خطوة تولية علي الرضا ولاية العهد التي أقدم عليها المأمون، وهو في مرو، زادت من حدة الانقسام في بغداد بين الناس، ولاسيما عندما بلغهم مقتل هرثمة بن أعين.

اغتيال هرثمة بن أعين نتيجة تحريض الفضل بن سهل:

وما أن انتهي هرثمة بن أعين من القضاء علي الفتن الداخلية، ونال إعجاب الجيش بحسن تدبيره وقيادته الرشيدة، انتهز الفضل بن سهل أن المأمون يريد أن يعرف ما يدّبر عليه الفضل وما يكتم عنه من أخبار، بعد أن وصلته الأخبار بأنه لا يريد أن يدعه الذهاب إلي بغداد ليتوسط سلطانه، وما علمه الفضل، حتى قال للمأمون: "إن هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد ودسّ أبا السرايا وهو من جنده، ولو أراد لم يفعل ذلك. وقد كتبت إليه عدّة كتب ليرجع إلي الشام والحجاز فلم يفعل، وقد جاء مشاقاً يُظهر القول الشديد فإن أطلق هذا كان مفسدة لغيره، فتغيّر قلب المأمون"[2]. وأمر المأمون هرثمة بالتوجه إلي ما أسند إليه من أمر الشام والحجاز، ولكن هرثمة رفض قبل أن يرى أمير المؤمنين ويخبره حقيقة الأمر في الدولة.

ويقول ابن الأثير: "إن هرثمة أبطأ إلي ذى القعدة سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م، وتوجه إلي مرو، وقد صمّم علي مقابلة الخليفة. فلما بلغ مرو خشي أن يُكتم قدومه علي المأمون، فأمر بالطبول فضربت لكي يسمعها المأمون؛ فسمعها. فقال: ما هذا؟ قالوا: هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق؛ فظن هرثمة أن قوله المقبول. فأمر المأمون بإدخاله فلما دخل عليه قال له المأمون: مالأت أهل الكوفة

---

[1] المرجع السابق، ص٤٤١.

[2] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٢٤.

العلويين، ووضعت أبا السرايا، ولو شئت أن تأخذهم جميعاً لفعلت؛ فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر فلم يُقبل منه. فأمر به فديس بطنه وضرب أنفه وسحب من بين يديه، وقد أمر الفضل الأعوان بالتشديد عليه، فحبس فمكث في الحبس أياماً ثم دُسّ إليه من قتله، وقالوا مات"[1].

وعلي هذا النحو مات قائد المأمون الذي شارك طاهر بن الحسين في الإطاحة بأخيه الأمين والاستيلاء علي بغداد.

ورغم الحرص الشديد من قبل الفضل بن سهل علي عدم تسريب الأخبار إلي المأمون عن حقيقة الوضع بالعراق، وتلفيق الأخبار، واتهام القائد هرثمة بن أعين بإثارة الأحداث وافتعال المشكلات؛ فإن ولي العهد علي الرضا هو الذي سرب للمأمون الأخبار، وحذره من وزيره الفضل بن سهل، وخوّفه سوء عاقبة ما يجرى في بغداد، وطلب منه الخروج إليها، قائلاً: "يا أمير المؤمنين؛ إن الناس ببغداد قد انكروا عليك مبايعتي بولاية العهد، وتغيير لباس السواد. وقد خلعوك وبايعوا عمّك إبراهيم بن المهدي". وأحضر علي الرضا إليه جماعة من القواد ليخبروه بذلك. فلما سألهم المأمون أمسكوا وقالوا: نخاف من الفضل. فإن كنت تؤمننا من شرّه أخبرناك. فأمنهم وكتب لهم بخطه؛ فأخبروه بصورة الحال، وعرّفوه خيانة الفضل وتعمية الأمور عليه وستره الأخبار عنه[2].

كما نصح جماعة من قواد الدولة وزعمائها المأمون بأن خير علاج لسلامة الدولة أن يعجل إلي بغداد، وقالوا له: إن هذه كانت نصيحة هرثمة بن أعين، التي جاء من أجلها ليُسّرها إليك؛ لو أنك أمهلته واستمعت إليه. فأيقين المأمون أخيراً أنه استسلامه للفضل وانقياده له كان سبباً لكل ما حدث من الفتن والثورات فأمر بالانتقال إلي بغداد[3].

---

(1) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٢٤-٤٢٥.

(2) ابن طباطبا؛ الفخري في الأداب السلطانية والدولة الإسلامية، ص١٧٧.

(3) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٥، ص٥٦٤. وأيضاً أحمد فريد الرفاعي؛ عصر المأمون، جـ١، ص٢١٢.

ويقول ابن الأثير: "سار المأمون من مرو إلى العراق سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م واستخلف علي خراسان غسّان بن عُبادة. وكان سبب مسيره أن علي بن موسى الرضا أخبر المأمون بما كان فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل الأمين، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من أخبار، وأن أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء، وأنهم يقولون: مسحور مجنون، وأنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة فقال له المأمون: لم يبايعوه بالخلافة، وإنما صيّروه أميراً يقوم أمرهم علي ما أُخْبر به الفضل. فأعلمه أن الفضل قد كذبه، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وإبراهيم. والناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه الفضل ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك"[1].

ويعلق علي ذلك الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بقوله[2]: "يمكن أن نقول إن المأمون أرتكب خطأة خطيرة في بقائه في مرو بمحل قصيٍّ من مملكته. وكان الأجدر به أن يرجع إلي بغداد معقل السلطة العباسية ورمزها؛ فكان لعمله هذا نتائج سيئة علي الدولة. ولعل الظروف هي التي جعلت المأمون يبقي في مرو، أهمها أثر بني سهل وميولهم الفارسية، وهم يفضلون أن يكون مركز الدولة بين الفرس في خراسان. كما كان تفويض المأمون إدارة البلاد إلي الفضل بن سهل أثر هام في إحداث مشاكل أخرى للخليفة. هذا إلي سخط بعض العناصر العربية علي السياسة الفارسية الجديدة، وإلي العداء المتأصّل بين العلويين والعباسيين".

هذا وأضيف إلي ما سبق أن الفضل بن سهل إمّا أنه كان يريد أن يحوّل الخلافة الإسلامية إلي مرو فيجعلها حاضرة البلاد الإسلامية، وإما أنه كان

---

[1] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٤٤-٤٤٥.

[2] عبد العزيز الدوري، دكتور؛ العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ص١٥٨-١٥٩.

يخشى علي نفوذه من أن يضعف إذا انتقل الخليفة إلي بغداد، وبها الألسنة التـــي لا تمل الوشايات؛ فنتج عن هذا التدبير مضار شـــديدة واضطرابـــات. وخـــرج المأمون من مرو متوجهاً إلي العراق، ومعه ولي عهده علي الرضا ووزيـــره ذو الرياستين الفضل بن سهل وجمع غفير من رجال الديوان. فلما صـــار المـــأمون بقومس[1]، قُتل الفضل بن سهل وهو في الحمام سنة ٢٠٢هـــ=٨١٧م[2]. كمـــا مات علي الرضا في طوس[3] سنة ٢٠٣هـــ=٨١٧م، وكان المأمون كلما مرّ ببلد أقام فيه وينظم أموره، وينظر في مصالح أهله. واستخلف علي خراســـان عنـــد خروجه رجاء بن أبي الضحاك قرابة الحسن بن سهل، وكـــانت خراســـان قـــد استقامت وأعطي ملوكها جميعاً الطاعة وأسلم ملك التبت.."[4].

أما ذكره صاحب كتاب "العيون والحدائق" عـــن الفـــترة قبيـــل دخـــول المأمون بغداد، وأثنائها: "وكتب قواد المأمون ما حلّ بالحسن بن سهل من غلبـــة السوداء[5] عليه وشدّه في الحديد وحبسه، فأثارهم الجواب أن يكون معي علـــي عسكره دينار بن عبد الله ويعلمهم أنه قادم بغداد علي إثـــر كتابـــه؛ فـــاضطرب الناس علي إبراهيم بن المهدي وعادت الفتن واشتد وقوعها، ودخل أكثر عســـكر

---

[1] قومس: كورة كبيرة بخراسان واسعة تشتمل علي مدن وقرى ومزارع وقصبتها المشهورة دامغان، ومن مدنها بسطام وسمنان. (معجم البلدان؛ جـــ٤، ص٤١٥).

[2] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي؛ جـــ٢، ص٤٥١.

[3] طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشر فراسخ تشتمل علي بلدتين يقال لأحدهمـــا الطابران وللأخرى نوقان. ولهما أكثر من ألـــف قريـــة، وبـــها قـــبر هـــارون الرشـــيد (ت١٩٣هـــ=٨٠٩م)، وقبر علي بن موسى الرضا (ت٢٠٣هـــ=٨١٧م). خرج منها جمـــع غفير من أئمة العلم والفقه منهم: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأخيه أبـــي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي. (معجم البلدان؛ جـــ٤، ص٤٩).

[4] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي؛ جـــ٢، ص٤٥٢.

[5] السوداء: مرض يطلق عليه مرض الماليخوليا، وهو فساد الفكر. (أقرب الموارد، جـــ١، ص٥٥٥).

الحسن بن سهل بغداد، وأمّنوا جماعة كانوا أطاعوا إبراهيم بن المـــهدي وكــثر العبث والفساد ببغداد، وظهر الشطارون[1] والعيارون[2]. واختفي الفضـــل بـن الربيع، وكان قد ظهر لما وقعت الفتن ببغداد. فلما كان يوم الثلاثاء لاثنى عشـــر ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٢٠٣هـ=٨١٧م هرب إبراهيم بن المهدي، فطُلـب فلم يوجد. ولم يزل إبراهيم متوارياً حتى قدم المأمون بغداد؛ فكانت أيام إبراهيـم كلها سنة وأحد عشر شهراً[3].

وفي سنة ٢٠٤هـ=٨١٨م دخل المأمون بغداد؛ فخرج جميع بني هاشـم وجميع من ببغداد إلي النهراون لتلقيه ودخل مدينـة السـلام ولبـاس أصحابـه الخضرة وأعلامهم وقلانسهم وطاهر بن الحسين معهم. وكان قد سار إليـه مـن الرقة. ولما وصل المأمون انقطعت الفتن وأمن الناس. وكان وصول المأمون في النصف من صفر. ثم إن بني العباس تكلموا في لباس السواد وذكروا كراهيتـهم للثياب الخضر، وخاطبوا طاهر بن الحسين في ذلك، وكاتبه أيضاً قواد خراسـان. وكان المأمون أمر طاهراً أن يسأله حوائجه فكان أول حاجة سأله أن يرجع إلـي لبس السواد وزي دولة الأباء؛ فلما رأي المأمون طاعة النـاس لـه فـي لبـس الخضرة مع كراهيتهم لها؛ جمع الناس ثم دعا لقواده بـارتداء السـواد وطـرح الناس الخضرة، فكان لباسه للخضرة ببغداد نحواً من أسبوع وعاد إلي السواد[4].

---

[1] الشطار: جمع شاطر، وهو الخبيث الفاجر (المعجم الوسيط، جـ١، ص٤٨٥).

[2] العيارون: جمع عيار، وهو الرجل الذي يخلي نفسه وهواهـا لا يروعـها ولا يزجرهـا (الشرتوني، أقرب الموارد، جـ٢، ص٨٥٣).

[3] مؤلف مجهول (من القرن السابع الهجري)؛ كتاب العيون والحدائق، جـ٣، ص٣٥٧.

[4] المرجع السابق، ص٣٥٨-٣٥٩.

الفصل الثانى
المأمون بعد توليه الخلافة

تقديم: قام حكم المأمون على ركائز ثلاثة: الدين والجيش والكتّاب، فالدين الإسلامى هو أساس الدولة، وكان المأمون عالماً وفيلسوفاً، متفقهاً فى الدين مما حبب الناس إليه. وكان قوياً، اعتمد على الخراسانيين والعرب، وساعد المأمون فى القضاء على المناوئين والخارجين على الدولة وعلى الثورات المحلية، وعلى إيجاد حالة استقرار نسبي فى البلاد، أما النظام الإدارى للدولة فكان استمراراً لما قبله وقد وفَق فى ضبط الأقاليم وجباية الخراج وفى النظر فى كافة الشئون المالية والإدارية.

أولاً: السياسة العامة للمأمون

وكانت سياسة المأمون تتسم بالحزم والحسم، يتمثل ذلك فى محاربة أخيه دون هوادة، وكان فى إمكانه أن يأمر قائده طاهر بن الحسين أن يكتفي بالقبض عليه . ولعله فعل ذلك!!. ثم نجده بعد ذلك يبكى على وفاته عندما يذكر اسمه. واستعان ببني سهل حتى أوصلوه إلى العرش والخلافة، ثم نكب الفضل بن سهل لأنه ضاق ذرعاً بتدخلاته وسيطرته على كل كبيرة وصغيرة فى الدولة وعوض ما يحلو له على المأمون. وأيضاً استفاد من أخواله وهم أهل خراسان وأيقظ فى أنفسهم روح القومية والاعتزام بالخرسانية، فلما تمكن من الحكم لم يعد يسأل عنهم.

سياسة مزج الدين بالدولة:

كان المأمون عالماً فليسوفاً اهتم بالنهضة العلمية والفلسفية؛ وكان متفوقاً على كثير من علماء عصره فى الحديث والفقه ودراسة القرآن وفهمه. وقد

اعتنق مبادئ المعتزلة وحاول نشرها؛ وكان يعتقد أن التقدم والرقى إنما يتوقف على اعتناق مبادئ المعتزلة[1].

العناية بالعلم والعلماء:

كان عصر المأمون يعج بالعلماء والشعراء والأدباء ورجال الطب والفلاسفة الذين كانوا يهرعون إليه من كل حدب وصوب على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، وكان يتفانى فى إكرامهم، ويشمل كل من يقصده منهم ببره وعطفه دون أى تفرقة[2]. وكان له ولع شخصى بالأمور العلمية الفلسفية، ويقول ابن العبرى: "وكان أول من عُنِىَ من الخلفاء العباسيين بالعلوم الخليفة الثانى المنصور ... ولما أفضت الخلافة إلى المأمون تمّم ما بدأ به جدّه المنصور فأقبل على طلب العلم فى مواضعه، وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة، فبعثوا إليه منها ما حضرهم واستعان بمهرة التراجمة وكلّفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حرض الناس على قراءتها[3].

وآخر ما نذكره من سياسة المأمون إفساح المجال للفرس فى تصريف شئون الدولة: ويرجع ذلك إلى نفسيته وتربيته والمحيطين به؛ فقد كانت أم المأمون فارسية، ونشأ وهو فتىً ليرى نفسه وسط حزب فارسي فى بلاط والده الخليفة هارون الرشيد. ثم كان مقر عمله فى خراسان حتى استخلف، ومعظم من

---

(1) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣٨.

(2) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٥١-٦٦٦، وابن الأثير؛ الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص ٨-١٣، وأيضاً سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٢٣٩.

(3) ابن العبرى، غريغوريوس الملطى (ت ٦٨٥هـ=٢٨٦م)، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١-٢٠٠١م، ص١٣٦.

كان في حاشيته والمحيطين به من الفرس، وأبرزهم الفضل بن سهل، الذي بلغ من أثره أن اعتبر المؤرخون الخلاف بين ولدي الرشيد، خلافاً بين الفضليين (الفضل بن الربيع والفضل بن سهل) واعتبروا نصر المأمون نصراً للفرس على العرب.

وهذه هي الخطوط العريضة التي سار عليها المأمون في سياساته ووفق فيها جميعاً ما عدا مشكلة "خلق القرآن" التي فرضها على الناس كرهاً.

ثانياً: الشئون الاقتصادية والمالية

يرجع الفضل في ازدياد موارد الدولة في عهد المأمون، كما يذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن "إلى اهتمامه بشئون البلاد الاقتصادية، والعمل على تنمية مواردها وعنايته بالزراعة والتجارة وغيرها من شئون الاقتصاد والمال"[1].

وكان موقف المأمون ذا أثر في سياسته الضرائبية؛ حيث خفّض عبء الضريبة في الشرق بمقدار الربع[2] كذلك خفض الضرائب في السرى مليوني درهم[3].

وفي سنة ٢٠٤هـ= (٨١٩م) أمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف، واتخذ القفيز الملجم، وهو عشرة مكاكيك بالمكوك الهاروني كيلاً مرسلاً[4].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٥٧٦ و٥٩٦ و٦١٤ ، وأيضاً حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام جـ٢ (العصر العباسي الأول)، ص٣٠٢.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى؛ فتوح البلدان، تحقيق دي خويه، ليدن، ١٨٦٦م، ص٣٢٠.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٦٨.

(٤) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٥٢-٤٥٣.

والقفيز: مكيال ثمانية مكاكيك، والقفيز من الأرض؛ قدره مائة وأربع وأربعين ذراعاً (أقرب الموارد للشرتوني، جـ٢، ص١٠٢٤).

ويقول سيد أمير علي: "وكان يوجد في بابل وكلده والعراق والجزيرة وفارس كثير من الملاك والفلاحين الذين كانوا يدفعون، في عهد المأمون، ضريبة محدودة على أساس اتفاق كتب بينهم وبين قواد العرب في إبان احتلال العرب لبلادهم، وكان يتمتع بمثل هذه الامتيازات أهل القرى في شمالي فارس وخراسان"[١]. ورغم هذه التسهيلات فإنه رفض النزول عن طلب منطقة قم[٢] معاملتها كماملة الري[٣]. أما التفيز الملجم فقد استعمله المأمون لحماية المستهلك من غش التجار الجشعين[٤].

أما عن الرخاء وآثار التضخم على ذوى الدخل المحدود وزيادة مرتبات الموظفين، فيذكر الطبرى مثالا على ذلك "أنه عقد في شهر رجب سنة

والمكيال الملجم؛ صاعان ونصف، وهو عشرة أمداد .

والمكوك: ج مكاكيك؛ مكيال يسع صاعا ونصف أو نصف رطل إلى ثماني أواقي، أو نصف الويبة، والويبة إثنان وعشرون أو أربعة وعشرون مدا، أو أربعة وعشرون مدا بمد النبي، صلى الله عليه وسلم، أو ثلاث كيلجات، والكيلجة منا وسبعة أثمان المن، والمن رطلان، والرطل اثنتا عشرة أوقية، والأوقية استار وثلثا أستار، والأستار أربعة مثاقيل ونصف، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستة دوانق، والدانق قيراطان، والقيراط طسوجان، والطسوج حبتان، والحبة سدس ثمن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءا من الدرهم. جمعها مكاكيك (الشرتوني؛ أقرب الموارد، جـ٢ الصفحات: ١٠٢٤ و ١١٣٠ و ١١٣٢).

وراجع أيضا: النقود العربية وعلم النمات للأب انستاس مارى الكرملي

[١] سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٦٨

[٢] قم: مدينة تقع بين أصبهان وساوه، وهي كبيرة حسنة؛ افتتحها عنوة الأحنف بن قيس في سنة ٢٣هـ=٦٤٣م، وأهلها كلهم شيعة إمامية، ينسب إليها جماعة من أهل العلم (معجم البلدان؛ جـ٤، ص٣٩٧-٣٩٨).

[٣] الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦١٤.

[٤] المصدر السابق، ص٥٧٦.

١٩٦هـ=٨١١م للفضل بن سهل على المشرق وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم (ثلاثة ملايين)[١]. ونلاحظ أن هذا لكبار القائمين بالأمر ولكننا لا ندرى شيئاً كثيراً على عامة الشعب.

ورغم السياسة المالية الصارمة التي سار عليها المأمون، فكان له تمساهل مع أقطار معيّنة ولظروف معيّنة أيضاً، ولدينا مثال على تشدده مع أهل قم الذين استكثروا ما عليهم من الخراج، وكان خراجهم ألفي ألف درهم (مليونى درهم)؛ فأرادوا أن يخفف المأمون عنهم،، كما خفّف عن أهل الرى ... فلم يجبهم إلى ما سألوا؛ فامتنعوا من أداء الخراج سنة ٢١٠هـ=٨٢٥م؛ فوجه المأمون جيوشاً فحاربوهم، وهدم سور قم، وجباها سبعة آلاف ألف درهم بعد أن كانوا يتظلمون من ألفي ألف درهم"[٢].

ولدينا تعليق قيّم على سياسة المأمون المالية للدكتور شاكر مصطفى، يقول: "وإذا كانت سياسة المأمون التسامحية قد أوصلته إلى الخلافة والاستقرار فيها؛ إلاّ أن عهده من الوجهة المالية كان عصر خسران مالي متماد؛ وإذا دفعت الدولة غالياً ثمن وصوله إلى الخلافة؛ فقد كلّفها المأمون غالياً فيما بعد في محاولاته جمع القلوب حوله. والوجه الآخر للقضية لا يعني أن المال قد توفر لجماهير الناس وبقي لهم، ولكن يعنى أن أموال الخراج لم تعد تُجبى من الآفاق تصب كلها في خزانة مركزية واحدة، بل تفرّقت في معظمها على خزائن المتسلطين الذين ظهروا في الأقاليم المختلفة. وكان هذا في الواقع بدء الانفصال والتفكّك السياسي في الدولة"[٣]. وأضيف إلى ذلك أن الانفصال والحركات الانفصالية في عهد المأمون كان لها الأثر الأكبر على أموال الخزائن العباسية.

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٧٢٤.

(٢) نفس المرجع، ص٦١٤.

(٣) شاكر مصطفى؛ دولة بنى العباس، جـ١، ص٦٠٩.

ويقول ابن عساكر الدمشقى عن سياسة المأمون المالية ما يلى: "ولعل قلة المال فى الخزينة زاد أيضا مع كثرة الحروب ضد الروم فى السنوات الأخيرة من عهد المأمون مما دعا إلى اتخاذ بعض الإجراءات المالية التعسفية سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، ومن بينها جباية ضريبة الخراج كلها يوم الاستحقاق (الاستفتاح)، وقد كانت تجبى من قبل على هون خلال السنة. وقد احتج على ذلك أهل الموصل[١]، وخرجوا إلى لقاء المأمون بالرقة، وقالوا: إنهم شرطوا للرشيد أن يؤدوا إخراج سنة فى سنة، واستخرجوا الشرط، فلما وجد المأمون صحة ذلك قبله منهم"[٢].

ولما وصل المأمون دمشق سنة ٢١٦هـ=٨٣١م، أمر بإعادة فرض ضرائب الخراج عليها. وبالرغم من مشكلة الأرض الخراجية وفداحة ضرائبها والتعسف في جمعها والتى كانت من الأسباب الأساسية فى ثورات الشام، إلا أن المأمون لم يقصد إلى ذلك بقدر ما قصد إلى إيجاد موارد أخصب للخزانة، وأقلم بدمشق تلك السنة (٢١٦هـ) حتى أقر التعديل قبل أن يمضى إلى مصر، وذلك أثناء ولاية عيسى بن منصور على مصر من قبل المعتصم (٢١٦-٢١٧هـ)[٣].

---

(١) الموصل: مدينة مشهورة كبيرة وكثيرة الخلق واسعة الرقعة؛ ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، وهى مدينة قديمة تقع على طرف دجلة ويقابلها من الجانب الشرقى نينوى (معجم البلدان، جـ٥، ص٢٢٣). ولا زالت الموصل من أكبر مدن العراق.

(٢) ابن عساكر الدمشقى، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله؛ تهذيب تاريخ دمشق، الجزء الرابع، تحقيق بدران، دمشق، ١٣٣٣هـ=١٩١٤م، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر فى فجر الإسلام، ص٢٣٧.

ثالثا: الشئون الثقافية:

كان عصر المأمون ألمع عصور الحضارة العربية؛ فسمّي بحق العصر الإسلامي الذهبي، إن العشرين سنة التي قضاها في الحكم تركت كنوزاً قيّمة من الثروة الفكرية، ولم تقتصر هذه النهضة على ناحية معيّنة من العلوم والآداب، بل شملت جميع نواحي التفكير والثقافة؛ فازدهرت في عهده العلوم الفلسفية والطب وسائر العلوم والفنون.

ويقول سيد أمير علي معقباً على ما ذكرناه سالفاً بالآتي: "والمعروف أن المأمون كان يذهب إلى أن سعادة الشعب الحقيقية تتوقف على انتشار العلم وبث الثقافة فلم يقنع ببقاء نشر التعليم عالة على سخاء الخلفاء أو الهدايا التي يمنون بها عليهم من حين لآخر، بل أرصد الأوقاف للصرف منها على تشجيع الحركة الفكرية وفتح المدارس في سائر أنحاء الدولة"[1]. أما عن الفلسفة فيقول سيد أمير علي: "ونشاهد في عصر المأمون حكومة دينية أوتوقراطية تشجع لأول مرة الفلسفة وتعمل على ازدهارها. وكان المأمون آثر مذهب الاعتزال[2]".

كذلك نبغ العرب في عصر المأمون في علم النجوم والفلك، وبأمر المأمون ترجم محمد بن موسى الخوارزمي[3]، وكان قيماً على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار "المجسطي" لبطليموس؛ فاختصره وسمّاه "السند هند" أي الدهر الداهر (أي الأزلي)؛ فكان

---

(١) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٦.

(٣) الخوارزمي؛ هو أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي، رياضي وفلكي ومؤرخ، من أهل خوارزم، أقامه المأمون قيّما على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، عاصر المأمون والمعتصم والواثق، ومات بعد سنة ٢٣٢هـ، بعد ٨٤٧م بعد وفاة الواثق بالله (حمزة بن الحسن الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص١٢١، وأيضاً الزركلي، الأعلام، جـ٧ ص١١٦).

هذا الكتاب أساساً لعلم الفلك بعد الإسلام[1]، كذلك نبغ أولاد موسى بن شاكر فـي عهد المأمون والمعتصم والواثق واشتهروا في علم النجـوم، وقاسـوا للمـأمون درجة خط نصف النهار، واستعملوا فيها محيـط الأرض وقـاموا باكتشـافات مدهشة في حركة الشمس وبعض الكواكب الأخرى، وتحققوا من حجـم الأرض وانحراف سمت الشمس[2].

وبفضل المأمون أصبحت اللغة العربية لغة حضارة في المنزلة الأولى بين لغات العالم. وقد عُرِّبت تراث الأوائل وأصبح في متناول المثقفين من أي جنس ولون ودين. يقول ابن العبري في هذا الشأن: "وكان أول من عُنِي من العباسـيين بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور. وكان مع براعته في الفقه كلفـاً فـي علوم الفلسفة وخاصة في علم النجوم، ثم لمّا أفضت الخلافة إلى المأمون تمّم مـا بدأ به جدّه المنصور؛ فأقبل على طلب العلم في مواضعه، وداخل ملوك الـروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة. فبعثوا إليه منها ما حضرهم فاسـتجاد لها مهَرة التراجمة؛ فترجمت له على غاية ما أمكن. ثم حـرّض النـاس علـى قراءتها ورغّبهم في تعليمها. فكان يخلو بالحكماء ويـأنس بمناظراتـهم ويلتـذ بمذاكرتهم عِلْماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله في خلقه ونخبته من عباده"[3].

ومما زاد الحركة الثقافية ثراءً أن الفرس أقبلوا على التعرّيب إقبالاً منقطـع النظير؛ يقول في ذلك دكتور شوقي ضيف: "أكبّ الفرس على تعلّم العربية حتـى أتقنوها، وسرعان ما اتخذوها لغة للتعبير عن عقولهم ووجداناتهم؛ بحيث لا نكـاد نتقدم في العصر العباسي حتى يصبح جمهور العلماء والكتّاب والشعراء منـهم؛

---

(1) حمـزة بـن الحسن الأصفـهاني؛ تـاريخ سـني ملـوك الأرض والأنبيـاء، برليـن، ١٣٤٠هـ، ص١٢١.

(2) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٩٨.

(3) ابن العبري؛ تاريخ مختصر الدول، ص١٣٦.

فأقبلوا على دراسة الشريعة الإسلامية، وجمعوا اللغة العربية، ودونوا أصولها النحوية، وأقبلوا على الكتابة والشعر[1]. وظهر جمهور من فطاحل العلماء في عصر المأمون، وحكموا في البحث عقولهم مستندين على أصول المنطق ونظريات الفلسفة التي تعلموها وأتقنوا فنها. وكان لتعاليم المعتزلة أثر كبير في النهضة الثقافية في عصر المأمون، ولاسيما في مسألة القرآن الكريم، وهل هو مخلوق أو قديم، وفي المناظرات التي عمل المأمون على ترويجها لنشر العلم وإزالة الخلاف بين العلماء[2].

وإذا تحدثنا عن الشعراء الذين نبغوا في عصر المأمون نجد كما هائلا منهم، وإن مراجعة لكتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان وغيرهما سنجد أعلام الشعر العربي في عصر المأمون من المولدين مما يدل على خصوبة الفكر العربي، الذين نهجوا مناهج جديدة في المعاني والموضوعات والأساليب، حتى فاقوا في كل ذلك من سبقهم من الشعراء الإسلاميين والمخضرمين والجاهليين[3]. ومن أشهر هؤلاء الشعراء:

---

(1) شوقي ضيف، دكتور؛ العصر العباسي الأول، نشر دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٩١.

(2) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٣٣٦.

(3) يقسم الشعراء إلى أربع طبقات:

١) الجاهليون؛ ويمتازون بالبساطة والخشونة وأشهرهم أصحاب المعلقات.

٢) المخضرمون، وهم وسط بين البداوة والحضارة، وأشهرهم حسان بن ثابت وكعب ابن زهير وجرير والأخطل والفرزدق.

٣) المولدون: وهم معاصرو الرشيد والمأمون، ويمتازون بالرقة والخلاعة وأشهرهم بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس وأبو تمام والبحتري.

أبو العتاهية[1] وأبو نواس[2] وأبو تمام[3] والبحترى[4]، وهم الذين ساعدوا على ظهور المناهج الجديدة فى الشعر ومعانيه وأخيلته وأساليبه، بل وفى الأدب عامة

---

٤) وأما الطبقة الرابعة؛ فهم الذين اشتهروا بعد انتشار الفلسفة اليونانية وعلم الكلام، وفى شعرهم صبغة فلسفية مثل المتنبى والمعرى والشريف الرضى. (يرجى الرجوع إلى مجموعة تاريخ الأدب العربى للدكتور شوقى ضيف).

(١) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، أبو العباس العنزى، المعروف بأبى العتاهية، ولد عام ١٣٠هـ=٧٤٨م، شاعر مكثر، سريع الخاطر، مبدع فى شعره، يُعَد من مقدمى المولدين من طبقة بشار بن برد، توفى سنة ٢١١هـ=٨٢٦م فى زمن المأمون. (وفيات الأعيان، جـ١، ص٢١٩-٢٢٦).

(٢) أبو نواس: هو الحسن بن هانئ الحكمى بالولاء، ولد سنة ١٤٦هـ=٧٦٣م المعروف بأبى نواس، شاعر العراق فى عصره، ولد فى الأهواز، ونشأ فى البصرة ورحل إلى بغداد؛ فاتصل فيها بالخلفاء من بنى العباس، ومدح بعضهم خاصة الأمين، وخرج إلى دمشق ومنها إلى مصر؛ فمدح أميرها الخصيب بن عبد الحميد، وعاد إلى بغداد، فأقام بها إلى أن توفى فيها سنة ١٨٨هـ=٨١٣م. (وفيات الأعيان، جـ٢، ص٩٥-١٠٤).

(٣) أبو تمام: هو حبيب بو أوس بن الحارث الطائى، أبو تمام، كان أوحد عصره فى ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحسن أسلوبه، وقد مدح المأمون كثيراً، وهو أحد أمراء البيان، ولد عام ١٨٨هـ=٨٠٤م، فى جاسم إحدى قرى حوران بسورية، ورحل إلى مصر، ثم أقام فى العراق، وتوفى بالموصل سنة ٢٣١هـ=٨٤٦م، وله مؤلفات عديدة، منها "فحول الشعراء" و"ديوان الحماسة" وغيرهما. (وفيات الأعيان، جـ٢، ص١١-٢٦).

(٤) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى، أبو عبادة البحترى الشاعر المشهور، وُلِد بمَنْبِج ونشأ وتخرّج بها سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م، ثم انتقل إلى العراق. شاعر كبير، أحد الشعراء الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبى وأبو تمام والبحترى. قيل لأبى العلاء المعريّ: أى الشعراء أشعر؟؛ قال: المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى، توفى سنة ٢٨٤هـ=٨٩٨م.

أما فى النثر فنذكر الجاحظ[1].

وساعد على ظهور المناهج الجديدة فى الشعر ومعانيه وأخيلته وأساليبه، بل فى الأدب عامة النقاط التالية:

١- اختلاف صور الحياة وقيم الأشياء فى الدولة العباسية عن نظائرها فى الحياة الجاهلية؛ ففضائل العرب فى الجاهلية لم تعد فى نظر الذين عاشوا فى العصر العباسى الأول مما يُتَغَنَّى به.

٢- تطور الحياة المادية، تلك التى كانت فى أيام الجاهلية وصدر الإسلام تقوم على السذاجة، وذلك بسبب تعدد أعمال الناس، وزيادة تجارتهم وكثرة العمّال فى الدواوين الحكومية فى العصر العباسى الأول.

٣- انتشار الشعوبية؛ تلك الحركة التى اتخذت أشكالاً شتى والتى ظهرت كتيار اجتماعى منذ العصر الأموى ضد تعسّف العرب، وكانت تلك الدعوة تحمل شعار "التسوية" بين العرب وغيرهم. وورث العباسيون فيما ورثوا عن بنى أمية تيار الشعوبية، وكان يهاجم الحكم فى العصر العباسى الأول فكرياً وثقافياً. وقد تنبه المأمون لسياسة الفضل بن سهل الشعوبية؛ فقرر الانتقال إلى بغداد سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م. وهذا الإسم يعود فى الغالب إلى ما ورد في القرآن الكريم: **"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا"**[2].

---

[1] الجاحظ؛ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الشهير بالجاحظ، ولد سنة ١٦٣هـ=٧٨٠م، كان كبير أئمة الكتّاب، له مؤلفات عديدة أشهرها "البيان والتبيين" و"الحيوان" و"التاج" و"البخلاء" و"المحاسن والأضداد" ومجموعة رسائل، توفي سنة ٢٥٥هـ=٨٦٩م، ومات والكتاب على صدره (وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٧٠-٤٧٥).

[2] قرآن كريم، سورة الحجرات، جزء من الآية ١٣.

٤- أثر الثقافة الفارسية خاصة والأجنبية عامة فى الشعر والأدب العباسى إلا أنه على الرغم من هذا كله لازلنا نجد فى اللغة العربية بقايا من قيود الشعر القديم كالوزن والقافية.

٥- اعتماد الشعراء على تشجيع الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة[1]. ويقول القفطى[2]: "وكان الخلفاء ووزراؤهم يغدقون على طائفة العلماء والأدباء كثيرا ويضفون عليهم عطاياهم الجزيلة، وجاراهم فى ذلك الولاة وكبار القادة ... وكان المأمون سخيا على العلماء والمتكلمين، وقد أعطى النضر بن شميل[3] وهو لا يزال أميرا بمرو خمسين ألف درهم[4]. ويقول أيضا: "ويروى أن طاهر بن الحسين قائد المأمون وواليه على خراسان وصل أبا عبيد القاسم بن سلام[5] بألف دينار، ثم عاد فوصله بثلاثين ألفا، وأجرى عليه ابنه عبد الله عشرة آلاف درهم فى كل شهر".

---

(١) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسي الأول، ص٣٤٠-٣٤٢.

(٢) القفطى، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم (ت ٦٤٦هـ=١٢٤٨م)، أنباء الرادة على أبناء النحاة، جـ٣، تحقيق أبى الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٣٤٩

(٣) النضر بن شميل، أبو الحسن، ولد بمرو سنة ١٢٢هـ=٧٤٠، كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد، وكان على صلة بالمأمون عندما كان مقيما بمرو، وله معه حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه. توفى سنة ٢٠٣هـ=٨١٩م. (وفيات الأعيان جـ٤ ص٣٩٧-٤٠٥).

(٤) القفطى؛ أنباء الرواة على أبناء النحاة، جـ٣، ص١٦.

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى (١٥٧-٢٢٤هـ=٧٧٤-٨٣٨م) من أهل هراة، أحد كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. كان أبوه رجلا روميا، وكان ذا سيرة ودين

بيت الحكمة:

يمكن وصف بيت الحكمة ببغداد زمن المأمون أنه بناء كبير فيه عدد من الغرف الواسعة موزعة فى أقسام المبنى تضم مجموعة من خزائن الكتب؛ وفى كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنتسب فى الغالب إلى مؤسسها؛ كخزانة الرشيد وخزانة المأمون. وهى مقسمة إلى عدة أقسام (إدارات)؛ خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة[1].

ويقول ابن العبرى: "أن الخليفة أبا جعفر المنصور كان أول من عنى بالعلوم، وكان مع براعته فى الفقه كلفا فى علم الفلسفة، وخاصة فى علم النجوم، ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم ما بدأ به جده المنصور؛ فأقبل على طلب العلم، وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة؛ فبعثوا إليه منها ما حضرهم؛ فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم أحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن"[2]. ويؤكد سعيد الديوه جى فى كتابه "بيت الحكمة" ما ذكره ابن العبرى "من أن الذى وضع نواة هذا البيت هو المنصور؛ فقد جمع الكتب التى ترجمت له فى الطب والنجوم والهندسة، والكتب التى ألفت فى الحديث والتاريخ والأدب ووضعت فى خزانة"[3].

ومذهب حسن كان منقطعا لعبد الله بن طاهر، وكلما ألف كتابا أهداه إليه، حج سنة ٢٢٤ وتوفي بمكة. (وفيات الأعيان، جـ٤، ص٦٠-٦٣).

(١) ناجى معروف؛ أصالة الحضارة العربية، الطبعة الرابعة، نشر دار الثقافة، بيروت، بدون، ص٤٤١.

(٢) ابن العبرى؛ تاريخ مختصر الدول، ص١٣٦.

(٣) سعيد الديوه جى؛ بيت الحكمة، الطبعة الأولى، الموصل، ١٩٥٤م، ص٣٣.

واهتم هارون الرشيد ببيت الحكمة والترجمة، يقول ابن النديم: "إن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان في خزانة الرشيد، وكان له نقل من الفارسي إلى العربي ومعوله في علمه على كتب الفرس"[1]. وفي موضع آخر يقول ابن النديم: "كان سهل بن هارون بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له، وكان حكيما فصيحا شاعرا فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب"[2]. وتوفي زمن المأمون سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م[3]. كما ذكر سلما صاحب بيت الحكمة، وقال: "كان مع سهل بن هارون وله نقول من الفارسي إلى العربي"[4].

وأرسل المأمون البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والهندسة والموسيقي والطب. وروى ابن النديم "أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون؛ فكتب إليه يسأله الإذن في إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم؛ فأجاب إلى ذلك بعد امتناع. فأخرج المأمون لذلك جماعة؛ منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق، وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم؛ فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا. فلما حملوه إليه (أي المأمون) أمرهم بنقله فنقل"[5].

وارتحل حنين بن اسحق إلى بلاد الروم في أيام المأمون، وتعلم اليونانية، وكان على معرفة تامة بها، ثم رجع إلى العراق واشتغل بالترجمة، وكان رزقه هو ومن معه، وبخاصة ابنه اسحق خمسمائة دينار في الشهر، كما كان المأمون

---

(١) ابن النديم: الفهرست، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، ص٣٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٤.

(٣) ابن شاكر الكتبي؛ فوات الوفيات، جـ٢، ص٨٤-٨٧، وأيضا الزركلي؛ الأعلام، جـ٣، ص١٤٣-١٤٤.

(٤) ابن النديم؛ الفهرست، ص١٧٤.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب فترجم خمسة وتسعين كتابا بالسريانية وتسعة عشر كتابا بالعربية، فضلا عن تآليفه العديدة[1].

ويقول الدكتور إبراهيم أحمد العدوى فى هذا الشأن ما يلى: "ولم يغفل المأمون أهمية الاتصال الثقافى بدولة الروم وجلب المراجع الإغريقية منها، فراسل الإمبراطور ليو الأرمنى (١٩٧-٢٠٥هـ=٨١٢-٨٢٠) يطلب منه السماح للسفارات الإسلامية بالحصول على المصنفات اليونانية القديمة فى الفلسفة والهندسة والطب. وقبل الإمبراطور طلب المأمون، الذى أوفد إذ ذاك جماعة من أشهر علماء عصره؛ منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وصاحب بيت الحكمة إلى القسطنطينية، فاختار هؤلاء المبعوثون ما راق لهم من المراجع وقفلوا عائدين بهذه الكنوز الثمينة إلى بغداد. وهناك كان قسطا بن لوقا يشرف على ترجمة هذه المراجع"[2].

وللدكتورة رمزية الأطرتجى رأى فى هذا الشأن، قول: "ولا نظن أن الكتب التى ترجمت عن اليونانية قد أحضرت من بلاد الروم ذاتها، كما تذكر بعض النصوص؛ ذلك أن العداء كان موجودا أو مستمرا بين العرب والروم، ولم تكن فترات هدنة إلا قليلا. ولأن معظم الكتب اليونانية القديمة اعتبرت غير مقبولة عند الروم أنفسهم لصلتهم بالوثنية. يضاف إلى ذلك أن رواية إحضارها قد اختلف فيمن قام بطلبها: المنصور أم المأمون، وبالأولى كما يقول ابن النديم؛ فإن كتب اليونان قد تكون أخذت من قبرص - وهى جزيرة يونانية الأصل - عادت تحت حكم العباسيين؛ كما قد تكون كتبهم أخذت من صقلية، وهى جزيرة

---

[1] ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم؛ وفيات الأعيان، جـ١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٦م، ص١٨٠.

[2] إبراهيم أحمد العدوى، دكتور؛ الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ص١٦٠.

كانت تابعة للروم أيضا، وفتحها العرب أيام المأمون. وأخيرا فإن كتب اليونان كانت موجودة في بلاد المسلمين نفسها؛ إذ كانت أغلب مراكز الثقافة اليونانية في العالم القديم ضمن دار الإسلام"[1]. وتعليقنا على ذلك أن المأمون سعى إلى إحضار الكتب اليونانية من موطنها الأصلي؛ حيث أن أغلب المراكز اليونانية القديمة في الدولة الإسلامية قد درست، ولم يكن هناك بعد قرنين من الزمان من يعرف اليونانية جيدا لغلبة اللغة العربية؛ وبالتالي اندثرت وتلاشت الكتب اليونانية لعدم وجود من يحميها، أو يصونها على الأقل.

ولم تقتصر بيت الحكمة على ما ترجم فقط، بل ضم كتب العلماء في اللغة والأدب والتاريخ والفقه وعلم الكلام؛ فكان فيها الكتب اللغوية والشرعية بالإضافة إلى ما ترجم عن الفارسية واليونانية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية[2].

يتضح من ذلك أن بيت الحكمة والنقل والترجمة التي أولاها المأمون عنايته كانت لها أثر كبير في اشتغال كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها وإصلاح أخطائها وأغلاطها؛ نخص بالذكر من هؤلاء يعقوب بن إسحق الكندي الذي نبغ في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم، وقد حذا في تأليفه حذو أرسطو، وترجم كثيرا من كتب الفلسفة وشرح غوامضها. كما ظهر في عهد المأمون طائفة من جهابذة الرياضيين من أمثال محمد بن موسى الخوارزمي

---

(1) رمزية محمد الأطرقجي، بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية، مقال منشور بمجلة "المؤرخ العربي" تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد ١٤ بغداد، ١٩٨٠، ص٣٣٧-٣٤١.

(2) عبد الله بن العباس الجراري؛ تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١، ص٢٣٣.

الذي يعد أول من درس الجبر دراسة منظمة وجعله علما منفصلا عن الحساب[1].

المرصد المأموني:

أسند المأمون الإشراف على مرصده الكبير الذي شيده في بغداد في الشماسية إلى أبي علي يحيى بن منصور[2]، وألحق به طائفة من نابهي الفلكيين في عصره. ولم يلبث هذا المرصد أن تحول إلى مدرسة فلكية كبيرة تخرج فيها غير فلكي مثل بني موسى بن شاكر[3]. وقد أفادت هذه المدرسة في الأبحاث

---

(١) سيد أميرعلي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي،ص٣٩٩ و٤٠٠. وأيضا حسن ابراهيم حسن،دكتور؛ تاريخ الإسلام السياسي، جـ٢، العصر العباسي الأول، ص٣٤٧.

(٢) أبو علي يحيى بن منصور؛ عالم فلكي، اتصل بالفضل بن سهل فكان يعمل برأيه في أحكام النجوم، ولما قتل الفضل سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م، قربه المأمون إليه ورغبه في الإسلام، وخص به. ولما عزم المأمون على رصد الكواكب تقدم إليه وإلى آخرين، وأمرهم بالرصد وإصلاح آلاته؛ ففعلوا ذلك في مرصدي الشماسية ببغداد، وجبل قاسيون بدمشق سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م، واستمر في عمله إلى أن توفي المأمون، وتوفي وهو في طريقه إلى بلاد الروم، ودفن في حلب سنة ٢٣٠هـ=٨٤٤م، وله مجموعة من الكتب دونها عن الرصد. (القفطي؛ إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة مصر سنة ١٣٢٦هـ ص٢٣٤).

(٣) بنو موسى بن شاكر؛ يقول عنهم صاحب الفهرست (ص٣٧٨-٣٧٩): محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر؛ كان هؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة، وبذل فيها الرغائب، وأتعبوا فيها أنفسهم، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم. فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السني فأظهروا عجائب الحكمة، وكان الغالب عليهم من العلوم: الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم.

أما محمد بن موسى بن شاكر (ت٢٥٩هـ=٨٧٣م) فذكره ابن خلكان على أنه عالم بالهندسة والحكمة والموسيقى والنجوم، وهو أحد الإخوة الثلاثة الذين تنسب إليهم "حيل بني موسى (في الميكانيكا). وكانوا مقربين من المأمون يرجع إليهم في حل ما يعسر عليه فهمه من آراء متقدمي الحكماء، وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة

الفلكية الرياضية والجغرافية التي سبقها إليها الهنود والفرس واليونان، وأضافت إلى ذلك إضافات جديدة باهرة؛ إذ وضعت لحركات الأفلاك زيجسات وجداول أكثر دقة مما كان لدى الأقدمين، وأدخلت تحسينات على خريطة بطليموس، واستطاعت أن تقيس درجتين من درجات محيط الأرض على أساس كرويتها، إلى مباحث فلكية ورياضية كثيرة[1].

ويقول المؤرخ الجغرافي الروسي كراتشكوفسكي عن عظمة عصر المأمون ما يلي: "ولا يعتبر حساب درجة نصف النهار الحدث الأهم لعصر المأمون، ولا يمكن اعتباره حدثا فريدا فقط؛ إذ أن النشاط سار قدما وبخطى منتظمة في محيط الفلك والجغرافية الرياضية؛ ففي خلافة المأمون تم إنشاء مرصدين؛ أحدهما ببغداد بحي الشماسية، والآخر على جبل قاسيون عند دمشق. وقد تركز مجهود المركزين في تحقيق معطيات المجسطي تحقيقا علميا، وساق هذا إلى تحديد الموقع الجغرافي لجميع النقاط الهامة من جديد"[2].

وكان لنقل وترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية والنبطية وغيرها من آثار ونتائج في العقلية العربية أولا، وفي المدنية العربية ثانيا، وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف: "وعلى هذا النحو أصبح العقل العربي في العصر العباسي الأول عقلا متفلسفا، كما أصبح عقلا علميا، لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الأوائل، بل أيضا من حيث إسهامه فيها، وإضافته الجديدة حتى ليضيف علوما لأول مرة في تاريخ الحضارة الإنسانية على نحو ما أضاف الخوارزمي

وكتب الأوائل وأجهدوا أنفسهم في شأنها فأظهروا عجائب الحكمة. (ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٦١-١٦٣).

(١) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٩٩ و ٤٠٠ وأيضا: شوقي ضيف؛ تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، ص١١٥.

(٢) كراتشكوفسكي؛ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٨٤.

في علم الجبر. وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمي وإحكامه لوضع العلـــوم منذ القرن الثاني مما نراه متجليا في العلوم اللغوية والدينية ومبـــاحث التـــاريخ وعلم الكلام[1].

السياسة الدينية: نشر تعاليم المعتزلة

شهد النصف الأول من القرن الثاني حركة الاعتزال، التي قام بها واصـــل ابن عطاء[2] أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق، وقد أخذ عنه "واصل" تقدير الفكـر الإنساني[3]. ويقول الشهرستاني: "أن المعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيـــد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم جعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا: لفظ القدريـــة يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، احـــترازا مـــن وصمـــة اللقب؛ إذ كان الذم به متفقا عليه لقول النبي عليه السلام "القدرية مجـــوس هـــذه الأمة". وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق؛ على أن الجبرية والقدرية متقابلتـــان تقابل القضاء[4].

---

(1) شوقي ضيف، دكتور؛ تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص١١٧.

(2) واصل بن عطاء: هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، ولد بالمدينـــة المنـــورة ســـنة ٨٠هـــ=٧٠٠م، ولم يكن غزالا، وإنما لقب به لتردده على سوق الغزالين بالبصرة، وهو رأس المعتزلة؛ سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصـــري، توفـــي بالبصرة سنة ١٣١هـ=٧٤٨م، وله مؤلفات منها: "أصناف المرجئة" و "المنزلـــة بيـــن المنزلتين" و"معاني القرآن" و"طبقات أهل العلم والجهل" و"السبيل إلـــى معرفـــة الحـــق" و"التوبة". (ابن خلكان؛ وفيات الأعيان جـــ٦ ص٧-١١ وأيضا طبقات المعتزلة لأحمـــد ابن يحيى بن المرتضى، تحقيق سوسنه ديفلد فلزر، بيروت، ١٩٦١، ص٢٨.

(3) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٢٣٧.

(4) الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد؛ الملل والنحل، جـــ١، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، نشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـــ=١٩٦٨م، ص٤٣.

وأورد الزركلي في موسوعته "الأعلام" موجزا لما ذكره ابن حجة في كتابه "ثمرات الأوراق" ما يلي: "المعتزلة من فرق الإسلام، يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان، وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم، وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب، كشرب الخمر وغيره يكون في منزلة بين منزلتين لا مؤمنا ولا كافرا. وسموا بالمعتزلة؛ لأن واصل بن عطاء كان ممن يحضر درس الحسن البصري؛ فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر، وقالت الجماعة بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر، وإن كان فاسقا، خرج واصل عن الفرقتين، وقال: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر. واعتزل مجلس الحسن وتبعته جماعة؛ فعرفوا بالمعتزلة وما زال مذهبهم ينمو إلى أيام الرشيد، فوضعه موضع البحث بين العلماء. ولما ولي المأمون ناصر المعتزلة وعاقب مخالفيهم، وتابعه المعتصم ثم الواثق. ولما كانت أيام المتوكل كتب إلى الآفاق بمخالفة القائلين بالاعتزال، وضعف شأن المعتزلة حتى ذهبت بمذهبهم الأيام"[1].

ويقول سيد أمير على عن المعتزلة ما يلي: "يذهب المعتزلون بالاتفاق مع الأئمة إلى أن الإنسان حر في خلق أفعال نفسه الاختيارية خيرا كانت أو شرا، وأنه ليس ثمة آخره مادية، ولا يمكن أن يرى الله عيانا؛ لأن ذلك يدل على التجسيم، وأن صفات الله غير منفصلة عن ذاته، وأن القرآن مخلوق. وتؤيد المعتزلة أيضا أنه ليس ثمة قانون أبدي فيما يخص أعمال الإنسان، وأن القوانين الإلهية التي تعين سلوك الناس إنما هي نتيجة من نتائج التطور، وأنها عرضة لنفس قانون التغيير؛ ذلك القانون الذي به يسيطر الخالق على الكون[2].

---

(١) الزركلي، الأعلام، جـ٨، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) سيد أمير على؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٢٣٧-٢٣٨.

ويذكر أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام جـ٣" أن للمعتزلة مبادئ عامة، أجمع المؤرخون على أنها خمسة فصول:

(١) القول بالتوحيد.

(٢) القول بالعدل.

(٣) القول بالوعد والوعيد.

(٤) القول بالمنزلة بين المنزلتين.

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

وفي موضع آخر يقول أمد أمين: "كان الخلاف دائرا بين المعتزلة ومناهضيهم في قولهم بخلق القرآن؛ فكان الخلاف دائرا حول القرآن؛ أعني حروفه وألفاظه وكلامه؛ يقول المعتزلة بحدوثها، ويقول بعض الحنابلة بقدمها، ويقول آخرون لا نتكلم في هذا الموضوع. وظل النزاع محصورا في هذه الدائرة أيام محنة القول بخلق القرآن، أعني أيام المأمون والمعتصم والواثق"[٢].

واعتنق هذا المذهب كثير من الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان المأمون على رأس هؤلاء، حتى أنه في عهده زاد عددهم لأن الدولة كانت دولتهم[٣].

وكانت المعتزلة أسرع الفرق الإسلامية للاستفادة من الفلسفة اليونانية، وصبغها صبغة إسلامية، والاستعانة بها في نظرياتهم وجدلهم، وهم الذين خلقوا علم الكلام في الإسلام، وجادلوا خصومهم في الدين جدالا علميا، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله. ثم إن جماعة المعتزلة لم يتقيدوا بالتفسير المأثور، وإنما كانوا يعتمدون في دعم آرائهم على العقل. وقد بذلوا جهدا عظيما لدحض

---

(١) أحمد أمين؛ ضحى الإسلام، جـ٣، الطبعى الخامسة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧١هـ=١٩٥٢، ص٢١-٢٢.

(٢) أحمد أمين؛ ضحى الإسلام جـ٣، ص٣٩-٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص٩٣.

آراء معارضيهم بتفسير بعض الآيات القرآنية تفسير يتفق مع مبادئهم العقلية؛ مما جر سلوك هؤلاء المعتزلة المخالف لبعض النظريات الدينية السائدة عند المحدثين إلى التباعد بين هؤلاء المتطرفين الذين لا يعتمدون على العقل، وهم أولئك الأتقياء المبالغون فى الدقة[1].

بداية المحنة:

يقول الطبرى فى أخبار سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م ما يلى: "وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن"[2]. وفى أخبار سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م "كتب المأمون إلى إسحق بن إبراهيم بن مصعب[3]، الذى استخلفه حين رحل عن بغداد لحرب الروم، فى امتحان القضاة والمحدثين وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرقة"[4]. وفى نفس العام أيضا (٢١٨هـ) كتب المأمون إلى اسحق بن إبراهيم فى إشخاص سبعة نفر من العلماء؛ فأشخصوا إليه، فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق؛ فأعادهم إلى بغداد، فأحضرهم اسحق

---

(١) جولدتسهير، إجنتس؛ المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن، ترجمة الدكتور على حسن عبد القادر، القاهرة، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م، ص٩٩-١٠٠.

(٢) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦١٩.

(٣) اسحق بن إبراهيم بن حسين بن مصعب، عم طاهر بن الحسين، كان صاحب شرطة بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان مقربا من الخلفاء ذا رأى وشجاعة، وهو الذى استخلفه المأمون على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م، وأضاف إليه ولاية السواد وحلوان وكور دجلة، وعقد له المعتصم على الجبال سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م وسيره فى جيش كبير لقتال أصحاب بابك الخرمى فأوقع بهم فى أطراف همذان وعاد ظافرا وحج سنة ٢٣٠هـ=٨٤٤م. ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز يعوده، وجزع المتوكل لموته ومات فى بغداد سنة ٢٣٥هـ=٨٥٠. (الشابشتى، أبو الحسن على بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٨٨م)؛ الديسارات، بغداد، ١٩٥١م، ص٢٢.

(٤) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٣١.

ابن إبراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فأخلى سبيلهم[1].

ثم أحضر إسحق بن إبراهيم جماعة أخرى وأعلمهم بما أمر به المأمون؛ فأجاب القوم أجمعون إلا أربعة نفر، وهم أحمد بن حنبل، وسجادة، والقواريرى، ومحمد بن نوح المضروب؛ فأمر بهم اسحق فشدوا فى الحديد. فلما كان الغد دعاهم فى الحديد، فأعاد عليهم المحنة؛ فأجابه سجادة والقواريرى؛ فأطلقهما. وأصر أحمد بن حنبل، الذى أثبت أنه أشدهم تعصبا، ومحمد بن نوح على قولهما؛ فشدا فى الحديد، ووجها إلى طرسوس. وكتب إلى المأمون بتأويل القوم فيما أجابوا إليه، وأشخصهم إلى طرسوس ليقيموا بها إلى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم؛ فأحضرهم إسحق، وسيرهم جميعا إلى العسكر، فلما صاروا إلى الرقة؛ بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد[2].

إن المحنة التى هزت الدولة العباسية بدأت بأن أرسل المأمون، وهو فى دمشق إلى والى بغداد إسحق بن إبراهيم بكتاب مطول حفظه لنا الطبرى ومذكور فيه أن على خليفة المسلمين حفظ الدين، وأن الجمهور الأعظم من الرعية جاهل قاصر العقل؛ ولهذا يخطئ فى فهم التوحيد، ولا يفرق بين الله وبين ما خلق ثم جاء بالآيات القرآنية التى يفهم منها خلق القرآن: "**إنا جعلناه قرآنا عربيا**"[3] و"**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**"[4]. ثم بين أن أناسا جادلوا بالباطل رفضوا ذلك، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وأنهم أهل الحق والدين والجماعة؛ فاستطالوا بذلك على الناس، ومال قوم إلى سيئ آرائهم،

---

(١) ابن الأثير؛ الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص٣.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة..

(٣) قرآن كريم، سورة يوسف، جزء من الآية الثانية.

(٤) قرآن كريم، سورة هود، جزء من الآية الأولى.

وأولئك رؤوس الضلالة المنقوصون من التوحيد ...... وانتهى بأن طلب من الوالى -كما بينا، أن يجمع ما لديه من القضاة، ويقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ويمتحنهم فيما يقولون. فمن لم يقل بخلق القرآن تلغى شهادته[1].

ولدينا صورة عن كيفية الامتحان، مما نقل عن سؤال أحمد بن حنبل صاحب المذهب المعروف فقد كان السؤال: ما تقول فى القرآن؟. قال ابن حنبل: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد عليها. فامتحنه بما فى الرقعة، فلما أتى على "ليس كمثله شئ" قال: "**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**"[2]. وأمسك عن لا يشبهه شئ من خلقه فى معنى من المعانى، ولا وجه من الوجوه؛ فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر، فقال: أصلحك الله! إنه يقول: سميع من أذن، بصير من عين. فقال: فما معناه؟: قال: لا أدرى، هو كما وصف نفسه[3].

ولقد أصبح هذا الامتحان الدينى أداة سياسية فى يد الخلافة العباسية؛ بقصد إظهار الولاء للخليفة العباسى، وبسببه سفكت دماء، ووصل الأمر إلى التنكيل، وطلب المأمون من واليه وضع ابن حنبل فى الحديد وتوجيهه إلى طرسوس، حيث كان المأمون يقاتل الروم[4]. هذا وقد أوصى المأمون أخاه المعتصم حين عهد إليه بالخلافة من بعده فى وصيته: "...... وخذ بسيرة أخيك فى القرآن ......"[5].

---

(1) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٦٣١-٦٣٩.

(2) قرآن كريم؛ سورة الشورى، جزء من الآية ١١.

(3) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٦٩.

(4) المرجع السابق، ص٦٤٤.

(5) نفس المرجع، ص٦٤٧.

الوزارة في عهد المأمون:

جرى الخلفاء العباسيون على سنة الاستعانة فى إدارة شئون الدولة بأفراد مبرزين فى الأمور السياسية والحربية، بسبب اتساع أطراف الدولة وتشعب نواحيها، وكثرة شعوبها وأجناسها، وعظم علاقاتها الداخلية والخارجية ومن ثم نشأت إدارة حكومية مدنية تنظر في شئون الدولة وتصريفها بإرشاد الخليفة وتحت إشرافه؛ فكان الخليفة مصدر السلطات فى الدولة ومنبع القوة فيها، وهو الذى يصدر الأوامر الإدارية لمختلف الولاة والعمال، وعنه يتلقى القواد ورؤساء الجند أوامرهم. وكان على رأس هذه الأداة الحكومية الوزير وكان هذا الوزير بحكم منصبه وقربه من الخليفة عضده وساعده الأيمن فى إدارة شئون الدولة.

وقد تحدث الماوردى عن الوزارة[1]، وغيره من الفقهاء، وتحدثوا عن نوعين من الوزارة؛ وزارة تفويض ووزارة تنفيذ. وعندما شرح للمسعودى فى كتابه "مروج الذهب" يقول: "ووزارة التفويض، وفيها يستوزر الخليفة رجلا يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وعلى اجتهاده. ويتولى الوزير تصريف الأمور فى كل شئ وبسلطات واسعة. ويفوض فى أمور الدولة والتصرف فى شئونها دون الرجوع إلى الخليفة، كما كان الفضل بن سهل فى عهد المأمون"[2].

وأورد الماوردى حكاية عن المأمون يذكر فيها أنه قال فى اختيار الوزير: إنى إلتمست لأمورى رجلا جامعا لخصال الخير، عفة فى خلائقه واستقامة فى طرائقه؛ قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب "إن أؤتمن على الأسرار قام بها وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه

---

(١) الماوردى، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت٤٥٠هـ-١٠٨٥م)؛ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، والفصل الثانى عنوانه "فى تقليد الوزارة" من ص٢٢ حتى ٢٩.

(٢) المسعودى؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٣، ص٣٢٧.

اللمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلى بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه ....»[1].

أما عن وضع الوزير فى المجتمع العباسي نستشفه من حديث أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب، والذى أورده ياقوت الحموى فى معجم الأدباء على النحو التالي: "قال الصولي: لما مات أحمد بن أبى خالد الأحول، شاور المأمون الحسن بن سهل فيمن يكتب له، ويقوم مقامه فى الوزارة؛ فأشار عليه بأحمد بن يوسف وبأبى عباد بن يحيى الرازى. وقال: هما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين وخدمته وما يرضيه. فقال له: اختر لى أحدهما، فقال الحسن: إن صبر أحمد على الخدمة وجفا لذته قليلا فهو أحبهما إلي، لأنه أعرف فى الكتابة وأحسنهما بلاغة، وأكثر علما، فاختار له أحمد بن يوسف، ففوض المأمون له وزارته[2]. وعلى هذا النحو كان المأمون يختار وزراءه.

والوزارة في عهد المأمون بدأت بوزارة التفويض عندما أسندها إلى الفضل بن سهل. أما بقية الوزراء فكانوا وزراء تنفيذ، فكانوا لا يتمتعون بمثل تلك السلطة الواسعة التى كان يتمتع بها وزير التفويض؛ إذ لم يكن يصدر شيئا عن اجتهاده، إنما كان عمله مقصورا على تنفيذ أوامر المأمون، كما كان من واجباته أن يلم إلماما صحيحا بشئون الإدارة والضرائب وأحوال الولايات واحتياجاتها ومطالبها[3].

---

(1) الماوردى؛ الأحكام السلطانية، ص٢٦.

(2) ياقوت الحموى؛ معجم الأدباء، جـ٢، ص٨٦.

(3) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٥٥-٣٥٦.

استعراض لوزراء المأمون:

كان الفضل بن سهل أول وزراء المأمون، وهو فارسي الأصل من أولاد ملوك الفرس المجوس، وكان قهرماناً ليحيى بن خالد البرمكي، وكان أبوه سهل مجوسياً أسلم في أيام الرشيد، كما أسلم الفضل على يد المأمون سنة ١٩٠هـ=٨٠٥م، أما الذى اختار الفضل للمأمون هو الرشيد بإشارة جعفر بن يحيى؛ فكان مدبّر أمره إبّان ولاية العهد، وهو الذى دبّر أمر إرسال الجنود وتدبير ما يلزمهم لمحاربة الأمين؛ فأرسل طاهر بن الحسين لمحاربة على بن عيسى بن ماهان. وعندما تحدث عنه ابن طباطبا ذكره على النحو التالى: "أول وزراء المأمون بنو سهل، وكانت دولتهم فى جبين الدهر غرّة، وفى مفرق العصر درّة، وكانت مختصرة الدولة البرمكية، وهم صنائع البرامكة؛ فالوزير الأول للمأمون منهم الفضل بن سهل"[1]. ويؤكد ذلك الجهشيارى بقوله: "وكان الفضل من رجال جعفر البرمكي، وكان له نفوذ كبير فى العصر المأمونى، وإليه يرجع الفضل فى انتصار المأمون على أخيه الأمين، ثم إنه هو الذى أشار على الخليفة بإقامة على الرضا ولي عهد للدولة بعده، وحسّن له الإقامة فى مرو، وكافأه المأمون على ذلك بأن سمّاه "ذا الرياستين"، أى "رياسة الحرب" و"رياسة التدبير"، وجعل له علماً على سنان ذى شعبتين وكتب على سيفه من جانب "رياسة الحرب" ومن الجانب الآخر" رياسة التدبير". وكان الفضل يؤمر مع الوزارة، وهو أول وزير عبّاسي لُقّب، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير[2]. لكن الفضل عمل لنفسه، واستولى على المأمون، وقطع الأخبار عنه وعاقب من حاول إخباره بخبر ليصرف بذلك الأمور حسب سياسته الفارسية وأدخل المراسم والتقاليد الساسانية على البلاط المأمونى. وذكر الجهشيارى أن ذا

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية، مرجع سابق، ص١٧٩.

(٢) الجهشيارى؛ الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٣٠٥ و ٣٠٦.

الرياستين كان يجلس على كرسيّ مجنّح، ويُحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه؛ فإذا وقعت، وضع الكرسي، ونزل عنه، فمشى، وحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون. ثم يسلّم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه ......، وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك إلى مذهب الأكاسرة، فإن وزيراً من وزرائها كان يُحمل في مثل ذلك الكرسي، ويتولّى حمله إثنا عشر رجلاً من أولاد الملوك"[1].

وهو الذى حاول إبقاء المأمون فى مرو بخراسان ليبقى مقر الملك بين الفرس، لكن المأمون تنبّه لسياسة الفضل. ويتفق المؤرخون أن عليا الريضا هو الذى أعلم المأمون بحال الدولة، ونبهّه إلى سياسة الفضل الكسروية كما ذكرنا سابقاً، فقرر النقلة إلى بغداد سنة ٢٠٢هـ. ولم يكن هذا انتقالاً عادياً، ولكنه كان انتقالاً سياسياً؛ فيه هجر للسياسة التى نهج على منوالها الفضل فى مرو، والعودة إلى السياسة العباسية التقليدية وقد اقتضى هذا الانقلاب التخلص من الوزير الفضل بن سهل ومن ولى العهد عليّ الرضا[2]. وقُتِل الأول فى سرخس من قِبَل بعض الخدم، ومات الثاني بشكل مفاجئ من قرية "نوقان" قرب طوس أوائل سنة ٢٠٣هـ. ولم يتّمتع المأمون بمركز الخلافة تمتعاً حقيقياً إلاّ بعد قتل الفضل بن سهل.

الثاني: الحسن بن سهل

ولم تنته علاقة المأمون ببنى سهل بمقتل الفضل؛ فإن المأمون ترضى عائلته، وعين الحسن بن سهل أخا الفضل وزيرا. وفى ذلك يقول ابن طباطبا: "استوزر المأمون الحسن بن سهل بعد أخيه الفضل ومال إليه وتلافاه جبرا

---

[1] الجهشيارى؛ الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٣١٦.

[2] عبد العزيز الدورى، دكتور؛ العصر العباسي الأول: دراسة فى التاريخ السياسي والإدارى والمالي، الطبعة الثالثة، نشر دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧، ص١٦٦.

لمصابه بقتل أخيه، وتزوّج ابنته بوران، وانحدر في أهله وأصحابه وعساكره وأمرائه إلى فم الصلح؛ فقام الحسن بن سهل في إنزالهم قياماً عظيماً...، وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون، وكان المأمون شديد المحبة لمفاوضته؛ فكان إذا حضر عنده طاوله في الحديث، وكلّما أراد الانصراف منعه؛ فانقطع زمان الحسن بذلك وثقلت الملازمة؛ فصار يتراخى عن الحضور بمجلس المأمون، ويستخلف أحد كتّابه كأحمد بن أبي خالد وأحمد بن أبي يوسف وغيرهما. ثم عرضت له سوداء كان أصلها جَزّعة على أخيه؛ فانقطع لداره ليتطبب، واحتجب عن الناس؛ إلاّ أنه أعلى الخلق مكانة. واستوزر المأمون أحمد ابن أبي خالد فكان أحمد في كل وقت يقصد خدمة الحسن بن سهل، وإذا حضر الحسن دار المأمون كان أعلى الناس مكانةً، ومات في سنة ٢٣٦هـ في أيام المتوكل[1].

الثالث: أحمد بن أبي خالد الأحول

استوزر المأمون بعد الحسن بن سهل، أحمد بن أبي خالد، وأصله شامي مولى لبني عامر بن لؤي، وكان أبوه كاتباً لعبيد الله كاتب المهدي. ويظهر أن المأمون قد صُدِم صدمة عنيفة من وزارتي الفضل بن سهل وأخيه الحسن لاستبدادهما بحل الأمور دونه، حتى أنه فكّر جدّياً في ألاّ يستوزر أحداً. ولما دعا المأمون إليه أحمد بن أبي خالد، قال له: إن الحسن بن سهل قد لزم منزله، وإنني أريد أن أستوزرك. فتنصل أحمد منها، وقال: يا أمير المؤمنين اعفِني من التسمّي بالوزارة وطالبني بالواجب منها، واجعل بيني وبين العامة منزلة، يرجوني لها صديقي ويخافني لها عدوّي، فما بُعد الغايات إلاّ الآفات. فاستحسن المأمون جوابه، وقال لابد من ذلك واستوزره[2].

---

(1) ابن طباطبا؛ الفخري فيالآداب السلطانية، مرجع سابق، ص١٨٠-١٨١.

(2) المرجع السابق، ص١٨٢

وكان أحمد بن أبى خالد من خيار الوزراء يحبّ أن تخلص قلوب الرعية لإمامه؛ فكان دائم المشورة بما يسرّ أنفسهم، ويسيلّ دفين الأحقاد من صدورهم[1]. ووصفه حسن خليفة بأنه "كان كفئاً قديراً، بصيراً بالأمور، مقتصداً في مكانته وسلطاته[2].

ومن عيوب أحمد بن أبى خالد أنه كان شرها يتقرب إليه الناس بالمآكل لينالوا ما عنده من المصالح. وكان المأمون يعرف ذلك منه؛ فأجرى عليه كل يوم لمائدته ألف درهم لئلا يشره إلى طعام أحمد من بطانته.

وكان مع هذا يشره إلى طعام الناس، وتمتد عينه إلى هدية تأتيه، وكان مع هذا أسيّ اللقاء، عابس الوجه، يهّر في وجوه الخاص والعام، غير أن فِعْله كان أحسن من لقائه، وكان من عَرَف أخلاقه، وصبَر على مداراته نَفَعه وأكسبه. وتوفى أحمد بن أبى خالد في ذى القعدة سنة ٢١١هـ، وحضر المأمون جنازته وصلى عليه بنفسه، وقال بعد أن دُلّى في حفرته وترحم عليه، أنت والله كما قال القائل:

أخو الجِدّ إن جَدّ الرجال وشمّروا

وذو باطل إن كان في القوم باطل[3]

الرابع: أحمد بن يوسف الكاتب (ت٢١٣هـ):

هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلى بالولاء، المعروف بالكاتب استوزره المأمون بعد أحمد بن أبى خالد؛ كان كاتباً فاضلاً، أديباً شاعراً، فطِناً بصيراً بأدوات الملك وآداب السلاطين. يقول ابن طباطبا: "أنه لما مات أحمد بن أبى خالد استشار المأمون الحسن بن سهل فيمن يوليه الوزارة؛

---

(١) ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٢٣ و٢٢١-٢٢٢.

(٢) حسن خليفة؛ الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، مرجع سابق، ص١١٢.

(٣) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٥ و٥٧٩ و٥٩٥.

فأشار عليه بأحمد بن يوسف وأبى عبادة ثابت بن يحيى، وقال: هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين، فقال له: اختر لى أحدهما، فاختار له أحمد بن يوسف، ففوض المأمون له وزارته[1].

وكان أحمد بن يوسف من أجود الكتاب خطا، حتى قال له المأمون يوما: يا أحمد. لوددت أنى أخط مثل خطك، وعلى صدقة ألف ألف درهم، وكان يجيد الكتابة حتى كان المأمون إذا كان يتولى عمرو بن مسعدة ديوان الرسائل كان يكلف أحمد بن يوسف بكتابة الكتب التى يريد أن تشهر وتذكر، ومنها كتاب عن المأمون إلى الناس فى كل مكان بعد قتل الأمين؛ فبر المأمون به، وولاه ديوان السر وبريد خراسان وصدقات البصرة[2]. وهو الذى كتب كتابا عن المأمون إلى الناس فى كل مكان بعد مقتل الأمين[3].

ومات أحمد بن يوسف فى سنة ٢١٣هـ، ببعض تدبير المأمون لبادرة بدرت منه؛ حيث كان فى بطانة المأمون من يحسد عليه للدرجة التى وصل إليها من المأمون؛ فكادوا له المكايد حتى أقصوه عن قلبه. أما سبب موته؛ فإنه دخل يوما إلى المأمون وكان يتبخر؛ فأخرج المأمون المجمرة من تحته، وقال: اجعلوها تحت أحمد تكرمة له، فنقل أعداءه إلى المأمون أنه قال: ما هذا البخل بالبخور؟ هلا أمر لى ببخور مستأنف؟. فاغتاظ المأمون لذلك، وقال: ينسبنى إلى البخل، وقد علم أن نفقتى فى كل يوم ستة آلاف دينار، وإنما أردت إكرامه بما كان تحت ثيابى. ثم دخل أحمد بن يوسف على المأمون، وهو يتبخر مرة أخرى،

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية، مرجع سابق، ص١٨٣.

(٢) محمد كرد على؛ أمراء البيان، جـ١، طبعة القاهرة، ١٣٥٥هـ= ١٩٣٧، ص٢١٨-٢٤٣.

(٣) الجهشيارى؛ نصوص ضائعة من كتاب "الوزراء والكتاب جمعها ميخائيل عواد نشر دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م، ص٢٤.

فقال المأمون: اجعلوا تحته في مجمرة قطع عنبر، وضمّوا إليه شيئاً يمنع البخار أن يخرج؛ ففعلوا ذلك به، فصبر عليه حتى غلبه الأمر، فصاح: الموت. الموت. فكشفوا عنه وقد غشي عليه، فانصرف إلى منزله فمكث فيه شهوراً عليلاً من ضيق النفس حتى مات بهذه العلّة. وقيل مات كمداً لبادرة بدرت منه، فأطرحه المأمون لأجلها[1].

كان أحمد بن يوسف فصيحاً، قوى البديهة، يقول الشعر الجيد، وله "رسائل" مدوّنة، وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه

فصدر الذى يستوعب السرّ أضيق[2]

الخامس: القاضي يحيى بن أكثم التميميّ:

أعقب أحمد بن يوسف القاضي يحيى بن أكثم، ولعله اتخذه المأمون مستشاراً له. إسمه أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدى المروزى؛ انخرط في سلك القضاء وسنّه عشرون عاماً لنجابته، وكان قاضياً رفيع القدر عالي الشهرة من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب، ولد بمرو سنة ١٥٩هـ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، وصلّه ثمامة بن أشرس[3] العالم المتكلم.

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخرى في الآداب السلطانية، مرجع سابق، ص١٨٣-١٨٤.

(٢) خير الدين الزركلي؛ الأعلام، المجلد الأول، مرجع سابق، ص٢٧٢.

(٣) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٦، ص١٨٦ وجـ٨ ص٢٧٥ و٢٨٨ و٥٧٧ وورد في الأعلام للزركلي ما يلي: أبو معن ثمامة بن أشرس النميرى؛ من كبار المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المتقدمين؛ أراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه. قال الجاحظ في حقه: ما علمت أنه كان في زمانه قروى ولا بلدى بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد

ولما احتاج المأمون إلى من يوليه الوزارة بعد أحمد بن يوسف عرضها على ثمامة؛ فامتنع منها، ، ووصف له يحيى فاستوزره، وولاه مع ذلك قاضي القضاة؛ فكان له تدبير المملكة والقضاء معاً، وقلّما اجتمعا في شخص. وكان وزراء الدولة لا يقدّمون ولا يؤخرون في شئ إلاّ بعد عرضه عليه. وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد وذلك لحزمه وصدقه وأمانته وثقة المأمون به وكان يحيى على مذهب العامة؛ فكان إذا أراد المأمون شيئاً يخالف ما هم عليه احتال فيما يرجعه عنه.

وكان يحيى بن أكثم مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء، حَسَنَ العشرة، حُلْوَ الحديث، استولى على قلب المأمون، حتى أمر بأن لا يُحْجب عنه ليلاً ولا نهاراً. وله غزوات وغارات؛ منها أن المأمون وجهه سنة ٢١٦هـ، إلى بعض جهات الروم فعاد ظافراً. ولما مات المأمون سنة ٢١٨هـ، وولي المعتصم عزله عن القضاء، فلزم بيته، وآل الأمر إلى المتوكل فردّه إلى عمله، ثم عزله سنة ٢٤٠هـ. وأخيراً مات بعد أن عزم على المجاورة بمكة، ومات في "الربذة" من قرى المدينة ودفن بها.

ولم يذكر ابن طباطبا في كتابه "الفخري في الآداب السلطانية" يحيى بن أكثم في عداد وزراء المأمون. ثم إن المطبوع من كتاب "الوزراء والكتّاب" للجهشياري لم يتجاوز الفضل بن سهل، وهو أول وزراء المأمون.

وورد في كتاب "الدولة العباسية: قيامها وسقوطها" لمحمد الخضري، أن طلحة بن محمد بن جعفر أحد معاصري يحيى بن أكثم قال في حقه: "يحيى بن أكثم أحد أعلام الدنيا، قد اشتهر أمره وعرف خبره، ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس، فضله وعمله ورياسته لأمره، وأمر أهل زمانه من الخلفاء

الحروف، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه ثمامة بن أشرس، (المجلد الثاني، ص١٠٠-١٠١).

والملوك، واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن المعارضة قائم بكـــل معضلــة، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد من الناس جميعا عنده، وكان المـــأمون ممن برع فى العلوم؛ فعرف من حال يحيى بن أكثم ما هــو عليــه مــن العلــم والعقل، وأخذه بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة، وتدبير أهل مملكته؛ فكــانت الوزارة لا تعمل فى تدبير الملك شيئا إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم[1]. ونستشـف من الجملة الأخيرة أنه كان بمنزلة مستشار للخليفة فيمــا يجــرى علــى أيــدى الوزراء من أعمال. وذكر المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" أخبار عديدة عــن يحيى بن أكثم فذكر أن اسمه بالكمل: يحيى بن أكثم بن عمرو بن أبى رباح مــن أهل خراسان من مدينة مرو، وكان رجلا من تميم، وسخط عليه المـــأمون فــى سنة ٢١٥هـ، وذلك بمصر، وبعث به إلى العراق مغضوبا عليـــه"[2]. وعــاش يحيى بن أكثم ومات بعد سنة ٢٤٠هـ فى عهد المتوكل.

السادس: أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي:

عده ابن طباطبا فى كتابه "الفخرى" من وزراء المأمون، وذكر أنــه كــان كاتبا حاذقا بالحساب، سريع الحركات، أهوج محمقا[3]؛ كان شديد الحدة ســريع الغضب، ربما اغتاظ من بعض من يكون بين يديــه فرمــاه بدواتــه أو شــتمه

---

(١) محمد الخضرى؛ الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٢) المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤، مرجع سابق، ص ٢٣ و٢٥.

(٣) الأهوج هو الشجاع الذى يرمى بنفسه فى الحرب (وهــو أهــوج الطــول أى مفرطــه) (الشرتونى؛ أقرب الموارد، جـ٢، ص١٤٠٨). والمحمق هو الأحمق أى قليل العقــل، وقيل الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه فى طريقه فاسد فلا يكون له رؤية صحيحـة فى طريق الوصول إلى الغرض (الشرتونى؛ أقرب الموارد، جـ١، ص٢٣٢).

بالفحش[١]. وكان أبو عباد إذا دخل على المأمون كثيرا ما يضحك المأمون[٢] ويقول له: ما أراد دعبل (الشاعر) منك حين يقول:

وكأنه من دير هرقل مفلت   حرد يجر سلاسل الأقياد[٣]

السابع: عمرو بن مسعدة

ذكره خير الدين الزركلي في موسوعته "الأعلام" على النحو التالي: "عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي، وزير المأمون وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون؛ فرفع مكانته، وأغناه. وكان مذهبه في الإنشاء الإيجاز واختيار الجزل من الألفاظ. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدوحا فاضلا نبيلا، توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسيا[٤].

وفي كتاب "نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري" أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر. كان أحد كتاب المأمون ثم استوزره، وكان بليغا جزل العبارة وجيزها، سديد المقاصد والمعاني، مات سنة ٢١٧هـ وقيل ٢١٥هـ[٥]. كما ذكره الرفاعي في كتابه "عصر المأمون" بالآتي: "أن المأمون استوزر عمرو بن مسعدة، وهو صنو أحمد بن يوسف نباهة وكفاية

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخري في الآداب السلطانية، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٦٠.

(٣) دير هزقل: دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ويضرب به المثل لمجتمع المجانين، المرجع السابق، حاشية ص٦٦٠.

(٤) خير الدين الزركلي؛ الأعلام، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٥) ميخائيل عواد؛ نصوص ضائعة من كتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ، ص٢٥ حاشية رقم ١.

وكتابة"[1] ويقول المسعودى: "أنه لما مات عرض لماله[2]، ولم يعرض لوزيـــر غيره[3].

الثامن: أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد المروزي

ذكره ابن طباطبا في كتابه "الفخرى في الآداب السلطانية" أنه آخـر وزراء المأمون، وهو من خراسان، وكان أبوه وجده مجوسا أسلموا، واتصلوا بالخلفـاء، وسويد أول من أسلم منهم، وكان سويد قد مات أبوه وهو صغير، فأسـلمته أمـه إلى بعض كتاب العجم؛ فنفذ نفاذا محمودا[4]، وتعلم آدابا كثيرة من آداب الفـرس، ثم واظب على ملازمة الديوان بمرو، وحضر صاحب الديوان في يوم مطـير، وتخلف جميع الكتاب والنواب عن الحضور، وكان سويد جد محمـد حـاضرا، فاحتاج صاحب الديوان عمل حسبة، فلم يكن عنده أحد بالديوان فتولى هو عملـها بنفسه، وشرع فيها؛ فكتب بعضها، ثم غلبه نعاس، وحانت منه التفاتـة، فـرأى سويدا، فسلم إليه (ورق الحسبة)، وقال له: احتفظ بها حتى انتبه؛ فتصفح سـويد الحسبة، وتممها وبيضها في نسخة حسنة بخط مليح وضبـط صحيـح، وانتبـه صاحب الديوان وطلب منه الحسبة؛ فدفعها إليه، فوجدها مفروغا منها على أتـم قاعدة وأحسن وجه، فقال: يا صبي. من عمل هذه الحسبة؟. قـال: أنـا. قـال: أفتحسن الكتابة؟. قال: نعم. فأمره بلزوم سدته التي كان فيها حسـابه وأصـول أعماله، وما يجب أن يحتفظ به، وقرر له معيشة، وتنقل فيكل الخدمـات حتـى حصل أموالا جليلة وارتفع قدره. ثم تأدب محمد وبرع في كل شئ، فاسـتوزره

---

(1) أحمد فريد الرفاعي؛ عصر المأمون، جـ١، مرجع سابق، ص٢٤٤.

(2) أي استولى على ماله.

(3) المسعودي؛ مروج الذهب جـ٤، ص٦.

(4) أي كان ألمعيا يستوعب دروسه وما يقال له كاملا.

المأمون وفوض إليه جميع الأمور، ومات المأمون وهو وزيره[1]. وعاش إلى أيام الواثق بالله، ومات بسر من رأى سنة ٢٣٠هـ[2].

وهناك شخصية تاسعة وزرت للمأمون ذكرها المسعودى، وهو **الفضل بن مروان**، فى نص صريح هو: "وأن آخر وزراء المأمون الفضل بن مروان ومحمد بن يزداد"[3].

وهو أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرجيس، ولد سنة ١٧٠هـ=٧٨٦م وكان نصرانى الأصل قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، وهو الذى أخذ البيعة للمعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م، فاستوزره نحو ثلاث سنوات، ثم تغير عليه فى شهر رجب سنة ٢٢١هـ=٨٣٦م. وذكر أن المعتصم أخذ من داره لما نكب ألف ألف دينار، وأخذ أثاثا وآنية بألف ألف دينار، وحبسه خمسة أشهر ثم أطلقه وألزمه بيته، حتى توفى سنة ٢٥٠هـ=٨٦٤م[4]. وأيضا يقول ابن طباطبا: "أنه كان عامي لا علم له ولا معرفة، وكان ردئ السيرة جهولا بالأمور"[5].

مجلس الشورى فى عهد المأمون:

ظلت الدولة العباسية فىأثناء حكم الخلفاء الأوائل حكومة استبدادية، بالرغم من المجلس الاستشارى غير الرسمى، الذى كان يتألف من الوزراء وأفراد الأسرة الحاكمة البارزين، وفى الواقع كان الخليفة هو مصدر جميع

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية، مرجع سابق، ص١٨٥-١٨٦.

(٢) ميخائيل عواد؛ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى، مرجع سابق، ص٢٦ حاشية رقم٢.

(٣) المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤ ص٦.

(٤) ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٦، ص٤٥-٤٧.

(٥) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية، ص١٨٩.

السلطات، وعنه تصدر جميع الأوامر الخاصة بشئون الدولة؛ وكان الوزير في الواقع هو نائب الخليفة، ويستعمل السلطة المطلقة باسمه. وفي عهد المأمون تطورت الحكومة الأتوقراطية إلى حكومة دستورية، وأنشئ لأول مرة مجلس شورى نظامي للدولة يمثل جميع الطوائف التي تعترف بسلطان الخليفة، وأصبح لنواب الأمة مطلب الحرية في إبداء ما يعن لهم من الآراء فكانوا وزراء تنفيذ ليس أكثر، ويلوح أنه لم يحل قط بينهم وبين حرية التعبير والمناقشات[1].

الأعمال الحكومية في عهد المأمون:

كان الخليفة المأمون رأس الدولة؛ فكان رئيسا سياسيا ورئيسا دينيا. ومع أنه قد فوض لوزيره الفضل بن سهل تصريف شئون الدولة، وسلطته الدنيوية غير أن المأمون ظل هو الفيصل الأخير في جميع شئون الحكومة. ويقول سيد أمير علي: "كانت أبواب جميع المناصب مفتوحة أمام الجميع على السواء المسلمين منهم واليهود والمسيحيين والهنود"[2]. وقامت الدولة المأمونية كدولة إسلامية على أساس الإسلام والجيش والكتاب.

وكانت جباية الخراج ومركزيته وانصبابه في بغداد والعراق حتى عصر الرشيد. وما أن اضطربت الدولة بسبب الخلاف بين الأمين والمأمون وظهور وزير مثل الفضل بن سهل، وولاة مسيطرين في الأقاليم الذين ما لبثوا أن انقطعوا في ولاياتهم مقابل مبلغ مقطوع يؤدونه سنويا لخزانة الدولة وقد بدأ هذا كله أيام فتنة الأمين والمأمون.

واستقل المأمون بخراج خراسان والكور التي أضيفت إليها، وهو أكثر من أربعين مليون درهم. ثم تبارى الأخوان في تأليف القلوب وجذب الناس متزامنا مع التجهز للحرب. وحين انتصر المأمون جعل لوزيره الفضل بن سهل عمالة

---

(١) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسمي، ص٣٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥٢.

ثلاثة آلاف درهم؛ يقول الطبرى: "وصل جيش المأمون الحاصر لبغداد إلى حالة متردية، ولم يبق بيد قائده طاهر بن الحسين مال للجند ...... فضاق به أمره... ووثب الجند به مطالبين بالأرزاق فأحرقوا باب الأنبار والبستان حتى أقرضه رجل من بغداد عشرين ألف دينار؛ فأمر طاهر للجند برزق أربعة أشهر فرفضوا.....". صحيح أن المأمون أعطى من جاءه برأس الأمين ألف ألف درهم، ولكنه حين جاء بغداد سنة ٢٠٤هـ لم يكن معه إلا خمسون ألف درهم"[1]. على أن بغداد كان قد دمرت وضربت أحياؤها،وانقطع ذلك السيل من الذهب الذى كان يردها من أفريقية ومصر والشام واليمن والجزيرة بسبب انقطاع هذه الأقاليم وثوراتها المحلية[2].

وكان أشد ما أصاب النظام الإدارى المالى هو إحراق الدواوين وسجلاتها خلال الحرب التى نشبت بين الأمين والمأمون سنة ١٩٧هـ، وتوقف الإدارة المركزية حتى شلت الآلة المالية العباسية تمام الشلل[3]، فلم تعاود هذه الآلة عملها إلا حين وصل المأمون بغداد، وبدأ تنظيم أمر الخراج من جديد سنة ٢٠٤هـ. فكانت أول سنة يوجد حسابها بالدواوين[4].

وقد توسع الجهاز الإدارى الحكومى تدريجيا، وتعقدت معاملاته فى العصر العباسى الأول. وكما سبق أن ذكرنا توقف العمل الإدارى تقريبا إبان الفتنة الأخوية بين المأمون والأمين. وبعد انتقال المأمون إلى بغداد تركزت فيها الدواوين، وبدأ ينتظم عملها بعد تلف الكثير منها، وأصبح فيها دفاتر خاصة

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ مرجع سابق، ص٥٧٥ وما بعدها.

(٢) زامباور؛ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، صفحات ٢٩ و٣٦ و٣٩ و٤٣ و٤٩ و٥٧ و٦٤ و٦٩ و٧٠.

(٣) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص ٤٥٩ و٤٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص٥٧٦. وحسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٢٦٨-٢٦٩. ودكتور عبد العزيز الدورى، العصر العباسى الأول، ص٦٣.

تسجل كل أحوال الدولة، وسير العمل بها، وما يدخل إليها وما يخرج منها من مكاتبات أو أحوال أو شهادات[1].

وذكر سيد أمير على "أسماء الدواوين الرئيسية للدولة: ديوان الخراج – ديوان الضياع السلطانية (مكتب الخاصة الملكية – ديوان الزمام (قلم مراقبة الحسابات – ديوان الجند – ديوان الموالى والغلمان – ديوان السبريد – ديوان زمام النفقات – ديوان الرسائل – ديوان التوقيع – ديوان النظر فى المظالم – ديوان الأحداث والشرطة – ديوان العطاء أو ما يشبه دائرة حسابات الجيش – وكان الإشراف على مصالح الذميين موكلا بديوان خاص يرأسه موظف يدعى "كاتب الجهبذة" وعلاوة على هذه الدواوين الرئيسية كان هناك بضع دوائر صغرى سواء في الإدارة أو السياسة أو القضاء، ومن جملتها ديوان العطايا ويسمى "ديوان المقاتيات"، وآخر يشرف على أعمال السرى، ويسمى "بديوان الأقرحة"[2].

أما الدكتورة فتحية النبراوى فقد قسمت الدواوين فى عصر المأمون إلى ثلاث مجموعات رئيسية، سواء في بغداد مركز الخلافة أو فى الولايات، تتفق وأركان الإدارة وهى:-

١- ديوان الرسائل؛ ويختص بالمراسلات الإدارية والسياسية.

٢- ديوان الخراج؛ ويختص بالشئون المالية والضرائبية.

٣- ديوان الجند؛ ويختص بتنظيم المؤسسة العسكرية وأمور الجند.

---

(١) فتحية عبد الفتاح النبراوى، دكتورة؛ تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الطبعة الثامنة نشر دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص١١٦.

(٢) الماوردى؛ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٢٠٣-٢٠٩ وأمير سيد على؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٥٧.

٤- ديوان النفقات؛ يتولى الإشراف على حاجات الخلافة، وكان يتكون من الأقسام التالية:

أ - قسم الجارى؛ ويشرف على استحقاقات الحشم.

ب- قسم الأنزال؛ ومهمته الإشراف على محاسبة التجار الذين يوردون للقصر الملكى الخبز واللحم والحلوى والفاكهة.

ج - قسم الكراع[1]؛ ويشرف على علوفة الكراع (الخيل ووسائل النقل الأخرى من بغال وحمير وجمال و ...) وعلاجه وأرزاق العاملين فيه.

د - قسم البناء والمرمة؛ ومهمته الإشراف على الأبنية الملكية وصيانتها ومحاسبة المهندسين وغيرهم من حرفيين وعمال بناء.

هـ- قسم الإنشاء والتحرير.

و - قسم النسخ.

٥- ديوان بيت المال؛ ومهمته الإشراف على ما يرد بغداد من الأموال، ويتم فى هذا الديوان تحديد نفقات الدولة.

٦- ديوان البريد؛ وكان من أخطر الدواوين شأنا وأكبرها عملا. وعمله الرقابة على إدارة الدولة كلها، ويرأسه صاحب البريد[2].

على أنه كان يوجد بجانب هذه الدواوين الستة الرئيسية أعداد أخرى من الدواوين أوجدتها الحاجات لشتى الشئون، ويمكن حصرها فى ثلاث مجموعات تبعا لوظيفتها وطبيعة عملها.

---

(١) الكراع: اسم يجمع بين الخيل والسلاح، ويقال" أحبس الكراع فى سبيل الله، وقيل الكراع الخيل والبغال والحمير "وقيل" فلان ما ينضح الكراع أى ضعيف الدفاع". (الشرتونى، أقرب الموارد، جـ٢ ص١٠٧٨.

(٢) دكتورة فتحية النبراوى؛ تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، مرجع سابق،ص١١٦-١١٨.

وقد خصص المأمون يوم الأحد من كل أسبوع للفصل في قضايا المظالم وأورد الماوردى حكاية مفادها أن إمرأة جاءت بشكوى ضد ابن الخليفة؛ فأمر المأمون أحد قضاته بالاستماع إلى الشكوى والفصل فيها فى حضرته. وأصدر القاضى حكمه ضد الأمير ونفذ الحكم. يقول الماوردى :"حكى أن المأمون رضى الله عنه كان يجلس للمظالم يوم الأحد؛ فنهض ذات يوم من مجلس نظره، فلقيته إمرأة فى ثياب رثة، فقالت الشكوى شعرا:

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرف البلد

نشكو إليه عميدا لملك أرملة عدا عليها فما تقوى به أسد

فابتز منها ضياعا بعد منعتها كما تفرق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرا، ثم رفع رأسه وقال:

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد وأقدح القلب هذا الحزن والكمد

هذا أذان صلاة الظهر فانصرفى وأحضر الخصم فى اليوم الذى أعد

المجلس السبت إن يقض الجلوس لنا أنصفك منه وإلا المجلس الأحد

فانصرفت وحضرت يوم الأحد فى أول الناس؛ فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك العباس ابن أمير المؤمنين. فقال المأمون لقاضيه، وقيل لوزيره أحمد بن أبى خالد: أجلسها معه وانظر بينهما. فأجلسها معه، ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجابه. فقال له المأمون: دعها فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، وأمر برد ضياعها عليها .... وباشر المأمون تنفيذ الحكم وإلزام الحق"[1].

ويذكر المسعودى أن عمرو بن مسعدة مات سنة سبع عشرة ومائتين، فعرض لماله، ولم يعرض المأمون لمال وزير غيره[2].

---

[1] الماوردى؛ الأحكام السلطانية، مرجع سابق، الباب السابع: فى ولاية المظالم، ص٨٤-٨٥.

[2] المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤، مرجع سابق، ص٥.

الشرطــة:

أما الشرطة؛ فكان هناك "صاحب الشرط". وكان لكــل مدينــة شــرطتها. ولكل الشرطة رئيس. وكان الشرطة أقساما يوزعون على البلدان التابعـــة فــي إدارتها للمدينة، وكان عليهم حماية الناس والمتاع والعسس ليلا، وكانت مرتباتـهم حسنة ليعفوا، وكان من ضمن أعضائها موظف يسمى المحتسب وكـــان عليـه مراقبة المكاييل والموازين، ويعاقب المدلسين والغاشـــين ويلاحــظ الأســواق، ويراقب عمليات البيع والشراء.

وكان هناك منصب "صاحب الحرس"، ولم يكن أحد بباب المأمون أعظــم خطرا من أمير الحرس؛ ذلك لأن عمله متصل بالعقاب والسياسة ...... وكــان الناس تخشاه أشد ما تخشى الملك، وكان على أقل تقدير هو المسئول الأول عــن تنفيذ أحكام الخليفة[1].

أمير الحج:

أنشأت الحكومة العباسية منصبا هاما يسمى "أمير الحج"؛ لأجــل حمايـة الحجاج من اعتداءات البدو، ومراقبة سير الحجاج والعمل علــى راحتــهم فــي البلاد المقدسة[2] وكان المأمون يعين أمير الحج من بين أفراد الأســرة المالكــة ومن شخصياتهم البارزة وذكر الطبري في تاريخه أسماء ما أوفدهم المأمون منذ استقرار الأمور له، نذكرهم على النحو التالي:

١- في سنة ١٩٦هـ=٨١١م، حج بالناس العباس بن موسى بن عيســى بــن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبــل طــاهر، ودعــا للمأمون بالخلافة، وهو أول موسم دعي له فيه بالخلافة بمكة والمدينة[3].

---

(١) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٢٣-٢٦.

(٢) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٦٢.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٢٤٢.

٢- وفي سنة ١٩٧هـ=٨١٢م، حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى سالف الذكر بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر المأمون بذلك. وكان على مكة في هذه السنة داود بن عيسى[١].

٣- وفي سنة ١٩٨هـ=٨١٣م حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى، وكان واليا على مكة والمدينة، وحارب من وجههم أبو السرايا إلى مكة والمدينة واضطراب الموسم[٢].

٤- وفي سنة ٢٠٠هـ=٨١٥م، وجه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبي بعض ولد عقيل بن أبي طالب من اليمن في جند كثيف إلى مكة ليحج بالناس؛ فحورب العقيلي فهزم، ولم يقدر على دخور مكة، وأقام للناس بالحج أبو اسحق بن الرشيد[٣].

٥- وفي سنة ٢٠١هـ=٨١٦م حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي[٤].

٦- وفي سنة ٢٠٢هـ= ٨١٧م حج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر فدعا لأخيه علي بن موسى الرضا بعد المأمون بولاية العهد[٥].

٧- وفي سنة ٢٠٣هـ=٨١٨م، حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي[٦].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٧١.

(٢) نفس المرجع، ص٥٢٧.

(٣) نفس المرجع، ص٥٤٠.

(٤) المرجع السابق؛ ص٥٥٦.

(٥) نفس المرجع؛ ص٥٦٧.

(٦) نفس المرجع؛ ص٥٧٣.

٨- وفى سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م، حج بالناس عبيد الله بن الحسن وهو أمير الحرمين. كذلك حج عبيد الله بن الحسن هذا فى سنتي ٢٠٥ و٢٠٦هـ=٨٢٠ و٨٢١[١].

٩- وفى سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد[٢].

١٠-وفى سنة ٢٠٨هـ=٨٢٣م، حج بالناس صالح بن الرشيد[٣].

١١-وفى السنوات ٢٠٩ و٢١٠ و٢١١هـ (٨٢٤ و٨٢٥ و٨٢٦م) حج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن على وهو والى مكة[٤].

١٢-وفى سنتي ٢١٢ و٢١٣هـ = (٨٢٧ و٨٢٨م) حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس[٥].

١٣-وفى سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م، حج بالناس إسحق بن العباس بن محمد[٦].

١٤-وفى سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م، حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد[٧].

١٥-وفى سنة ٢١٦هـ=٨٣١م، فى قول بعضهم حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، وفى قول آخر حج بهم عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على، وكان المأمون ولاه اليمن[٨].

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، الصفحات ٥٧٦ و٥٨٠ و٥٩٢.

(٢) نفس المرجع، ص٥٩٦.

(٣) نفس المرجع، ص٥٩٧.

(٤) نفس المرجع، الصفحات ٦٠١ و٦١٤ و٦١٨.

(٥) المرجع السابق، ص٦١٩ و٦٢٠.

(٦) نفس المرجع، ص٦٢٢.

(٧) نفس المرجع، ص٦٢٤.

(٨) نفس المرجع، ص٦٢٦.

١٦-وفى سنة ٢١٧هـ=٨٣٣م، حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي[1].

يتضح من ذلك أن منصب إمرة الحج أولاها المأمون عناية خاصة، شأنها في ذلك شأن تعيينه الولاة وقادة الجيوش.

وقد نجم عن ازدياد المركزية في عهد المأمون أن تعقدت أمور الدولة وتكاثرت؛ ولضرورة تنظيمها التنظيم المناسب أقيمت في العاصمة بغداد دواوين للأقاليم المختلفة؛ فكان هناك ديوان خراسان وديوان الشام وديوان مصر ... الخ، تحتفظ بنسخ الوثائق الرسمية والرسائل المتبادلة مع ولاة تلك الأقاليم وتضبط شئونها.

عمال الولايات:

وكان الوالي، وهو أهم عامل في الولاية؛ يعهد إليه إدارة الولاية كلها، وكان يليه القاضي في المرتبة والأهمية. وكان من كبار الموظفين الآخرين صاحب البريد وصاحب الشرطة ورؤساء الدواوين المختلفة. وكان الولاة يتقاضون رواتب حسنة[2].

وقد أثرى الولاة ثراء فاحشا؛ من ذلك أن المأمون عندما عقد للفضل بن سهل على المشرق سنة ١٩٦هـ=٨١١م، جعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم[3]. كذلك الحسن بن سهل فعند زواج ابنته كان يعد للمأمون في كل يوم ولمن معه جميع ما يحتاجون إليه وأنه خلع على القواد على مراتبهم فكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم[4].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٣٠.

(٢) حسيني؛ الإدارة العربية، ص٣٣٤.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٤٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص٦٠٨.

ذلك ما رواه الطبرى عن قتل المأمون لعلى بن هشام بعد أن غضب عليه، ووجه إليه عجيف بن عنبسة وأحمد بن هشام، وأمر بالقبض على أمواله وسلاحه. وأمر المأمون أن تكتب رقعة، وتعلق على رأسه ليقرأها الناس؛ ورد فيها أنه أعطاه من المنح ما بلغ مجموعة خمسين ألف ألف درهم، ولم يكفه ذلك "فمد إلى الخيانة" ويذكر الطبرى أيضا أن سبب ذلك راجع إلى أن المأمون بلغه سوء سيرته فى أهل عمله الذى كان المأمون ولاه - وكان المأمون ولاه كور الجبال[1] - وقتله الرجال وأخذه الأموال. فوجه إليه عجيفا، فأراد (أى علي بن هشام) أن يفتك به ويلحق ببابك؛ فظفر به عجيف، فقدم به إلى المأمون؛ فأمر بضرب عنقه ...... ثم بعث رأسه إلى بغداد وخراسان فطيف به، ثم رد إلى الشام والجزيرة؛ فطيف به كورة كورة، فقدم به إلى دمشق، ثم ذهب به إلى مصر، ثم ألقى بعد ذلك فى البحر ......، ورد فى الكتاب "ولولا أن عليا بن هشام أراد العظمى بعجيف (أى أراد قتله) لكان فى عداد من كان فى عسكره، فمن خالف وخان، كعيسى بن منصور ونظرائه"[2].

وحدد الماوردى فى الباب الثالث من كتابه "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" وعنوانه "فى تقليد الإمارة على البلاد" واجبات الوالى، وهى:

١- الإشراف الأعلى على الشئون الحربية للولاية، وإقامة الفرق الحربية وتوزيعها ودفع رواتب الجند إذا لم يعين لها قائد خاص.

٢- تعيين العمال والإشراف على شئون القضاء.

---

(١) كور الجبال: الكورة أصلا هى كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر تجمع اسمها (معجم البلدان لياقوت الحموى جـ١ ص٤٧) وكور الجبال هى المنطقة الواقعة، بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى وما بين ذلك من البلاد. (معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٢، ص٩٩).

(٢) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٧-٦٢٨.

٣- جمع الضرائب ومواجهة جميع مصاريف الولاية.

٤- المحافظة على القانون والنظام.

٥- حماية الدين من البدع.

٦- إدارة الشرطة وأعمال الحسبة.

٧- إمامة صلاة الجمعة.

٨- شن الحرب على الكفار (إذا كانت الولاية تجاور أرضا للأعداء).

٩- تنفيذ أحكام القضاء[1].

كما ذكر الماوردى أن العباسيين الأوائل كانوا لا يبقون على أي وال لمدة طويلة في نفس الولاية؛ إذ جرت العادة على نقل الحكام من ولاية إلى أخرى. وعند إعفاء الوالي من ولايته، كان عليه أن يقدم تقريا شاملا عن إدارته، وإذا ظهرت أية بادرة شك فى أعماله تصادر جميع أملاكه[2]. وهذا يتفق مع ما ذكره الماوردى فى إدارة المأمون.

دواوين الولايات:

وكان لكل ديوان من الدواوين الرئيسية فى العاصمة بغداد ديوان مماثل له، أو موظف يمثله فى كل ولاية من ولايات الدولة العباسية، ولكن تركزت فى ديوان واحد فى العاصمة مهام أكثر من ديوان واحد فى الولاية. وأورد حسينى الهندى حصرا بالدواوين التى كانت فى الولايات، وهى:

١- ديوان الخراج.

٢- ديوان الرسائل.

٣- ديوان الزمام.

٤- ديوان البريد.

---

(١) الماوردى؛ الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص٣٠-٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤.

٥- ديوان الضياع.

وذكر أن ديوان الخراج كان يقتصر عمله على تقدير الضرائب وجمعها وتدبير موارد الناس الخاصة بالضرائب وتنميتها. فكان هذا الديوان يقوم بجميع أعمال النفقات وكذلك يواجه جميع التكاليف ورواتب العمال والمقررات السنوية ورواتب الجند وعطاءاتهم ونفقات الأعمال ذات الصالح العام وغير ذلك من مصروفات الدولة؛ فكان بذلك الإدارة المالية للولاية[١].

أما ديوان الرسائل في كل ولاية فكان يشرف على المراسلات الخاصة بالولاية؛ وكان أشبه بالسكرتارية الرئيسية للولاية، ويوجد في حاضرة الولاية، ويقوم بمهام كل من ديوان الرسائل وديوان الخاتم معا في العاصمة[٢].

وكان لديوان البريد في الولاية فروع في سائر المدن والبلاد الهامة في الولاية وكان صاحب البريد مسئولا في ولايته عن إدارة البريد في الولاية كلها، وكان عليه تقديم تقارير سرية إلى صاحب البريد في بغداد، أو إلى الخليفة شخصيا عن سلوك ونشاط عمال الدولة، بما في ذلك الوالي وكبار الأشخاص من غير الموظفين. وإلى جانب ذلك كان عليه تقديم تقارير دورية عن حالة الولاية وعمل الإدارة وحالة الفلاحين والزراعة وميول السلطات المحلية نحو الخليفة من ناحية، ونحو الرعايا من ناحية أخرى، وعن حالة المناجم وكمية الذهب والعملة الفضية. وكان عليه مباشرة الإشراف على جميع المهام الحكومية الرئيسية في الولاية، وخاصة حشد القوات ودفع رواتبها[٣].

وعندما أعلن طاهر بن الحسين والي خراسان استقلاله بإحلال إسمه في خطبة الجمعة محل إسم المأمون، بعث صاحب البريد في خراسان تقريرا بذلك

---

(١) حسيني، س.أ.ق.؛ الإدارة العربية، مرجع سابق، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٢) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٥٧-٣٦١.

(٣) حسيني؛ الإدارة العربية، مرجع سابق، ص٣٣٢.

إلى المأمون[1]. وأيضا عندما أرسل طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في حربه ضد أخيه الأمين يبلغه انتصاره على علي بن عيسى بن ماهان قائد الأمين استغرق ثلاثة أيام، وكانت المسافة التي قطعت تبلغ ٧٥٠ ميلا[2]. وكان البريد منتظما في السنوات الأولى من عهد الأمين عندما كان أخوه المأمون في مرو حتى كانت الرسائل والهدايا تذهب وتجيئ بينه وبين أخيه في خراسان، ثم عاد البريد إلى سابق عهده من انتظام.

---

(١) حسيني، الإدارة العربية، ص٢٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٣.

العصبية العرقية والموالي في عصر المأمون
وموقفه منها

كانت هناك عصبية عرقية منذ قيام الدولة الأموية؛ فأدت سياسة التمايز التي اتسمت بها الدولة الأموية إلى استياء الشعوب التي انضوت تحت راية الإسلام، فقد تملّك العرب شعوراً بالسيادة، وأخذوا يشعرون أن العربي خُلِق ليسود، وخُلِق غيره ليخدم ونظروا إلى العناصر الأخرى نظرة السيد إلى المسود، واعتقدوا أنهم هم الأشراف وأن غيرهم لا حَسَب لهم حتى بعد إسلامهم، وعليهم أن يلتحقوا ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لتلك القبائل[1].

ولم يحتقر العرب الموالى لجنسهم فقط، بل احتقروهم لمهنهم؛ فالعرب يحترفون السياسة والحرب، بينما يشتغل الموالى بالمهن اليدوية على الأغلب كالزراعة والصناعة. ولم يستخدموا الموالى إلاّ في الأعمال الكتابية وفي الجباية، وهم يحتقرونها، وأبعدوهم عن الوظائف النبيلة، فلما ولِيَ سعيد بن جبير الأسدي بالولاء (٤٥-٩٥هـ) القضاء بالكوفة ضج الناس وقالوا: "لا يصلح للقضاء إلاّ عربي"[2]. وكان سعيد هذا تابعي حبشي الأصل من موالى بني والبة بن الحارث من بني أسد، وأعلم الناس في زمانه على الإطلاق، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال: أتسألوني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً[3].

---

(١) عبد العزيز الدوري، دكتور؛ العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، الطبعة الثالثة، نشر دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧، ص١٠.

(٢) المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٥هـ)؛ الكامل، جـ٢، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٤٣٩.

(٣) خير الدين الزركلي؛ الأعلام، المجلد الثالث، ص٩٣.

وكان العرب يستخدمون الموالي في الحروب مشاة، حتى أن المختار بن عبيد الثقفي صديق الموالي أوصى ابن الأشتر عندما أرسله لمحاربة عبيد الله بن زياد "أن عامة جندك هؤلاء الحمراء (الموالي)، وأن الحرب إن أضرستهم هربوا؛ فاحمِلْ العرب على متون الخيل وأرجِلْ الحمراء أمامهم"[1].

وأبى العرب أن يقاسمهم الموالي ثمرات البلاد المفتوحة؛ فحرموهم من العطاء، وكانوا يعتبرون البلاد المفتوحة وأهلها كأملاك يتصرفون بها، وأن الموالي فيء إفاءة الله على العرب وكذلك بلادهم. وتظهر هذه النظرة في المقولة الشهيرة "أهل السواد أرقّاء"[2]، وقول عمرو بن سعيد والي الكوفة: "السواد بستان قريش"[3].

وكان الموالي في العصر الأموي محتقرين في المجتمع الإسلامي؛ فلا يخاطبهم العرب بالكنية، وكانوا يقولون "لا يقطع الصلاة إلاّ ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى"[4]. ولما بنى الحجاج مدينة واسط نفى النبط منها، وكتب إلى عامله على البصرة "إذا أتاك كتابي فانفِ مَنْ قِبَلك مِنَ النبط فإنهم مفسدة للدين والدنيا"[5]، ومنع العرب التزاوج منَ الموالي؛ فجلد والي المدينة مولىً تزوّج من بني سليم، وفرّق بينه وبين زوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه[6] وهذا في حد ذاته خلاف ما ورد في الإسلام فالمسلم سواء كان عربياً أم عجمياً متساويين في الحقوق الشرعية.

---

(1) المبرد، الكامل، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٠٥-٤٠٦.

(2) الطبري؛ اختلاف الفقهاء، تحقيق شاخت، ليدن، ١٩٣٣م، ص٢٢٥.

(3) جرجي زيدان؛ تاريخ التمدن الإسلامي، جـ٢، القاهرة، ١٩١١م، ص١٩.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٢، القاهرة، ١٩١٣، ص١٦٠.

(5) عبد العزيز الدوري؛ العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص١١، نقلاً عن "محاضرات الأدباء"، للراغب الأصفهاني، جـ١، ص٢١٨.

(6) أبو الفرج الأصفهاني؛ الأغاني، جـ٤، القاهرة، ١٩٢٥م، ص١٥٠.

ولم يكتف العرب في العصر الأموي باحتقار الموالي، بل امتد إلى أولاد الإماء، ويسمون ابن الأمة الهجين "لأنه معيب"[1]. واحتج الخليفة هشام بن عبد الملك على زيد بن علي عند طلبه الخلافة، قائلاً: "بلغني أنك تخطب الخلافة، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة"[2].

ويعلق على ذلك عبد العزيز الدوري بقوله: "لذلك سخط الموالي على الأمويين، وأن هذه النظرة كانت سائدة في الأوساط الرسمية، وبين القبائل والأعراب. أما الأوساط العلمية والدينية فكانت تنظر إليهم بعين المساواة[3].

سخط الخراسانيين على الأمويين:

كان في خراسان من أسلم رغبة في الإسلام، ومن أسلم طمعا بالامتيازات ومن حافظ على دينه الأصلي. وكان كل من هذه الجماعات ساخطا على الأمويين؛ فأولاها حقدت عليهم لإهمالهم مبادئ الشرع، والثانية خاب ظنها بالمساواة، والثالثة كانت تنتظر الفرصة لتنقذ دينها.

ولم ينتشر الإسلام بصورة متساوية في إيران؛ فكان انتشاره في الغرب قويا، أما في طبرستان والديلم فيكاد يكون معدوما. وأما في خراسان فانتشر في المدن الكبيرة، ولكن الديانات الفارسية: المجوسية والمانوية والمزدكية بقيت منتشرة في القرى، فتسلل إلى الإسلام بعض الآراء الإيرانية القديمة، كما لم تتخل المذاهب الفارسية القديمة عن عقائدها ولم تقبل الدين الإسلامي، بل سلكت طريقا وسطا حافظ على الأسس الفارسية واقتبس شيئا من الإسلام، كما كان الحال مع "الخرمية". وإن كانت الخرمية بعيدة عن الإسلام.

---

(1) أحمد أمين؛ ضحى الإسلام، جـ١، القاهرة، ١٩٣٤م، ص٢٥.

(2) جرجي زيدان؛ تاريخ التمدن الإسلامي، جـ٤، مرجع سابق، ص٥٧.

(3) عبد العزيز الدوري، دكتور؛ العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص١٢.

ونمت في خراسان روح قومية فارسية تضيق بحكم العرب وتعتبره نوعاً من عجائب القدر، وتسعى جاهدة للخلاص منه بكل وسيلة. إلا أن وجود تباين في المصالح بين طبقات الشعب الإيراني، وعدم وجود شعور عام ضد العرب والمسلمين واقتصار الثقافة على طائفة صغيرة نسبياً يحملنا على الاعتقاد بأن الحركة القومية كانت محدودة. ثم إن الطامحين من الإيرانيين فكّروا في إرجاع مجد إيران، ولكنهم وجدوا أن محاولة الانفصال عن العرب مباشرة ضرب من الحمق لأن ذلك يوحّد العرب ضدهم. ووجدوا أن خير وسيلة لإظهار سخطهم هو تأييد بني هاشم؛ فإذا ما انتقلت السيادة إلى هؤلاء بمساعدتهم فستصبح السلطة في أيديهم، وعند ذلك يحققون نواياهم الأصلية[1].

ولا شك أن سياسة التمايز التي اتسمت بها الدولة الأموية أدت إلى استياء الموالي، وبخاصة الإيرانيين منهم لكونهم أهل حضارة قديمة ومدنية عريقة؛ فعز عليهم أن يتعالى عليهم العرب ويسيئوا معاملتهم. فكان شعورهم هذا باعثاً للتشيع لآل البيت. فمنذ أن انتقلت الدعوة للعباسيين، وهم يوجهون نشاط دعوتهم إليها، وبخاصة إلى منطقة خراسان النائية عن مركز الخلافة الأموية "دمشق" وجدوا تجاوباً معها.

وكان عدد العرب قليلاً نسبياً في خراسان؛ فيقدّرهم يوليوس فلهاوزن (Wellhaussen) في كتابه "تاريخ الدولة العربية" بمائتي ألف[2] طبقا لما هو ثابت في دفاتر الجند. ولم يحصروا أنفسهم في المراكز العسكرية، بل امتلكوا الضياع في الأرياف واختلطوا بأهل البلاد وتزوّجوا الإيرانيات واقتبسوا العادات الإيرانية بمضي الوقت، وصار بعضهم يشعر بشئ مشترك مع الأهالي[3].

---

(١) أحمد أمين؛ ضحى الإسلام، جـ١، مرجع سابق، ص٣١ وأيضاً حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٨٨

(٢) يوليوس فلهاوزن (Wellhaussen)؛ تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩٨.

وأظهر البيت العباسي تفضيلاً لخراسان على العراق للدعوة العباسية حيث هناك العدد الكثير والجَلَد الظّاهر والصدور السليمة والقلوب الفارغة، لم تتقسمها الأهواء، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب (إشارة إلى شجاعتهم) وأصوات هائلة ولغات ضخمة تخرج من أجواف منكرة (إشارة إلى التذمّر)[1]. فاستجاب لهم بها أناس كثيرون، وأدى إخفاق الأمويين في التوفيق بين مصالح الموالي والمصالح العربية إلى وضع اجتماعي توترت فيه العلاقات بين طبقات المجتمع، وبلغ هذا التوتر درجة أدت إلى اصطدام عنيف مما أدّى إلى سقوط الدولة الأموية[2].

ونتيجة لذلك ظهرت نزعة قومية بين بعض الإيرانيين؛ إذ المهم أن يقضي العرب على استقلال وشخصية الدولة الفارسية، واعتزّ الموالي الإيرانيون بحضارتهم الفارسية حينما لمسوا إقبال العرب على الاقتباس منها. كما اعتز الإيرانيون بدورهم في الحياة العامة واليومية؛ فقد حملوا دائماً أعباء الحرف والمهن، واحتكروا النشاط الزراعي والصناعي والتجاري؛ في حين اكتفى العرب بمناصب الحكم والقيادة[3]. وكان هذا شأن العرب في كافة البلاد المفتوحة.

وعندما تولى أبو مسلم الخراساني أمر الدعوة العباسية والقضاء على الدولة الأموية ونجاحه؛ أصبحت حركته في الواقع هي حركة الموالي الفرس خاصة وأنه نادى بتحسين أحوال الموالي السياسية والاجتماعية.

---

(1) ابن الفقيه؛ مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي خويه، المكتبة الجغرافية العربية، المجلد الخامس، ليدن، ١٨٨٥م، ص٣١٥.

(2) بندلي جوزي؛ من تاريخ الحركات في الإسلام، القدس، ١٩٢٨م، ص٤٠.

(3) Sykes, P.M.; A History of Persia, 3rd ed., London, 1930, p533.

وأشار المؤرخون الأقدمون إلى صلات الدولة العباسية بالفرس؛ فيقول المسعودي: "وكانوا يسمون باب خراسان باب الدولة حين أسست بغداد زمن الخليفة المنصور لإقبال الدولة العباسية من خراسان"(١). ووصف الجاحظ الدولة العباسية بأنها فارسية، فيقول: "دولة بني العباس أعجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية أعرابية في أجناد شامية"(٢).

وتحدث يوليوس فلهاوزن عن مركز كل من الفرس والعرب بعد قيام الدولة العباسية بالآتي: "علا شأن الأعاجم، وصار العرب منذ انتهت سيادتهم بانتهاء سيادة بني أمية أمّة مضطهدة، وقد تنبأ بذلك نصر بن سيّار الوالي الأموي بخراسان، ونمت القومية الفارسية، وكانت القوة الدافعة لنهوض الفرس وأهالي خراسان، كما كان الإسلام من قبل هو القوة الدافعة في نهوض العرب(٣). ومن أشعاره التي تشير إلى ذلك:

أرى بين الرماد وميض نار	وأخشى أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تزكى	وإن الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري	أ أيقاظ أمية أم نيام(٤)

وأوضح بالمر (Palmer) في كتابه "Haroun Al-Rachid" (هارون الرشيد) نتائج قيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس ويقول: "لما كان العباسيون يدينون بقيام دولتهم للنفوذ الفارسي؛ كان طبيعيا أن تسيطر الآراء الفارسية. ولهذا نجد وزيرا من أصل فارسي على رأس الحكومة، كما نجد أن الخلافة تدار بنفس النظام الذي كان تدار به إمبراطورية آل ساسان"(٥).

---

(١) المسعودي؛ مروج الذهب، جـ١، مرجع سابق، ص١٨٣.

(٢) الجاحظ؛ البيان والتبيين، جـ٣، مرجع سابق، ص٣٦٦.

(٣) يوليوس فلهاوزن؛ تاريخ الدولة العربية، ترجمة أبو ريدة، مرجع سابق، ص٥٠٦.

(٤) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، (أحداث ١٢٩هـ) ص٣٣.

(5) Palmer, Edward Henry; Haroun Al-Rachid, London, 1880, P.37-38.

إن الفرق بين الدولة الأموية والدولة العباسية، أن الأولى اعتمدت على سواعد العرب وعقولهم؛ فكانت منذ تكوينها دولة عربية بحتة، كل عناصرها من العرب الخلّص، وامتازت بتواجد شخصيات فريدة اتصفت بالشجاعة والإيمان، وهي صفات العربي الأصيل. أما الثانية فقد استعانت بالفرس،وصعدت على رماحهم وقوتهم، وساندوها في الخلاص من أعدائهم الأمويين وغير الأمويين، وتغلغلوا في مرافقها. وهؤلاء وقفوا من العرب موقف العداء الظاهر، وخلقت في الدولة جبهتين متعارضتين: جبهة الفرس وجبهة العرب، وكان لكل مبرراته وأسبابه في تأصيل هذا العداء ونلاحظ أن العرب كانوا عصبة الأمويين القوية، أما الدولة العباسية فكانت تستند على الموظفين، وهو سند ضعيف يتوقف على ما يأخذه الموظفون من رواتب أو مكافآت.

وتحدث فلهاوزن عن سياسة العباسيين نحو العناصر الفارسية بالآتي: "بتغيير الأسرة الحاكمة تغيّرت أيضاً طريقة الحكومة الداخلية. أما أن النفوذ الفارسي كان هو الراجح في ذلك فهو غير مؤكد. أما الذى لا شك فيه فهو أن نظام الحكم الداخلي لم يصبح عربيا على الإطلاق. وكان العرب بحكم أنهم الأمة الفاتحة فقد أصبحوا طبقة أرستقراطية حاكمة. أما في زمن بني العباس فقد زال هذا النظام بزوال ما كان يستند إليه من فوارق بين الطبقات. وكان جميع المسلمين أيام بنى العباس سواء، ليس بينهم تفاوت طبيعي في الحقوق السياسية، وكان للعباسيين وحدهم الحق المقدس في الرئاسة باعتبار أنهم ورثة النبي عليه الصلاة والسلام. ولكن العباسيين من وجهة أخرى أخمدوا في الناس روح الاهتمام بمسائل السياسة بعد أن كان هذا من قبل جزءاً من الدين؛ فأصبح المسلمون جميعاً: العرب منهم وغر العرب مجرد رعايا"[1].

---

[1] فلهاوزن؛ الدولة العربية، ترجمة أبو ريده، مرجع سابق، ص٥٢٨ وأيضاً جرجى زيدان؛ تاريخ التمدن الإسلامي، جـ٤ ص١٣٥-١٣٨.

وكان الخليفة العباسي في العصر العباسي الأول يتخذ أناساً من الفرس، يمنحهم شرف الانتساب إليه وإلى دولته، ويستخدمهم في القيام بشئون والحرب معه، ويجرى عليهم الأرزاق، فيسمون مواليه وموالي دولته، يقول جرجي زيدان: "فلما قبض العباسيون على أزمة الملك، جعلوا عاصمة مملكتهم بين شيعتهم في العراق؛ فأقاموا أولاً في الكوفة ثم في الهاشمية، حتى بنى المنصور مدينة بغداد على دجلة فجعلوهم بطانتهم ورجال دولتهم، ولا سيما الذين حاربوا مع أبي مسلم في طلب الخلافة لهم. واشهرهم خالد بن برمك جدّ الوزراء البرامكة، فإنه كان من قواد جند أبي مسلم، وشهد معه الوقائع وأبلى بلاءً حسناً في نصر أهل البيت، وكان أبوه برمك من مجوس بلخ ... أشتهر وكان برمك هذا عظيم المقدار عند الفرس. فأسلم خالد ودخل في جند أبي مسلم، وكان عاقلاً حازماً فلم يجعل للعباسيين محلاً للشك في صداقته كما فعل أبو مسلم؛ فقدّمه أبو العباس وولاّه الوزارة. وكذلك فعل العباسيون في استخدام الموالي في مهماتهم، وأول من استخدمهم لذلك المنصور، فاستعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدّمهم على العرب، فاقتدى به الخلفاء بعده حتى سقطت دولة العرب. ولما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله لمواليه وأوصى بإكرامهم. ومن أقواله في وصيته لابنه المهدي: "وانظر إلى مواليك فأحسن إليهم وقرّبهم واستكثر منهم، فإنهم مادتك لشدتك إن نزلت بك ...... وأوصيك بأهل خراسان، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك ...... وتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم، وتخلّف من مات منهم في أهله وولده"[١].

إن الذي حدث في الدولة العباسية لم نلحظه في الدولة الأموية؛ فلم يكن لدولتهم موالٍ بهذا المعنى. وهذا النوع من الولاء زاد نفوذ الفرس؛ لأنه كان

---

[١] جرجي زيدان؛ تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الرابع، وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس، نشر دار الهلال، بدون تاريخ، ص ١٣٥-١٣٦.

يزيد عددهم وقوتهم، وكان يشعرهم بأن الدولة دولتهم، وأن لهم سلطانا على الرعية في دولة الخلافة مستمدا من سلطان خليفتهم. ويذكر الطبري أن الفضل ابن يحيى البرمكي شخص إلى خراسان واليا عليها فأحسن السيرة، وبنى بها المساجد والرباطات وغزا ما وراء النهر[1][2]. وفي موضع آخر يذكر أنه لما قدم الفضل بن يحيى من خراسان خرج الرشيد إلى بستان أبي جعفر يستقبله، وتلقاه بنو هاشم والناس من القواد والكتاب والأشراف فجعل يصل الرجل بالألف ألف وبالخمسمائة ألف[3]. وكذلك كان الحال بين المأمون ووزيره الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل.

ثم إنه كان للفرس حضارة قديمة وسياسة متوارثة، ويجيدون معاملة الملوك مما جعل الخلفاء يطمئنون إليهم ويستعينون بهم، واتبع الخلفاء العباسيون في بلاطهم مراسم أكاسرة الفرس، وتضاءلت التقاليد العربية في النظم السياسية والإدارية لتحل محلها النظم الفارسية.

ولا شك أن أهل خراسان كان الحزب السياسي العسكري الذي حمل بني العباس فترة تقارب القرن الكامل. وظل هذا المصطلح "الخراسانية" يعني مركز الثقل السياسي للدولة العباسية منذ نشأتها، وكانت فرقة الصدام في الثورة العباسية، ثم كانت اليد الحديدية للخلفاء في البطش بالثورات والقيام بالحروب في كل مكان، والمساندة في الأزمات الخطيرة. وقد استخدمهم المنصور رغم قتله أبا مسلم، كما استعمل المهدي والرشيد كثيرا من الولاة والقواد من أهل

---

(1) ما وراء النهر؛ يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان وتشمل بلاد عديدة منها الصغد وأسروشنة وفرغانة والشاش، واعتبر حدود ما وراء النهر دار حرب وجميع ما وراء النهر كفر. معجم البلدان جـ٤ ص٤٥.

(2) الطبري؛ تاريخ الطبري، المجلد الثامن، مرجع سابق، ص٢٥٧.

(3) الطبري؛ تاريخ الطبري، جـ٨، مرجع سابق، ص٢٥٩.

خراسان. ثم لما كانت الفتنة بين الأمين والمأمون استعاد الخراسانيون من جديد تأثيرهم فى الدولة بانتصار المأمون، ودفعوا إليها بمجموعة جديدة من رجال الإدارة والجيش أكّدوا فيه نهائياً التأثير الخراساني في الدولة، قبل أن يحل محله العنصر التركي الوافد مع المعتصم[1].

وعندما ظهرت بوادر الخلاف بين الأمين والمأمون أيّد الفرس المأمون وشكّلوا كتلة معادية لجماعة الأمين. فالفضل بن سهل مثلاً يشجع المأمون في خراسان على الثبات، ويُبيّن له قوة مركزه قائلاً: "وكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم ...... اصبرْ وأنا أضمن لك الخلافة"[2].

وتضم كتب التاريخ أمثلة كثيرة من قادة المأمون وكبار رجال دولته الموالي ممن ولّوا الأمصار والولايات مثل هرثمة بن أعيَن الذي كان قائداً أيام الرشيد، وواليا على الشام والحجاز مِن قِبَل المأمون، حتى قضى على ثورة أبي السرايا، ومنهم طاهر بن الحسين الذي وطّد الملك للمأمون وقتَل الأمين وعقد البيعة للمأمون؛ فولاّه شرطة بغداد، ثم جعله والياً على خراسان[3]. والحق أن هذا الصنيع من جانب المأمون لم يكن غريباً، بل كان شائعاً على الأقل في عهد خلافته الأولى.

ويذكر الجاحظ أن الموالي العباسيين كانت لهم مكانة خاصة؛ رأوا فيها أنفسهم في دولة بني العباس أرفع منزلة من العرب وبقية العجم معاً، وقال: الولاء لحمه كلحمة النسب، وحليف القوم منهم لأن السنّة قد نقلت الموالي إلى العرب في كثير من المعاني لأنهم عرب في المدّعى وفي العاقلة وفي الوراثة

---

[1] حسن إبراهيم حسن، دكتور، تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٦٧-٦٩.

[2] الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتّاب، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

[3] الثعالبي؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، طبعة الظاهر، القاهرة ١٣٢٦هـ، ص٢٠٧.

...... فلنا النسب الذى يصوّبه العربى، ولنا الأصل الذى يفتخر بـه الأعجمـى ...... فقد شاركنا العربى فى فخره والخراسانى فى مجده والبنوى فى فضلـه، ثم تفردنا بما لم يشاركونا فيه ولا سبقونا إليه ...... لأن شرف المولى راجـع إلينا ......"[1].

وكان من الطبيعى وقد استعان المأمون بالفرس فى هزيمة أخيه الأمين أن يجعل نفسه راعياً للشعب الذى يدين له بعرشه، وأن يسند إلى الفرس المناصب الكبيرة مما حزّ فى نفس بنى هاشم ووجوه الناس فى بغداد أن تخضـع الخلافـة للفرس ونفوذهم بعد أن غلب الفضل بن سهل على المأمون، وأنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده وأن يبرم الأمور على هواه، وهذه العناصر اشـتد ساعدها منذ قيام الدولة العباسية ووصلت إلى أرفع المناصب فى الدولـة مثـل منصب الولاية وقيادة الجيش، بل ظهرت أسر بيروقراطية توارثـت المناصب الرفيعة مثل بنى سهل الذى استعان المأمون بهم فى توطيد سلطانه، كما سبق أن ذكرنا. لكن المأمون عندما وجد أن إطلاق يد هؤلاء قد أخلّ بمبدأ التوازن بـادر إلى الفتك والتنكيل، لكن هذه البيروقراطية الجديدة دخلت فى طائفة أهـل الحـل والعقد، وحلت محل الأرستقراطية العربية زمن الأمويين.

---

(1) الجاحظ؛ رسائل الجاحظ: رسالة فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة، نشر دار النهضـة، بيروت، ١٩٧٢م، ص٢٧-٢٩.

الكتّاب فى عصر المأمون

تمهيد: إن تأسيس الديوان فى الدولة الإسلامية منذ أيام عمر بن الخطاب والأمويين وتقدمه بعث إلى تواجد جماعة من الموظفين جديدة كانت حتى ذلك الحين غير موجودة بين العرب، وهؤلاء كانوا مجموعة الكتّاب وموظفى الديوان الذين عُرِفوا في المجتمع الإسلامي بالكتّاب. لقد بدأ ظهور هذه الفئة من الموظفين منذ العهد الأموى، وانتشرت تدريجياً مع زيادة حجم الإدارات الحكومية، وزادت أهميتهم حتى جاء العصر العباسى الأول، فاعتبرت هذه المجموعة من الموظفين أحد المجموعات المؤثرة فى المجتمع العباسّى وركناً هاماً من أركان الدولة.

ومن هنا نال الكتّاب فى الدولة العباسية؛ البلاط وإدارات الحكومة نفس المزايا والشهرة والوضع الاجتماعى الذى كان يحتلّه الكتاب فى بلاط الساسانيين، وبالتدريج أصبح هذا الجزء من التشكيلات الإدارية فى الدولة العباسية وبلاط الخلفاء العباسيين بنحو واضح أنه وقع تحت تأثير التشكيلات الإدارية الساسانية، بل كان تقليداً كاملاً له.

وفى العصر العباسى الأول كانت هناك حاجة ماسة إلى مجموعة من الموظفين أو الكتّاب للقيام بالأعمال الكتابية بعد ما تعدّدت الدواوين لمساعدة الوزير فى أعماله الواسعة، وللإشراف على الدواوين والعمل بها؛ فاقتضى طبقاً لذلك أن يكون لكل وزير كاتب أو كتّاب يساعدونه، وأن يكون لكل والٍ من ولاة الأقاليم وكبار رجال الدولة كاتباً أو أكثر.

وكان الجهاز الإدارى فى الدولة العباسية سلسلة من بيروقراطية متصلة من الموظفين؛ تبدأ من القمة بالوزير، وتنتهى بصغار المحررين. ويمكن أن يشملها جميعاً اسم الكتابة. والوزارة فى العصر العباسى ذاتها هى بنت الكتابة،

والوزير لم يكن أكثر من رئيس الكتاب. وليس من قبيل الصدفة أن أولئك الذين اختارهم الخلفاء العباسيون الأوائل للوزارة كانوا جميعا من طبقة الكتاب؛ فقد كانت اقصى أمنيات هذه الطبقة منصب الوزارة. وعندما تضخمت أعمال رئيس الديوان وكبرت صار يعرف وزيرا. أما الكتابة فإسم أطلق على عمل الموظفين في الدولة العباسية. إذا فالكتاب هم السكرتيرون والموظفون في شتى دواوين الحكومة وأعماله.

ومن الملاحظ أن كتاب الدولة العباسية في عصرها الأول كانوا من حيث الأصل إيرانيين، ومن حيث الثقافة مشبعين بالثقافة الفارسية، ومن حيث الدين غير عميقي الإيمان بالإسلام أو من غير المسلمين؛ وذلك نتيجة الظروف السياسية والجغرافية التى أحاطت بقيام الدولة العباسية. كذلك كان مركز ثقل الدولة العباسية السياسى إنما كان مركزه خراسان وفارس (أى إيران بمعناها الواسع) ونلاحظ أيضا أن ارتباط الأسرة العباسية بخراسان أدى إلى ظهور ما يسمى "بالوسطاء" بينها وبين الإيرانيين من أمثال أبى مسلم الخراسانى والبرامكة ثم آل سهل فى عهد المأمون. كما كان السبب في زحف الكتاب الإيرانيين خاصة إلى وظائف الدولة[1]. ومارس هؤلاء الكتاب أعمالهم ونفوذهم وتأثيرهم من خلال أجهزة الإدارة التى عرفت باسم "الدواوين". ويتضح تكامل العمل الديوانى في العملية البيروقراطية والورقيات، وفى ظهور أسلوب خاص فى المراسلات الإدارية، وفى وجود "سجلات" تسجل فيها المراسلات والمعاملات، ونظام "للأرشيف" يحفظ الوثائق الرسمية. وقد استكمل الديوان العباسى هذه الملامح كافة، وساعده على ذلك انتشار صناعة الورق منذ عصر الرشيد على توطيد صفة الدواوين البيروقراطية، ووجد أسلوب في المراسلة عرف منذ ذلك الوقت بالإنشاء. كما كان للدواوين سجلات وأرشيف يرجع إليه عند الحاجة،

---

(1) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بنى العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٥٢٨-٥٢٩.

وفيه جرائد بارتفاع الخراج وسجلات بمساحة الأراضي ومقادير الضرائب محفوظة سنة بعد سنة[1]. وعلى هذا النحو تولى الأعمال الكتابية في العصر العباسي الأول الفرس؛ لأنه كانت لهم القدرة الفائقة في الكتابة وممارستها، بينما كان العرب يفخرون بالسيف لا بالقلم؛ لذا نجد كثيرا من الكتاب في العصر العباسي الأول يحذون حذو أجدادهم الفرس، ويقلدونهم حتى في مظهرهم الخارجي، وكان بعض هؤلاء الكتاب ذوي الأصل الفارسي يمتلكون ثقافة أوسع من ثقافة غيرهم ودائرة معارف أوسع ودراية كبيرة بأحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم؛ هذا فضلا عن أن إجادتهم عملهم كان يتطلب دراية في اللغة العربية وآدابها وعلوم الدين والفلسفة والتاريخ والجغرافيا إلى جوانب سياسية واجتماعية كثيرة قد تعرض في مسائل للخليفة أو الوزير أو الوالي.

ولدينا رسالة لطيفة دونها الجاحظ عنوانها "ذم أخلاق الكتاب" توضح ما كان عليه الكتاب في عصر المأمون وغيره من الخلفاء، يقول : "..... وليس للكاتب تقاضي فائته إذا أبطأ، ولا التحول عن صاحبه إذا التوى؛ فأحكامه أحكام الأرقاء، ومحله من الخدمة محل الأغبياء. ثم هو مع ذلك في الذروة القصوى من الصلف، والسنام الأعلى من البذخ، وفي البحر الطامي من التيه والسرف. يتوهم الواحد منهم إذا عرض جبته وطول ذيله، وعقص على خده صدغه ... أنه المتبوع ليس التابع، والمليك ليس المالك".

"ثم الناشئ فيهم إذا وطئ مقعد الرياسة، وتورك مشورة الخلافة، وحجزت السلة دونه، وصارت الدواة أمامه، وحفظ من الكلام فيتقه، ومن العلم ملحه، وروى لبزر جمهر أمثاله، ولأردشير عهده، ولعبد الحميد رسائله، ولابن المقفع أدبه، وصير كتاب مزدك معدن علمه، ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته، ظن أنه الفاروق الأكبر في التدبير، وابن عباد في العلم والتأويل، ومعاذ بن جبل في

---

[1] شاكر مصطفى؛ دكتور، دولة بني العباس، جـ١، ص٥٢٥.

العلم بالحلال والحرام، وعلي بن أبي طالب في الجرأة على القضاء والأحكام، وأبو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة، وإبراهيم بن سيار النظام في المكامنات والمجانسات. وحسين النجار في العبادات والقول بالإثبات، والأصمعي وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب. فيكون أول بدوه الطعن على القرآن في تأليفه والقضاء عليه بتناقضه، ثم يظهر ظرفه بتكذيب الأخبار، وتهجين من نقل الآثار. فإن استرجح أحد عنده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتل عنده ذكرهم شدقه (أي لواه استنكارا) ولوى عند محاسنهم كشحه، وإن ذكر عنده شريح جرحه، وإن نعت له الحسن استثقله، وإن وصف له الشعبي استحمقه، وإن قيل له ابن جبير استجهله، وإن قدم عند النخعي استصغره. ثم يقطع ذلك من مجلسه سياسة أردشير بن بابكان وتدبير أنوشروان واستقامة البلاد لآل ساسان"[١].

هذا وكان الكتاب في العصر العباسي عامة وعصر المأمون خاصة من الناحية الاجتماعية مجموعة من الإيرانيين المستعربين حاولوا أن يتمسكوا بوظائفهم ويرفعوا من شأنها، ويضعوا لها المؤهلات والتقاليد. كما كانت هذه الوظيفة تؤمن لهم حياة مترفة ونفوذا اجتماعيا كبيرا. وإذا كانوا ثقافيا يمثلون تيار الثقافة الفارسية؛ فقد سعوا إلى تقريبها ونشرها بين الناس، وطبع الدولة العباسية العربية بالطبع الإيراني الإداري-السياسي. وكان بعض الكتاب حديثي الدخول في الإسلام فظلوا بصورة عامة أميل إلى الزندقة[٢]، كما كان الحال عند إبراهيم بن إسماعيل بن داود الذى عمل للمأمون وهو في خراسان ففشل ولم يعمل على شئ حتى هلك، يقول الجاحظ في هذا الشأن: "وكان إبراهيم شعوبيا،

---

(١) الجاحظ؛ كتاب "ذم أخلاق الكتاب"، ضمن رسائل الجاحظ، الجزء الثاني، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ص١٩١-١٩٣.

(٢) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، ص١١٤-١٢١.

وكان يتهم بالثنوية. فإن كان ذلك صحيحا فقد كانت صبابته بها على جهة التقليد فيها، لا على جهة التفتيش والاحتجاج فيها. وهذه علة المرتد من سائر الكتاب"[1].

وتوسع الخلفاء العباسيون في استخدام الكتاب في الوقت الذى كان فيه نفوذ الوزراء يتعاظم، ووجدوا فيهم ضالتهم لتنظيم الدولة وضبطها ومركزيتها في النماذج الإدارية والتنظيمية التى نقلها لهم هؤلاء الكتاب عن الفرس وعن آداب البلاط الساساني؛ فاصطنعهم الخلفاء اصطناع محتاج لخبرتهم، راضين بهذه الخبرة، مقدرين لأصحابها، مميزين لهم فى المكانة والرزق والنفوذ جزاء ما بيدهم من "صناعة" الإدارة والسياسة والحكم[2].

وتنوع الكتاب تبعا لتنوع الدواوين فى العصر العباسى الأول؛ فكان منهم كتاب الرسائل وكتاب الخراج وكتاب الجند وكتاب الشرطة وكتاب القاضي وكان صاحب ديوان الرسائل الكاتب الأهم والأعلى شأنا من غيره؛ إذ كان عليه إذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية، وختمها بخاتم الخلافة بعد اعتمادها من الخليفة، ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها فى صيغتها النهائية. وكانت مهمة كاتب الرسائل تشبه عمل وزير الخارجية حاليا، حيث كان يتولى مكاتبة الملوك والأمراء عن الخليفة وبأسلوب شائق وبليغ. لذا روعي فى الكاتب رصانة الأسلوب وسعة العلم فضلا عن عراقة الأصل[3].

وأوجز ابن خلدون الصفات التى يجب توافرها فى الكاتب عامة وكتاب الرسائل خاصة، فقال: "إعلم أن صاحب هذه الخطة لابد من أن يعتبر من أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم لما يعرض عليه في

---

(1) الجاحظ؛ كتاب "ذم أخلاق الكتاب" من رسائل الجاحظ، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(2) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بنى العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٥٣١.

(3) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسى الأول، ص٢٦٤.

مجلس الملوك، ومقاصد من أمثال ذلك، مع ما تدعوا إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها ......"[١].

وعندما مارس الكتاب أعمالهم ونفوذهم وباشروا مهام مناصبهم من خلال أجهزة الإدارة التي عرفت باسم "الدواوين" وضح تكامل العمل الديواني في العملية الروتينية، وفي ظهور أسلوب خاص في المراسلات الإدارية، وفي وجود "سجلات" تسجل فيها المراسلات والمعاملات ونظام "للأرشيف" لحفظ الوثائق الرسمية وتبويبها[٢].

وكان هناك طائفة من الكتاب في العصر العباسي الأول لم يسمح الدهر بمثلهم؛ فاشتهر في عصر المأمون الفضل بن سهل وأخوه الحسن بن سهل وأحمد ابن يوسف وأحمد بن أبي خالد وعلي بن الهيثم. وعلى هذا النحو حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق بليغ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر، وممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب[٣].

الدواوين في عصر المأمون:

ونظرا لتعدد الدواوين في عصر المأمون بحيث يصعب حصرها؛ فكانت هناك أربعة دواوين رئيسية سواء في مركز الخلافة "بغداد" أو في الولايات وعلى رأس كل منها كاتب يدير شئونها ومسئول عنها، وهي:

---

(١) ابن خلدون؛ المقدمة، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، بدون تاريخ، ص٢٤٦-٢٥٦ (الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والسلطان وألقابها – ديوان الرسائل والكتابة).

(٢) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٥٣٥.

(٣) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، ص١٠٠.

(١) ديوان الرسائل: للمراسلات الإدارية والسياسية.
(٢) ديوان الخراج؛ للشئون المالية والضرائبية ويسمى أحيانا "ديوان الخراج الأعظم".
(٣) ديوان الجند؛ لتنظيم المؤسسة العسكرية وأمور الجيش.
(٤) ديوان البريد: وعمله الرقابة على إدارات الدولة كلها ويرأسه صاحب البريد.

أما القضاء فلم يكن له ديوان، بل ظلت إدارته متروكة للقضاة أنفسهم في كل ولاية، بما في ذلك بغداد نفسها في قسميها الشرقي والغربي. وكان هناك رئيس للقضاة أحدثه الرشيد وأسنده إلى أبي يوسف لتوحيد الأحكام لا الدواوين القضائية[1].

وكان هناك ديوان للنظر في المظالم. وقد خصص المأمون يوم الأحد من كل أسبوع للفصل في قضايا المظالم. وأورد الماوردي حكاية مفادها أن امرأة جاءت بشكوى ضد ابن الخليفة (أي المأمون)؛ فأمر المأمون أحد قضاته بالاستماع إلى الشكوى والفصل فيها بحضرته. وأصدر القاضي حكمه ضد الأمير العباسي ونفذ الحكم. والحكاية وردت عند الماوردي على النحو التالي: "حكي أن المأمون رضي الله عنه كان يجلس للمظالم يوم الأحد، فنهض ذات يوم من مجلس نظره، فلقيته امرأة في ثياب رثة ...... فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد	ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميدا لملك أرملة	عدا عليها فما تقوى به أسد
فابتز منها ضياعا بعد منعتها	كما تفرق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرا، ثم رفع رأسه وقال:

---

(١) اليعقوبي؛ البلدان، طبعة النجف، ١٩٣٩، ص٣٥ ، وأيضا عبد العزيز الدوري، دكتور، العصر العباسي الأول، ص٢٠٢.

من دون قلت عيل الصبر والجلد وأقرح القلب هذا الحزن والكمد

هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي وأحضر الخصم في اليوم الذي أعد

المجلس السبت إن يقض الجلوس لنا أنصفك منه وإلا المجلس الأحد

فانصرفت وحضرت يوم الأحد في أول الناس؛ فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك العباس بن أمير المؤمنين. فقال المأمون لقاضيه، وقيل لوزيره أحمد بن أبي خالد،: أجلسها معه وانظر بينهما، فأجلسها معه ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجابه. فقال له المأمون: دعها فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه. وأمر برد ضياعها عليها ......، وباشر المأمون تنفيذ الحكم وإلزام الحق[1].

على أنه كان يوجد بجانب الدواوين الأربعة الأساسية، ونظام القضاء المستقل، أعداد أخرى من الدواوين، على رأسها كاتب؛ أوجدتها الحاجات لشتى الشئون، ويمكن حصرها في ثلاث مجموعات تبعا لوظيفتها وطبيعة عملها على النحو التالي:

المجموعة الأولى؛ دواوين عملها شئون البلاط والخدمة، وهي:

(١) ديوان الحوائج.

(٢) ديوان الأحشام (الحشم والخدم).

(٣) ديوان التوقيع والتتبع على العمال.

(٤) ديوان الخاتم.

(٥) ديوان الرقيق.

(٦) ديوان الخزائن (خزائن السلاح والثياب).

(٧) ديوان السر.

---

(١) الماوردي؛ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الباب السابع: في ولاية المظالم، مرجع سابق، ص٨٤-٨٥.

(٨) ديوان الضياع لإقطاعات الخلافة.

المجموعة الثانية: دواوين ومؤسسات لتأمين العدالة والأمن للناس، وأهمها ديوان المظالم (ويشبه فى العصر الحالى محكمة الاستئناف أو محكمة النقض)، وأعمال صاحب الشرطة والمحتسب وصاحب الأحداث وصاحب المعونة وصاحب المناصب.

المجموعة الثالثة: دواوين مساعدة للشئون المالية، وهى:

(١) ديوان الصوافى، أو صوافى الأرض وأحوازها، وقد أوجده الرشيد.

(٢) ديوان الجوالى؛ لما يجمع من الجزية.

(٣) ديوان الصدقات؛ لتوزيع مال الزكاة على المستحقين.

(٤) ديوان المصادرات؛ وأوجده المنصور، ويسجل به أسماء من صادرهم ومقدار ما صادر.

(٥) ديوان المستغلات.

(٦) ديوان الاستخراج لمحاسبة العمال والولاة المتهمين بالرشوة.

وقد نجم عن ازدياد المركزية فى العصر العباسى الأول وتعقد أمور الدولة وتكاثرها وضرورة تنظيمها التنظيم المناسب أن أقيمت فى العاصمة بغداد دواوين للأقاليم المختلفة؛ فكان هناك ديوان خراسان وديوان الشام وديوان مصر وهكذا ......، تحتفظ بنسخ الوثائق الرسمية والرسائل المتبادلة مع ولاة الأقاليم وضبط شئونها. كما أقيم بجانب ديوان الخراج المركزى دواوين لخراج الأقاليم أيضا؛ فكان هناك خراج الشام له ديوان، وخراج الكوفة له مثله، وخراج الجزيرة كذلك وهكذا. وبجانب ديوان الجند المركزى كانت هناك دواوين لجنود الأقاليم؛ فكان هناك ديوان جند خراسان، وديوان جند الجزيرة وديوان جند الشام وديوان جند مصر ...... الخ. وهذا التوازى بين المركز والأقاليم أوجد الكثير من الروتين الإدارى فى المركز (أى بغداد دار الخلافة).

وظلت هذه الدواوين نشيطة فعالة زمن المأمون، وكان كتاب الدواوين يؤدون أعمالهم بكل همة ونشاط، حيث كان المأمون يحاول جاهدا حل مشاكل دولته وتصريف أعماله بنفسه، واستمر الوضع قائما حتى بعد عهد المعتصم؛ حيث بدأ يتناقص نشاطها وقلت جدواها باضمحلال الروابط المركزية، واستقلال كثير من ولايات الدولة العباسية[1].

وكان المأمون أول خليفة يؤسس مجلسا منظما للدولة يمثل فيه كل طائفة تدين له بالطاعة، وتمتع أولئك الممثلون بالحرية التامة فى التعبير عن آرائهم دون أن تعرقل مناقشاتهم. وظل المجلس مستمرا حتى عهد الخلفاء المتأخرين أيضا؛ وعندما انقسمت الإمبراطورية إلى إمارات اتخذ كل أمير لنفسه مجلسا خاصا به، مقلدا بذلك مجلس الخليفة[2].

أما عن الزى الخاص بموظفى الدواوين؛ فكانت مميزة بعلامات خاصة بهم، ونقلوا هذا التقليد عن الفرس، وجعلوا لكل طبقة من الناس زيا خاصا يعرف بها، فللوزراء لباس الوزراء، وللقضاة الطيلسان، وللجند الزى المعروف للجند وذكر الجهشيارى فى صدد ملابس الكتاب، أنه: "كان من رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن فى خدمتهم لبسة لا يلبسها أحد ممن فى غير تلك الطبقة. فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف بلبسه صناعته والطبقة التى هو فيها. فكان الكتاب جميعا فى الحضر يلبسون لبسهم المعهود فإذا سافر الملك تزيوا بزى المقاتلة"[3]. كذلك كان عليه الحال فى العصر العباسى الأول.

ولما كان معظم الوزراء فى الدولة العباسية من الموالى الفرس، أصبح الكتاب نتيجة لذلك من الفرس أيضا، وأصبحوا طبقة اجتماعية خاصة، كما كان الحال فى الدولة الساسانية التى نهجوا نهجها وساروا على دربها.

---

(1) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بنى العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٥٣١-٥٣٩.

(2) حسينى؛ الإدارة العربية، ترجمة دكتور إبراهيم أحمد العدوى، مرجع سابق، ص٢٨٧.

(3) الجهشيارى؛ كتاب الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٣.

ونستعرض فيما يلي أسماء بعض كبار الكتاب في عصر المأمون؛ سـواء أولئك الذين أمضوا فترة كبيرة من حياتهم الوظيفية كتاب، وانتقلوا إلى الـوزارة أو كتابا فقط حتى عزلهم أو وفاتهم، كالآتي:

الأول: أحمد بن يوسف (٠٠٠-٢٠٣هـ):

هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيـح العجلـي بـالولاء المعـروف بالكاتب؛ كان من كبار الكتاب، ثم ارتقى إلى الوزارة، وهو من أهل الكوفة. ولـي ديوان الرسائل للمأمون. وذكر الجهشياري أن أحمد بـن يوسـف كتـب كتابـا للمأمون بعد أن أدخل ذو الرياستين رأس أخيه محمد (الأمين) على ترس بيـده.. فأمر المأمون أن ينشئ عن طاهر بخبره ليقرأه الناس؛ فكتـب عـدة كتـب لـم يرضها واستطالها؛ فكتب أحمد بن يوسف في ذلك كتابا....... فلمـا عـرض النسخة على ذي الرياستين رجع نظره فيها، ثم قال لأحمـد بـن يوسـف: إنـا أنصفناك، وأمر له بصلات وكسى[1] وكراع[2] وغير ذلك، وقال له: إذا كان غدا فاقعد في الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديك واكتب إلى الآفاق"[3].

ويذكر الجاحظ أن أحمد بن يوسف كتب يوما بين يـدي المـأمون خطـا أعجبه، فقال: وددت والله أن أكتب مثله، وإنى مغرم ألف ألف. فقال له أحمد بـن يوسف: لا تأس عليه يا أمير المؤمنين، فإنه لو كان حظا ما حرمـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم[4].

ولي أحمد بن يوسف ديوان الرسائل للمأمون واستوزره. وفي ذلك حكايـة مؤداها أن المأمون استشار الحسن بن سهل فيمن يوليه الوزارة بعد أحمد بن أبي

---

(١) الكسي: الألبسة (الشرتوني، أقرب الموارد، جـ٢، ص١٠٨٥).

(٢) الكراع: إسم يجمع بين الخيل والسلاح (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٧٨٩).

(٣) الجهشياري؛ كتاب "الوزراء والكتاب"، مرجع سابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٤) الجاحظ؛ كتاب "ذم أخلاق الكتاب"، مرجع سابق، ص١٩٠.

خالد، فأشار عليه بتولية أحمد بن يوسف وأبي عباد بن يحيى، وقال: هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين. فقال له: اختر لي أحدهما، فاختار أحمد بن يوسف فاستوزره. وكان عالما بأمور الدولة وآداب الملوك كاتبا أديبا وشاعرا فصيحا قوى البديهة، يقول الشعر الجيد وله رسائل مدونه، وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدرا المرء عن سر نفسه فصدر الذى يستوعب السر أضيق[1]

والثاني: أحمد بن أبي خالد (ت٢١١هـ)

هو أحمد بن أبي خالد بن يزيد الأحول، كان من الموالي على جانب كبير من رجاحة العقل، وكاتبا فصيحا لبيبا بصيرا بعواقب الأمور. يذكر الجهشيارى قصة توليه الوزارة، بأن المأمون قال له: إن الحسن بن سهل قد لزم منزله، وإنني أريد أن أستوزرك فأراد أحمد أن يعتذر عن الوزارة، وقال: يا أمير المؤمنين إعفني من التسمي بالوزارة وطالبني بالواجب فيها، واجعل بيني وبين العامة منزلة يرجوني لها صديقي ويخافني لها عدوى. فما بعد الغايات إلا الآفات. فاستحسن المأمون جوابه، وقال: لابد من ذلك، واستوزره، ونهض بالوزارة خير نهوض[2].

أما أشهر أحداثه التاريخيه؛ فهى تلك التى استشاره المأمون في تولية طاهر بن الحسين على خراسان، فصوب هذا الرأى، وضمن هذا التعيين، على أن طاهرا ما لبث أن قطع الخطبة للمأمون لأمور أنكرها عليه الخليفة؛ فهدد المأمون وزيره أحمد بن أبي خالد لأنه هو الذى أشار عليه بتولية طاهر وصمم على قطع رقبته إذا هو لم يعمل على التخلص من هذا الخارج؛ فأرسل أحمد بن

---

(١) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص٣٠٤. وحسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ٢، مرجع سابق، ص٧٢.

(٢) الجهشيارى؛ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب، جمع وتعليق ميخائيل عواد، مرجع سابق، ص٤.

أبي خالد إلى طاهر هدية فيها كوامخ[1] مسمومة، فأكل منها ومات لساعته[2].

والثالث: عمرو بن مسعدة

هو أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعيد صول الكاتب ابن عم الشاعر إبراهيم ابن العباس الصولي. كان جده الأعلي "صول" أحد ملوك جرجان، وكان من الترك الذين اعتنقو المجوسية وتشبهوا بالفرس. وقد اعتنق الإسلام فى زمن بني أمية، ودخل ابنه سعيد فى الدعوة العباسية، فلما نجحت صارت له منزلة فى الدولة؛ إذ كان من دعاتها النابهين، ولم يلبث خالد البرمكى أن استخلص ابنه مسعدة للكتابة بين يديه في وزارة للسفاح والمنصور، وظل يعمل في دواوين المنصور حتى قلده الوزير أبو أيوب المورياني رياسة ديوان الرسائل، ويولد له ابنه عمرو فيعنى بتأديبه حتى يصلح للكتابة فى دواوين الدولة. ويظهر أنه مضى يتثقف ثقافة عربية وإسلامية واسعة حتى غدا لسنا فصيحا، بل غدا شاعرا مجيدا. كما غدا يحسن شئون الفقه مما يتصل بالخراج، كما وقف على آداب الفرس وكتاباتهم فى السياسة والأخلاق وتدبير الحكم، وربما وقف أيضا على شئ من الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية، وكلها كانت أدوات ترشح لشخص لكي يعمل في الدواوين لعصره، ويتقن العمل فيها ويظفر بما يريد من الإعجاب والترقي[3].

---

(1) كوامخ جمع كامخ: المخللات الشهية (المعجم الوسيط جـ٢، ص٨٠٤.

(2) حسن إبراهيم حسن، دكتور، تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ٢ مرجع سابق، ص٣٨٠.

(3) ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٧٥-٤٧٨. وأيضا: شوقي ضيف، دكتور؛ تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٥٥٢-٥٥٣.

واتصل عمرو بن مسعدة بالمأمون فرفع مكانته وأغناه، وكان مذهبه في الإنشاء الإيجاز واختيار الجزل من الألفاظ، سديد المقاصد والمعاني بحيث اتصفت بلاغته بصفتين أساسيتين بارزتين هما الإيجاز الدقيق والوضوح البالغ، حتى كان يضرب به المثل. وكان يقول للكتاب: إذا استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا[1].

وذكر الجهشيارى أن عمرو بن مسعدة وقع على ورقة رفعت إلى جعفر ابن يحيى البرمكي، فأعجب بالتوقيع، وضرب بيده على ظهر عمرو قائلا: "أى وزير في جلدك"[2] كما ذكر أنه كان رسائليا فقط[3]. وتوفى عمرو في سنة ٢١٧هـ في أطنة بتركية آسيا[4].

والرابع: علي بن الهيثم:

هو علي بن الهيثم الكاتب المعروف باسم "جونقا" أحد الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون. كان فاضلا أديبا كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة. قال المأمون في حقه ذات مرة: "أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته"[5].

وذكره ياقوت الحموى وأفاض في الحديث عنه وعن أحواله وختمها بقوله: "وقال المأمون يوما: ببابي رجلان؛ أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع

---

(١) شوقي ضيف، دكتور؛ العصر العباسي الأول، ص٥٥٤.

(٢) الجهشيارى؛ كتاب "الوزراء والكتاب"، مرجع سابق، ص٥٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣٥.

(٤) الزركلي؛ الأعلام، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص٨٦.

(٥) الجهشيارى؛ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٥٠. وأيضا ياقوت الحموى؛ معجم الأدباء، جـ٤، ص٣٥٩-٣٦٤.

نفسه، وهو علي بن الهيثم، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي"[1].

والخامس محمد بن يزداد

هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي، من كتاب الإنشاء في الدولة العباسية وكان ينظم الشعر الجيد، واستوزره المأمون، وتوفي المأمون وهو على وزارته وعاش إلى أيام الواثق بالله حتى توفي بسر من رأى سنة ٢٣٠هـ[2].

والسادس: الجرجاني

هو رجاء بن أبي الضحاك الجرجاني، من بلدة جرجايا القريبة من دجلة بين بغداد وواسط. كان من كتاب الدولة العباسية، ولي ديوان الخراج في أيام المأمون، ثم ولي خراج دمشق في أيام المعتصم، فخراج جندي دمشق والأردن في أيام الواثق، وقتله علي بن إسحق عامل الواثق في دمشق سنة ٢٦٦هـ[3].

والسابع: القاسم بن يسار الكاتب

كان من الكتاب في عصر المأمون، وورد ذكره في "معجم الشعراء" للمرزباني على النحو التالي:

القاسم بن يسار الجرجاني الكاتب، قال: وكان بينه وبين الفضل بن سهل حال وكيدة، فلما تقلد الوزارة لم يلتفت إليه؛ لأنه عرض عليه الشخوص معه إلى خراسان فلم يفعل؛ فكتب له شعرا فوصله وأكرمه وأحسن إليه[4].

---

(١) ياقوت الحموي؛ معجم الأدباء، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٣٦٤.

(٢) الجهشياري؛ نصوص ضائعة من كتاب "الوزراء والكتاب"، مرجع سابق، ص٢٦ وأيضا الأعلام للزركلي، المجلد السابع، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٣) الزركلي؛ الأعلام، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(٤) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٣١١.

والثامن: أبو عباد الكاتب

هو أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى، ذكره المسعودى أنـه كـان خاصا بالمأمون، وذكر أنه كان كاتبا جلدا لا يعـرف سـوى الحسـاب ولغـة الأرقام[1]. ويذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن حكاية مؤداها أنه عندما استشـار المأمون الحسن بن سهل فيمن يوليه الوزارة بعد أحمد بن أبى خالد، فأشار عليـه بتولية أحمد ابن يوسف وأبى عباد بن يحيى، وقال: هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين. فقال له: اختر لى أحدهما، فاختار أحمد بن يوسف فاستوزره. وهـذا يدل على أن أبا عباد كان من كبار الكتاب المرشحين لتولى الوزارة[2].

والتاسع: أبو الفضل عمر بن فرج بن زياد الرخجي

ينتسب إلى رخج، وهي كورة ومدينة من نواحي كابل، كان مـن أعيـان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكـل شـبيها بـالوزراء وذوى الدواويـن الجليلة"[3]. وكان فرج الرخجي والد أبي الفضل مملوكا لحمدونة بنت الرشـيد، وهي المعروفة بحمدونة بنت غصص، ولحق ولاءه بالرشيد. أما أبوه زياد فكـان من سبي معن بن زائدة، وكان فرج والد أبي الفضل عمر سبي معه عند غـزو معن الرخج.

وقد هجا بعض الشعراء فرجا، منه أن أعرابيا نظر إلى نبل قصـر فـرج الرخجي، فقال:

لعمرك ما طول البناء بنافع   إذا كان فرع الوالدين قصيرا[4]

---

(١) المسعودى؛ مروج الذهب، جـ٤، مرجع سابق، ص١٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام: السياسى والدينى والثقـافى والاجتمـاعى، جـ٢، مرجع سابق، ص٧٢.

(٣) ياقوت الحموى؛ معجم البلدان، جـ٣، ص٣٨.

(٤) الجهشيارى؛ كتاب الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٢٧٠-٢٧١.

وبجانب هؤلاء الأعلام من الكتاب الذين أثروا الحياة السياسية والأدبية بكتاباتهم فإذا ذكرنا الفضل بن سهل، وهو أحد الكتاب البلغاء وأول وزير للمأمون، نجده يقول لكتابه: "قاربوا بين الحروف، لئلا يسافر البصر سفرا بعيدا في حروف قليلة". ثم يعدد الجهشياري مزايا الفضل بن سهل، فيقول أنه كان حسن البلاغة، بل وله كلام مأثور وتوقيعات، منها: "عجبت لمن يرجو فوقه كيف يمنع دونه". ووقع الفضل بن سهل أيضا على رسالة بعثها خزيمة بن خازم: " الأمور بتمامها، والأعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها، وإلى الغاية جرى الجواد، وهناك كشفت الخبرة قناع الشك، فحمد السابق وذم الساقط"[1].

ونذكر في نهاية الحديث عن الكتاب أسماء بعض الكتاب الذي عاشوا في عصر المأمون؛ منهم عيسى بن عبد الرحمن، وكان يكتب لطاهر بن الحسين، وإبراهيم بن نوح بن أبي نوح وكان يكتب لإبراهيم بن المهدي[2]، ويحيى بن خاقان وكان من الكتاب لدى الحسن بن سهل[3]، ومن كتاب الجند محمود بن عبد الكريم وحميد بن عبد الحميد، وزيد بن أيوب الكاتب الذى عمل في ديوان الجند أربعين سنة والمعلى بن أيوب[4].

وكان من عظمة الكتاب وعلو شأنهم أن المأمون عندما قلد الحسن بن سهل خلافته، وأنفذه إلى العراق. فلما خرج من حضرته خرج معه مودعا له، فلما بلغ غاية المشيع، قال له: أذكر يا أبا محمد حاجة إن كانت لك. فقال ÷: نعم يا أمير المؤمنين. احفظ علي من قلبك مالا أستطيع حفظه إلا بك.

---

(1) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٣٠٦-٣٠٧.

(2) المرجع السابق ص ٩ و٣١٢.

(3) الجاحظ؛ رسائل الجاحظ، رسالة "ذم أخلاق الكتاب" جـ٢، مرجع سابق، ص١٩٨.

(4) المرجع السابق، الصفحات ٢٠٦ و٢٠٨ و٢٠٩.

مجلس المأمون:

كانت مجالس الخلفاء في العصر العباسي الأول تتميّز بالأبهـــة والجـــلال؛ ويجلس القوم في صفين عن يمينه ويساره على حسب أنسابهم ومراتبهم، ويـــدور الكلام والبحث في مختلف الشئون السياسية والعلميـــة والأدبيـــة، كذلــك يلقــى الشعراء بما تجود به قرائحهم ويقص الرحالة ما لاقوه في رحلاتهم. والأهم مـــن ذلك كله كان المأمون يُصرّف شئون الدولة وهو في هذه المجالس.

وكان المأمون شأنه شأن جميع الخلفاء العباسيين الذين سبقوه يعمل بجّـــد باعتباره رئيساً للإدارة كلها في إمبراطورية شاسعة جـــداً. وإذا تركنـــا الفـــترة الأولى من عهده، حيث باشر سلطته كولي للعهد، ثم خليفة وهو مقيم فـــى مـــرو بخراسان؛ حيث كانت مقاليد الحكم وتصريف شئونها تحت تصرّف الفضل بـــن سهل الذى وثق به المأمون وثوقاً تاماً، وأجاز له تصريف شئون الدولة وفق مـــا يريد. إلاّ أنه كان بصحبته جماعة من المربين والمستشارين وجههم أبوه هـــارون الرشيد قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مرو؛ هم: عبد الله بن مالك، ويحيـــى ابن معاذ، وأسد بن يزيد بن مزيد، والعباس بن جعفـــر بـــن محمـــد الأشـــعث، والسندى، وابن الحرشي ونعيم بن حازم، وعلى كتابته أيوب بن أبى سُـــمَيْر[1]. فكان هؤلاء هم أول جماعة يتشكل منها مجلس المأمون كولـــي عـــهد وأســـاس مجلسه كخليفة وهو مقيم في مرو فيما بعد.

وظلت حكومة الخلفاء العباسيين الأول حكومة أوتوقراطية، حتـــى جـــاء المأمون فانقلبت إلى حكومة دستورية شورية، واجتمع في عهده مجلس للنـــواب يمثل كل الطبقات والعناصر التى تخضع للخلافـــة العباسية ويتمثل النـــواب

---

(1) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٤١.

بالحصانة البرلمانية، ويبدون رأيهم في مختلف شئون الدولة بمنتهى الحرية والصراحة[١].

وذكر الطبري نوعين من المجلس عند المأمون، يقول: "دخل طاهر بن الحسين على المأمون، فسلّم عليه. فردّ له السلام ...... فقال له المأمون: اجلس. فقال: يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدي سيده. فقال له المأمون: ذلك في مجلس العامة. فأما مجلس الخاصة فطلق[٢]... وهذا يعني أنه كان هناك مجلسان؛ أحدهما مجلس العامة والآخر مجلس الخاصة.

ويذكر الجهشياري وصفاً لمجلس عام على النحو التالي: "ولما استقام الأمر للمأمون جلس مجلساً عاماً، وذكر ما أولاه، وعدّد نعمه في كلام طويل، فقال له الفضل بن سهل: إنه لم يكن أحد مع الله ولزوم أدبه، فأخلفه ما تقدّم الله به مِنْ وعده؛ قال: **"ولئن شكرتم لأزيدنكم"**[٣]. فقال الحسن بن سهل: فمتى كنتَ يا أمير المؤمنين موجباً شكره، ولم تجد خَلْقاً فيما عد من فضله وزيادته مما حُفِظَ يا أمير المؤمنين عن العالمين قولهم: لا تخافوا مع الإحسان على أنفسكم، وخافوا أنفسكم عن التقصير الموجب لحلول التقصير لحلول العقوبة بكم[٤].

وكان المأمون أول خليفة يؤسس مجلساً منظماً للدولة، يمثّل فيه كل طائفة تدين بالطاعة له. وتمتع أولئك الممثلون بالحرية التامة في التعبير عن آرائهم دون أن تعرقل مناقشاتهم، وذلك في إطار عمله كرئيس للإدارة كلها في إمبراطورية شاسعة جداً؛ فباشر بنفسه دقائق الإدارة وبرهن على أنه جزء لا

---

[١] سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٤٩.

[٢] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٥٧٨.

[٣] قرآن كريم؛ سورة إبراهيم، جزء من الآية السابعة.

[٤] الجهشياري؛ كتاب "الوزراء والكتاب" مرجع سابق، ص٣٠٩.

يتجزأ من الإدارة العظيمة وكشف من مقدرته في جدارة فائقة[1]. ولا أدل على ذلك من أنه ظل يعامل العلويين معاملة تتفق وما كان يعتقده في فضل علي بن أبي طالب، إلى أن خرج في سنة ٢٠٧هـ ببلاد اليمن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب؛ فبعث إليه المأمون أحد رجاله في جيش كثيف، فأمّنه وعاد به إلى المأمون، فأمر المأمون بمنع العلويين من الدخول عليه وحتّم عليهم لبس السواد[2].

وكان أعضاء البلاط الذي كان يتكوّن منه مجلس المأمون هم أمراء البيت العباسي ورجال القصر وأولئك الذين أعتقهم الخليفة والحرّاس والكتبة الخصوصيون والقرّاء والمؤذنون والمنجمون والميقاتيون والقصاص والمضحكون وصناع الخليفة والقادة والصيادون ومروّضو الوحوش والخدمة الخصوصيون والطهاة والأطباء وملاّحي القوارب الملكية وموقدو المصابيح وغيرهم[3].

وقد أعدت للمأمون بعد عودته من مرو إلى بغداد سنة ٢٠٤هـ قائمة تضم الرجال الذين يرغب في حضورهم على مائدته، واشتملت القائمة على الأدباء والعلماء ورجال الحاشية والعسكريين[4]. ثم إن المأمون كان يقرّب منه الشعراء، كما حذق هو نفسه الشعر حتى نفقت سوقه، وكثر الشعراء والمغنّون وعلماء الكلام في عهده[5].

---

(١) سيد أمير علي؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص٣٤٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسي الأول، ط٨، ص١٩٢.

(٣) حسيني، س.أ.ق.؛ الإدارة العربية، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٨٨.

(٥) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسي الأول، ص٧٤.

ويورد اليعقوبي ذكراً عن الشخصيات التي قرّبها المأمون إليه ولا تفارقه، يقول: "وكان الغالب على المأمون في خلافته ذو الرياستين (الفضل بن سهل) ثم جماعة منهم الحسن بن سهل وأحمد بن أبي خالد وأحمد بن أبي يوسف، وكان على شرطه العباس بن المسيّب بن زهير، ثم عزله، وولّى طاهر بن الحسين، ثم عبد الله بن طاهر، فاستخلف اسحق بن إبراهيم ببغداد. فوجه اسحق بأخيه طاهر ابن إبراهيم خليفة له على شرطه. وكان على حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة، ثم عزله وولّاه قومس.... وكانت حجابته إلى أحمد بن هشام وعلى بن صالح صاحب المصلّى"[1].

وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون، وكان المأمون شديد المحبة لمفاوضته؛ فإذا حضر عنده طاوله في الحديث، وكان كلما أراد الانصراف منعه؛ فانقطع زمان الحسن بذلك وثقلت الملازمة، فصار يتراخى عن الحضور بمجلس المأمون ويستخلف أحد كتّابه كأحمد بن أبي خالد وأحمد ابن أبي يوسف وغيرهما. ثم عرضت له سوداء (المانيخوليا) كان أصلها جزعة على أخيه، فانقطع بداره بتطبّب، واحتجب عن الناس إلاّ أنه كان أعلى الخلق مكانة[2]، في مجلس المأمون.

وكان غلبة العلم والأدب عند المأمون على الحرب، فكان جل من كان يجلس معهم من العلماء والحكماء، ويردّد أقوالهم في مجلسه من مثل ما ذكره الجاحظ عن المأمون قوله لسهل بن هارون: "قال بعض العلماء: أقصد أصناف العلم ما هو أشهى إلى نفسك، وأخف إلى قلبك؛ فإن نفاذك فيه على حسن شهوتك

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٧٠.

[2] ابن طباطبا، محمد بن علي؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص١٨١.

وسهولتك عليه"[1]. ويعلق الجاحظ على ذلك إلى اهتمامه بالعلم وشغفه بالحكمة وأنه صاحب رأي في بعض المسائل العلمية، وكان يجلس إليه بعض الأطباء من مثل بختيشوع بن جبريل وسلمويه وابن ماسويه[2].

وقد أفاض المؤرخون والكتاب في الحديث عن مجالس مناظراته، تذكر منها "مجلس مناظرة" ذكرها يحيى بن أكثم على النحو التالي: "كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء؛ فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة، وقيل لهم: انزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خُفُّه ضيّق فلينزعه، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها؛ فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخّروا وطيبوا، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه، ويناظرهم أحسن مناظرة، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبّرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس، ثم تُنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون"[3].

ويختم المسعودي حديثه عن المأمون بقوله: "وللمأمون أخبار حسان ومَعَانٍ وسير ومجلسات وأشعار وأخلاق جميلة"[4].

وأورد محمد الخضري مجلساً بكى فيه المأمون، على النحو التالي: "قال زيد بن علي بن الحسين: جلس المأمون يوماً للغداء وعلى رأسه سعيد بن الخطيب وهو يذكر مناقبه ويصف سيرته ومجلسه؛ إذ انهملت عين المأمون؛ فلما سُئِل عن سبب بكائه، قال: ما ذلك من حدث ولا مكروه هممت به لأحد، ولكنه

---

(1) الجاحظ؛ الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ٥، الطبعة الثانية، طبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٦٦هـ، ص٣١٠.

(2) المصدر السابق، ص٣٦٤.

(3) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب، جـ٤، ص٢١.

(4) المصدر السابق، ص٤٨.

جنس من أجناس الشكر لله لعظمته، وذكر نعمته التى أتمها عليّ كما أتمها على أبوي من قبلى ....."[1].

أما عن مجالس الغناء، يقول الجاحظ فى كتابه "التاج فى أخلاق الملوك" تحت عنوان "مجالس الغناء والطرب فى عهد المأمون" ما يلى: "امتنع المأمون عن سماع الغناء بعد قدومه بغداد سبع سنين، ثم أخذ يسمعه من وراء حجاب، كما كان يفعل أبوه الرشيد فى أول عهده بالخلافة. وظهر للندماء والمغنين. ولم ينل اسحق الموصلي تقدير المأمون أول الأمر حتى سأل عنه فأوقع به بعض خاصة الخليفة ورماه بالكبر والتيه، فلم يحفل به المأمون. ثم تمكن اسحق الموصلى من إرسال بيتين غنّاهما "زُرْ زر" أحد تلاميذه فى حضرة المأمون وهما:

يا سرحة الماء قد سدّت مواردُه	أما إليك طريق غير مسدود؟
لحائم حام حتى لا حراك بـه	محلأً عن سبيل الماء مطرود

فلما غناه زرزر أطربه وأبهجه وحرّك له جوارحه، وقال: ويلك. من هذا؟ قال: عبدك المجفو المطرح يا سيدى إسحق. قال يحضر الساعة. فجاء رسوله وإسحق مستعد قد علم أنه قد سمع الغناء من مجيد مؤدٍ أنه سيبعث إليه. فجاء الرسول فحدثت أنه لما دخل عليه ودنا منه، مدّ يده إليه. ثم قال: أدن منى فأكَبَّ عليه واحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه مصغياً إليه ومسروراً به"[2].

---

[1] محمد الخضرى؛ محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، مرجع سابق، ص٢٦٥.

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر؛ كتاب التاج فى أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكى باشا القاهرة، ١٣٣٢هـ=١٩١٤م، ص٤٤-٤٥.

تقريبه لأهل العلم وتعامله مع الفرس:

وما أن انفصل المأمون عن والده هارون والذى كان يرافقه في رحلته إلى التركستان ووفاته في طوس وانتقاله إلى مرو عاصمة خراسان، ظل المأمون بها ولم يبرحها، ووثق بالفضل بن سهل وثوقاً تاماً، واستشاره في كافة خطواته خاصة نزاعه مع أخيه الأمين، وانتهى الأمر بأن فوض له الوزارة، وأجاز له تصريف شئون الدولة. واشتغل المأمون بالمسائل العلمية والفلسفية وصرف وقته في المجادلات الفقهية والمناظرات الكلامية مع العلماء الذين قدموا إلى بلاطه. فوجد المأمون نفسه في بيئة خراسانية وتعايش معها وكان أول ما فعله أن حط عن خراسان ربع الخراج؛ فحسّن موقع ذلك منهم[1].

وذكر الطبرى قولاً يؤيد ذلك الحديث الذى دار بين المأمون والفضل بن سهل وهو: "قال الفضل بن سهل للمأمون: قد قرأت القرآن وسمعت الأحاديث وتفقهت في الدين؛ فالرأى أن تبعث إلى من بالحضرة من الفقهاء؛ فتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة وترد المظالم وأكرمت القواد وملوك خراسان وأبناءهم[2].

وفي فترة نزاعه مع أخيه الأمين، ورد إلى المأمون كتاب بالنهي عن الدعاء له ولأخيه القاسم المؤتمن، فكبُرَ ذلك عليه واشتد، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن؛ فشاورهما في ذلك. فقال الفضل: الأمر مُخطر، ولك في شيعتك وأهل بيتك بطانة[3]. والمقصود بشيعة المأمون أهل خراسان. ولا أدل على حب المأمون لخراسان وأهلها زواجه من بوران بنت الحسن بن سهل[4] ولعل الزواج كان سياسياً أيضاً.

---

(1) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٧٢.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(3) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٣٧٧.

(4) المرجع السابق، ص٥٦٦.

يتضح من ذلك أن المأمون اشتغل بالعلم وتعمق فيه حينما كان بمرو؛ وكان يقضى أغلب أوقاته مع العلماء، وأخذ عنهم جملة من العلوم الدينية؛ كالحديث والتفسير واللغة العربية.

أما عن الناحية العقلية فالمأمون فيلسوف الخلفاء، ووصفه ابن النديم بقوله: "أعلم الخلفاء بالفقه والكلام، وكان دون أخيه محمد بن زبيدة فى الفصاحة، ونحن نستغنى بشهرة أخباره عن استقصاء ذكره"[1]. ثم جعل ابن النديم مؤلفا، يقول: "وله من الكتب كتاب جواب ملك البرغر[2] فيما سأل عنه من أمور الإسلام والتوحيد، وأيضا رسالة فى حجج مناقب الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضا رسالة فى أعلام النبوة"[3].

ولم يكن المأمون وحده يهتم بالعلم والأدب؛ فقد اشتهر من وزرائه الفضل ابن سهل وأخيه الحسن؛ وكان الفضل بن سهل أديبا بارعا، وأورد الجهشيارى الكثير من توقيعاته، نذكر منه: "عجبت لمن يرجو من فوقه، كيف يمنع من دونه"، وأيضا وقع إلى خزيمة بن خازم: "الأمور بتمامها، والأعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها، وإلى الغاية جرى الجواد، وهناك كشفت الخبرة قناع الشك، فحمد السابق وذم الساقط"[4].

وكان الفضل بن سهل منذ تشرفه بالإسلام فصيحا بعد أن كان على المجوسية، وذكر "يوهان فك" حكاية نقلها عن كتاب "تاريخ الحكماء" للقفطى عن مدى إيمان الفضل بالإسلام وتمسكه بإيرانيته بالآتى: "ولما اعتنق الإسلام سنة

---

(1) ابن النديم؛ الفهرست، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، ص١٦٨.

(2) برغر: نوع من الترك يقطن الإقليم السابع، وهى أمة شديدة البأس ينقاد إليها من جاورهم من الأمم. ويؤكد ياقوت الحموى أن صفات البرغر هي صفات بلغار. والقوافل متصلة منهم إلى بلاد خوارزم وأرض خراسان (معجم البلدان؛ جـ١ ص٣٨٥.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) الجهشيارى؛ الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٣٠٧.

١٩٠هـ وزير المأمون فيما بعد: الفضل بن سهل ذو الرياستين، ولزم الفراش وهو محموم زاره الطبيب جبريل بن بختيشوع؛ فوجد في يده القرآن الكريم. وقد رأى الذى سجل هذا المنظر، من الطبيعى أن الزائر سأل مريضه باللغة الفارسية: جون بينى نامه ايزد؟ كيف تجد كتاب الله؟، وأنه تلقى الجواب بنفس اللغة: خوش جون كليله ودمنه: حسن مثل كليلة ودمنة[١]. أما أخوه الحسن بن سهل فكان أعظم الناس منزلة عند المأمون وكان شديد المحبة لمفاوضته؛ فكان إذا حضر عنده طاوله فى الحديث، وكلما أراد الانصراف منعه"[٢].

كذلك اشتهر من وزراء المأمون أحمد بن يوسف الذى كان معروفا بين أهل عصره بسمو المكانة فى العلم والأدب والكتابة والشعر، وكان بصيرا بأدوات الملك وآداب السلاطين، وكان لظرفه وفطنته وبصره بالأمور موضعا لرضا المأمون وعطفه عليه[٣].

وأيضا كان المأمون يقرب منه الشعراء، كما حذق هو نفسه الشعر حتى نفقت سوقه، وكثر الشعراء والمغنون وعلماء الكلام فى عهده[٤].

نستخلص من ذلك أنه كانت فى عصر المأمون نهضة أدبية رعاها الخليفة وقرب إليه جماعة العلماء والأدباء. ثم إننا نستشف رؤية جديدة هو أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والأدب زمن المأمون كانوا من الإيرانيين،

---

(١) يوهان فك؛ العربية: دراسة فى اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة وتعليق دكتور رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجى بمصر، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠، ص٩٢.

(٢) حسن خليفة؛ الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، مرجع سابق، ص١١٢.

(٣) ياقوت الحموى؛ معجم الأدباء، جـ٢، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩١م ص٩٣.

(٤) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسى الأول، مرجع سابق، ص٧٤.

وكانت العربية هى اللغة التى تعاملوا بها. وقد أقر بذلك ابن خلدون[1] فى مقدمته عند كلامه عن العلم والعلماء فى الفصل الخامس والثلاثين من الباب الرابع وعنوانه "فى أن حملة العلم فى الإسلام أكثرهم العجم"؛ بحيث شهدت الحياة الثقافية فى عصر المأمون طفرة كبيرة وشاعت الثقافة العربية بين جماهير المسلمين؛ فلم تعد ثقافة الأرستقراطية العربية المنطوية على نفسها، فى المدن أو الحواضر أو البوادى. ونتج عن ذلك امتزاج التقاليد الثقافية الموروثة للشعوب الإسلامية بالتقاليد الثقافية العربية.

تعامل المأمون مع الفرس:

واستفاد العباسيون فى المراحل الأولى للثورة بالإيرانيين؛ وكانت الخراسانية هم جند الدولة الذين دخلوا العراق عام ١٣٢هجرية لإنهاء الحكم الأموى. وكان من الطبيعى قد استعان المأمون بالإيرانيين فى هزيمة أخيه الأمين أن يجعل نفسه راعيا للشعب الذى يدين له بعرشه، وأسند إليهم المناصب الكبيرة من الوزراء والولاة ورؤساء الدواوين بدرجة أكثر مما فعل أسلافه[2].

وإذا تتبعنا الصراع الأخوى بين الأمين والمأمون نجد أن الإيرانيين كانوا يؤيدون المأمون، ويشكلون كتلة معادية لجماعة الأمين؛ فالفضل بن سهل مثلا يشجع المأمون فى خراسان على الثبات، ويبين له قوة مركزه قائلا: وكيف بك وأنت نازل فى أخوالك وبيعتك فى أعناقهم ...... اصبر قليلا وأنا أضمن لك الخلافة"[3]. وفى الأيام الأخيرة للأمين ثار الأبناء (وهم الخراسانيون ببغداد) ضده وبايعوا المأمون. ويقول اليعقوبى فى هذا الشأن: "ووثب الأبناء والحربية

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخامس والثلاثون.

(٢) بارتولد؛ تركستان، مرجع سابق، ص٣٣٠.

(٣) الجهشيارى؛ الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٢٧٨.

بمحمد، ودعوا للمأمون، وكاتبوا طاهرا وأعطوه الرهائن فدخل طاهر بغداد"[1].
وكان الخراسانيون يشيرون إلى المأمون بـ"ابن اختنا".

من هذا يتضح أن الخراسانيين خاصة والإيرانيين عامة أيدوا الدولة العباسية وأيدوا المأمون قلبا وقالبا وتفانوا في ذلك حتى كتب لهم النجاح.

وأصبح لأهل خراسان مقام كبير في الأمور العسكرية منذ قيام الدولة العباسية لا يقل عما كان لقواد العرب فيها، ولما جاء عصر المأمون واتخذ مدينة مرو مقرا لحكومته، ازداد نفوذ الخراسانيين زيادة كبيرة؛ لأنهم هم الذين ناصروه وعاضدوه في الخلاف الذي شجر بينه وبين أخيه الأمين، وبفضل معاونتهم اعتلى عرش الخلافة؛ ولذلك قدمهم على العرب، واتخذ منهم الجند والقواد، واعتمد عليهم اعتمادا كبيرا في إدارة الشئون الحربية وفي الإدارة الحكومية الأخرى. وعلى هذا النحو استطاع المأمون أن يعيد للدولة وحدتها. وكان لشعار المساواة الذي سبق أن رفعه الدعاة العباسيون، أثر بالغ في الجهاز الإداري، حيث استفادت الدولة العباسية من العناصر الإيرانية التي تسربت إلى جميع الوظائف الصغرى في العاصمة والأقاليم، وتولوا المناصب الخطيرة ذات الأثر في توجيه الدولة، مثل منصب الكاتب أو الوزير. وكما سبق أن رأينا احتكر هذا المنصب طوال عصر المأمون الإيرانيون، واشتهر منهم طائفة أمثال الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل وأحمد بن يوسف والحسن بن وهب وغيرهم.

وأيضا تطرقت العناصر الإيرانية في الدولة، مثل منصب الولاية وقيادة الجيش، بل ظهرت أسر بيروقراطية توارثت المناصب الرفيعة وأطلقت أيديها في أمور الدولة، مثل آل سهل الذين أسلمهم المأمون قياده حتى نكب الفضل بن

---

(1) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، مرجع سابق، ٤٤١.

سهل أو مثل الطاهريين في خراسان، بل دخلت هذه البيروقراطية الجديدة في طائفة أهل الحل والعقد، وحلت محل الأرستقراطية العربية زمن الأمويين[1].

ويقول بارتولد: "إنه شيئا فشيئا أخذ الخلفاء يسندون إدارة الولايات الشرقية لممثلي الأرستقراطية المحلية الذين ظهرت من بينهم الدولة الطاهرية"[2] زمن المأمون، وهو أول بيت من الموالي الفرس استقل بأمر خراسان.

وكان لاشتراك الإيرانيين في الحكم أن تقدم هؤلاء في جميع النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ فالتطور السياسي والعسكري أفضى إلى الحركات الاستقلالية، كما رأينا في الطاهريين بخراسان، والتطور الاقتصادي الاجتماعي أفضى إلى رأسمالية الإيرانيين، والتطور الثقافي أفضى إلى الإحياء[3].

---

(1) حسن أحمد محمود، دكتور، أحمد إبراهيم الشريف، دكتور؛ العالم الإسلامي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص١٢٤.

(2) بارتولد؛ تركستان، مرجع سابق، ص٧٤٣.

(3) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف؛ العالم الإسلامي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص١٩.

الفصل الثالث

حياته الأسرية

زوجاته وسراريه

أولاده

الفصل الثالث

حياته الأسرية: زوجاته وسراريه . أولاده

زوجات المأمون وجواريه:

تزوج المأمون نساءً كثيرات، اشتهر منهن اثنتان، هما: أم عيسى بنت موسى الهادي، والثانية بوران بنت الحسن بن سهل. وهناك أخريات أمهات أولاد كثيرات وجواري عديدة يتضح ذلك من كثرة ما أنجب من بنين وبنات.

وذكر الطبري أن المأمون تزوّج بوران بنت الحسن بن سهل في سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م[١] وزفّت إليه في سنة ٢١٠هـ=٨٢٥م[٢]. وفي ذلك يقول ابن الأثير: "وفي هذه السنة (٢١٠هـ) بني المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في رمضان، وكان المأمون سار من بغداد إلي فم الصلح[٣] حيث معسكر الحسن بن سهل؛ فنزله، وزفّت إليه بوران؛ فلما دخل إليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد، وأم جعفر زبيدة أم الأمين وجدتها أم الفضل، والحسن بن سهل. فلما دخل نثرت عليه جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون؛ فأمر المأمون بجمعه فأعطاه بوران، وقال: سلي حوائجك؟. فأمسكت، فقالت جدتها: سلي سيّدك فقد أمرك؛ فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي، فقال، قد فعلت وسألته الإذن لأم جعفر في الحج فإذن لها، وألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الأموية، وابتنى بها في ليلته، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منّاً[٤]. وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوماً يعدُّ له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه، وخلع الحسن علي القواد علي مراتبهم وحملهم ووصلهم، وكان مبلغ ما لزمه خمسين

---

[١] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٦٦.

[٢] المرجع السابق، ص٦٠٦.

[٣] فم الصلح: مدينة تقع شرقي دجلة بجوار واسط؛ بينها وبين جبّل عدة قرى، وفيها كان القصر الفخم الذي بناه الحسن بن سهل وزير المأمون، وبني المأمون ببوران بنت الحسن ابن سهل (معجم البلدان، جـ٤، ص٢٧٦.

[٤] المنّ معيار قديم كان يكال به أو يوزن وقدره أن ذاك رطلان بغداديان، والرطل عندهم اثنتا عشرة أوقية بأواقيهم.

ألف ألف درهم، وكتب الحسن أسماء ضياعه في رقاع ونثرها علي القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها أسم ضيعة بعث فتسلّمها"[1]. كما وصف المسعودي قصة زواج المأمون ببوران بشكل مشابه وجعل ابن الأثير عنوان هذا الزواج "عرس أسطوري"[2].

هذا ويدل حفل عرس المأمون وبوران علي ما وصلت إليه الدولة العباسية زمن المأمون من الغنى والجاه.

ولما أراد المأمون أن يصعد في دجلة منصرفاً إلي بغداد، قال للحسن بن سهل: حوائجك يا أبا محمد. قال: نعم يا أمير المؤمنين. أسألك أن تحفظ عليَّ مكاني من قلبك؛ فإنه لا يتهيأ لي حفظه إلاّ بك. فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز إليه سنة[3].

كذلك سجّل صاحب كتاب "العيون والحدائق في أخبار الحقائق" شيئاً عن هذا الإنفاق، وقال: "أنفقت أم جعفر "زبيدة" زوجة الرشيد مبلغاً كبيراً من المال في حفلات العرس، ولما سُئلت عما أنفقت، قالت: ما صنعت شيئاً؛ قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف درهم إلي سبعة وثلاثين ألف ألف درهم. وليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أُنفق في زفاف بوران علي المأمون"[4].

أما الجواري والمحظيات؛ فهناك ذكر النساء شغف المأمون حباً بهن؛ منهن "بدعة الكبيرة" جارية عُرَيْب[5] والتي كان أحسن أهل

---

(1) المسعودي؛ مروج الذهب، جـ٤، ص٣٤.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة، وأيضاً ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٧٨.

(3) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٧٨.

(4) مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق، جـ٣، ص٣٤٧.

(5) عُرَيْب: هي عُرَيْب المأمونية، شاعرة ومغنية وأديبة، كانت تجيد صنعة الغناء والضرب علي العود، قيل هي بنت جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي، ولدت ببغداد سنة ١٨١هـ=٧٩٧م، ونشأت في قصور خلفاء بني العباس، وأعجب بها المأمون فقربها إليه

دهرها وجهاً وغناءً ، وكانت تقول شعراً ليناً يستحسن من مثلها[1].

وأيضاً مؤنسة الرومية، وكانت حظية عند المأمون مقّربة إليه، وكانت تعتني بأحمد بن يوسف وزير المأمون، وكان هو بدوره يقوم بخدمتها وقضاء حوائجها؛ ويقول ابن الساعي: "فأدلت علي المأمون في بعض الأمور فأنكر عليها وصار إلي الشماسية[2]، ولم يحملها معه؛ فاستحضرت نصُرْة خادم أحمد ابن يوسف، وحملته رسالة إلي مولاه بخبرها، وسألته التلّطف في إصلاح نية المأمون لها. فلما عرّفه الخادم ذلك دعا بدوابه وقصد الشمّاسية فاستأذن علي المامون. فلما وصلَ إليه قال: أنا رسولٌ. قال: فأذنٌ في تأدية الرسالة فأنشده هلي الأبيات، وهي:

قد كان عَتْبُك مرّةَ مكتوماً   فاليوم أصبح ظاهراً معلوماً
نال الأعادي سُؤلهم لا هُنّئوا   لما رأونا ظاعناً ومقيماً
هبْني اسأتُ فعادة لك أن ترى   متجاوزاً متفضلاً مظلوما

قال: فهمتُ الرسالة فكنْ الرسول بالرضا. ووجّه بياسر الخادم فحملها[3].

حتى نسبت إليه، توفيت سنة ٢٧٧هـ=٨٩٠م (الأغاني جـ٨، ص١٧٥، ابن الأثير، جـ٦، ص٣٦٠).

[1] ابن الساعي الخازن البغدادي، تاج الدين أبو طالب أنجب؛ كتاب النساء والخلفاء المسمي "جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء" تحقيق دكتور مصطفي جواد نشر دار المعارف بمصر، مجموعة ذخائر العرب رقم "٢٨" القاهرة، ١٩٩٣، ص٦٣.

[2] الشّمّاسية: محلة منسوبة إلي بعض شمّاسي النصاري، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلي مدينة بغداد. (معجم البلدان؛ جـ٣، ص٣٦١).

[3] ابن الساعي الخازن البغدادي؛ نساء الخلفاء، ص٧٩-٨٠.

ذريّة المأمون:

يقول اليعقوبي: "وخلف المأمون من الولد الذكور ستة عشر ذكراً؛ وهم محمد، وإسماعيل، وعلي، والحسن، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وأحمد، والعباس، والفضل، والحسين، ويعقوب، وجعفر، ومحمد الأكبر، وتوفى في حياته، ومحمد الأصغر وعبيد الله؛ أمهما أم عيسي بنت موسى السهادي[1]. ويذكر صاحب كتاب "العيون والحدائق" الأسماء الذكور كما ذكرها اليعقوبي، وأضاف "ومن البنات عشرة"[2].

وإذا أحصينا عدد الذكور عند كل من اليعقوبي وصاحب كتاب العيون والحدائق نجد أن العدد سبعة عشر وليس ستة عشر، ولم يتعرض كل من الطبري وابن الأثير لهذه المسألة في كتابيهما.

ومن أبرز أبنائه العباس، وهو الذي عقد له والده على الجزيرة والثغور[3] والعواصم في سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م. وذكر ابن الأثير ذلك وقال: "وفيها (أي سنة ٢١٣هـ) ولّي المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم، وولّي أخاه أبا اسحق المعتصم الشام ومصر وأمر لكل منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم، فقيل: لم يفرّق في يوم من المال مثل ذلك[4]. ويعلق على ذلك صاحب كتاب العيون والحدائق بأن "هذه الوظيفة من أكبر وظائف الدولة

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٧.

[2] مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق، جـ٣، ص٣٧٩.

[3] الثغور: جمع ثغر؛ كل موضع قريب من أرض العدو يُسمي "ثغراً" كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط. وهو في مواضع كثيرة منها ثغور الشام وثغور الجزيرة. (معجم البلدان، جـ٢، ص٧٩).

[4] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٨٩.

العباسية لخطورتها؛ فولّى العباس وجوه قوّاده؛ كل واحد منهم ندبه إلي جهة بلاد الروم وغزْوهم. فتوجه كل قائد إلي جهة فغزاها"[1].

ومن بناته اللاتي اشتهرن، أم حبيب، وكانت زوجة لعلي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب وأم الفضل، التي تزوجها محمد بن علي بن موسى، وهو الذي أمر المأمون له بألفي ألف درهم وقال: "إني أحببت أن أكون جداً لامرئ ولده رسول الله وعلي بن أبي طالب " فلم تلد منه"[2].

وفاة المأمون:

ورغم أن المأمون كان عالماً ولم يكن محارباً، إلاّ أنه قضى نحبه وهو في الطريق إلي عمل حربي. ونورد قصة مرضه كما ذكرها ابن الأثير: "ذكر مرض المأمون: وفي هذه السنة (٢١٨هـ=٨٣٣م) مرض المأمون مرضه الذي مات فيه لثلاث عشرة خلت من جمادي الآخرة. وكان سبب مرضه كما ذكره سعيد بن العلاف القارئ، قال: دعاني المأمون يوماً فوجدته جالساً على جانب البذندون[3] والمعتصم عن يمينه، وهما قد دليا أرجلهما في الماء. فأمرني في أن أضع رجلي في الماء، وقال: ذُقْه. فهل رأيت أعذب منه أو أصفى صفاءً أو أشد برداً؟ ففعلت، وقلتُ: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثله قط. فقال: أي شئ يطيب أن يؤكل ويشرب عليه هذا الماء؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم فقال: الرطب

---

(١) مؤلف مجهول؛ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، ص٣٧٢.

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٤.

(٣) البذندون: في اليونانية Podandos، قرية بينها وبين طرسوس يوم، من بلاد الثغر، مات بها المأمون، فنُقل إلي طرسوس، ودفن بها ولطرسوس باب يقال له" باب بذندون" عنده في وسط قبر أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هارون؛ كان خرج غازياً فأدركته وفاته هناك وذلك في سنة ٢١٨هـ=٨٣٣م (معجم البلدان، جـ٢، ص٣٦٢).

الأزاد؛ فبينما هو يقول إذ سمع وقع لجم البريد. فالتفت فإذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الألطاف. فقال لخادم: أنظر إن كان في هذه الألطاف رطب أزاد فأت به. فمضى وعاد معه سلتين فيهما أزاد كأنما جُني تلك الساعة، فأظهر شكر الله، وتعجبنا جميعاً وأكلنا وشربنا من ذلك الماء؛ فما قام منا أحد إلاّ وهو محموم ولعل هذا عمل مدبر وإن لم تذكر المصادر التاريخية ذلك، وكانت منية المأمون من تلك العلة، ولم يزل المعتصم مريضاً حتى دخل العراق، وبقيتُ أنا مريضاً مدة. فلما مرض المأمون أمر أن يكتب إلي البلاد الكتب من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي اسحق بن هارون الرشيد، وأوصى إلي المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقواد"[1].

أما المسعودي فإنه أورد رواية تختلف تماماً عما ذكره ابن الأثير، فذكر عن علّة المأمون ووفاته ما يلي: "فبينما هو مُدْليّ رجليه في الماء إذا لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سمكة فضية؛ فجعل لمن يخرجها سبقاً؛ فبدر أحد الفراشين فأخذها وصعد. فلما صارت علي حرف العين (أي عين ماء البذندون) أو علي الخشب الذي عليه المأمون، اضطربت وأفلتت من يد الفراش؛ فوقعت في الماء كالحجر؛ فنضح من الماء علي صدر المأمون ونحره وترقوته فبلّت ثوبه. ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل تضطرب فقال المأمون: تقلى الساعة. ثم أخذته رعدة من ساعته، فلم يقدر يتحرك من مكانه؛ فغُطي باللحف والدواويج[2]، وهو يرتعد كالسعفة ويصيح: البرد البرد، ثم حول إلي المضرب[3]، ودُثر، وأوقدت النيران حوله وهو يصيح؛ البرد البرد. ثم أتي بالسمكة وقد فُرغ من قليها فلم يقدر علي الذوق منها، وشغله

---

(1) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ،جـ٦، ص٦.

(2) الدواويج: جمع دوج، وهو المعطف الثقيل (المعجم الوسيط، جـ١، ص٣٠١).

(3) المضرب: الفسطاط العظيم (أقرب الموارد للشرتوني، جـ١، ص٦٨١).

ما هو فيه عن تناول شئ منها. ولما اشتد به الأمر سأل المعتصم بختيشوع[1] وابن ماسوية[2]، وكانا في ذلك الوقت عند المأمون وهو في سكرات الموت وما الذي يدل عليه الطب من أمره؟ وهل يمكن برؤه وشفاؤه؟.

فتقدم ابن ماسوية فأخذ بإحدى يديه ويختيشوع بالآخرى، وأخذا المجسّة من كلتا يديه؛ فوجدا نبضه خارجاً عن الاعتدال، منذراً بالفناء والإنحلال، والتزقت إيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده؛ كالزيت أو لُعاب بعض الأفاعي. فأخبرا المعتصم بذلك؛ فسألهما عن ذلك فأنكرا معرفته وأنهما لم يجداه في شئ من الكتب، وأنه دالّ علي إنحلال الجسد.

وأفاق المأمون من غشيته، وفتح عينيه من رقدته؛ فأمر بإحضار أنـاس من الروم؛ فسألهم عن إسم الموضع والعين، فأحضر له عدة من الأساري والأدلة وقيل لهم: فسروا هذا الاسم "القشيرة"[3]، فقيل له: "مدّ رجليك". فلما سمع اضطرب من هذا الفأل وتطير منه، وقال: سلوهم: ما اسم الموضع بالعربية؟

---

[1] بختيشوع: هو بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس، طبيب سرياني الأصل مستعرب، من أسرة بختيشوع المشهورة في الطب والعلوم والفلسفة، كانت له منزلة كبيرة لدي الخلفاء وحظوة عندهم لاسيما المتوكل العباسي وانتهي أمره بأن غضب عليه المتوكل في سنة ٢٤٤هـ=٨٥٨م، وقبض ماله ونفاه إلي البحرين. (عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة، طبعة القاهرة، سنة ١٣٠٠هـ، جـ١، ص١٣٨.

[2] ابن ماسوية (ت٢٤٣هـ=٨٥٧م): هو أبو زكريا يوحنا بن ماسوية من علماء الأطباء، سرياني الأصل. كان أبوه من أطباء العيون (كحالاً) في بغداد وخدم الرشيد، ونشأ ابنه يوحنا في بغداد ونبغ حتي كان أحد الذين عهد إليهم الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أمينا علي الترجمة. خدم الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل بمعالجتهم وتطبيبهم حتي كانوا لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلاّ بحضرته. (إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص٢٤٨-٢٥٦).

[3] القشيرة: تصغير قشرة، والقشور سمك قشر البياض (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٧٤٢).

فقالوا: الرقّة[1]. وكان فيما علم من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعـــروف بالرقة. وكان المأمون كثيراً ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا مـــن المـــوت. فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذي وُعد فيه فيما تقدم من مولده وأنـــه فيه وفاته. وقيل إن تفسير "البدندون" "مدّ رجلك". والله أعلم بكيفية ذلك. فـــأحضر المعتصم الأطباء حوله يأمل خلاصه مما هو فيه، فلما ثقـــل قـــال: أخرجونـــي أشرف على عسكري، وأنظر إلى رجالي وأتبين مُلكي، وذلك في الليل؛ فـــأُخرج، فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران، فقال: "يـــا من لا يزول ملكه. أرحمْ من قد زال ملكه". ثم فتح عينيه من ساعته، وبهما مـــن العظم والكبر والاحمرار ما لم يُرَ مثله قط. وأقبل يحاول البطـــش بيـــده بـــابن ماسوية، ورام مخاطبته، فعجز عن ذلك. فرمي بطرفه نحو السماء وقد امتـــلأت عيناه دموعاً. فانطلق لسانه من ساعته وقال: "يا من لا يموت أرحم من يمـــوت" وقضى من ساعته. وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ثمـــاني عشرة ومائتين (أغسطس ٨٣٣م)، وحُمل إلى طرسوس فدفن بها، وقال في تلـــك الواقعة أبو سعيد المخزومي:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ   مون شيئاً ومُلكه المأنـــوس
خلّفوه بعرصتي طرســـــــوس   مثل ما خلفوا أباه بطوس[2]

---

[1] الرقّة: ذكر ياقوت الحموي الرقة في أربع مواضع؛ الأولى مدينة مشهورة على الفـــرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام؛ معدودة في بلاد الجزيرة لأنها في الجانب الشـــرقي وتســـمي الرقة البيضاء، والثانية الرقة الوسطى، وهي في الجانب الغربي للأولى. كان بها قصـــران لهشام بن عبد الملك، والثالثة اسفل الثانية بفرسخ وتسمى الرقة السوداء؛ وهي قرية كبـــيرة ذات بساتين كثيرة، والجميع متصل. والرقة الرابعة: البستان المقابل للتاج من دار الخلافـــة ببغداد وهي بالجانب الغربي. أما الرقة بجانب طرسوس فلم يشر إليـــها أصـــلاً (معجـــم البلدان، جـــ٣، ص٦٠).

[2] المسعودي؛ مروج الذهب، جـــ٤، ص٤٧-٤٨.

ويقول ابن العبري: "فحمله أبنه العباس وأخوه المعتصم إلي طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد. وكانت خلافته عشرين سنة"[1].

---

(1) ابن العبري، غريغوريوس الملطي؛ تاريخ مختصر الدول، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص١٣٥.

الفصل الرابع

علاقة المأمون بأقربائه

علاقة المأمون بولي عهده المعتصم.

علاقته بآل علي بن أبي طالب وسائر أبناء بني طالب.

رعايته للفرس وتقربهم إليه.

علاقة المأمون بولي عهده المعتصم

كانت شخصية المأمون قادرة علي التوفيق بين المواقف المتناقضة، وتغلب علي كل ما صادفه من صعاب، ونظر إلي أخيه المعتصم[1] نظرة حب ووفاء لما كان يتميز به من شجاعة وقوة وشكيمة، وفضله آخر الأمر علي ابنه العباس. وكلّفه المأمون بأعمال كبيرة أنجزها كلها ونجح في ذلك؛ ففي سنة ٢٠٠هـ ح بالناس وفرض الأمن والأمان للحجيج والمنطقة[2]. واشركه في بعض المواقف؛ منها أنه عندما قُبض علي إبراهيم المهدي سنة ٢١٠هـ، أتى به إلي دار أبي اسحق بن الرشيد وأبو اسحق عند المأمون ..."[3]. كذلك عندما قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين في سنة ٢١١هـ مدينة السلام من المغرب تلقّاه العباس بن المأمون وأبو اسحق المعتصم وسائر الناس .."[4].

وفي عام ٢١٣ هجرية ولّيّ المأمون أخاه أبا اسحق المعتصم الشام ومصر، وولّيّ ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم وأمر لكل منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف دينار[5]. وعندما قُتل عمير بن الوليد البادغيسي عاملُ أبي اسحق بن الرشيد بمصر بالحوف في شهر ربيع الأول سنة ٢١٤هـ، أمره المأمون أن ينفذ إليهم، فسار المعتصم إليهم من الرقة؛ فدعاهم إلي الأمان، فأبوا عليه، فقاتلهم، فظفر بهم، وأسر عبد الله بن جليس الهلالي رئيس القيسية وعبد الله الجذامي رئيس اليمانية، فضرب عنقهما

---

(١) يذكر الطبري في تاريخه أن أم المعتصم كانت من مولّدات الكوفة يقال لها "ماردة". أو أنها صغدية، وكان أبوها نشأ بالسواد. وكان للرشيد من ماردة، أبي اسحق، وأبي إسماعيل وأم حبيب وآخرين لم يعرف أسماؤهم (جـ٩، ص١٢٢).

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٥٤١، ٥٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص٦٠٤.

(٤) المصدر السابق، ص٦١٨.

(٥) المصدر السابق، ص٦٢٠، وأيضاً ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٨٩.

وصلبهما علي جسر مصر، واسر منهم خلقاً عظيماً حملهم إلي بغداد[1]. وتدل أوراق البردي علي أنه في سنة ٢١٧هـ كانت الأوامر والرسائل التي تصدر إلي الولاة باسم ا لخليفة المأمون يذكر فيها اسم المعتصم بجانبه. وقد علمنا من نص برتوكول تاريخه ٢١٧-٢١٨هـ، أن الأمير المعتصم كتب أسمه بعد الخليفة المأمون مع كيدر الذي كان والياً علي مصر في سنة ٢١٧-٢١٩هـ، في حين إن كيدر هذا كان الوالي الذي أقامه المأمون مباشرة[2].

وكانت الورقة الأولى من درج البريد تسمي البروتوكول، وكانت تشتمل علي الكتابة الرسمية التي تسمى الآن الطراز[3].

وعهد المأمون، وهو في النزع الأخير إلي أخيه أبي اسحق بن الرشيد، ولم يخطئ خطأ منْ قبله بالعهد إلي إثنين، وأوصاه بوصية مأثورة، ورد فيها: "وأعمل في الخلافة إذا طوّقكها الله عمل المريد لله، الخائف من عقابه وعذابه، ولا تغترّ بالله ومهلته؛ فكأن قد نزل بك الموت، ولا تغفل أمر الرعية الرعية العوام فإن المُلْك بهم، وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين، ولا ينهيك إليك أمر فيه صلاح المسلمين ومنفعة لهم إلاّ قدّمته وآثرته علي غيره من هواك، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شئ، وانصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقرّبهم وتأنّهم وعجل الرسلة عني

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٤-٤٦٥.

[2] جروهمان، ادولف؛ أربع محاضرات عن الأوراق البردية العربية (المحاضرة الثالثة) تعريف الأستاذ توفيق اسكاروس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠، ص١١ وأيضاً، دكتورة سيدة إسماعيل كاشف؛ مصر في فجر الإسلام، ص٣٥.

[3] جررما، أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، جـ١، ص٤، وقد نقل المؤلف الجزء الأول إلي اللغة العربية بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن، القاهرة، ١٩٣٤.

والقدوم إلي دار ملكك بالعراق، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل شئ"[1].

ونلاحظ أن وصية المأمون كانت تعطي خلاصة تجاربه ونظرته للسياسة الرشيدة التي تُحل بها المشاكل التي كانت تواجه الدولة في آخريات أيامه.

وكان المعتصم يلي حكم الشام ومصر في عهد أخيه المأمون. وعندما شعر بدنو أجله عهد إليه بالخلافة وعدل عن تولية ابنه العباس الذي كان يتمتع بشهرة واسعة بين الجند، ويعلق الدكتور حسن إبراهيم حسن علي ذلك: "ولعل السبب الذي حمله علي ذلك هو أنه رأي في شكيمة المعتصم ومتانة خلقه ما يضمن له تنفيذ السياسة التي رسمها لدولته، فأحسن بذلك إلي أسرته وإلي نفسه"[2].

ويقول الطبري: "ذُكر أن الجند شغبوا لّما بويع لأبي اسحق بالخلافة، فطلبوا العباس ونادوه باسم الخلافة، فأرسل أبو اسحق إلي العباس فأحضره، فبايعه ثم خرج إلي الجند، فقال: ما هذا الحبّ البارد! قد بايعت عمّي وسلّمت الخلافة إليه؛ فسكن الجند"[3].

أما المسعودي فذكر أنه "كان بين المعتصم وبين العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس، ثم انقاد العباس إلي بيعته، والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين"[4].

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٦٤٨-٦٤٩.

(2) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر الإسلامي الأول، ص٧٤.

(3) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٦٧.

(4) المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٤، ص٥٠.

علاقته بآل علي رضي الله عنه وسائر أبناء بني طالب:

كانت سياسة المأمون نحو العلويين تنطوي على كثير من العطف والتسامح، ويظهر ذلك مما رواه ابن طباطبا عن عفوه عن محمد بن جعفر الصادق بمكة، إذ يقول: "وفي أيامه خرج محمد بن جعفر الصادق عليهما السلام بمكة، وبويع بالخلافة، وسمّوه أمير المؤمنين. وكان بعض أهله قد أحسن له ذلك، حين رأي كثرة الخلاف ببغداد وما بها من الفتن وخروج الخوارج. وكان محمد بن جعفر شيخاً من شيوخ آل طالب، يُقرأ عليه العلم، وكان قد روى عن أبيه عليه السلام علماً جماً، فمكث بمكة مدّة. وكان الغالب علي أمره ابنه وبعض بني عمه فلم تحمد سيرتهما، وأرسل المأمون عسكراً فكانت الغلبة له، وظفر به المأمون وعفا عنه"[1].

وكان المأمون يعامل الطالبيين معاملة تُناسب اعتقاده في فضل أبيهم إلي أن خرج في سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م باليمن من آل طالب عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول، وأمر بأخذهم بلبس السواد وذلك لليلتين بقيتا من ذي القعدة[2].

وعندما رفع جماعة من ولد الحسن والحسين إلي المأمون يذكرون أن "فدك" كان وهبها رسول الله صلي الله عليه وسلم لفاطمة، وأنها سألت أبا بكر دفعها إليها بعد وفاة رسول الله؛ فسألها أن تحضر علي ما ادّعت شهوداً؛ فأحضرت علياً والحسن والحسين وأم أيمن. فأحضر المأمون الفقهاء، فسألهم:... رووا أن فاطمة قد كانت قالت هذا، وشهد لها هؤلاء، وأن أبا بكر لم يجز شهادتهم. فقال لهم المأمون: ما تقولون في أم أيمن؟ قالوا: امرأة شهد لها رسول

---

(1) ابن طباطبا؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مرجع سابق، ص١٧٨.

(2) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٦٨. وأيضاً الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٣.

الله بالجنّة. فتكلّم المأمون بهذا بكلام كثير، ونصتهم إلى إن قالوا: إن علياً والحسن والحسين لم يشهدوا إلاّ بحق. فلما أجمعوا علي هذا، ردّها علي ولد فاطمة، وكتب بذلك، وسلمت إلي محمد بن يحيي بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1].

وعلي كلّ فقد أجمعت المصادر الشيعية والسنية علي أن المأمون كان يعطف علي العلويين، ويري أن الخلافة قد اغتصبت منهم، وكان يعترف حسن معاملة العلويين لأبناء عمهم العباسيين. وقد أورد السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء": أن المأمون قال يوماً وقد سئل عن برّه بالعلويين: "وإنما فعلت ما فعلت لأن أبا بكر لما ولي لم يول أحداً من بني هاشم شيئاً، ثم عمر، ثم عثمان كذلك، ثم وُلي علي فوليّ عبد الله بن عباس البصرة، وعبيد الله اليمن، ومعبداً مكة وقثم البحرين، وما ترك أحداً منهم حتى ولاّه شيئاً؛ فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت"[2].

ولعل المأمون كشخص قد كان متشبعاً بالروح الشيعية؛ يفضّل الإمام علياً عليه السلام علي غيره من الخلفاء الراشدين؛ إذ تربّى في أحضان جعفر البرمكي وهو فارسي من أهل الشيعة، ولما كبر استوزر الفضل بن سهل وهو شعي آخر؛ ولذلك أراد المأمون أن يختار للخلافة من بعده علوياً؛ إرضاء لعقيدته أولاً، وترضية للعلويين ثانياً، حتى يريح الدولة من شرّ خروجهم المتكرر، ويعلق علي ذلك حسن خليفة[3] بقوله: "ولكن فات المأمون ومستشاره

---

(1) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٦٩.

(2) السيوطي؛ عبد الرحمين بن أبي بكر جمال الدين (ت ٩١١هـ)؛ تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، القاهرة، ١٣٥١، ص٢٠٥.

(3) حسن خليفة؛ الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، الطبعة الأولى القاهرة، ١٩٣١، ص٩٨.

(أي الفضل بن سهل) أن زمن الصلح مع العلويين كان قد فات أوانه، وأن العهد بالخلافة في ذلك الوقت كان بمثابة طعنة نجلاء وُجّهت إلي صدور العباسيين.

ومع كل هذا الشعور الملئ بالحب من قبل المامون إلي بنى عمّه أبناء علي بن أبي طالب إلاّ أن العلويين أشعلوا الفتن في عهده، بشكل لم يُعرف قبلاً، منتهزين التمزق الذي وقع في البيت العباسي؛ فوجدوها فرصة لا تعوّض؛ إذ المسألة عندهم لم تسوّ بعد بينهم وبين بني عمومتهم، ولكنهم لم يجمعوا في هذه المرة علي شخصية واحدة يلتفون حولها؛ ربما بسبب أن بيوتات العلويين أصبحت كثيرة، أو أنه لم توجد بينهم شخصية قوية في مستوى الشخصيات العلوية في أول عهد الدولة العباسية.

وإذا استعرضنا الأحداث التي تمت لتنصيب المأمون العباسي علي بن موسى الرضا العلوى ولاية العهد. نجد أن المأمون كما يقول ابن طباطبا "كان قد فكّر في حال الخلافة بعده، وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته؛ فذكر أنه اعتبر أحوال أعيان البيتين: البيت العباسي والبيت العلوي، فلم ير فيها أصلح ولا أفضل، ولا أروع ولا أدين من علي بن موسى الرضا-عليه السلام- بذلك؛ فامتنع، ثم أجاب، ووضع خطّه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه: إني أجبت إمتثالاً للأمر، وإن كان الجفروالجامعة[1] يدلاّن علي ضد ذلك. وشهد عليهما بذلك الشهود"[2].

---

[1] علم الجفروالجامعة: عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوى علي كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً. والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل، والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل. (أحمد بن مصطفي الشهير بطاشكبري زادة؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، جـ٢، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨، ص٥٩٤).

[2] ابن طباطبا؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص١٧٦.

ثم يكمل ابن طباطبا حديثة بقوله: "وكان الفضل بن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الأمر والمحسّن له. فبايع الناس لعلي بن موسى من بعد المأمون. وسمّى الرضا من آل محمد (صلوات الله عليه) ... وأمر المأمون الناس بخلع لباس السواد ولبس الخضرة، وكان هذا في خراسان؛ فلما سمع العباسيون ببغداد فعل المأمون، من نقل الخلافة عن البيت العباسي إلي البيت العلوى، وتغيير لباس آبائه وأجداده بلباس الخضرة، أنكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله، وبايعوا عمّه إبراهيم ابن المهدي"[1].

وإذا انتقلنا إلي اليعقوبي وحديثه عن هذا الموضوع نجده يقول "وأشخص المأمون الرضا علي بن موسى بن جعفر من المدينة إلي خراسان، وكان رسوله إليه رجاء بن أبي الضحاك قرابة الفضل بن سهل؛ فقدم بغداد، ثم أخذ به علي طريق ماه البصرة حتى صار إلي مرو، وبايع له المأمون بولاية العهد من بعده، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١هـ، وألبس الناس الأخضر مكان الأسود، وكتب بذلك إلي الآفاق، وأُخذت البيعة للرضا، ودُعيّ له علي المنابر، وضُربت الدنانير والدراهم باسمه، ولم يبق أحدّ إلاّ لبس الخضرة إلاّ إسماعيل بن جعفر بن سليمان ابن علي الهاشمي، فإنه كان عاملاً للمأمون علي البصرة فامتنع من لبس الخضرة، وقال: هذا نقض للّه وله وأظهر الخُلع، فوجّه إليه المأمون عيسي بن يزيد الجلودي، فلما أشرف علي البصرة هرب إسماعيل من غير حرب ولا قتال، ودخل الجلودي البصرة، فأقام بها، وصار إسماعيل إلي الحسن بن سهل فحبسه، وكتب في أمره إلي المأمون، وكتب بحمله إلي مرو، فحمل؛ فلما صار بالقرب من مرو أمر المأمون

---

(١) ابن طباطبا؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مرجع سابق، ص١٧٦.

أن يردَ إلي جرجان فيحبس بها؛ فأقام بجرجان محبوساً ممنوعاً عنه، ثم رضـــي عنه بعد حين"[1].

أما علي الرضا ولي العهد فإنه رافق المأمون في رحلـــة عودتـــه إلـــي بغداد، ويقول اليعقوبي: "ولما صار (المأمون) إلي طوس[2] توفى الرضـــا علـــي بن موسى ابن جعفر بن محد بقرية يقال لها النّوقان[3] أول ســـنة ٢٠٣هجريـــة، ولم تكن علّته غير ثلاثة أيام، فقيل إن عليّ بن هشام[4] أطعمه رمّانا فيـــه ســـمّ، وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً. وحدثني أبو الحسن بن أبي عبّاد قال: "رأيت

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٤٨-٤٤٩.

(٢) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ تشـــتمل علـــي بلدتيـن، يقـال لإحداهما الطابران والأخرى نوقان، وبها قبر علي بن موسى الرضا، وبـــها أيضـــاً قـبر هارون الرشيد. خرج منها علماء كثرين منهم أبي حامد محمد بن محمد الغزالـي وأخيـه أحمد الغزالي والشاعر الفارسي الفردوسي الطوسي. (معجم البلدان، جـ٤، ص٤٩-٥٠).

(٣) نوقان: إحدى قصبتي طوس؛ لأن طوس ولاية ولها مدينتان إحداهما طـابران والأخـرى نوقان. (معجم البلدان، جـ٥، ص٣١١).

(٤) علي بن هشام: أحد قادة المأمون، وهو الذي حمل اللواء للفضل بن سهل بعـد أن أطلـق عليه المأمون "ذا الرياستين"، ثم انتقل إلي العراق وكان من قادة الحسن بن سهل، واشترك في فتح بغداد سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م، وفي سنة ٢١٠هـ=٨٢٥، وجّهه المأمون لإخضـاع ثورة أهل قم، فظفر بهم وهدم سور قم. وفي سنة ٢١٦هـ=٨٣١م غضب عليه المـأمون وأمر بقبض أمواله وسلاحه؛ وسبب ذلك أن المأمون بلغه سوء سيرة علي بن هشام فـي أهل عمله الذي كان المأمون ولاّه -وكان ولاّه الجبال- وقتْله الرجـال وأخـذه الأمـوال. فوجه إليه عَجَيف فأراد أن يفتك به ويلحق ببابك، فظفر به عجيف؛ فقدم به إلي المـأمون، فأمر بضرب عنقه في أذنة ثم بعث برأس علي بن هشام إلي بغداد وخراسان فطيف بـه، ثم رُدّ إلي الشام والجزيرة، فطيف به كورة كورة، فقدم به دمشق، ثم ذهب به إلي مصر، ثم ألقي بعد ذلك في البحر. (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨ الصفحـات ٤٢٤، ٥٤٣، ٥٦٦، ٦١٤، ٦٢٦، ٦٢٧).

المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً[١] في مبطّنه بيضاء، وهو بين قائمتي النعش، يقول: إلي من أروح بعدك يا أبا الحسن!، وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كل يوم رغيف ملح، فيأكله، ثم ينصرف في اليوم الرابع، وكان سنّ الرضا أربعاً وأربعين سنة"[٢].

ونحن بإزاء هذا الحدث التارخي، نستنبط ثلاث نقاط أساسية، وهي أن المأمون ولي عهده عليا الرضا، أنه لبس الخضرة شعار العلويين، وأنه صاهر عليا فزوّجه ابنته أم حبيب في سنة ٢٠٢ هجرية، ثم زوّج ابنه محمد ابن علي المعروف بالجواد ابنة أخرى هي أم الفضل.

ونتساءل؛ هل كان شعور المأمون نحو علي الرضا شعوراً دينياً بحتاً الباعث عليه اقتناعه بأن بيت علي، رضي الله عنه، أحق بالخلافة من بيت العباس؟ أم كان الشعور الديني يحمل في ثناياه مشروعاً سياسياً يرمي إلي اكتساب المأمون ولاء الخراسانيين الذين أشربت قلوبهم حب العقائد الشيعية، متأثراً بميوله الفارسية، خاصة وأنه كان تحت تأثير الفضل بن سهل؟.

والإجابة علي ذلك بلورها الدكتور حسن إبراهيم حسن في الآتي: "وإذا صح ما قيل من أن شعور المأمون نحو آل علي كان شعوراً دينياً يحمل في ثناياه مشروعاً سياسياً يرمي إلي اكتساب ولاء الخراسانيين الذين أشربت قلوبهم حب العلويين[٣]؛ دعت إليها الضرورة وسياسة الملك. وليس أدل علي حب المأمون لأولاد علي بن أبي طالب رغم خروج الكثير منهم عليه واختلافهم المذهبي مما ورد في الوصية التي أوصى بها أخاه المعتصم قبل وفاته: "وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأحسن

---

(١) الحاسر: من كان بلا عمامة ومن لا غطاء علي رأسه (أي مكشوف الرأس) (المعجم الوسيط، جـ١، ص١٧٢).

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٣.

(٣) حسن إبراهيم حسن؛ دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسي الأول، ص١٨٩.

صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم وأقبل من محسنهم، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة من محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى"[1].

رعايته للفرس وتقريبهم إليه:

قامت الدولة العباسية علي أكتاف الفرس، وكان أهل خراسان الحزب السياسي والعسكري الذي حمل بني العباس فترة طويلة تقارب قرناً كاملاً. حتى أنه مصطلح "الخراسانية" كان يعني مركز الثقل السياسي للدولة العباسية؛ الأمر الذي استتبع غلبة النفوذ الفارسي وضعف النفوذ العربي، أو بمعنى أصبح علي حساب النفوذ العربي. وليس أدل علي ذلك قول المنصور الخليفة العباسي الثاني: "يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا"[2]. وعلي ذلك حظي الفرس بمكانة تتناسب ما قدّموه للدولة من خدمات؛ سواء في نشأتها، أو في انحيازها جانب المأمون في صراعه ضد أخيه الأمين. ونلاحظ أيضاً أنه بعد قيام الخلافة العباسية زالت أهم الامتيازات العربية، وأصبح طابع الدولة إسلامياً وليس عربياً.

وكان من أثر ميل الخلفاء العباسيين الأوائل إلي الفرس أن أصبح نظام الحكم في عهدهم مماثلاً لما كان عليه في عهد الدولة الساسانية. وما ذلك إلاّ لأن العباسيين الأول كانوا يدينون بقيام دولتهم للفرس وحاربوا بهم. وكان طبيعياً أن تسيطر الآراء الفارسية؛ فنجد أن هؤلاء الفرس أحاطوا شخص الخليفة بهالة من القداسة والرهبة والجبروت، ولا عجب أن نجده يحتجب عن رعيته. كذلك ظهرت الأزياء الفارسية في البلاط العباسي، واحتفل بالأعياد الفارسية القديمة كالنيروز والمهرجان وغيرهما. علاوة علي أن الخليفة العباسي كان يعيش معيشة الأكاسرة؛ تحوطه الأبهة والعظمة، وينحني أمامه الداخل عليه، ويقبل

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٦٤٩-٦٥٠.

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، مرجع سابق، ص٢٧١.

الأرض بين يديه؛ وإذا قُرب منه قبّل رداءه، وهو شرف لا يدانيه إلاّ رجـــالات الدولة البارزين[1].

وتغلغل الفرس في كافة وظائف الدولة، وانتشروا في كافة أنحـــاء بـــلاد الدولة العباسية؛ فنجد العناصر الفارسية تشكل غالبية سكان بغداد فـــي العصـــر العباسي الأول. وإذا كان سكان بغداد الأوائل هم جند المنصور ومواليه وحاشيته وأتباعه؛ فقد كان معظم هؤلاء من الفرس، وخاصة الخراسانيين منهم؛ ذلـــك أن المنصور بدأ في سياسة استخدام الموالي في أعمال الدولة، يقول الســـيوطي: "إن المنصور أول من استعمل مواليه علي الأعمال وقدمهم علي العرب، وكثر ذلـــك بعده حتى زالت رياسة العرب وقيادتـــها"[2]. وأيضـــاً يقـــول المســـعودي عـــن المنصور أنه "أول خليفة" استعمل مواليه وغلمانه، وصرفهم في مهماته، وقدمـــهم علي العرب، فاتخذت ذلك من الخلفاء من ولده سنّة، فسقطت وبـــادت العـــرب، وزالت بأسها، وذهبت مراتبها"[3].

وأوصى المنصور ابنه المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) بالآتي: "وانظـــر إلـــى مواليك؛ فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم؛ فإنهم مـــادتك لشـــدتك إن نزلـــت بك"[4]. وكان المهدي، وهو ثالث الخلفاء العباســـيين إذا أراد الشـــورى، جمـــع خاصته للمداولة؛ فكان الموالي أول من يبدأون الحديث[5].

---

[1] دكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور علي إبراهيم حسن؛ النظم الإسلامية، الطبعة الثالثـــة، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٠.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ تاريخ الخلفاء أمراء المسلمين القائمين بأمر الأمـــة، المعروف بتاريخ الخلفاء، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٥٢م، ص١٠٥.

[3] المسعودي؛ مروج الذهب، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٠١.

[4] الأصفهاني، أبو الفرج؛ كتاب الأغاني، جـ١٨، مرجع سابق، ص١٤٨.

[5] ابن عبد ربه؛ العقد الفريد، جـ١، مرجع سابق، ص٥٣.

وازداد عدد أهالي بغداد من الفرس في عهد هـــارون الرشـــيد (١٧٠-١٩٣هـــ) نتيجة استئثار البرامكة بالنفوذ،واستعانتهم بالعنـــاصر الفارســـية فـــي المناصب الكبري في الدولة[١].

ظهور العناصر الفارسية في عهد المأمون:

اعتمد المأمون علي الفرس، وقربهم إليه وجعلهم خاصته، بـــل وتـــزوج من فارسية هي بوران بنت الحسن بن سهل، وكانت محببة إليـــه جـــداً لرقتـــها وكمالها؛ فتكونّ منهم الطبقة العليا من الوزراء والكتاب ورجال البلاط ورجـــال العلم، وعليه القوم. ونشأ في عصر المأمون مجتمع عباسي بتكوين جديد ومفاهيم جديدة وأشخاص جدد، يخالف تكوين الطبقة العليا في المجتمع الأموى، حتـــى أن الجاحظ علّق علي سمات الدولة الجديدة بقوله: "عجمية خراساينة" علي خـــلاف دولة الأمويين والمروانيين كانت "عربية أعرابية في أجناد شامية"[٢]. وذكر ابـــن طيفور في كتابه "تاريخ بغداد" أنه "في عهد المأمون كان الفرس يركبون ومعـــهم القسيّ والنشاب بين يدي المأمون"[٣].

وبدأت صلة المأمون بالفرس منذ اختياره ولياً للعهد في سنة ١٨٣هـــــ، وهو في الثالثة عشرة من عمره، وولاّه الرشيد خراسان وما يتصـــل بـــها إلـــي همذان[٤]، أي الولايات الشرقية؛ فقصد المأمون ولايته وهو في هذه الســـن ولـــم يبرحها.

---

[١] الأطرقجي، رمزية محمد؛ الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد في العصـــر العباســـي الأول (١٣٢-٢٣٢هـــ)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلي قسم التاريخ بكليـــة البنـــات جامعة عين شمس، ص ١٠٢.

[٢] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر؛ البيان والتبيين، المجلد الثالث، تحقيق عبـــد الســـلام هارون نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـــ، ص٣٦٦.

[٣] ابن طيفور؛ أحمد بن أبي طاهر؛ تاريخ بغداد، جـــ٦، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٥.

[٤] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـــ٥، ص٣١٧.

وكان من الطبيعي وقد استعان المأمون بالفرس في هزيمة أخيه الأمين أن يجعل من نفسه راعياً للشعب الذي يدين له بالعرش، وأن يسند إلى الفرس الولايات الشرقية بدرجة أكثر مما فعله أسلافه[1].

وخلاصة القول نستشف من هذا العرض التاريخي أن المأمون مال إلى الفرس؛ لكونه منهم، واعتمد عليهم؛ وفي المقابل أخلصوا له واستبشروا به، وتفانوا في خدمته؛ فنتج عن ذلك تغيير كبير في الحياة الإسلامية: سياسياً وحضارياً وعسكرياً وثقافياً.

---

(1) بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش؛ تركستان؛ من الفتح العربي إلي الغزو المغولي، مرجع سابق، ص٣٣.

الباب الثالث

إدارة الدولة في عهد المأمون

الفصل الأول : تعيينه الولاة وطريقتهم في ممارستهم للأعمال الإدارية.

الفصل الثاني: علاقة المأمون بالأمويين بالأندلس.

الفصل الثالث: علاقة الولاة بعمال الدولة الآخرين.

الفصل الأول

إدارة الدولة في عهد المأمون

تعيين المأمون الولاة وطريقتهم في ممارستهم أعمالهم

كان الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول بصفة عامة يكلفون بعض أفراد البيت العباسي وأمراء الجند الذين أخلصوا للعباسيين إمرة الولايات. وكان للقادة العرب نصيب يوازي نصيب الفرس في إمرة الولايات؛ بحيث نجد أسماء عربية وأخرى فارسية بجوار أفراد البيت العباسي، وكان تعيين الولاة علي منطقة تشمل بضع ولايات أو ولاية واحدة. وهذا ما سنراه في إحصاء الولاة الذين اختارهم المأمون بنفسه لشغل هذا المنصب الخطير، وكثيراً ما كان يكلّف الوالي بشن الحرب ووأد الحركات الهدامة في صلب عقده. وبعد إعادة استقرار الدولة بعد الفتنة الأخوية، وبانتقال المأمون إلي بغداد سيطر علي كافة أمور الدولة، ولكنه كان في بعض الأحيان ونتيجة للظروف المحلية أعطى بعض الولاة حرية ونفوذاً أكثر، بحيث اكتسب الولاة سعة في النفوذ وانطلاقاً في اليد.

عرض لمن ولّاهم المأمون في عهده بحسب السنين:

في سنة ١٩٨هـ=٨١٣م، وجه المأمون الحسن بن سهل إلي العراق عاملاً عليها وعلي غيرها من البلاد[1].

في سنة ٢٠١هـ=٨١٦م كان عامل المأمون علي البصرة إسماعيل بن جعفر ابن سليمان بن علي الهاشمي، وهو الذي امتنع عن لبس الخضرة[2].

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٥.

[2] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٥.

وفي نفس السنة (٢٠١هـ) راود أهل بغداد منصور بن المهدي علي الخلافة وامتناعه عليهم؛ فلما امتنع عن ذلك راودوه علي الإمرة عليهم علي أن يدعو للمأمون بالخلافة؛ فأجابهم إلي ذلك[١].

وفي السنة نفسها (٢٠١هـ) كان الوالي علي طبرستان عبد الله بن خرداذ من قبل المأمون وفتح اللارز[٢] والشيرز[٣][٤].

وفي سنة ٢٠٢هـ=٨١٧م، استخلف المأمون رجاء بن أبي الضحاك قرابة الحسن بن سهل علي خراسان عن خروجه متوجهاً إلي بغداد، ثم عزله، وولّيَ غسّان بن عبّاد فأحسن السيرة[٥].

وفي سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م، ولّيَ المأمون صالح بن الرشيد البصرة، فاستخلف أبا الرازي محمد بن عبد الحميد[٦].

وأيضاً في نفس السنة (٢٠٤هـ) ولّيَ المأمون أبا عيسي بن الرشيد الكوفة فاستخلف محمد بن الليث[٧].

وفي السنة ذاتها (٢٠٤هـ) ولّيَ المأمون عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب الحرمين[٨].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٤٦.

(٢) اللارز: قرية من أعمال آمل طبرستان، يقال لها قلعة لارز؛ بينها وبين آمل يومان. (معجم البلدان جـ٤، ص٧).

(٣) الشيرز: من قري سرخس شبيهة بالمدينة بينهما مسيرة يومان للجمال علي طرف من طريق هراة (معجم البلدان، جـ٣، ص٣٨٢).

(٤) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٥٦.

(٥) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٢.

(٦) المرجع السابق، ص٤٥٥، وأيضا الطبري؛ تاريخ الرسل، جـ٨، ص٥٧٦.

(٧) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٥.

(٨) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٥٧٦.

وأيضا في السنة نفسها (٢٠٤هـ) وجه المأمون إلي طاهر بن الحسين بعهده علي الجزيرة والشام ومصر، وكان آنذاك بالجزيرة في محاربة نصر بن شبث[١].

وأيضا (سنة ٢٠٤هـ) ولي المأمون دينار بن عبد الله الجبال[٢].

وأيضا (سنة ٢٠٤هـ) وجه المأمون نصر بن حمزة بن مالك الخزاعي إلي الثغور، وتسلمها من ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي الذي كان الرشيد قد عينه واليا عليها[٣].

وفي سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م، وجه المأمون بعيسي بن يزيد الجلودي عاملا علي اليمن، وكان بها حمدوية بن علي بن عيسي متغلبا قد أظهر المعصية[٤].

وفي نفس السنة (٢٠٥هـ) عقد المأمون لطاهر بن الحسين علي خراسان والجبال من حلوان حتى خراسان وكان قبل ذلك قد ولاه الجزيرة والشرط ومعاون السواد[٥].

وحتى سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م كان غسان بن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل، وهو ابن عم الفضل بن سهل واستبدله بطاهر بن الحسين[٦].

وفي سنة ٢٠٥هـ أيضا ولي المأمون عيسي بن محمد بن أبي خالد أرمينية وآذربيجان ومحاربة بابك[٧].

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٥.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٧، ٥٧٩.

(٦) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٩.

(٧) المرجع السابق، ص٥٨٠.

وفي السنة ذاتها (٢٠٥هـ) ولي المأمون عيسي بن يزيد الجلودي محاربة الزط[١].

الفترة الثانية من حكم المأمون:

وفي سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م، وليّ المأمون طاهر بن الحسين خراسان، وذلك في أول سنة ٢٠٦هـ، خلفاً لغسّان بن ثابت[٢].

وفي نفس السنة (٢٠٦هـ) وليّ المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة والشام ومصر والمغرب[٣]، ثم ولاّه المأمون الرقة لحرب نصر بن شبث ومُضَر[٤].

وفي السنة ذاتها (٢٠٦هـ) وليّ المأمون داود بن ماسجور محاربة الزط وأعمال البصرة وكُور دجلة واليمامة والبحرين[٥].

وفي سنة ٢٠٦هـ أيضاً وليّ عبد الله بن طاهر، اسحق بن إبراهيم الجسرين[٦] وجعله خليفته علي ما كان أبوه طاهر استخلف فيه من الشرط؛ وذلك حيث شخص إلي الرقة لحرب نصر بن شبث[٧].

وفي السنة ذاتها (٢٠٦هـ)، وجّه المأمون خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني إلي مصر، ومعه عمر بن فرج الرخجي في جيش، وأمرهما أن يتكاتفا

---

[١] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٦١٨.

[٢] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٦.

[٣] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٦. وأيضاً الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٨١.

[٤] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك؛ جـ٨، ص٥٨١.

[٥] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٦.

[٦] الجسران: جسران ببغداد، الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٢.

[٧] المرجع السابق، ص ٤٥٧.

على النظر، فإذا فتحا البلاد نظر عمر بن فرج الرّخجي في أمر الخراج، وكان إلي خالد المعاون والصلاة[1].

وفي سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، وجّه المأمون حاجب بن صالح عاملاً على السند بدلاً من بشر بن داود المهلبي عامل السند الذي خالف[2].

وفي السنة ذاتها (٢٠٧هـ) وليّ المأمون طلحة بن طاهر خراسان بعد وفاة أبيه طاهر بن الحسين[3].

وفي نفس السنة (٢٠٧هـ) وليّ المأمون موسى بن حفص طبرستان والرويان[4] ودنباوند[5][6].

وفي سنة ٢٠٩هـ=٨٢٤م، ولي المأمون صدقة بن علي المعروف برزيق أرمينية وآذربيجان وكلّفه بمحاربة بابك[7].

وفي سنة ٢١١هـ=٨٢٦م، توجه حاجب بن صالح إلي السهند فهزمه بشر بن داود واليها المعزول؛ فانحاز إلي كرمان[8].

---

[1] المعاون والصلاة؛ المعاون أي المساعد، وهو موظف مساعد الرئيس في عمل (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦٤٤) كذلك ينوب عن الوالي في الصلاة.

[2] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٦.

[3] المرجع السابق، ص٤٥٨.

[4] رويان: مدينة كبيرة وكورة واسعة من جبال طبرستان (معجم البلدان، لياقوت الحموى، جـ٣، ص١٠٤)

[5] دنباوند: منطقة جبلية من نواحي الري فتحت في أيام عثمان بن عفان سنة ٢٩أو ٣٠هـ (معجم البلدان، ياقوت الحموى، جـ٢، ص٤٧٥-٤٧٧).

[6] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٦.

[7] نفس المرجع، ص٦٠١.

[8] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦١٨.

وفي سنة ٢١٢هـ=٨٢٧، وليّ المأمون طاهر بن محمد الصنعاني أرمينية وآذربيجان، ثم عيّن المأمون سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي، ووليّ حاتم بن هرثمة بن أعين أرمينية[١].

وفي نفس السنة (٢١٢هـ) وليّ المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي اليمن[٢].

وفي السنة ذاتها (٢١٢هـ) ولي المأمون يحيي بن معاذ بن مسلم مولي بني ذهل أرمينية؛ فلم يحمد، ثم ولي عيسي بن محمد بن أبي خالد أرمينية وآذربيجان[٣].

وفي سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م عقد المأمون لأخيه أبي اسحق محمد المعتصم بن هارون علي الشام والجزيرة ومصر، وولي ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم[٤]. وفي السنة ذاتها ولي المأمون غسان بن عباد السند[٥].

وفي سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م عقد المأمون لعبد الله بن طاهر علي كبور الجبال وأرمينية وآذربيجان. وعندما توفي طلحة بن طاهر، ولي المأمون مكانه أخاه عبد الله بن طاهر[٦].

وفي سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م، ولي المأمون علي بن هشام الجبل وقم وأصبهان وآذربيجان[٧].

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص(٤٦١، ٤٦٢.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦١٩.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٣.

(٤) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٠.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٣.

(٧) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٢.

وفي الفترة الثانية من حكم المأمون نستشف أنه انفرد بالحكم، وكان القرار له وحده بعد أن صقلته الحياة وأحداثها، وأصبح خليفة إداريا ممتازا يعرف كيف يقود الناس في مختلف الولايات. وتميزت هذه المرحلة (٢٠٤-٢١٨هـ=٨١٩-٨٣٣م) بكثرة الثورات؛ فانشغل بالقضاء عليها؛ فقضى علي بعضها، ومات والبعض الآخر كان لا يزال رافعا راية العصيان كالزط والبابكية.

ونستعرض فيما يلي الولايات الهامة وبعض من تولاها زمن المأمون:

العراق: وجه المأمون الحسن بن سهل عاملا علي العراق وغيرها من البلاد في سنة ١٩٨هـ=٨٣١م، ثم ولاه المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن، وذلك بعد مقتل محمد الأمين ودخول الناس في طاعة المأمون[١]. فلما قدمها فرق عماله في الكور والبلدان[٢].

وعندما قدم العراق علي بن سعيد خليفة للحسن بن سهل علي خراجها، أكرهه طاهر بن الحسين علي تسليمه الخراج إليه، حتى وفى الجند أرزاقهم. فلما وفاهم سلم إليه العمل[٣].

البصرة: صارت البصرة في قبضة العباس بن محمد الجعفري؛ وعندما طلب المأمون من الناس لبس الخضرة وطرح السواد، لم يبق أحد علي ذلك سوى عاملها إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان المأمون قد عينه علي البصرة[٤] وأظهر الخلع؛ فوجه إليه المأمون عيسى بن يزيد الجلودي، فلما أشرف علي البصرة هرب إسماعيل من غير حرب ولا قتال،

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ، ص ٥٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢٨

(٣) المرجع السابق؛ ص ٥٢٧.

(٤) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٥.

ودخل الجلودي البصرة، فأقام بها. واتجه إسماعيل بن جعفر إلي الحسن بن سهل فحبسه، وكتب في أمره إلي المأمون؛ فكتب بحمله إلي مرو، فحُمل. فلما صار بالقرب من مرو، أمر المأمون أن يرد إلي جرجان فيحبس بها[1]. وولىَّ المأمون أخاه صالح بن الرشيد البصرة عام ٢٠٤هـ=٨١٩م؛ فاستخلف أبا الرازي محمد بن عبد الحميد[2].

مصر: كتب المأمون إلي أشراف مصر يدعوهم إلي القيام بدعوته؛ فأجابوه جميعاً سراً، وأتي كتاب هرثمة بن أعين إلي عبّاد بن محمد بن حيان مولي كنده، وكان وكيلاً لهرثمة بن أعين علي ضياعه بمصر. فأظهر عبّاد كتاب هرثمة وأحضر الجند إلي المسجد الجامع، وقرأ عليهم، ودعاهم إلي خلع محمد "الأمين" فأجابه معظم الناس إلي ذلك، فأعطاهم رزقاً يسيراً، وبايعوا المأمون[3].

وكان عامل الأمين بمصر حاتم بن هرثمة بن أعين، فعزله، وولىّ جابر ابن الأشعث الخزاعي سنة ١٩٥هـ=٨١٠م، ولم يدع للمأمون علي المنابر، كما كان يدعى له بعد الأمين؛ فشغب الجند، وقالوا: لا طاعة فأعطاهم عطائين. وقدم يحيي بن محمد بكتاب المأمون، فامتنع جابر بن الأشعث من البيعة له، وأقام علي طاعة محمد، فوثب السرى بن الحكم البلخي، وكان أحد قواد مصر، وجماعة معه، ودعوا الجند إلي البيعة للمأمون، ووعدهم رزق سنتين، فأجابوا إلي ذلك، وأخرجوا جابر بن الأشعث من دارة الإمارة، وصيروا مكانه عبّاد بن محمد، فدعا للمأمون بالخلافة في شهر رجب سنة ١٩٦هـ=٨١١م[4].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٦.

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٤.

(٣) الكندي المصري، أبو عمر محمد بن يوسف؛ كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق روفن جست "Rovon Guest"، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٤٨-١٤٩.

(٤) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٣٩، ٤٤٤.

فما كان من الأمين إلاّ أن أسند ولاية مصر إلي ربيعة بن قيس الحرشي؛ فجمع إليه أهل الحوف وغيرهم، وقاتل عبّاد بن محمد، وزحف إليه حتّى صار إلي قرب الفسطاط، فكانت بينهم وقعات، وغلب عباد علي البلد، ثم وجه المأمون المطلب بن عبد الله الخزاعي عاملاً علي مصر؛ فأقام سبعة أشهر ثم وليّ العباس بن موسى بن عيسي الهاشمي إمارة مصر في سنة ١٩٩هـ=٨١٤م فوجه ابنه عبد الله بن العباس، وصير شرطته إلي عبد العزيز ابن الوزير الجروى[1].

وقد تطور الصراع الأخوى في مصر إلي حالة من الاضطراب، فقد تطور الأمر إلي نزاع بين القواد للاستئثار بالسلطة فيها، والاستقلال بأمورها عن الخلافة، فكان علي المأمون أن يبذل جهداً خاصاً لإعادة مصر إلي سلطانه والقضاء علي الفتن فيها[2].

وقدم عبد الله بن العباس خليفة لأبيه العباس بن موسى بن عيسي الهاشمي مصر في شهر شوال من نفس السنة (١٩٩هـ=٨١٤). وكان أول ما فعله أن قبض علي المطلب بن عبد الله وزج به في السجن. وقد اشتط عبد الله فثار الجند عليه، وقاتلوه غير مرة حتى هزموه في النهاية وأخرجوه من مصر، ثم قصدوا المطلب بن عبد الله حيث أخرجوه من السجن وولّوه عليهم[3].

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٤.

(٢) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦٣.

(٣) أبو المحاسن ابن تغري بردي (ت٨٧٤ هـ= ١٤٦٩م)؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٢، ص١٦١-١٦٢.

استيلاء الأندلسيين علي الإسكندرية

وفي ولاية المطلب بن عبد الله الخزاعي الثانية (١٩٩-٢٠٠هـ=٨١٤-٨١٥م) ولي علي الإسكندرية محمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج؛ فاستخلف محمد هذا عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الذي يعرف بعمر بن هلال فوليها ثلاثة أشهر، ثم عزله المطلب وولي أخاه الفضل بن عبد الله[١].

ويقول اليعقوبي: "كان ابتداء أمر الأندلسيين أنهم قدموا في الأندلس في أربعة آلاف مركب؛ فأرسوا في ميناء الإسكندرية في الرمل، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف رجل[٢]، فأقاموا علي ساحل البحر. ثم وثب بعض أعوان الوالي علي رجل منهم، فوقعت عصبية؛ فوثب الأندلسيون علي الفضل بن عبد الله أخي المطلب بن عبد الله، وقتلوا صاحب شرطته، وصاروا إلي الحصن، وحاربوا أهل الإسكندرية، حتى أجلوهم عن منازلهم؛ فخلوا الديار والأموال، ورأسوا عليهم رجلا يقال له أبو علي الصوفي يسفك الدماء ويقتل المسلمين، ثم عزلوه وصيروا عليهم رجلا يقال له الكناني، وأجلوا بني مدلج ولخما عن البلد؛ فصار البلد كله لهم"[٣].

---

(١) الكندي المصري؛ الولاة والقضاة، ص١٥٧.

(٢) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف "أن عدد الأندلسيين كان حوالي ١٥,٠٠٠ (خمسة عشر ألفا) شخص إذا استثنينا الأطفال والنساء" (مصر في فجر الإسلام، ص١٦٧) وفي ذلك مبالغة، ولعل ما ذكره اليعقوبي أقرب إلي الصواب. وأيضا Dozy, Histoire des musulmans d' spagne, leyde, 1932, p300.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٦ وأيضا الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦١٢.

أما سبب خروجهم من بلدهم الأندلس، هو أنهم كانوا مطرودين إثر وقعة الربض بقرطبة في عهد ملكهم الحكم بن هشام الأموى وذلك في رمضان ١٩٨هـ=٨١٣م[1].

وفي تلك الفترة ظهر في الإسكندرية طائفة صوفية، "يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"، ويفاوضون السلطان في أمره، واتخذوا رئيسا لهم رجلا منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفي. وقد اتحد الأندلسيون مع هؤلاء الصوفية، كما تقووا بقبيلة لخم، وكانت أكبر قوة في الإسكندرية، ثم ساروا إلى عمر بن هلال ليثأروا لأنفسهم فحاصروه، وقتلوه في سنة ٢٠٠هـ=٨١٦م[2].

وبعد فترة أصبح الأندلسيون أصحاب السلطة الفعلية في الإسكندرية، وتأكد سلطانهم عندما هزم اللخميون، وملكوا الإسكندرية عنوة في سنة ٢٠٠هـ=٨١٦[3] فولوا عليها أبا عبد الرحمن الصوفي. إلا أن الأحوال في الإسكندرية اضطربت في عهده، وعم القتل والسلب فيها؛ فعزله الأندلسيون وولوا عليها رجلا منهم هو الكناني[4]. وتعلق الدكتورة سيدة كاشف على ذلك بقولها: "وهكذا نرى أن الإسكندرية أصبحت شبة جمهورية مستقلة للأندلسيين، وأصبحت مصر بمثابة قطائع مقسمة بين أفراد وجماعات مختلفة، كل منها مستقلة عن الأخرى، وهي كلها مستقلة عن الخلافة"[5].

---

(١) ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة، جـ٢، ص١٥٨.

(٢) الكندي المصري؛ الولاة والقضاء، ص١٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٤) نفس المرجع، ونفس الصفحة.

(٥) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦٩.

نهاية الأندلسيين ورحليهم من الإسكندرية

لم ينته أمر الأندلسيين إلا عندما زحف عبد الله بن طاهر إليهم؛ فحاصرهم حصارا شديدا، ثم آمنهم وفتح الإسكندرية سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م؛ وولاها إلياس بن أسد الخراساني، وانصرف إلي الفسطاط؛ فأجاب الأندلسيون الطاعة وسألوه الأمان علي أن يرتحلوا من الإسكندرية إلي بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام؛ فأعطاهم الأمان علي ذلك ورحلوا عنها؛ فنزلوا جزيرة اقريطش[١][٢].

قدوم المأمون إلي مصر:

قدم المأمون مصر في شهر المحرم سنة ٢١٧هـ=٨٣٢م[٣]، بعد أن اشتدت شوكة من كان يحارب الأفشين بمصر من أهل الحوف[٤] والبيما[٥] والبشرود[٦]. فخرج المأمون إلي كور مصر، وقدم الأفشين في محاربة أهل الحوف، فزحف إليهم بنفسه وقتلهم وسبي البيما، وهم من قبط البشرود[٧]. وكان

---

[١] اقريطش: جزيرة في بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط حاليا)، يقابلها من بر افريقية لوبيا. فيها مدن وقرى، وينسب إليها جماعة من العلماء، وتسمى حاليا "كريت". (معجم البلدان، جـ١، ص٢٣٦).

[٢] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦١٣.

[٣] المرجع السابق، ص٦٢٧.

[٤] الحوف: يوجد في مصر حوفان: الشرقي والغربي، وهما متصلان؛ الأول الشرقي من جهة الشام، والآخر الغربي قرب دمياط، ويشتملان علي بلدان وقرى كثيرة (معجم البلدان، جـ٢، ص٣٢٢).

[٥] البيما: صقع من بلاد الكفر متاخم لصعيد مصر (معجم البلدان جـ١، ص٥٣٤).

[٦] البشرود: كورة من كور بطن الريف بمصر، من كور أسفل الأرض (الوجه البحري) (معجم البلدان، جـ١، ص٤٢٨).

[٧] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢ن ص٤٦٦.

صحبته أخوه محمد المعتصم وولده العباس، وأولاد أخيه وهما الواثق والمتوكل، وأيضا كان في صبحته القاضي يحيى بن أكثم، والقاضي أحمد بن أبي دواد وغير ذلك من أعيان بغداد[1].

قصة المأمون وعجوز قبطية:

ذكر ابن اياس قصة هذه السيدة العجوز القبطية علي النحو التالي: "وما أن خمدت الفتنة بمصر حتى سرح المأمون في ضواحي مصر؛ فكان يقيم في كل قرية يوما وليلة، ثم يرحل عنها، فكان إذا نزل بقرية يضرب له سرادق من حرير، ويجلس علي دكة من الأبنوس مطعمة بفضة، وينصب له عليها لواء من حرير، مرقوم بالذهب، ويحاط به الوزراء والأمراء من كل جانب.

فلم يزل علي ذلك حتى مر بقرية من قرى مصر يقال لها "طاء النمل"؛ فمر عليها ولم ينزل بها، فلما جاوزها وحاد عنها، خرجت إليه عجوز قبطية، وهي ترتعش بين خادمين، وكانت تعرف بمارية القبطية؛ فوقفت بين يديه، وبكت وصاحت، فظن المأمون أنها مظلومة، ووقف لها، وكان لا يسير إلا والتراجمة بين يديه، من كل جنس بلسانه، فسألها بعض التراجمة عن أمرها، فقالت: "إن أمير المؤمنين ينزل بكل قرية من قرى مصر، ويقيم بها يوما وليلة، وقد حاد عن قريتي، ولم ينزل بها، حتى أصير معيرة بين القبط بذلك".

فلما ترجم له الترجمان بما قالته العجوز، قال له المأمون: "إن قريتها صغيرة لا تحمل العسكر، ولا تطيق هذه العجوز كلفتنا."؛ فرد عليها الترجمان

---

[1] المقريزي؛ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جـ١، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م، ص٨١ وأيضا ابن إياس؛ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الأول-القسم الأول- نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، مجموعة الذخائر رقم٣، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٤٧. وأيضا دكتورة سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص٢٣٩.

الخير، فصاحت وقالت: "لا سبيل أن يتجاوز أمير المؤمنين قريتي". فعنـد ذلـك ثنى المأمون عنان فرسه، ونزل بقريتها، وضرب بها خيامه.

فلما استقر بها ومن معه من العساكر، جاء ولد تلك العجوز إلي صـاحب المطبخ وقال له: "أذكر لي ما تحتاج إليه من غنم وبقر ودجاج وأفـراخ السـمك وأوز، وسكر وعسل وفستق ولوز وفاكهة، وحلوى، ومسك ومـاء ورد وشـمع وبقولات، وغير ذلك، ما جرت به عادة الخلفاء".

فلما ذكر له صاحب المطبخ ما يحتاج إليه، فغاب ساعة يسيرة، وأحضـر له جميع ما يحتاج إليه من تلك الأصناف التي ذكرها له، ثـم أحضـر لأقـارب المأمون، لكل واحد منهم، ما يخص به علي انفراده.

وأقام المأمون هناك يوما وليلـة، وهـو فـي أرغدعيـش، فلمـا أراد الانصراف، أقبلت عليه تلك العجوز، ومعها عشرة من الوصائف، وعلـي رأس كل واحدة طبق، فلما عاينها المأمون من بعيد، قال لمن حولـه: "قـد جـاءتكم القبطية بهدية الريف: الكامخ، والحناء".

فما وضعت الأطباق بين يديه، كشفها، فإذا فيها ذهب دنـانير فشـكرها علي ذلك، وأمرها بإعادته إليها، وقال: "فيما صنعته كفاية" فقالت له: "يـا أمـير المؤمنين، لا تشمت بي أعدائي برده إلي"، وبكت، فقال المـأمون: "قبلنـا منـك ذلك"؛ ثم تأمل ذلك الذهب فإذا هو ضرب عام واحد جميعه÷ فتعجب مـن ذلـك غاية العجب، وقال: ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك، ثم قـال لـها: "أيتـها العجوز أظفرت بكنز؟". قالت: "لا والله، وإنما هو من زرع الأرض، ومن عدلـك يا أمير المؤمنين" فقال لها "بارك الله في مروءتك وفيما صنعت".

ثم إن المأمون أنعم علي تلك العجوز بقرية تسمي طاء النمل، وجعلها لها ملكا، ولأولادها من بعدها"[1].

وكان مقام المأمون بمصر سبعة وأربعين يوما؛ قدم لعشر خلون من المحرم، وخرج لثلاث بقين من صفر سنة ٢١٧هـ=٨٣٢م[2].

<u>الشام:</u> ما أن سيطر العباسيون علي زمام الحكم وأطاحوا بالدولة الأموية حتى أدرك أهل الشام أنهم فقدوا كافة امتيازاتهم وأصبحت بلادهم إقليما من أقاليم الدولة بعد أن كانت مركزا تدر عليها الواردات من كل حدب وصوب ورغم عدم تقبلهم للوضع الجديد فقد ظلوا برهة من الزمن دون أن يحركوا ساكنا، ثم ما فتئوا أن أظهروا غضبهم علي الدولة الجديدة بعدة ثورات قابلها العباسيون بالشدة حينا، وباللين والمساومة حينا آخر.

ويعلق علي ذلك دكتور شاكر مصطفي بقوله: "استمر أهل الشام علي موقفهم المعادي للعباسيين، وإن اضطروا في كثير من الأحيان إلي إرسال وفود الطاعة والترضية والولاء الظاهري إلي بغداد، وكان العباسيون بدورهم يعرفون ذلك جيد المعرفة، ويعاملون الشام تارة بالإهمال وتارة بالشدة العنيفة، وتارة بالمداراة تبعا للظروف"[3].

وقد أزيلت عن الشام صبغته الحربية السابقة، بحيث أصبح يعرف بالكور، أو كور الشام، بدلا من الأجناد[4].

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جـ١، ص٨١-٨٢ وأيضا ابن اياس؛ بدائع الزهور، الجزء الأول، القسم الأول، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، ص٤٦٦. وأيضا الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٧، ذكر أن المأمون قدم مصر في شهر المحرم (٢١٧هـ).

(٣) شاكر مصطفي، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٧١١-٧١٢.

(٤) أجناد الشام: أجناد جمع جند، وهي خمسة: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند حمص، وجند دمشق وجند قنسرين. وكلمة جند تعني جمع كور (معجم البلدان، جـ٢، ص١٧٠).

وحرص المأمون عندما تولي الخلافة أن يولـــي الشـــام جماعـــة مـــن الهاشميين من أهل بيته أو من كبار القادة؛ مثلما ولي عبد الله بن طاهر الشام مـــع الجزيرة ومصر والمغرب سنة ٢٠٦هـــ=٨٢١م[١]. كما عق لأخيه أبي اســـحق محمد المعتصم علي الشام مع مصر والمغرب سنة ٢١٣هـــ=٨٢٨م[٢].

<u>اليمن:</u> كان بعد اليمن عن مركز الخلافة العباســـية ووعـــورة طرقـــها وتقسيمها إلي مخاليف[٣] من أهم الأسباب التي حالت بين الخلفاء العباسيين وبيـــن توجيه الجيوش بقصد فرض السلطة عليها[٤].

وكان أول من ولي اليمن في عهد المأمون هو الحسن بن سهل في ســـنة ١٩٨هـــ=٨١٣م، عندما أسند المأمون إليه كافة الولايات التي افتتحها طاهر بـــن الحسين، وهو كور الجبال وفـــارس والأهـــواز والبصـــرة والكوفـــة والحجـــاز واليمن[٥]. وفي تلك الفترة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علـــي ابن حسين بن علي بن أبي طالب باليمن سنة ٢٠٠هـــــــ=٨١٥م؛ فوجـــه إليـــه الحسن بن سهل حمدوية بن علي بن عيسي بن ماهان ومعه جماعة مـــن القـــادة لمحاربة الطالبيين في اليمن ثم استعمله عليها[٦].

---

(١) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـــ٢، ص٤٥٦ وأيضا الطبري؛ جـــ٨، ص٥٨١.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٦٢٠.

(٣) مخاليف: جمع مخلاف، ومخاليف اليمن هي كور اليم، ولكل مخلاف اسم يعرف به، وهي قبيلة من قبائل اليمن أقامت به معمرته؛ فغلب عليه إسمها، وذكر ياقوت الحمى في معجـــم البلدان ستة وثلاثين مخلافا. (معجم البلدان، جـــــ١، ص٣٧، جـــــ٥، ص٦٧). وأيضـــا فيليب حتى : تاريخ العرب قبل الإسلام (مترجم).

(٤) عبد المنعم ماجد، دكتور؛ العصر العباسي الأول، جـــ١، ص٣٢٦.

(٥) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، ص٥٢٧.

(٦) المرجع السابق، ص ٥٣٥، ٥٤١.

ثم أرسل المأمون محمد بن زياد، وذلك قبل أن يصل إلي بغـداد سـنة ٢٠٣هـ=٨١٨م، وذلك بعد أن اختل أمر اليمن، وبعث معه جيشا أخضـع بـه تهامة وانتزعها مـن أيـدي المتغلبيـن عليـها، واختـط مدينـة زبيـد سـنة ٢٠٤هـ=٨١٩م، ومات هذا الوالي في زمن المتوكل سنة ٢٤٥هـ=٨٥٩م[١].

<u>الحجاز:</u> وفي سنة ١٩٦هـ=٨١١م، خلع داود بن عيسي عـامل مكـة والمدينة الأمين -وهو عامله يومئذ عليها- وبايع للمأمون، وذلك بعـد أن بعـث الأمين من أخذ كتابي العهد، فلما فعل ذلك جمع داود وجوه الناس ومن كان شهد في الكتابين، فأخذ البيعة، وكتب بذلك إلي طاهر بن الحسين والمأمون، ثم خـرج بنفسه إلي المأمون[٢].

وفي سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م ولي المأمون عبيد الله بن الحسن بن عبـد الله ابن العباس بن علي بن أبي طالب الحرمين[٣]. وربما كـان اسـتقرار أحـوال الحجاز بعد تنازل محمد بن جعفر العلوى عن لقب الخلافـة، راجـع إلـي أن المأمون تغافل عن قيام دولة علوية فيه، وهي دولة السليمانيين التي تنتمي إلـي محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبـي طالب، الذي كان ظهر بالمدينة في أثناء فتن العلويين[٤].

<u>أرمينية وآذربيجان:</u> أرمينية إقليم جبلي عظيم المساحة يمتد بين بحـيرة وان وبحيرة كوكجه ومن جباله مخرج نهر أرس وروافدي الفرات. وكانت قصبـة

---

(١) أبو الفداء، عمـاد الديـن إسـماعيل: المختصـر فـي أخبـار البشـر، القسـطنطينية ١٢٨٦هـ=١٨٦٩، ص٢٦-٢٧. وأيضا زامباور، معجم الأنساب والأسـرات الحاكمـة، ص١٧٩ وأيضا أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، ومعجم الأسـر الحاكمـة، جـ١، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٢، ١٨٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ٣٨٩.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٦.

(٤) المرجع السابق، ٤٣٨.

أرمينية الإسلامية دبيل، وأيضا دوين أو توين، وتدل عليها قرية صغيرة في جنوب مدينة أريفان قرب نهر أرس[1].

أما آذربيجان. فهو إقليم واسع في إيران، وحدها من برذعة شرقا إلى أرزنجان غربا، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل (أي جيلان)؛ ومن أشهر مدنها مراغة وتبريز والأخيرة وكانت قصبتها قديما[2].

وكان المأمون قد ولي طاهر بن محمد الصنعاني أرمينية وآذربيجان ويذكر اليعقوبي أن الذي وجهه هو هرثمة بن أعين من همذان؛ فصار إلى ورثان[3]، من عمل آذربيجان، وكاتب قواد أرمينية ووجوه جندها فبايعوا للمأمون[4].

وقد نشبت معركة كبيرة بين أنصار الأمين بقيادة اسحق بن سليمان وأنصار المأمون فوجه طاهر بن محمد الصنعاني عامل المأمون زهير بن سنان التميمي في خلق عظيم، فاقتتلوا عامة يومهم، ثم انهزم اسحق بن سليمان وأسر ابنه جعفر بن اسحق بن سليمان؛ فوجهه ومن معه من الأسارى إلي المأمون[5].

---

(1) جي لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص٢١٦.

(2) المرجع السابق، ٤٣٨.

(3) ورثان: مدينة كانت على بعد فرسخين من ضفة النهر عند المعبر المؤدي إلى الران، وكان عليها سور وبها أسواق عامرة ولها ربض آخر السور، ويقال إن ورثان بنيت بأمر زبيدة زوجة هارون الرشيد. (لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص٢١٠).

(4) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦١.

(5) المرجع السابق، ص٤٦٢.

ولم يقم طاهر الصنعاني إلا أياما حتى خرج عليه عبد الملك بن الجحاف السلمي خالعا، ووثب في أهل البيلقان[1]، فحصروا طاهرا في مدينة برذعة؛ فأقام محصورا عدة أشهر. وبلغ المأمون ذلك؛ فولي سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي؛ فقدم البلد، وطاهر محصورا، فأخرجه وصرفه، وأعطي عبد الملك السلمي الأمان، واستقامت البلاد. ثم ولي حاتم بن هرثمة بن أعين أرمينية فقدم البلد، ولم يقم إلا أياما حتى أتاه خبر موت أبيه والحال التي مات عليها، فخرج من برذعة حتى نزل كسال[2]؛ فبنى بها حصنا وعمل علي أن يخلع وكاتب البطارقة ووجوه أهل أرمينية، وكاتب بابك والخرمية، وهون من أمر المسلمين عندهم؛ فتحرك بابك والخرمية، وغلب بابك في عمل أذربيجان[3].

وبين الفترة التي كاد فيها حاتم بن هرثمة خالعا وتعيين المأمون عبد الله ابن طاهر سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م؛ ولي المأمون عيسي بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان فاحتشد لقتال بابك وهزم، ثم ولي المأمون رزيق بن علي بن صدقة الأزدي ثم محمد بن حميد الطوسي. والأخير قتل في معركة مع بابك في سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م[4]. ثم عقد المأمون لعبد الله بن طاهر كور الجبال وأرمينية وأذربيجان، لكنه ما لبث أن توجه إلي خراسان واليا عليها بعد وفاة أخيه طلحة

---

(١) البيلقان: مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب، وهي تعد في أرمينية الكبرى قريبة من شيروان؛ ينسب إليها عالم من أهل الحديث هو أبي المعالي عبد الملك بن أحمد البيلقاني، المتوفى سنة ٤٩٦هـ (ياقوت الحموى؛ معجم البلدان، جـ١، ص٥٣٣).

(٢) كسال: بلدة قريبة من برذعة قصبة إقليم الران (لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص٢١١).

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٢. وأيضا الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٥٦ (أحداث ٢٠١هـ).

(٤) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٣ وأيضا الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٦٢٢.

ابن طاهر بن الحسين[1]. وظل بابك الخرمي علي مناوئته للدولة إلي أن قضى الخليفة المعتصم علي ثورته.

خراسان والتركستان: كان المشرق الإسلامي؛ خراسان والتركستان يشكل وحدة إدارية واحدة. وقد استخلف المأمون رجاء بن أبي الضحاك قرابة الحسن بن سهل علي خراسان عند خروجه، ثم عزله، وولي غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل والحسن ابني الحسن فاحسن السيرة[2].

ثم ولي المأمون طاهر بن الحسين خراسان في أول سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م، خلفا لغسان بن عباد. وفي العام التالي (٢٠٧هـ=٨٢٢م) توفي طاهر؛ فولي المأمون ابنه طلحة بن طاهر خراسان وأنفذ أحمد بن أبي خالد في الجيش الذي كان ضمه معه، وأقدم معه الأفشين حيدر بن كاووس الأسروشني وجملة من أبناء ملوك خراسان[3].

السند: كانت أحوال السند في خلافة المأمون مستقيمة، وأنه جبي خراجها في عهده، وفي سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م، مات واليها داود بن يزيد المهلبي؛ فولاها المأمون بشر بن داود علي أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم، ولكنه عصي وخالف، ولم يحمل إلي المأمون شيئا من الخراج[4].

وبلغ المأمون أن بشر بن داود المهلبي عامل السند قد خالف، فوجه المأمون حاجب بن صالح عاملا مكانه في سنة ٢١١هـ=٨٢٦م، فلما صار

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٢.

[2] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٤٥؛ وأيضا الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٧٩.

[3] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٧. وأيضا الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٥.

[4] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٢٦.

بمكران[١]، لقى أخا لبشر بن داود، فقال له: سلم العمل، فقال: إن سبيل كتاب العمل أن يقرأه بشر ليكتب بالتسليم، وقال: إنما أنا من قبل بشر، وهو بالمنصورة[٢]، علي بعد مسيرة يومين، فإذا اجتمعت معه وكتب إلي بالتسليم سلمت إليك. فوقعت بينهما المنازعة. وكتب إلي المأمون أن بشرا قد خلع، وأنه علي محاربته؛ فأحضر المأمون محمد بن عباد المهلبي، ووجهه مع جماعة من القواد وموسى بن يحيي بن خالد البرمكي، وأمره أن يولي موسى البلد. فلما توجه غسان إلي بلاد السند، خرج إليه بشر وأعطاه الطاعة من غير حرب؛ فأشخصه وولي البلد موسى بن يحيي، واستمر في منصبه حتى مات فصار ابنه عمران بن موسى مكان. ولما قدم بشر بن داود العراق ومن كان معه من آل المهلب أطلقهم المأمون جميعا وأحسن إليهم[٣].

---

(١) مكران: ولاية واسعة في إيران، تشتمل علي مدن وقرى، وتطل علي البحر من الناحية الجنوبية، والهند في شرقها وسجستان في شمالها. (معجم البلدان، جـ٥، ص١٧٩).

(٢) المنصورة: اسم مدينة كبيرة بأرض السند، كثيرة الخيرات، بها جامع كبير. وللمنصورة خليج من نهر مهران يحيط بالبلد فهي منه في شبه جزيرة. (معجم البلدان، جـ٥، ص٢١١).

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٥٥.

الفصل الثانى

علاقة المأمون بالأمويين فى الأندلس

تمهيد: استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (١١٣-١٧٢هـ=٧٣١-٧٨٨م) الملقب بصقر قريش والمعروف بالداخل تأسيس دولة أموية في الأندلس جعل عاصمتها قرطبة، وذلك في سنة ١٣٩هـ=٧٥٦م. وكان يدعو للمنصور العباسي[1]، ثم قطع الخطبة فى سنة ١٥٦هـ=٧٧٢م بتحريض من عمّه عبد الملك بن عمر الملقب بشهاب آل مروان. وقال له: إقطعها وإلاّ قتلت نفسي، ويقول ابن الأثير: "وكان قد خطب له عشرة أشهر فقطعها[2].

ورغم انفصال الأندلس في العصر العباسي الأول فإن الأسرة الأموية الحاكمة فى الأندلس لم تتخذ لقب "الخلافة"، بل تسمى أمراؤها باسم "أبناء الخلائف" وتحرّجوا من أن يحملوا لقب الخلافة إيماناً منهم بفكرة الخلافة الموحّدة القائمة على التصديق العام بحسب التقاليد الإسلامية الأولى[3].

وعاصر المأمون من حكام الأمويين كلاًّ من:

١- الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وهو ثالث حكام بنى أمية فى الأندلس. وكان من أعظم ملوكهم، وأول من جعل للملك فيها أبهة وفخامة، وأول من جنّد بالأندلس الأجناد والمرتزقة. وكان يباشر الأمور بنفسه فى شدة، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ١٨٠هـ=٧٩٦م، وكان مهيباً حتى

---

(١) ابن الأثير؛ الكامل فى التاريخ، جـ٥، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) المرجع السابق، جـ٥، ص٢٠٩.

(٣) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام السياسي جـ٢، العصر العباسى الأول، ص٢٢٧.

هابه الناس، وتوفي سنة ٢٠٦هـ=٨٢٢م وسنه اثنتين وخمسين عاماً وخلفه ابنه عبد الرحمن بن الحكم[١].

٢- عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، وهو رابع أمراء بني أمية في الأندلس، وأول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسى الخلافة أبهة وجلالاً، وهو الذي خلُصت الإمارة بالأندلس لولد هشام بن عبد الرحمن[٢].

وعلى كل فإن الدولة الأموية في الأندلس زمن المأمون ظلت بمنأى عن الخلافة العباسية دون الاشتباك والالتحام، ثم إن المأمون كان مشغولاً بالثورات في دولته فآثر السكوت على الأندلسيين في قرطبة.

---

(١) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٦٦.

(٢) المرجع السابق، جـ٥، ص٤٦٦، وأيضاً جـ٦ ص١١٧-١١٨.

الفصل الثالث

علاقة الولاة بعمّال الدولة الآخرين

كانت الصورة التقليدية للوالي في الإدارة الإسلامية تجعلـــه نوعـــاً مـــن الخليفة المصغّر. فكان للوالي إمرة الجيش، وكثيراً ما يكون من قواد الخليفة فـــي الأصل، وله مع القيادة الصلاة، أي إمامة الناس في الجامع، كما يتبعه صـــاحب الشرطة، وإليه أمر تعيينه، وله أحياناً ضرب النقود[1]. وعلى هذا النحـــو كـــان الولاة ينوبون عن الخليفة في حكم البلاد التي صدر لهم قرار بحكمها وتصريـــف شئونها. وكان يعاونه مجموعة من كبار الموظفين، منهم:

١- <u>عامل الخراج:</u> وهو المتولي شئون الإدارة الماليـــة؛ وكـــان الوالـــي يشرف على الخراج حيناً، وأحياناً يعين الخليفة شخصاً يكون مسئولاً عـــن تلـــك الإدارة. وهو الذي يتولى الشئون المالية في الإقليم؛ له تنظيمها وتقبيلها (أي منـــح الإلتزام) وجبايتها وإرسال حصة الخلافة بعد استيفاء حاجة الإقليم[2].

٢- <u>صاحب البريد:</u> وكان يراقب العمال ويتجسس على الأعداء، وكـــانت مهمته الأساسية توصيل الأخبار إلى الخليفة عن عماله في الأقاليم، ثم توســـعوا فيه حتى جعلوا صاحبه عَيْنا الخليفة؛ ينقل أوامره إلى ولاته، كما ينقـــل أخبـــار ولاته إليه[3]. وعلى ذلك كان صاحب البريد هو المسئول عـــن الاتصـــال بيـــن الولاية ومركز الخلافة؛ فضلاً عن الاتصال بين مختلف أنحاء بلاد الولايـــة[4]. ولم يكن البريد فقط يقوم بنقل الأخبار ومتجددات الأحوال الرسمية، لكنـــه كـــان

---

(١) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٥٤٨.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، الجـــزء الثـــاني: العصـــر العباســـي الأول ص٢٧١.

(٤) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٢٦-٢٧.

يقوم بأعمال البوليس السرى؛ فعرف بعض رجاله بالعيون، وكان يسمى رئيسهم "صاحب الخبر"[1].

وكان على رأس كل مصلحة في الولايات الكبيرة عامل بريد؛ مهمته موافاة الخليفة بجميع الشئون الهامة والإشراف على أعمال الوالى[2].

٣- <u>صاحب الشرطة:</u> وهو المسئول عن الأمن في البلاد، وتأديب الخارجين على النظام وقواعد الأخلاق. واهتم العباسيون الأوائل بصاحب الشرطة ونزّهوا هذه المرتبة وقلّدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم، وكان حكمهم على الدهماء وأهل الرتب والضرب على أيدى الرعاع؛ وكانوا يختارون من علية القوم ومن أهل العصبية والقوة[3].

٤- <u>القضاة:</u> كان القضاة مسئولين عن تحقيق العدالة والفصل بين الناس في المنازعات[4]. واتخذ العباسيون الأوائل نظام "قاضى القضاة" وكان يقيم في بغداد حاضرة الدولة، ويولىّ من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار. وكان القاضى يأتى تعيينه بدوره من بغداد، واتسعت سلطة القاضى. وممن نبغ من القضاة في عهد المأمون يحيى بن أكثم، الذى قاد الجنود لمحاربة الروم[5].

---

(١) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، الجزء الثانى: العصر العباسى الأول ص٢٧١.

(٢) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٢٣-٢٦.

(٣) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسى الأول، مرجع سابق، ص٢٧٢.

(٤) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة، مصر في فجر الإسلام، ص٩٩-١٠٨.

(٥) حسن إبراهيم حسن؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسى الأول، مرجع سابق، ص٢٩٢.

هذا وقد استحدث الخليفة هارون الرشيد منصب "قاضي القضاة" وكان رجاله (أي القضاة) في جميع البلدان يقومون بكتابة العقود على روابط الشرع لحفظ حقوق الناس في معاملاتهم وديونهم[1].

وكانت الإدارة المحلية تشمل أقاليم الخلافة التي فتحها المسلمون. وكان المشرفون عليها في أول الأمر يسمون "الأمير"، أي قائد الجند، وأيضاً عامل الخليفة، أو العامل فقط؛ فكان الأمير أو العامل في أول الأمر يقوم بكل شيء، وإن تحدّدت اختصاصاته بعد ذلك؛ فأصبح هناك موظفون آخرون يُعيّنهم الخليفة من قِبَله؛ يقومون بأعمال المال والقضاء.

وفي عهد المأمون كان عامل الخليفة يغلب عليه إسم "الوالي" وجمعها "الولاة" وهي كلمة تدل على من يمثل السلطة التنفيذية في إحدى الولايات، ويقوم بحفظ الأمن؛ إذ لم يعد عمل الوالي كما كان الحال من قبل أن يقود الجند، وأن يقوم بالصلاة والقضاء وغير ذلك. ولكن أصبح عمله القيام بأعمال البوليس، وبجانبه موظفون آخرون يشرفون على أمور الادارة الأخرى، ويخضعون لرؤسائهم في العاصمة بغداد[2].

وأوضح الدكتور شاكر مصطفى على التنظيم الإداري في الدولة العباسية في عهد المأمون بقوله: "فالسلطة في الولاية مثلثة الرأس يرأسها الوالي، ولكن تنفصل فيها السلطة العسكرية عن المالية، وتنفصل الإثنتان بدورهما عن السلطة القضائية. على أن هذا لم يمنع الخليفة أحياناً كثيرة من الجمع لبعض ولاته بين منصبي الوالي وعامل الخراج؛ لكن الولاة لم يتولّوا أمر القضاء أبداً، ونَدَر جّداً أن ترك لهم الخلفاء أمر تعيين القضاة[3].

---

(1) عبد العزيز الدوري، دكتور؛ العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص١٣٧.

(2) عبد المنعم ماجد، دكتور؛ تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٤٧.

(3) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٥٤٨.

الباب الرابع

الثورات والحركات المناهضة للحكم العباسي في عصر المأمون

عـــــــام:

الفصل الأول : الثورات المناهضة للحكم العباسي في عصر المأمون

١- ثورة رافع بن ليث

٢- ثورة نصر بن شبث

٣- ثورة الزط

٤- ثورة العرب والأقباط في مصر

٥- ثورات العلويين في البلاد العربية

عـــــام:

كان القتال الذي نشب بين الأمين والمـــأمون ينحصـــر بيـــن الطرفيـــن المتنازعين اللذين اصطدمت مصالحهما اصطداماً شديداً، في حين ظلت الفئـــات الأخرى من السكان خارج هذا الصراع بوجه عام، حتى ولو كانت تتعاطف مـــع هذا الجانب أو ذاك. ثم إن جميع فئات السكان في كـــل منطقـــة تقريبـــاً كـــانت متورطة فيها، وأن هذا الصراع الذي دام طويـــــلاً امتـــد إلـــي جميـــع أنحـــاء الإمبراطورية.

لقد كان الأبناء-وهو جيش بغداد- يخوض حرباً حاسمة للمحافظة علـــي مكانتهم الآخذة بالانخفاض في الدولة العباسية، بينما كـــان الخراســـانيون أتبـــاع المأمون وجيشه يناضلون لتوطيد المكانة الجديدة المميزة التي بلغوها باســـهامهم النشيط في دعم مصالح الإمبراطورية الواسعة. وكـــان الخراســـانيون شـــديدى الاستياء من صد الأبناء لهم الذين كانوا مصممين علي مقاومة أي تغيير يعطـــى الخراسانيين مكانة مميزة في بنية الإمبراطورية؛ بحيث أصبحت كل فئـــة فـــي الإمبراطورية ذات مصالح مهددة بالتغيير، تقف إلي جانب الأبناء، بينما الفئـــات التي كانت تتوق إلي التغيير تقف إلي جانب الخراسانيين. وأدى هذا الوضع إلـــي تواجد كتلتين متخاصمتين؛ إحداهما رجعية ممثلة بالأبنـــاء، والأخـــرى تقدميـــة يمثلها الخراسانيون. وكانت المشكلة أن التقدميين لم يكن يجمعهم أي جامع غـــير رغبتهم بإخضاع الأبناء. بينما كان الرجعيون يعرفون ماذا يريدون بالضبط. وما أن نجح المأمون بطل التقدميين وانتقاله إلي بغداد ليحكم مـــن عاصمـــة آبائـــه وأجداده حتى وجد نفسه أمام مشاكل أشد خطورة وتعقيداً مـــن المشـــاكل التـــي واجهها أخوه الأمين الذي كان دونه حظاً.

وكان لغياب المأمون عن بغداد أثره الكبير في إحداث الفتن والحـــروب التي قامت في أكثر من مكان، وانتقلت عدواها إلي الأقاليم الإسلامية، أو انتـــهاز

العلويين فرصة نزاع الأخوين ونشطوا يريدون تحقيق مآربهم، أو تلك الثـورات التي كانت موجودة منذ عهد والده هارون الرشيد كثورة رافع بن الليث بن نصـر بن سيّار في خراسان وما وراء النهر. وقد شجع علي قيام هذه الحركات تـهاون العمال بمصالح الناس وإرهاقهم بالضرائب، كما حدث في مصر مثلاً والأعمـال المالية الأخرى مما شجعهم علي الثورة[1].

وما أن باشر المأمون مهام سلطته كخليفة، مع أسس وضعها إسلافه مـن قبل حتى كانت الإمبراطورية تخوض حرباً أهلية مدمّرة دلّت بوضوح علي نقاط الضعف في النظام الذي وضع أساسه المنصور، حيث كان يقتصر خط السياسـة العامة علي تعزيز سلطة الحاكم وحكومته المركزية. وكان الاعتقاد أن ذلك يكفي لحكم الإمبراطورية المترامية الأطراف؛ فالتغييرات فـي الضـرائب كـانت تستحدث لإغناء الخزينة من دون أي اهتمام بمصالح المكلفين، كما أن التعديـلات في الإدارة كانت تجري لهدف واحد هو تشديد قبضة بغداد علي الولايات[2].

وتغلّب المأمون علي الانتفاضات والثورات التـي نشـبت فـي عـهده والممثلة في:

١-ثورة رافع بن الليث بن نصر بن سيار- حفيد آخر وال أموى علـي المشرق في خراسان وما وراء النهر.

٢-ثورة نصر بن شبث العقيلي في شمال الشام والجزيرة.

٣-ثورة العرب والقبط في مصر.

٤-ثورة الزط في جنوب العراق.

٥-ثورة بابك الخرّمي في أذربيجان والقوقاز.

وسنستعرض كل ثورة علي حدة.

---

(١) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسي الأول، ص٦٩-٧١.

(٢) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٤٤، ٤٥٢.

الفصل الأول
الثورات في عهد المأمون

الأولى: ثورة رافع بن ليث:

نتعرض لأول ثورة واجهها المأمون وهو في مرو؛ بدأت في عهد أبيه هارون الرشيد الذي شعر بخطرها مما جعلته يعد العدّة للقضاء عليها؛ فانتقل علي رأس جيشه إلي الشرق، ولكن المنية وافته وهو في الطريق فحدث خلل مفاجئ كان علي قمته عودة الجيش إلي بغداد لموازرة الأمين مما أتاح الفرصة للثائر رافع بن ليث بن نصر بن سيار العربي الأصل والمقيم في ما وراء النهر أن يوسع دائرة نشاطه حتي جاء إلي المأمون مستسلماً عندما سمع بعدله والحقيقة أن أعوانه تخلوا عنه بعد أن استقطبهم المأمون فوجد رافع نفسه مجبراً إلي تسليم نفسه إلي المأمون. وتتمثل قصته في الآتي:

كانت بلاد خراسان وما وراء النهر التي وليها علي بن عيسي ماهان في عهد هارون الرشيد مصدر فتن وقلاقل بسبب السياسة التي سار عليها ذلك الوالي، والتي كانت تنطوي علي الظلم والعسف واغتصاب الأموال من الأهالي.

وتشاء الصدف أن يقوم رجل من سمرقند وهو رافع بن ليث بن نصر بن سيار بثورة، ويشير بارتولد أنه لم تكن هناك أحقاد قديمة بين العباسيين وبين آل نصر، وأن الطبري يسمي الليث والدرافع مولي المهدي[1].

ويبيّن الطبري في تاريخه أن خروج رافع بن ليث كان شخصياً ومباشراً؛ فيذكر ما يلي: "في سنة تسعين ومائة ظهر رافع بن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند مخالفاً لهارون الرشيد وخلعه إيّاه، ونزع يده من طاعته. وكان

---

(١) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦٤-٣٦٥. وايضاً: بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش؛ الحضارة الإسلامية، نقله إلي العربية حمزة طاهر، القاهرة، ١٩٤٣م، ص٢٠٠

سبب ذلك أن يحيي بن الأشعث بن يحيي الطائي تزوج ابنة لعمه أبـي النعمـان وكانت ذات يسار؛ فأقام بمدينة السلام وتركها بسمرقند، فلما طـال مقامـه بـها وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد التمست سببا للتخلص منه، فعي عليـها، وبلـغ رافعا خبرها؛ فطمع فيها وفي مالها. فدس إليها من قال لها: إنه لا سبيل لها إلـي التخلص من صاحبها، إلا أن تشرك بالله، وتحضر لذلك قوما عـدولا، وتكشـف شعرها بين أيديهم، ثم تتوب فتحل للأزواج؛ ففعلت ذلك وتزوجها رافـع. وبلـغ الخبر يحيي بن الاشعث، فرفع ذلك إلي الرشيد؛ فكتب إلي علي بن عيسـي بـن ماهان يأمره أن يفرق بينهما، وأن يعاقب رافعا بجلده الحد، ويقيده ويطوف بـه في مدينة سمرقند مقيدا علي حمار، حتى يكون عظة لغيره. فدرأ سـليمان بـن حميد الأزدي عند الحد، وحمله علي حمار مقيدا حتى طلقها، ثم حبسه في سـجن سمرقند، فهرب من الحبس ليلا من عند حميد بن المسيح-وهـو يومئـذ علـي شرط سمرقند- فلحق بعلي بن عيسي بن ماهان ببلخ، فطلب الأمان فلم يجبـه علي إليه، وهم بضرب عنقه، فكلمه فيه ابنه عيسي بن علـي، وجـدد طـلاق المرأة. وأذن له في الانصراف إلي سمرقند، فانصرف إليها، فوثب بسليمان بـن حميد عامل علي ابن عيسي فقتله؛ فوجه علي بن عيسي إليه ابنه، فمال النـاس إلي سباع بن مسعدة فرأسوه عليهم، فوثب علي رافع فقيده، فوثبوا علي سـباع، فقيدوه، ورأسوا رافعا وبايعوه، وطائفة من وراء النهر ووافاه عيسي بن علـي، فلقيه رافع فهزمه، فأخذ علي بن عيسي في فرض الرجال والتأهب للحرب[1].

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٣١٩-٣٢٠.

أما الدينوري فجعل سبب خروج رافع بن ليث "أن علياً بن عيسى بن ماهان لما وليّ خراسان أساء السيرة، وتحامل علي من كان بها من العرب وأظهر الجور فخرج عليه رافع"[1].

أما عن شخصية رافع؛ فهو من بيت إمارة ورياسة، وكان جدّه آخر حاكم أموى علي خراسان. وكان مقيماً في ما وراء النهر بسمرقند، وكان أحد معاوني والي خراسان. ومع أنه كان مؤيداً للعباسيين مخلصاً لهم فإنه كان يعارض المعاملة القاسية التي يلقها رفاقه أبناء الشرق، وهو يعتبر نفسه واحداً منهم.

ومهما كان السبب أو الأسباب التي دفعت رافع إلي الخروج والعصيان، فإنه حظى بتأييد العرب الآخرين، وبدعم قوى من الرؤساء والأمراء في بلاط الصغد وما وراء النهر وإمارات خراسان وحصل علي تأييدهم حتى تمكن من قتل والي سمرقند. ويقول الطبري في أحداث سنة ١٩١هـ ما يلي: "وفيها غلُظ أمر رافع بن ليث بسمرقند، وفيها كتب أهل نسف[2] إلي رافع يعطونه الطاعة، ويسألونه أنه يوجّه إليهم من يعينهم علي قتل عيسي بن علي؛ فوجّه صاحب الشاش في أتراكه قائداً من قواده، فأتوا عيسي بن علي فأحدقوا به وقتلوه في ذى القعدة ولم يعرضوا لأصحابه[3]. ثم كان لكره الخراسانيين عامة لسياسة

---

[1] الدينوري، أحمد بن داود؛ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى. القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٨٧.

[2] نسف: مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيجون وسمرقند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فنة، ولها اسم آخر هو "نخشب"، ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ٥، ص٢٨٥.

[3] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

العباسيين أثر في اشتعال الثورة" ذلك أن أهالي فرغانة[١] وأسروشنة[٢] وصغانيان[٣] وبخاري[٤] وخوارزم[٥] والختل[٦] كانوا من أنصار رافع[٧].

ويذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن أن كلاً من والي خراسان علي بن عيسي بن ماهان وعامل سمرقند قاما بتنفيذ أوامر الرشيد وحبس رافع وفرار الأخير من سجنه، واستغاثته بولد علي بن عيسي بن ماهان، فتوسط له عند أبيه

---

(١) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان، كثيرة الخير واسعة الرستاق، وبينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، وقصبتها أخسيكث، وبها قرى كثيرة، وينسب إليها جماعة من العلماء (معجم البلدان، جـ٤، ص٢٥٣).

(٢) أسروشنة: بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند، وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا. وقال الأصطخري أن أسروشنة اسم الإقليم وليس بها مكان ولا مدينة بهذا الاسم، والغالب عليها الجبال. ومن مدنها بنجيكث وساباط وخرقانة، ومدينتها التي يسكنها الولاة بنجيكث، وينسب إليها الكثير من أهل العلم. (معجم البلدان، جـ١، ص١٧٧، ١٩٧).

(٣) صغانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ، وهي ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات، وخرج منها علماء كثيرون (معجم البلدان، جـ٣، ص٤٠٨-٤٠٩).

(٤) بخاري: وتكتب أيضاً بخاراً: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، وبينها وبين جيجون يومان، وينسب إليها جماعة من العلماء والأدباء والمحدثين (معجم البلدان، جـ١، ص٣٥٣).

(٥) خوارزم: في إقليم الشرق، وطباع أهلها مثل طباع البربر، وهي ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً، ويحيط بها رمال سيّاله، ويسكنها قوم من الأتراك والتركمان بمواشيهم، وينسب إليها عدد كبير من الأعلام. (معجم البلدان، جـ٢، ص٣٩٥-٣٩٨).

(٦) ختل: كورة واسعة كثيرة المدن خلف نهر جيجون، وهي علي تخوم السند، يقال لقصبتها هُلْبك. وذكرها االأصطخري أنها أول كورة علي جيحون من وراء النهر، وينسب إليها قوم من أهل العلم. (معجم البلدان؛ جـ٢، ص٣٤٦-٣٤٧).

(٧) بارتولد، فاسيلي فلاديميرفتش؛ تركستان: من الفتح العربي إلي الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، مرجع سابق، ص٢٠٠.

فأمّنه وردّه إلي بلده؛ فتأثر لنفسه من عامل هذه المدينة وقتله، وأتبعه كثير من أهالي سمرقند وبلاد ما وراء النهر، فأرسل إليه علي بن عيسي بن ماهان ابنه عيسي فقتله رافع في بلخ[1].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ فقد انضم إليه حاكم الشاش والترك، كما أرسل التغزغز والقارلوق (وهم ترك) وأهل التّبت نجدات لمساعداته[2].

ولم ير رافع بن الليث عند وفاة الرشيد ما يبرر استمراره بثورته؛ ففي سنة ١٩٤هـ، حاول المأمون بكل وسيلة أن يسترضي أهل خراسان، ورافق ذلك تخلي الترك عن رافع؛ عندئذ ضعف موقفه وخضع للدولة في عصر المأمون وسلّم نفسه عندما سمع بعدالته. وفي ذلك يقول الجهشياري: "ولما رأي رافع بن الليث سيرة المأمون انقاد له، ودخل في طاعته في سنة أربع وتسعين ومائة، فأعطاه الأمان، فصار إليه، فأكرمه، وخُصّ به"[3].

والخلاصة إن جميع العناصر المعادية للعباسيين اجتمعت حول رافع بن الليث وبقيت الثورة مشتعلة في المشرق، والقتال متقطعاً. وأخيراً كان لابد للرشيد أن يذهب إلي الشرق بنفسه وأن يحاول احتواء هذه الثورة الخطرة؛ فخرج الرشيد بنفسه لحربه إلاّ أن المنية أدركته وهو في طريقه إلي خراسان،

---

(1) حسن إبراهيم حسن؛ دكتور؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ٢، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٥٣)، وأيضاً الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٥، ص٣١٩-٣٢٠.

(2) بارتولد؛ تركستان: من الفتح العربي إلي الغزو المغولي؛ مرجع سابق، ص٢٠٠.

(3) الجهشياري؛ كتاب الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص٢٧٩. وأيضاً: ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٣٦٤.

فأدت وفاته إلي نقل الأزمة إلي مستوى جديد، وهنا كان المسرح معدا إعدادا كاملا لحرب أهلية[1].

الثانية: ثورة نصر بن شبث العقيلي:

وقف أهل الشام موقفا معاديا للعباسيين واستمروا علي ذلك، وإن اضطروا في كثير من الأحيان إلي إرسال وفود الطاعة والترضية والولاء الظاهري إلي بغداد. وكان العباسيون بدورهم يعرفون ذلك جيدا، ويعاملون أهل الشام تارة بالإهمال وتارة بالشدة، وثالثة بالمداراة تبعا للظروف.

وانتهز أهل الشام فرصة فتنة الأخوين: الأمين والمأمون، وترك الشام في تلك الفترة لمصيره؛ فبرز خلالها من العصاة والمتغلبين، ولكن أغلب ثوراتهم كانت محلية وذات نزعات قبلية لا أثر لها. أما الثورة التي تمثل فيها غضب أهل الشام والجزيرة لعروبة الدولة؛ فهي ثورة نصر بن شبث العقيلي، ولعلها أخطر ثورة هددت الخلافة العباسية في عهد المأمون، والتقت فيها آلام أهل الشام مع النزعة الأموية والعصبية العربية في وقت واحد معا[2].

وكان أهل الشام يأخذون علي بني العباس، لاسيما زمن المأمون، ميلهم إلي الفرس. وأورد الطبري رواية تقول: "تعرض رجل للمأمون بالشام مرارا فقال له: يا أمير المؤمنين، أنظر لعرب الشام كما نظرت العجم أهل خراسان، فقال: أكثرت علي يا أخا أهل الشام؛ والله ما أنزلت قيسا عن ظهور الخيل إلا وأنا أري أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد؛ وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط؛ وأما قضاعة فسادتها تنظر إلي السفياني وخروجه فتكون من

([1]) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، أحداث في الصفحات ٩٣، ٢٣٩، ٤١٥ عن الشام. وأيضا محمد عبد الحي محمد شعبان؛ الدولة العباسية: الفاطميون، نشر "الأهلية للنشر والتوزيع بلبنان، بيروت، ١٩٨١م، ص٥٧.

([2]) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤١٢-٢١٣، ٤٢٠.

أشياعه، وأما ربيعة فساخطة علي الله منذ بُعث نبيه من مُضَر، ولم يخرج اثنان إلاّ خرج أحدهما شارياً (من الخواج). أعزب فعل الله بك!"[1]. وهذا دليل علي أن المأمون كان ينظر إلي أهل الشام نظرة ريبة وعدم اخلاص لدولته.

كان نصر بن شبث من بني عقيل؛ استاء كغيره من مقتل الأمين، وانحطاط العنصر العربي نتيجة لسياسة المأمون. وكان عربياً يتعصب للأمين؛ لأنه يمثل العنصر العربي وله في الأمين هوي، وينقم علي المأمون لاتخاذه الخراسانيين دون العرب أنصاراً له. وتزعم القيسية في شمال الشام والجزيرة. وكان يسكن كيسوم شمالي حلب. يقول الأزدي في تاريخه: "كان ابن شبث والياً علي الجزيرة من قبل الأمين، فعزله بعبد الله بن سعيد، وأنفذ إليه داود بن عيسي فقتله نصر سنة ١٩٨هـ"[2]. وبذلك يكون نصر بن شبث قد ثار علي الأمين والمأمون معاً في سنة ١٩٨هـ.

ثم حارب نصر بن شبث المأمون-وعلي حد قوله- محاباة عن العرب لأنهم يقدّمون عليهم العجم[3]. فتبعه الكثير لهذا السبب؛ فكانوا جميعاً من العرب. وتغلّب علي بلدة كيسوم القريبة من "سميساط"[4]، وفشا أمره مدة خمس سنوات، وصار له ما بين سميساط إلي الضفة الشرقية للفرات (أرض الجزيرة) وتبعه مَنْ بها من العرب. وكان في ثورة نصر شئ من النزعة البدوية، ونستشف ذلك من عبارة قالها عندما اشترط عليه المأمون أن يطأ بساطه ليعفو عنه، أخذته

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٦٥٢.

[2] الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس (ت ٣٣٤هـ)؛ تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٢٨.

[3] ابن الأثير ؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٤٢٠.

[4] سُميساط: مدينة علي شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم تقع عربي الفرات، ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن، ينسب إليها جماعة من العلماء (معجم البلدان، جـ٣، ص٢٥٨).

العزة والكرامة وغضب، وقال: "ويلي عليه. هو لم يقو علي أربعمائة ضفدع تحت جناحه (يعني الزط). يقوى علي حلبة العرب؟!!!.

ولما انتصر طاهر بن الحسين علي الأمين واستولى علي العراق؛ ولـيّ المأمون الحسن بن سهل علي كل ما افتتحه، وأمر طاهراً أن يسلّم ذلك إليه، وكلّفه بالمسير إلي الرقة لمحاربة نصر بن شبث، وولاّه الموصل والجزيرة والشام والمغرب؛ فسار طاهر إلي وجهته، وأرسل إلي نصر يدعوه إلي الطاعة وترك الخلاف فلم يجب، فتقدم إليه طاهر، ولقيه بنواحي كيسوم؛ فاقتتلا هناك قتالاً عظيماً أبلي فيه نصر بلاءً حسناً؛ فكان النصر له، وأجبر طاهراً علي التراجع إلي الرقة شبه مهزوم[1]. وكان قصارى أمره حفظ تلك النواحي. والظاهر أن طاهر بن الحسين لم يكن جاداً في حرب نصر بن شبث؛ لأنه راي نفسه جُرّد مما فتحه في العراق وغيره، ولم يتمتع بشئ مما جناه[2]. ونتج عن ذلك ارتفاع شأن نصر بن شبث، وقوّي أمره حتى كثر جمعه، وحصر حرّان بالجزيرة، والتف حوله العرب، وبعض العلويين، الذين تفاوضوا معه في نقل الخلافة إليهم، وقالوا له: قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم، فلو بايعت لخليفة كان أقوى لأمرك. فقال: من أي الناس؟ فقالوا: نبايع لبضع آل علي بن أبي طالب. فقال. أبايع بعض أولاد السوداوات. فيقول: إنه خلقني ورزقني. قالوا: فنبايع لبعض بني أمية. قال: أولئك قوم قد أدبر أمرهم، والمدبر لا يقبل أبداً، ولو سلّم علّي مدبر لأعداني إدباره، وإنما هواي في بنى العباس، وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدّمون عليهم العجم"[3].

---

(1) ابن العديم؛ زبدة الحلب من تاريخ حلب، الجزء الأول، تحقيق سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي بسورية، دمشق، ١٩٥٤، ص٦٥-٦٦.

(2) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ؛ جـ٥، ص٤١٣.

(3) المرجع السابق، ص٤٢٠.

وعلي هذا النحو بقيت الجزيرة وشمال الشمام في يد الثائر نصر بن شبث العقيلي سنوات عديدة سيطر فيها علي طرق التجارة، وصادر فيها أحياناً التجار[1]، لكنه عامل المسيحيين في المنطقة معاملة حسنة، رغم ما يذكره المؤرخون من طغيانه.

ولما شخص المأمون إلي بغداد أمر طاهراً أن يلقاه بها، فترك الرقة واستخلف علي الجيش ابنه عبد الله، وأمره بالجد في محاربة نصر. وكتب طاهر إلي ابنه عبد الله الكتاب المشهور الذي جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب والسياسة والحث علي مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم مما لا يستغنى عنه أحد من ملك وسوقة. وقد تداول الناس هذا الكتاب وكتبوه وشاع أمره. وبلغ المأمون أمره فدعا به، فقرأ عليه، فقال: "ما أبقى أبو الطيب (يعنى طاهراً) شيئاً من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأي والسياسة وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلاّ وقد أحكم وأوصى به؛ وأمر فكتب به إلي جميع العمال والنواحي[2].

وذهب عبد الله بن طاهر إلي وجهته في محاربة نصر، وحاصره وضيّق عليه الخناق. وكان عبد الله بن طاهر يحاول أثناء ذلك إقناعه بقبول الصلح حتى أرغم علي طلب الأمان في سنة ٢٠٩هـ، فأجاز المأمون ذلك لقائده، وكتب إلي نصر كتاب أمان، ورد فيه: "وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلاّ الله.. وضمانه لك في دينه وذمته الصفح عن سوالف جرائمك

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٥٩٨.

[2] أورد الطبري نص وصية طاهر إلي ابنه عبد الله، وتقع في الصفحات من ٥٨٢ حتى ٥٩١ من الجزء الثامن من تاريخه.

ومتقدمات جرائرك. وإنزالك ما تستأهل من منـــازل العـــزو الرفعـــة أن أتيـــت وراجعت إن شاء الله"[1].

وأخيراً سلّم نصر نفسه، وسيق إلي بغداد في شهر صفر سنة ٢١٠هـــ، بعد أن حارب جيوش المأمون نحواً من خمس سنين. وهدم عبد الله بـــن طـــاهر كيسوم وخرّبها. وقد احتفل المأمون بقدوم نصر بن شبث إلـــي بغـــداد خاضعـــاً مستسلماً احتفالاً عظيماً. وفي تلك الأثناء دبّر نفر مؤامرة لتكدير صفاء الســـرور الذي عمّ رجال الدولة بتسليم نصر؛ وذلك أن يقطعوا جسر الزوارق المقام فـــي عرض دجلة لمرور نصر عليه عند اقترابه بموكبه الحافل. وكـــان مدّبـــر تلـــك المؤامرة إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعـــــروف بـــابن عائشة، وكان يرمي بذلك إلي إثارة الخواطر وخلق القلاقل والعمل علي إعـــادة إبراهيم بن المهدي للخلافة، ولكن رجال المأمون اكتشفوا خبر المؤامرة، وقبـــض علي زعيمها، وعذّبه المأمون عذاباً أليماً وحبسه في المطبق[2]. ثم أمر بإخراجـــه وقتله، وقتل معه ثلاثة من رؤوس المتآمرين، وكان ذلك في ١٤ جمادي الآخـــرة سنة ٢١٠هــ[3].

وبعد أن استسلم نصر بن شبث، جمع عبد الله بن طاهر المتغلبـــة علـــي مدن الشام، أمثال: ابن السرج وابن أبي الجمل وابن أبي الصقر، وحملـــهم وراءه

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، مرجع سابق، ص٦٠٠ وأيضاً ابن طيفور، تاريخ بغداد، جـــ٦، طبع هـــ. كلر H. Keller، ليبزج، ١٩٠٨م، ص١٤٠.

(2) المطبق: السجن تحت الأرض، (المعجم الوسيط، جـــ٢، ص٥٥٧).

(3) الصلاح الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الدمشقي (ت ٧٤٧هـــــ=١٣٤٦م) الوافـــي بالوفيات، جـــ٣، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٧٠م، ص١٥٦.

إلي بغداد أيضاً، وتابع طريقه إلي دمشق ليقبض علي ابن بيهس[1]، ثم حاول عبد الله بن طاهر تهدئة الشام بالقوة والاستصلاح. ويذكر اليعقوبي أنه سار "ليستقرئ الشام بلداً بلداً، لا يمر ببلد إلاّ أخذ رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك، وهدم الحصون وحيطان الدور وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر وجمعهم جميعا، وحط عن بعضها الخراج، فلم يبق مخارق ولا خالع[2] إلاّ خرج من قلعته وحصنه"[3].

الثالثة: ثورة الزط

عرضنا قبل ذلك إلي ثورة الزط، تلك التي كانت مسرحاً لثورة خطيرة وشغب زائد في جنوب العراق في عهد المأمون بالرغم من قرب المنطقة من بغداد عاصمة الدولة، ولكن من قوم غريب عن العالم الإسلامي غلبوا علي طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد، هم الزط (النَوَر)[4] وكلمة "الزط" هي تعريب للفظ الفارسي "جت"[5]، يقول البلاذري: "أن موطنهم الأصلي هو منطقة السند من بلاد الهند، وأنهم كانوا يربون الجواميس فأتي بهم الحجاج

---

(1) ابن بهيس: (ت٢١٠هـ=٨٢٥م) هو محمد بن صالح بن بيهس القيسي الكلابي، أمير عرب الشام وسيد قيس، كان نائب الشام للمأمون وقاوم السفياني الذي خرج بدمشق إلي أن توفي بها. (الوافي بالوفيات للصفدي جـ٣، ص١٥٦).

(2) لم يبق مخارق ولا خالع: أي لم يبق أحمق يجهل بالشئ ولا يحسن عمله (مخارق)، والخالع: أي الذي نقض العهد وثار (المعجم الوسيط، جـ١، ص٢٢٦، ٢٥٠).

(3) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٣، طبعة النجف، ١٩٣٩م، ص١٩١.

(4) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٥٥.

(5) إبراهيم أيوب، دكتور؛ التاريخ العباسي: السياسي والحضاري؛ مرجع سابق، ص٨٣.

واسكنهم في جنوب العراق بأسفل كسكر[1] ليحفظوا الأمن في منطقة البطيحة"[2][3].

أما المسعودي فيروى أنه وقع غلاء في ناحية الهند التي يقطنها الزط، فهربوا من المجاعة، وتنقلوا في بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز، وأخيراً جاءوا إلي البطيحة، وسبب ترحّلهم هو مجاعة وغلاء حلت بها في ناحية السند، وأن اسم "الزط" في العربية مشتق من اسمهم الهندي (الجات)، وما يزال منهم هناك بقايا يعيشون في الحوض الأدنى المستنقعي من حوض السند، ولغتهم هناك مستعملة حتى زمن المسعودي[4]، أي في النصف الثالث من القرن الرابع الهجري.

ويذكر ابن الأثير أن الزط سكنوا شواطئ الخليج العربي، واستغلوا الفتنة التي وقعت بين الأخوين: الأمين والمأمون؛ فاستولوا علي البصرة التي عاثوا فيها فساداً[5].

ويبدو أن قدوم الزط إلي العراق سابق علي الفتح الإسلامي؛ لأن البلاذري يشير إلي وجود جماعة من الزط في منطقة البصرة عند

---

[1] كسكر: كورة واسعة أسفل العراق، تقع بين الكوفة والبصرة وقصبتها واسط، وهي منطقة خصبة كثيرة الخيرات. (معجم البلدان، جـ٤، ص٤٦١).

[2] البطيحة: أرض واسعة بين وساط والبصرة؛ تبطّح (يسيل) السيل إذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها، أي سالت واتسعت في الأرض. (معجم البلدان، جـ١، ص ٤٥٠-٤٥١).

[3] البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر (ت٢٧٩هـ)؛ فتوح البلدان، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٤٦١.

[4] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت٣٤٦هـ)؛ التنبيه والإشراف، القاهرة، ١٩٣٨م، ص١٩٦.

[5] ابن الاثير، علي بن أحمد بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، منشورات دار الكتاب العربي، جـ٢، بيروت، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م، ص٢٣٢.

الفتح[1]. قد جاء بهم الساسانيون، ولقيهم الفاتحون فيما بين رامهرمز[2] وأراجان[3]؛ فهم يذكرون أرضاً باسمهم هناك. وقد نقل الخليفة معاوية بن أبي سفيان أسراً عديدة من الزط إلي سورية سنة ٥٠هـ، ثم أتي الحجاج ببعضهم وسمح لهم، باستيطان منطقة الأهواز جنوب العراق ليستفيد منهم في استغلال هذه المنطقة، ثم نقلهم الوليد، أو نقل بعضهم، وكذلك يزيد الثاني في بداية القرن الثاني الهجري إلي شمال سورية الغربي؛ فأقراهم[4] في انطاكية والمصيصة[5]، يعني علي التخوم مع الروم. وكان في أنطاكية منذ عهد معاوية والوليد بن عبد الملك حي يسمى بحي الزط لأنهما هما اللذان أنزلاهما في انطاكية، وفي بوقا[6]" من عمل اللاذقية قوم من أولادهم[7].

ويكمل البلاذري حديثه ويقول: "ويظهر أن وضعهم المعاشي كان واطئا جدا؛ لأنهم أخذوا يقومون ببعض أعمال اللصوصية الصغيرة بأن يسألوا الشيء

---

(1) البلاذري؛ فتوح البلدان، مرجع سابق، ص٤٦٠، ٤٦٣.

(2) رامهرمز: مدينة إيرانية مشهورة بنواحي خوزستان (معجم البلدان، جـ٣، ص١٧).

(3) أراجان: مدينة إيرانية كبيرة كثيرة الخير، بينها وبين شيراز ستون فرسخا وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا، ينسب إليها جماعة من أهل العلم. (معجم البلدان، جـ١، ص١٤٣-١٤٤).

(4) فأقراهم: أي أسكنهم من المصدر قرّ. وقرّ في المكان أي ثبت وسكن. (أقرب الموارد للشرتوني، جـ٢، ص٩٨٢).

(5) المصيصة: مدينة علي شاطئ نهر جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس، (معجم البلدان، جـ٥، ص١٤٥).

(6) بوقا وبوقة: إحدى قري أنطاكية، بني حصنها الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك. (معجم البلدان، جـ١ ص٥١٠).

(7) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٦٢.

الطفيف، ويصيبوا غرّة[1] من السفينة فيتناولوا منها ما يمكنهم اختلاسه[2]. وقد زاد عددهم، كما زاد فقرهم وعبثهم في أيام المأمون، حتى صاروا خطراً علي المواصلات والأمن. ويفسّر البلاذرى ذلك بأنهم "غلبوا علي البطيحة وتناسلوا فيها، ثم انضوى إليهم قوم من أباق العبيد وموالي باهلة وغيرهم فشجعوهم علي قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية، وعاث الزط في جنوب العراق وغلبوا علي الطريق بين واسط والبصرة، وقطعوا طريق "البصرة-بغداد"، وانقطع عن بغداد ما كان يحمل إليها من البصرة علي السفن[3].

ويعلق الدكتور شاكر مصطفي علي ذلك بأنهم كانوا إحدى الطبقات التي دفعها سوء الوضع المعاشي إلي التذمرّ ثم إلي الثورة. لهذا نجدهم حين ثاروا قد "احتملوا الغلاّت من البيادر[4] بكسكر وما يليها من البصرة"ن منتهزين قيام الفتنة الأخوية بين الأمين والمأمون؛ فاستولوا علي طريق البصرة، ومنعوا الميرة عن بغداد، وفرضوا الموكس الجائرة علي السفن التجارية، وانقطع عن بغداد ما كان يحمل إليها من البصرة علي السفن[5].

ولما انتقل المأمون إلي مركز خلافته في بغداد، واستقرت الأمور له؛ أرسل عدّة حملات ضد الزط في سنة ٢٠٥هـ، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ٢٠٥هـ أن المأمون وليّ عيسي بن يزيد الجلودي محاربة الزط، وفي سنة ٢٠٦هـ وليّ المأون داود بن ماسجور محاربة الزط وأعمال البصرة وكور

---

[1] غُرّة: غرة الشئ أوله ومعظمة جمعها غُرر، مثل قولنا غّرة الشهرة وهكذا (أقرب الموارد للشرتوني جـ٢، ص٨٦٧.)

[2] البلاذرى، فتوح البلدان، ص٤٦٣.

[3] البلاذرى: فتوح البلدان؛ مرجع سابق، ص٤٦٢.

[4] البيادر، جمع بيدر: وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام لإخراج الحب من سنابله (الجُرْن). (المعجم الوسيط جـ١، ص٤٢، وأيضاً أقرب الموارد جـ١، ص٣٣). ،

[5] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٥، ص٤٦٧.

دجلة واليمامة والبحرين[1]. وذلك في خبر مختصر، ولم يذكر نتيجة فعله ولا فعل من قبله، ولكن هذه الحملات لم تتمكن من القضاء علي ثورتهم؛ لأنهم كانوا يتفرقون في الفيافي والأصقاع الخالية كلما شعروا بالخطر يداهمهم، ويعودون عندما يذهب الخطر حتى تمكنوا من فرض الضرائب علي السفن الداخلة إلي بغداد؛ فحالوا دون وصول الأقوات إلي بغداد. وكان رئيس الزط رجلاً يقال له محمد بن عثمان، وصاحب أمره والقائم بالحرب "سماق"[2]. وذلك بعد وفاة المأمون وفي السنة الأولي من حكم المعتصم ٢١٩هـ=٨٣٤م، وقد عجزت جيوش المأمون ما بين سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م حتى وفاته علي قهرهم، رغم ما بعث من قواد. واستمر الزط في عبثهم حتى خلافة المعتصم الذي أرسل حملة ضدهم سنة ٢١٩هـ=٨٣٤م بقيادة عجيف بن عنبسة تمكنت من إحكام السيطرة وتطويق المنطقة التي انتشروا فيها. ثم ضيق الخناق عليهم وسدّ مسالك الأنهار والقوت عليهم تسعة أشهر؛ فاضطرهم إلي طلب الأمان علي دمائهم وأموالهم؛ فأجابهم إلي ذلك، ثم حملهم في السفن مطلع سنة ٢٢٠هـ=٨٣٥م، فمرّ بهم في بغداد، وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفاً، والمقاتلة منهم إثنا عشر ألفاً؛ فاستعرضهم الخليفة المعتصم في سفنهم علي تعبئتهم، وهم ينفخون في البوقات[3]، ثم نقلوا من البر إلي عين زربة[4]"، منطقة الثغور بآسيا الصغرى، فأسرهم هناك الروم سنة ٢٤١هـ، ونقلوهم إلي القسطنطينية ومنها

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك. جـ٨، مرجع سابق، ص ٥٨٠-٥٨١.

(٢) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ. جـ٦، ص١٦.

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، مرجع سابق، ص١٠-١١.

(٤) عين زربي وعين زربة: بلد في الثغر من نواحي المصيصة (معجم البلدان، جـ٤ ص١٧٧).

انتشروا في مختلف البلاد الأوروبية، ولاسيما المجر وأسبانيا[١]. وعرفوا باسم Gypsies، أو النور أو الغجر، ويقيمون عادة في خارج المدن[٢].

الرابعة: ثورة العرب والقبط مصر:

أثّر النزاع الأخوى بين الأمين والمأمون سنتي ١٩٤و١٩٥هـ=٨٠٩ و٨١٠م علي الوضع في مصر، حيث كان فيها جند من الخراسانية ميّالون إلى المأمون، فلما خلعه الأمين من ولاية العهد غضبوا، وتزعمهم واحد منهم هو السري بن الحكم الذي دخل مصر مع جند الليث بن الفضل والي مصر زمن الرشيد (١٨٢-١٨٧هـ)، ثم ارتفع شأنه بغضبه للمأمون. ولكن لا يبدو أن المأمون أقام معه الصلات اللازمة؛ لأنه لم يكن آنذاك بالوجه المعروف. وجُلّ ما فهمه المأمون وأصحابه من الحركة هو أن عليهم ألاّ يهملوا في النزاع مع الأمين أمر مصر، وأن فيها جماعة خراسانية يمكن الاعتماد عليها وعلي دعمها للقضية. ثم كتب المأمون إلي وجوه القوم في مصر فأجابوه في السرّ. كما أرسل هرثمة بن أعين قائد المأمون سنة ١٩٦هـ إلي عباد بن محمد بن حيان وكيل ضياعه في مصر، فخلع مع الجند بيعة الأمين، وطردوا واليه جابر بن الأشعث، وأدخل البلد في طاعة المأمون[٣].

---

(١) عبد المنعم ماجد، دكتور؛ العصر العباسي الأول، التاريخ السياسي، جـ١، ص٤١٧-٤٢١. وأيضاً إبراهيم أيوب، دكتور؛ التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص٨٤.

(2) Muir, Sir William Temple; The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall, Edinburg, 1924, p.514.

(٣) سيدة كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦١-١٦٢ وأيضاً شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٧٠٢-٧٠٣م.

وعلي هذا النحو انعكس الصراع بين الأخوين: الأمين والمأمون علـــي الحالة في مصر؛ حيث انقسم العرب فريقين؛ فاليمانية وقفوا بجـــانب المـــأمون، بينما أيد القيسية الأمين، واستمر النزاع حتى مقتل الأمين[1].

وبغت الأمين للضربة الاستراتيجية التي طوقه بها أخوه المـــأمون مـــن خلفه في غرب الدولة؛ فبعث إلي زعيم قبائل قيس في الحوف الشـــرقي (شـــرق الدلتا) فجعله واليا علي مصر ليلقى بأسهم بينهم. وعلي ذلـــك تجنـــدت القبـــائل القيسية لقضية الأمين وقاتلت والي المأمون ومؤيديـــه. ولكـــن حصـــار بغـــداد الطويل، ثم مقتل الأمين، مع بعد المأمون أنسي الناس قضية الأخويـــن، وحـــول القتال بين المتنفذين إلي نزاع علي التسلط الذاتي فـــي مصـــر. والرغبـــة فـــي الاستقلال بأجزاء منها[2].

وقد خلقت الحالة في مصر مشاكل للمأمون، لكنه تمكن مـــن الســـيطرة عليها بالعمل العسكري السريع، لكن أوضاع مصر في تلك الفـــترة تشـــير إلـــي بروز عبد العزيز بن الوزير الجروى الذي تسلط علي الحـــوف الشـــرقي ســـنة ١٩٩هـــ؛ بينما سيطر علي الفسطاط والصعيد السرى بن الحكـــم، الـــذي ولـــي مصر بمبايعة الجند له سنة ٢٠٠هـــ، ثم بأمر المـــأمون ســـنة ٢٠١هـــ؛ أمـــا الحوف الغربي (غرب الدلتا) فقد سيطرت فيه قبيلتا لخم وجذام، ثم زاد المشـــكلة تعقيدا أن جماعة من الأندلسيين الذين نفاهم الحكم بن هشـــام الأمـــوى، وكـــانوا خمسة عشر ألف لاجئ، وهم جماعة الربض وثورتهم هـــي المعروفـــة بثـــورة الربض، لأنها قامت في ربض (أي ناحية) من أرباض العاصمة قرطبة في ســـنة ١٩٨هـــ=٨١٣م. لكن الحاكم الأموى نجح في إخماد الثورة وتشـــريد القـــائمين

(١) سيدة كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦١-١٦٢. وأيضـــا عبـــد العزيـــز الدورى، دكتور؛ العصر العباسي الأول، ص١٧٠.

(٢) سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٦٦-١٦٧. وأيضا شـــاكر مصطفي، دكتور؛ دولة بني العباس، جـــ١، ص٧٠٣.

بها. فنزح فريق من الثوار الأندلسيين إلي أفريقية (بلاد المغرب)، حيث استقروا في مدينة فاس عاصمة دولة الأدارسة، بينما واصل قسم منهم سيرهم في البحر شرقا، واختاروا اللجوء إلي مصر، وجاءوا في أربعين مركبا حتى وصلوا إلي شواطئ الإسكندرية؛ فنزلوا في ضواحيها في أوائل عهد المأمون بمعاونة عرب البحيرة وأسسوا إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية سنة ٢٠٠هـ، تعاونوا فيها أولا مع جماعة محلية من الصوفية، ثم تركوهم واستأثروا بالحكم بزعامة أبي حفص الكناني؛ الذي استمر حكمه نحوا من عشر سنوات[1].

وبالرغم من أن سنة ٢٠٥هـ=٨٢٠م شهدت غياب الزعيمين الكبيرين: السري والجروى؛ إذ لقي الجروى مصرعه وهو يحاصر الإسكندرية، ثم لحقه السرى بالموت بعد ثلاثة اشهر؛ فقد ورث النزاع ولداهما علي بن عبد العزيز ا الجروى وأبو نصر بن السرى كل في موقعه؛ ابن السرى في الصعيد وغرب الدلتا وابن الجروى في شرقيها، وتهادنا بعد حروب دامية. فلما مات أبو نصر وأعقبه أخوه عبيد الله بن السرى سنة ٢٠٦هـ=٨٢١م؛ بقي الجروى واستطاع ابن السرى هزيمة وال أرسله المأمون إلي مصر. بالرغم من أن الخليفة عاد فأقر ابن السرى والجروى كل منهما علي ما بيده سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م، إلا أنه ظهر وكأن مصر قد خرجت من أيدى الخلافة العباسية لاسيما حن هاجم عبيد الله بن السرى أرض الجروى وأخذ منه عاصمته تنيس؛ فهرب الجروى إلي الفرما ثم العريش سنة ٢٠٩هـ=٨٢٤م[2].

---

[1] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٦١٣. وايضا شاكر مصطفى؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٧٠٤، وأيضا إبراهيم أيوب؛ التاريخ العباسي: السياسي والحضاري، ص٨٦ وأيضا سيدة إسماعيل كاشف؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٧٤.

[2] الكندي المصري، أبو عمر محمد بن يوسف؛ كتاب الولاة والقضاة، تهذيب وتصليح روفن جست Rhovon Guest، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٧٢-١٨٣.

وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين واليا علي مصر من قبل المأمون سنة ٢١٠هـ=٨٢٥م، في الفترة التي هزم عبيد الله بن السري هزيمة نهائية علي يد الجروي واستيلاء الأخير علي الإسكندرية من أهل الربض لتصبح مصر كلها ولاية خالصة له. فما كان من الجروى إلا أن انضم إلي جيش عبد الله بن طاهر، وقدم له الأموال والمعونة. وبالرغم مما أعد عبيد الله بن السرى من السفن وعدة الحرب، وما حفر من الخندق حول الفسطاط؛ فقد هزم أسطوله في البحر أيضا؛ لأن ابن الجروى الخبير بحرب البحر قاد المعركة. وأيضا هزمه عبد الله بن طاهر في البحر في مطلع سنة ٢١١هـ=٨٢٦م. وطلب ابن السرى الأمان فأعطي كتاب أمان بتوقيع المأمون، وخرج من مصر ليموت في سامراء سنة ٢٥١هـ[١]=٨٦٥م.

كذلك نزل علي الإسكندرية عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢هـ=٨٢٧م، وحاصر الأندلسيين فيها بضع عشرة ليلة، مما اضطرهم للخروج إليه بالأمان، وصالحهم علي أن يتركوا الإسكندرية حيث أحبوا، علي إلا يخرجوا في مراكبهم أحدا من مصر ولا عبدا ولا آبقا؛ فإن فعلوا حلت دماؤهم. وقد كاد يحرق مراكبهم لأنه اكتشف بعض المخالفة. ثم سألوه الرد إلي شرطهم الأول فارتضله، وساروا من الإسكندرية إلي أقريطش (كريت) ففتحوها واستقروا فيها[٢].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٠٩، ٦١٠، ٦١٥، وأيضا شاكر مصطفي، دولة بن العباس، جـ١، مرجع سابق، ص٧٠٤-٧٠٥ وأيضا سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص١٧٥-١٧٦ وأيضا خطط المقريزي، جـ١، ص١٧٩.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٦١٣ وسيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص١٥٩-١٧٦. وأيضا شاكر مصطفي؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٧٠٥.

الثورة الثانية في مصر (المصريون):

ومع خروج الأندلسيين من الإسكندرية لم تستقر الأحوال في مصر ؛ ذلك أن صاحب الخراج تطرف في فرض الجزية علي سكان مصر العرب والقبط علي السواء؛ مما جعلهم يثورون ثورة خطيرة شملت معظم أنحاء الوجه البحري سنة ٢١٦هـ= ٨٣١م[1].

ولم يقم والي مصر بأي شئ من شأنه تخفيف الضرائب الباهظة؛ بل عمد علي العكس من ذلك إلي اتخاذ تدابير مشددة لجمع الضرائب. والظاهر أن الإسلام كان قد بدأ ينتشر بين الأقباط؛ إلا أن السلطات لم تدخل أية تعديلات تأخذ أوضاع المسلمين الجدد بعين الاعتبار، يضاف إلي ذلك أن اعتناق الإسلام أدى إلي توطيد روابط جديدة ومصالح مشتركة بين العرب والأقباط وفي هذه الظروف اندلعت انتفاضة مصرية: العرب والقبط وعمت البلاد كلها[2].

وقد استمرت تلك الثورة ثلاث سنوات، وكانت تثور دوما في مطلع موسم الجباية والخراج، خاصة في كل سنة. وهزم المتمردون جيوش الولاة العباسيين واحدا بعد الآخر، كما انهزموا مرات أمامهم دون طائل. وقتل في الحروب المتقطعة جموع كثيرة؛ ولكن الاستياء الكامن كان يفجر التمرد من جديد ومنذ الأيام الأولي شعر المأمون بخطر الثورة؛ فأرسل عليها أخاه أبا القاسم (المعتصم) بن الرشيد واليا علي مصر ؛ ففاجأ قائده الأفشين أرض الثوار بجيش من الأتراك نزل بين أظهرهم وهزمهم وسحق بؤر التمرد في الدلتا الواحدة بعد الأخرى، وضرب أعناق زعمائها وأسر الكثير من رجالها. وفي

---

(١) المقريزي؛ خطط المقريزي، جـ١، ص ٧٩. وأيضا سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٢٣٧-٢٣٩.

(٢) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي؛ جـ٢، مرجع سابق، ص ٤٦٦. وأيضا الكندي المصري؛ كتاب الولاة والقضاة، ص٣٩٤-٤٠٠ & ٤٢٣-٤٢٤ وأيضا دكتورة سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام ص٢٣٧-٢٤٠.

ذلك يقول المقريزي عن صالح بن شيرزاد عامل الخراج (سنة ٢١٣هـ): "ظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم؛ فانتقض أهل أسفل الأرض، أي الدلتا وعسكروا"[١].

ولكن مصر لم تهدأ؛ فقد قامت انتفاضة عظمى سنة ٢١٦هـ، وكانت عنيفة في المناطق الزراعية المكتظة بالسكان في مصر السفلي (الدلتا والوجه البحري)، واشتركت جماهير القبط مع العرب فيها محتجين علي سياسة العباسيين المالية وعسف جباتهم. ويروى المقريزي "فانتقضت أسفل الأرض (أي مصر السفلي=الوجه البحري) عربها وقبطها في جمادي الأول سنة ٢١٦هـ"[٢]. فاضطر المأمون إلي القدوم بنفسه لضخامة هذه الثورة وخطورتها، وكان بالشام لتهدئة الحالة. وألقى المأمون تبعة الثورة علي الوالي، ووجه إليه اللوم الشديد، وكان علي جيشه الأفشين؛ فتغلب علي الثوار وسبى قسما كبيرا من القبط.

وبهذه القوة أخمدت الثورة بسرعة. ويذكر الدكتور محمد عبد الحي شعبان أن "المأمون عمد عن حكمة إلي إعادة النظر في نظام ضرائب الأرض الذي كان لا يزال معمولا به منذ قرنين. وتبين أن مضاعفة نسبة الضريبة إلي دينارين في عهد المهدي لم تكن مجحفة في ضوء التضخم.. كذلك تبين للمأمون أن الكنيسة التي كانت تؤمن الجهاز الأساسي لتقدير الضرائب وجمعها فقدت قيمتها بالنسبة لهذا الموضوع بسبب تزايد الأراضي الممتلكة من قبل العرب، وتحول الأقباط التدريجي إلي اعتناق الإسلام"[٣].

---

(١) المقريزي؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثاني، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص٩٩-١٠٠.

(٢) المرجع السابق؛ ص ٩٩-١٠٠، وأيضا سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛ مصر في فجر الإسلام، ص٢٣٧-٢٤٠.

(٣) محمد عبد الحي شعبان، دكتور؛ الدولة العباسية-الفاطميون، مرجع سابق، ص٨٠.

ومع أن المأمون أدرك منذ وطأت قدماه أرض مصر بسبب الانتفاضة، وقال لصاحب الخراج عيسي بن منصور: "لم يكن هذا الحدث العظيم إلا من فعلك، وفعل عمالك، حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتمون الخبر حتى تفاقم الأمر واضطربت البلد ...."[1].

ولم يمنع المأمون، الذي بقى خمسين يوما في مصر من أخذ الناس بأقسى الشدة، "فقتل وسبى وتتبع لأرؤوس الثورة فقط لكن كل من يرمى إليه بخلاف بقتله، فقتل ناسا كثيرا ...."[2].

أما القبط فكان عقابهم عنده أقسى وأشد؛ إذ نزلوا علي حكمه بعد هزيمتهم أما الأفشين "فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال؛ فبيعوا وسبى أكثرهم.... وهم قبط البشر وسخا والبيما. ويعلق المقريزي علي ذلك بقوله: "ومن ذلك اليوم ذل قبط مصر .... وساق رؤساء الثورة القبطية إلي بغداد"[3]. ويذكر الكندي: "أن المأمون استفتى فقيها مالكيا في معاملة الثوار. فأفتى الفقيه بأنه إذا كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا يحل دماؤهم وأموالهم. فرد عليه الخليفة المأمون: أنت تيس ومالك أتيس منك... هؤلاء كفار لهم ذمة، إذا ظلموا تظلموا إلي الإمام، وليس لهم أن يستنصروا بأسيافهم ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم"[4]. ويتبين من هذا أن أساس ثورة القبط والعرب كانت لأسباب مالية بالدرجة الأولى[5].

---

(1) الكندي؛ كتاب الولاة والقضاة، ص١٩٢.

(2) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٦.

(3) المقريزي؛ الخطط، جـ٢، ص٩٩.

(4) الكندي؛ كتاب الولاة والقضاة، ص٤٩٢.

(5) أنظر: دكتورة سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص٢٣٧-٢٣٩.

الخامسة: ثورة بابك الخرمي:

تعتبر ثورة بابك التي هزت الدولة العباسية في عهد المأمون واستمرت حتى عهد أخيه المعتصم، أخطر حركة دينية في مظهرها سياسية في غايتها، عرفتها إيران منذ قيام الدولة العباسية، وتميزت بسعتها وتنظيم دعايتها وبراعة القيادة فيها وتوحيد خططها واتصالها السياسي بغير الفرس وعلي نطاق واسع.

يقول الأستاذ محمد الخضري[1]: إن البلاد الفارسية تمتاز بكثرة المذاهب والاعتقادات الدينية سواء في ذلك ما كان قبل البعثة المحمدية وما بعدها، ومن تلك الطوائف فرقة تسمى "الخرمية"، وهم صنفان: الخرمية الأولون ويسمون المحمرة، وصاحبهم مزدك القديم؛ أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والاختلاط، وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل؛ لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه. ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس، ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم؛ إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شئ يلتمسه كائنا ما كان. وعلى هذا المذهب مزدك الأخير ظهر أيام قباذ بن فيروز وقتله أنو شروان هو وأصحابه.

الصنف الثاني الخرمكية البابكية؛ ينسبون إلي صاحبهم بابك الخرمي، وكان يقول لمن استغواه إنه إله، وأحدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة، ولم تكن الخرمية تفعل ذلك[2].

ويؤيد ابن الجوزي ما ذكره ابن النديم من أن حركة بابك هي حركة خرمية، ويقول: "إن البابكية هم طائفة من الخرمية تبعوا بابك الخرمي"[1]. كما أكد ذلك البغدادي واعتبر البابكية من الخرمية[2].

---

[1] محمد الخضري؛ الدولة العباسية، ص٢٣٣-٢٣٥.

[2] ابن النديم؛ الفهرست، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، ص ٤٨٠-٤٨١، أيضا محمد الخضري، الدولة العباسية، ص٢٣٤.

ويذكر محمد الخضرى أن مؤسس هذه الفرقة هو بابك بن بهرام، نشـــأ بقرية تدعى "بلاد آباد" رستاق ميمند، ثم اتصل بجاويدان بن سهرك ملك جبـــال البذ ورئيس من بها من الخرمية. وكان جاويدان يرى منه فهما وشهامة وخبثـــا فقربه إليه، ولما أدركته منيته اجتهدت امرأته في أن يكون بابك مكانه في الملك؛ فجمعت الخرمية وقالت لهم: إن جاويدان قال لي: إني أموت في ليلتي هــذه، وإن روحي تخرج من جسدي وتدخل بدن هذا الغلام خادمي، وقد رأيـــت أن أملكـــه علي أصحابي فإذا مت فأعلميهم ذلك، وأن لا دين لمن خالفني فيه واختار لنفســه خلاف اختياري؛ فقبلوا ذلك منها وتزوجت بابك[٣].

من كل هذا يتضح أن حركة بابك هي استمرار للحركة الخرميـــة؛ فقــد نجح ذلك الرجل في أن يتزعم جماعة من أتباعها، ثـــم وفـــق بمقدورتـــه إلـــي توحيدها وتنظيمها، وأما قول ابن النديم بأن بابك "أحدث في مذاهـــب الخرميـــة القتل والغصب والحروب والمثلة ولم تكن الخرمية تعرف ذلك. ففيه نظر لأننـــا نعرف بوجود زعيمين للخرمية في منطقة الجبال قبل بابك، وأنـــهما كانـــا فـــي حروب مستمرة، وهما جاويدان وأبو عمران، وأن الأول مات من جراحه، بينمـــا قتل الثاني في المعركة. وهذا ما أورده ابن النديم: "وكان بجبل البذ[٤] وما يليـــه من جباله رجلان من العلوج متخرمين، ولهما جدة وثروة، وكانا متشاجرين فـــي التملك علي من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد أحدهما بالرياسة، ويقال لأحدهمـــا

---

(١) ابن الجوزي؛ المنتظم في التاريخ، جـــ٥، طبع حيدر آباد الركـــن، ١٣٥٧-١٣٥٩هــــ، ص١١٣.

(٢) البغدادي، أبو منصور عبد القادر؛ الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩١٠م، ص٢٥١.

(٣) الشيخ محمد الخضري؛ الدولة العباسية، ص ٢٣٤-٢٣٥. وأيضا يمكن الرجوع إلي ابـــن النديم؛ الفهرست، ص ٤٨١-٤٨٢.

(٤) البذ: كورة بين أذربيجان وأران، بها كان مخرج بابك الخرمي (معجم البلـــدان، جـــ١، ص٣٦١).

جاويدان بن سهرك، والآخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران وكانت تقوم بينهما الحرب في الصيف وتحول بينهم الثلوج في الشتاء...."[1].

ويذكر المقدسي أن "الخرمية يتجنبون الدماء جدا إلا عند عقد راية الخلاف"[2]. وذكر اليعقوبي الخرمية أتباع بابك بأنهم كانوا يدعون "المحمرة"[3]، أشار إليهم الملك الطوسي في كتابه "سياست نامه" عند حديثه عن الباطنية بقوله: "ودعت الباطنية إلي مذهب الشيعة، وكان معظم مدد قوتهم من الرافضة والخرمدينية. ويطلق عليهم في الفارسية "سرخ علم" وفي العربية المحمرة[4]. وذلك لأنهم "صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك، وكانت شعارهم"[5]. ويفهم من حديث الدينوري بعد محاولة تحقيق نسب بابك الخرمي وما حوله من غموض بأن "الذي صح عندنا وثبت أنه كان من ولد مطهر ابن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، هذه ينتسب إليها الفاطمية من الخرمية"[6].

ويرجع تاريخ عمليات بابك الحربية إلي عام ٢٠١هـ، وأنها كانت تجد ما يدعمها في خطط الفتنة التي كان يرسمها حاتم بن هرثمة بن أعين والي

---

(١) ابن النديم؛ الفهرس، ص١١٣.

(٢) المقدسي؛ البدء والتاريخ، الجزء الرابع، تحقيق كلمنت هيوار Cl. Huart، باريس، ١٨٩٩م، ص٢٤.

(٣) اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٣، ص١٩٧.

(٤) نظام الملك الطوسي؛ سياست نامه، ترجمة الدكتور السيد محمد العزاوي، نشر دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٣٣.

(٥) ابن الجوزي؛ المنتظم في التاريخ، جـ٥، مرجع سابق، ص١١٣.

(٦) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ)؛ الأخبار الطوال، تحقيق جرجاس، ليدن، ١٨٨٨م، ص٣٩٧.

أرمينية، وقد يسر الطريق أمامها المصاعب المختلفة التي نشأت في الولاية الشرقية عقب عودة المأمون إلي بغداد[١].

ونذكر بعض المبادئ التي عرفت عن الخرمية؛ منها: (١) الحلول[٢]؛ إذ أن بابك "كان يقول لمن استغواه إنه إله"[٣]. ولما مات جاويدان زعم بابك أن روح جاويدان حلت به[٤]. (٢) ومنها الاعتقاد بالتناسخ والرجعة، كما يفهم من الوصية المنسوبة إلي جاويدان[٥]. (٣) وأيضا الدعوة إلي الاشتراكية فيذكر أبو منصور عبد القادر البغدادي أن دعوة بابك كانت ترمي إلي الإباحة المزدكية[٦]. ويؤكد علي ذلك المقدسي بأنه رأسي بنفسه "بين الخرمية في ديارهم ما سبذان ومهرجان قذق، وهي مراكز البابكية، من يقول بإباحة النساء علي الرضا منهن، وإباحة كل ما يلذ النفس وينزع إليه الطبع ما لم يعد علي أحد بضرره"[٧]. (٤) وكذلك الاشتراكية في المال. ولما كان الخرمية علي الأغلب فلاحين؛ لذا حلولوا حل مشكلة الأراضى بنزعها من الملاك الكبار وتوزيعها علي الفلاحين، ويقول البغدادي أن مازيار "الذي أظهر دين المحمرة" والذي كان علي صلة قوية بـابك" أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع، وانتهاب أموالهم"[٨].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، المجلد السادس، نشر دار الشعب، القاهرة، ص٥٤٦.

(٢) الحلول: هو امتداد اخر لفكرة الفناء، أما الفناء فلسفيا هو انتقال من الوجود إلى اللا وجود. (المعجم الفلسفي؛ نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م، ص٧٦ و١٤١).

(٣) ابن النديم؛ الفهرست، ص٤٨٢.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، مادة "بابك"، ص٥٤٥.

(٥) ابن النديم؛ الفهرست، ص٤٨٢.

(٦) البغدادي، أبو منصور عبد القادر؛ الفرق بين الفرق، ص٢٥٢.

(٧) المقدسي؛ البدء والتاريخ، جـ٤، ص٢٤.

(٨) البغدادي، أبو منصور عبد القادر؛ الفرق بين الفرق، ص٢٥٢.

وكان للبابكية غاية سياسية رئيسية، وهي ضرب السلطان العربي والدين الإسلامي؛ إذ جاء في الوصية المنسوبة إلي جاويدان أن بابك "سيبلغ بنفسه وبكم (الخرمية) حدا لم يبلغه أحد، ولا يبلغه أحد بعده، وأنـــه يملـــك الأرض ويقتـــل الجبابرة ويرد المزدكية، ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم"[١]. ويؤكد ذلك ابـــن الجوزي، ويقول إن غاية البابكية هي "إبطـــال الديـــن الإســـلامي"[٢]. ويذكـــر المقريزي أن حركة بابك كانت ترمي إلي "كيد الإسلام بالمحاربـــة"[٣]. ويقـــول الذهبي: "وكان بابك أراد أن يقيم ملة المجوس"[٤].

وكان عداء الخرمية للإسلام عداء سياسيا، لأنـــه الديـــن الـــذي أذهـــب سلطانهم ونقل الملك إلي العرب. وإن كان للمستشرق بندلي جوزي رأي آخـــر، وهو "أن غرض الخرمية لم يكن مقاومة الإسلام وذويه، ولا مقاومة العرب كأمة فاتحة، بل محاربة ذلك النظام الاجتماعي الذي كانت تئن تحته الطبقات الســـفلي من جميع الامم التي كانت تتألف منها دولة بني العباس، حتى الأمة العربيـــة"[٥]. أما النظرة الدينية لغيرهم فكان فيها الكثير من التسامح؛ ويذكر البغدادي وجـــود مساجد للمسلمين في جبالهم[٦]. والمقدســـي الـــذي زارهـــم وناقشـــهم، يقـــول: "ويزعمون أن الرسل كلهم علي اختلاف أديانهم وشرائعهم يحصلون علـــي روح واحد، وأن الوحي لا ينقطع أبدا، وكل ذي دين مصيب عندهم إذا كـــان راجـــي

---

[١] ابن النديم؛ الفهرس، ص٢٨٢.

[٢] ابن الجوزي؛ المنتظم في التاريخ، جـ٥، ص١١٠.

[٣] المقريزي؛ الخطط، جـ١، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص١٩٠-١٩١.

[٤] الذهبي؛ مختصر دول الإسلام، جـ١ حيدر آباد الركن، الهند، ١٩٣٨م، ص١٠٤.

[٥] بندلي جوزي؛ من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، القدس، ١٩٢٨م، ص٦٨.

[٦] البغدادي، أبو منصور عبد القادر؛ الفرق بين الفرق، ص٢٥٢.

الثواب وخاشي العقاب، ولا يرون تهجيه والتخطى إليه بالمكروه ما لم يرد كيـــد ملتهم وخسف مذهبهم»[1].

ويعد هذا العرض الفكري للخرمية نتحدث عن أتبـــاع بـابك وحلفائـــه والظروف التي ساعدته لنشر آرائه ودينه: كان بابك يمارس أعمالا غامضة فـــي آذربيجان عندما استلفت انتباه جاويدان بن سهل رأس الخرمية، الذي توفي بعـــد ذلك بقليل، وادعى بابك أن روح جاويدان حلت فيه، وبدأ يثـــير النـــاس الذيـــن يعيشون في أقليم البذ، وهو مكان لا وجود له اليوم، كان يقوم فـــي إقليـــم أران الجبلي، الذي لا يبعد كثيرا عن نهر الرس[2]. واتخذ بابك من جبـــال آذربيجـــان وأران مهدا للحركة البابكية. ويذكر ياقوت الحموى أن هذه المنطقة كانت مـــهد الحركات الإباحية منذ محنة مزدك؛ إذ لجأ إليها بعض أصحابه واستمروا علـــي دعايتهم[3]. وقد بدأ بابك بضم كافة أجزاء آذربيجان إلي دعوته[4]. ثم أخذ ينشـــر الدعوة في المقاطعات المجاورة؛ فلاقت دعوته نجاحا باهرا في منطقة الجبـــال. وأمد بابك بحيوية جديدة الحركة الدينية والاجتماعية المأخوذة إلي حد مـــا مـــن المزدكية، والتي كانت تلجأ إلي وسائل عنيفة[5].

ويذكر ابن العبري أن جماعة كثيرة مـــن أهـــل الجبـــال مـــن همـــذان وأصبهان وماسبذان[6] ومهرجان قذق دخلوا فـــي ديـــن الخرميـــة، وتجمعـــوا

---

(1) المقدسي؛ البدء والتاريخ، جـ٤، ص٢٤.

(2) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، المجلد الخامس، مادة "بابك" ص٥٤٦.

(3) ياقوت الحموى؛ معجم البلدان، جـ٢، القاهرة، ١٩٠٦م، ص٥٦٩.

(4) الدينوري؛ الأخبار الطوال، طبعة ليدن، ص ٣٩٧.

(5) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، المجلد الخامس، ص ٥٤٦.

(6) ماسبذان ومهرجان وقذق، كورتان علي حدود العراق وأهم مدنهما السيروان والصمـــيرة. (جي لسترنج؛ بلدان الخلافة الإسلامية، ص٢٣٧).

فعسكروا في عمل همذان[1]. كما يذكر المسعودي "أن الخرمية انتشرت في الجبال وفي أذربيجان وأرمينية وحتى في خراسان وسائر أرض الأعاجم"[2].

وأخذ بابك ومن معه في العيث والفساد وإخافة السبل، وأول ما عرف ذلك من أمره كان سنة ٢٠١هـ، والمأمون بمرو ولم يكن قد برحها إلي بغداد؛ فلما شخص المأمون إلي بغداد، سير علي بابك عام ٢٠٤هـ، يحيي بن معاذ أحد قواده، وهاجمه يحيي عدة مرات فلم يظفر بطائل، ولم ينتصف فيها أحدهما علي الآخر. واختار المأمون قائدا آخر هو عيسي بن محمد بن أبي خالد، فولاه أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك؛ فنكبت. ثم وجه إليه المأمون صدقة بن علي المعروف برزيق؛ وندب للقيام بالمهمة أحمد بن الجنيد الإسكافي فأسره بابك. ثم وجه إليه محمد بن حميد الطوسي فقتله بابك سنة ٢١٤هـ بهشتادسر، وفض عسكره، وقتل جمعا كثيرا ممن كان معه. هكذا كان كلما أرسل المأمون لحرب بابك قائدا لم يصنع شيئا لمكان بابك الحصين وقوته الكبيرة، وشدة تأثيره في قلوب الجمهور الذين كانوا معه[3].

وهكذا كانت الظروف مواتية لبابك؛ فقد أنهكت قوات العباسيين بالحروب الأهلية، وكانوا مشغولين بالثورات في مصر والشام وبالحرب مع البيزنطيين؛ فكانت هذه الأوضاع عاملا أساسيا في نجاح البابكية العسكري؛ ثم إن اضطراب الوضع في أذربيجان وعدم ولاء الولاة هناك ساعد البابكية؛ فقد خالف حاتم بن هرثمة بن أعين بأذربيجان، كان واليا عليها عندما سمع بموت أبيه هرثمة بن أعين، و"كاتب بابك والخرمية وهون أمر المسلمين عليهم"[4].

---

[1] ابن العبري؛ تاريخ مختصر الدول، بيروت، ١٨٩٠، ص٢٤١.

[2] المسعودي؛ التنبيه والإشراف، مرجع سابق ص٢٠٦.

[3] محمد الخضري؛ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ص٢٣٤.

[4] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٤٦٢.

ويقول اليعقوبي: "وكان أصحاب بابك أدري بمسالك الجبال وأعرف بالخطط اللازمة لها؛ فكانوا يحصرون أعداءهم في المضايق وينقضون عليهم"[1]. أما المسعودي فيذكر أن "بابك ركز جهوده علي قطع خطوط تموين العدو ونهب قوافل ميرته. وفوق ذلك خرب بابك حصون أذربيجان التابعة للعباسيين فأضعف بذلك دفاعهم"[2].

ونستشف من كلام اليعقوبي والمسعودي أن بعض قواد المأمون لم يكونوا مخلصين له ، وأن الحملات التي وجهت لبابك لم تكن بالقدر الكافي والوعي الصادق لمثل هذه المهمة في جبال وعرة وأناس يحاربون بعقيدة ويتفانون في سبيلها.

وكان من وصية المأمون لأخيه المعتصم حين أدركته المنية ما يلي: "فالخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد[3]، وأكنفه بالاموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة؛ فإن طالت مدتهم، فتجرد لهم بمن معك من أنصارك أوليائك، وأعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه، راجيا ثواب الله عليه..."[4].

وفي عهد المعتصم دخل النزاع مع البابكية مرحلة جديدة؛ فركز المعتصم جهوده علي حرب بابك، وأرسل الفرقة تلو الفرقة لحربه. وفي تلك المرحلة الجديدة كان العباسيون قد اكتسبوا الخبرة بأساليب بابك الحربية؛ فانعكست الآية وتمكن الجيش العباسي من تمزيق شمل الخرمية في همذان، وانحصرت ساحة القتال في أذربيجان معقل البابكية الأصلي. وأخيرا تمكن الأفشين من هزيمة خصمه بابك الذي هرب إلي أرمينية، ثم سلم إليه وجيء به إلي سامراء سنة ٢٢٢هـ، وقتل وصلب[5].

---

[1] اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٢٦٣.

[2] المسعودي؛ مروج الذهب، جـ٤، ص٩.

[3] ذو صرامة وحزامة: أي بالحزم والشدة.

[4] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٦٤٩.

[5] ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٦، ص٣٦.

الفصل الثاني

حركات العلويين أيام المأمون

ثورات العلويين

نشط العلويون في فترة الأزمة الأخوية بين الأمين والمأمون، وأظهروا موقفهم تجاه العباسيين، واصبحت كلمة "آل البيت" مصطلحاً شائعاً، ولكنه كان يحمل معاني مختلفة باختلاف البيوتات الأربعة؛ حيث كانت كل جماعة تسعى للوصول إلي الحكم والسلطان، وكانت هذه الجماعات متداخلة وبعضها أكبر من بعض، نذكرها فيما يلي:

الجماعة الأولي: الفاطميون؛ وتضم أولاد فاطمة فقط، وهم بدورهم فرعان: بيت الحسن وبيت الحسين.

الجماعة الثانية: العلويون؛ وهي أوسع من سابقتها؛ لأنها تضم العلويين، أي كافة البيوت من نسل علي بن أبي طالب.

الجماعة الثالثة: الطالبيون؛ وهم أكثر سعة من الجماعتين السابقتين، وتضم الطالبيين جميعاً من نسل أبي طالب، ومنهم آل عقيل وآل جعفر.

الجماعة الرابعة: الهاشميون، وهي أوسع الجماعات؛ لأنها تضم العباسيين خاصة في آل البيت، وتضم معهم باقي الأسر من آل عبد المطلب بن هاشم.

وكان الشقاق والتنافس بين هؤلاء جميعاً يعكس الأطماع المختلفة لأبناء هذه البيوتات الشريفة في الميدان السياسي. وكثيراً ما كان أبناء الجماعات الأضيق والأقل عدداً ينفون عن أبناء الجماعات الأوسع القربى المباشرة للرسول صلي الله عليه وسلم، وبالتالي عن منابع الشرعية في الحكم. وقد أدي ذلك إلي

التنافس فيما بنهم، وعمل بعضهم ضد بعض حتى درجسة الوشساية للسلطات الحاكمة أو الاقتتال.

ومن ثورات وحركات العلويين

أ- ثورة أبي السرايا:

كان أبو السرايا قد تعرف علي ابن طباطبا في الرقة من مسدن شسمال العراق، وحرّضه علي الذهاب إلي الكوفة بقصد إحياء الدعوة إلي الرضا مسن آل محمد، صلي الله عليه وسلم. شعار دعوة آل البيت السابق، التي كسانت أطلقست قبل قيام الخلافة العباسية.

وأعلن ابن طباطبا برنامج الثورة في دعوته الناس إلي "كتاب الله وسسنُة نبيّه صلي الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسيرة بحكسم الكتاب..."[1]. وقد نجح ابن طباطبا في دعوته، ووجد آذاناً صاغية، وأتاه النساس من نواحي الكوفة والأعراب من حواليها؛ فاستولى عليها في جمادي الآخرة سنة ١٩٩هـ، وكان أبو السرايا قائد جنده. واستطاع العلويسون مؤقتساً أن يحتلسوا البصرة وواسط والحجاز واليمن سنة ٢٠٠هـ، وكان جميع الثوار علي اتصسال مباشرة أو غير مباشر بثورة أبي السرايا[2].

وكان أساس هذه الثورات هو طموح العلويين وانتهاز فرصسة مناسسبة لضرب العباسيين؛ فيذكر الطبري أنه بعد انتصار أبي السرايا في أول معركة لسه ضد جيوش الحسن بن سهل: "انتشر الطالبيون في البلاد. وعندما دحسر جيشسه

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني؛ مقاتل الطالبيين، طبع طهران، ١٣٧١هـ، وقد ورد اسمه: محمسد ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طسالب، ص١٧٨-١٩٣. وأيضاً الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، أحداث سسنة ١٩٩، ص٥٢٨-٥٢٩. وأيضاً عبد العزيز الدوري، دكتور؛ العصر العباسي الأول، ص٢٠٦.

(٢) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٢٨ و٥٢٩ و٥٣٣.

لأول مرة من قبل الحسن بن سهل. وثب محمد بن محمد[1] ومن معه من الطالبيين علي دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة، فانتهبوها وأخربوها وأخرجوهم من الكوفة واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها"[2]. وأرسل أبو السرايا كسوة إلي الكعبة عليها: "أمر به (أي بإرسال الكسوة) أبو السرايا داعية آل محمد، صلي الله عليه وسلم، لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس"[3].

وانضم إلي طموح العلويين عامل آخر هو سخط العناصر العربية علي سياسة الفضل بن سهل الفارسية؛ إذ بعد صرف طاهر بن الحسين عن العراق وتعيين الحسن بن سهل لولايته عام ١٩٨هـ، "تحدث الناس بينهم أن الفضل بن سهل غلب علي المأمون، وأنه يبرم الأمور علي هواه، ويستبد بالرأي دونه؛ فغضب لذلك من كان بها من بنى هاشم ووجوه الناس، وأنفوا من غلبة الفضل ابن سهل علي المأمون.... وهاجت الفتنة في الأمصار؛ فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا (صاحب أبي السرايا)[4].

ويقول أبو الفرج الأصفهاني في "مقاتل الطالبيين"؛ أن الناس ضجروا من فتنة الأمين والمأمون؛ فصار بعضهم يتمنى الخلاص من ذلك الوضع السيئ،

---

[1] محمد بن محمد العلوي؛ هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان غلاماً أمرد حدثاً عندما أقامه أبو السرايا بعد وفاة ابن طباطبا فجأة سنة ١٩٩هـ. وثب ومن معه من الطالبيين علي دور بني هاشم ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة فنهبوها وأخرجوهم منها وقبض علي محمد بن محمد هذا بعد هزيمة أبي السرايا سنة ٢٠٠هـ، ومات سنة ٢٠١هـ (الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٢٩ و٥٣١ و٥٣٤ و٥٥٦).

[2] الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٠ و ٥٣١.

[3] المصدر السابق، ص٥٣٥.

[4] نفس المصدر، ص٥٢٨.

ويظهر أن العلويين أدركوا ذلك؛ فنجد ابن طباطبا يدعو الناس إلى "كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسيرة بحكم الله"[1].

وقد لاقي أبو السرايا أول الأمر نجاحاً كبيراً؛ ولكن تسليم قيادة الجيش العباسي إلي هرثمة بن أعين وتخاذل الكوفيين في نصر أبي السرايا أدي إلى فشل الحركة. وربما كان لوفاة ابن طباطبا الفجائية[2]، أو سمّه من قبل أبي السرايا[3]، أثر في إخماد نار شعلة الحماس التي كانت موجودة. واستمرت الثورة من جمادى الآخرة سنة ١٩٩هـ حتى مقتل أبي السرايا في شهر بيع الأول سنة ٢٠٠هـ[4].

واستطاع المأمون أن يقاوم حركة أبي السرايا عن طريقين:

<u>الأول:</u> سلبياً بتنصيب علي الرضا لولاية العهد، والمجئ به من المدينة إلي مرو، ومبايعته في السابع من رمضان سنة ٢٠١هـ، ونشر المأمون منشوراً علي الناس يسترضيهم فيه، وتظهر فيه مسحة الدعاية لصاحبه العلوى وحبة تألف القلوب العلوية، يقول فيه: "إنه بعد استخارته الله تعالي وإجهاده نفسه في حقه وبلاده... اختار من البيتين العلوي والعباسي علي بن موسى بن جعفر (الرضا) لما رأي من فضله البارع وعلمه الناصع وورعه الظاهر وتخيله من الدنيا وتسلمه من الناس". فلما قتل أبو السرايا ومن قبله ابن طباطبا، تخلص المأمون من علي الرضا بدوره، إذا لم يعد له ضرورة في سياسته ولا مكان في خطته.

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج؛ مقاتل الطالبيين، ص٣٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٢٩.

(٤) المصدر السابق، ص٥٣٥.

الثاني: إيجابيا، إذ نصب المأمون لقيادة جيشه قائده الكبير هرثمة بن أعين. وساعد المأمون علي هزيمة العلويين عوامل منها:

١-وفاة ابن طباطبا فجأة (ويقال إن أبا السرايا سمه لأنه علم أن لا أمر له بعده)[١].

٢-تخاذل أهل الكوفة في نصرة أبي السرايا وتخلي أشرافهم عنه، وتهاونوا مع هرثمة لاسيما حين "أقام أبو السرايا غلاما أمرد حدثا من العلويين مكان ابن طباطبا، هو محمد بن محمد حفيد زيد بن علي؛ فكان أبو السرايا هو الذي ينفذ الأمور ويولي من رأي ويعزل من أحب، ويضرب الدراهم بالكوفة بينما انتشر الطالبيون في البلاد"[٢].

انتشار حركة أبي السرايا والاستيلاء علي البصرة ومدن أخرى:

وجه أبو السرايا جيشا وهو في الكوفة إلي البصرة؛ فاستولى عليها من واليها العباسي مستعينا فيها بعلوى إسمه زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بزيد النار، لكثرة ما حرق من دور بني العباس وأتباعهم، أو أنه إذا أتي برجل من العباسيين أحرقه بالنار. كما استولى أبو السرايا علي مدن أخرى مستعينا برجال من آل طالب. كذلك اتسعت حركته وامتدت إلي الحجاز؛ فكان مندوبه في مكة الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الأفطس[٣]، الذي استولى عليها، وأوقف الخطبة فيها للمأمون، وأزال من الكعبة كسوتها العباسية، وكساها ثوبين أرسلهما إليه أبو السرايا، كتبت عليها عبارة: "داعية آل

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص٥٣٠.

(٣) مجهول المؤلف؛ العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، ص٣٤٨.

محمد" فكان ابن الأفطس يأخذ في مكة كل من كان من العباسيين ويطردهـــم، أو يعذّبهم، حيث أقام لتعذيبـــهم داراً خاصـــة سُـمّيت دار العــذاب"[1]. وقــد أراد مسرور[2] سيّاف الرشيد المعروف وهو في مكـــة أن يحـــارب ابـــن الأفطـــس بالاستعانة بواليها العباسي؛ إلاّ أنهما فضّلا الانسحاب. أما في المدينة فـــإن أبـــا السرايا وجّه إليها علوياً هو محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بـــن علي بن أبي طالب الذي استولى عليها من العباسيين[3].

وأخيراً توجعه هرثمة بن أعين لمحاربة أبي السرايا؛ مع أن الأخير كـــان يعمل تحت قيادته، واستولى على الكوفة من عمال أبي السرايا، ثم أنزل هزيمـــة كبرى بأبي السرايا نفسه، وأضطره إلى الفرار في مطالع سنة ٢٠٠هـــ، ومَـــنْ معه من الطالبيين من الكوفة، وكانوا على الطريق إلى الأهـــواز حيـــن التقـــوا بالحسن ابن علي البادغيسي المعروف بالمأموني، فقاتلوه فهزمهم. وجـــرح أبـــو السرايا في المعركة جراحات شديدة، وهرب مع جماعته شمالاً يريدون الجزيـــرة وبلدة راس العين منزل أبي السرايا، لكنهم أخذوا في الطريق، وجئ بـــهم إلـــي الحسن بن سهل؛ بينما كانت البصرة تسقط في يد الجيش العباسي، وأســـر فيـــها زيد بن موسى العلوى، المسمي زيد النار لكثرة ما حرق من دور بنـــي العبـــاس وأتباعهم في البصرة....[4] ودُقت عنقه في ١٠ ربيع الأول سنة ٢٠٠هـــ[5].

ويذكر الطبري أنه لم يروا أحدا عند القتل اشد جزعا من أبي الســـرايا، كان يضرب بيديه ورجليه، ويصيح أشد ما يكون الصياح، حتى جُعل في رأســـه حبـــل، وهو في ذلك يضطرب ويلتوى ويصيح حتى ضربت عنقه. ثـــم بُعـــث

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـــ٨، مصدر سابق، ص٥٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص٥٣٢.

(٣) المصدر السابق؛ نفس الصفحة

(٤) المصدر السابق، ص٥٣٤.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج؛ مقاتل الطالبيين، ص١٧٨-١٩٣.

برأسه فطيف به في عسكر الحسن بن سهل، وبعث بجسده إلي بغداد؛ فصُلب علي الجسر؛ في كل جانب نصف، وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر[1].

هذا وقد أراد ابن الأفطس حسين بن حسن الأفطس وهو في مكة أن يضم إلي حركته علوياً هو محمد بن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان شيخاً ودّاعا محببًا في الناس، مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة[2]، ويظهر زهداً مما حبّب الناس فيه فسمّوه الديباجة "لحسن بهائه" وفي أول الأمر أبي هذا الشيخ أن يقوم بالفتنة مع ابن الأفطس؛ إذ كان أبو جعفر (الصادق) قد اعتزل منذ أيام الأمويين، وبقي في اعتزاله في أيام العباسيين؛ فلما ألح عليه ابن له اسمه علي، بتحريض من ابن الأفطس؛ فبويع له بالخلافة، وسمّي بأمير المؤمنين؛ فأقام محمد بن جعفر أشهراً، وليس له من الأمر إلاّ اسمه؛ وإن كان في خلال ذلك أغضب تصرف ابن الأفطس وابنه علي ابن محمد أهل مكة بعامة؛ فالأول خطف امرأة جميلة، أما الثاني فإنه خطف غلاماً بارعاً في الجمال، كان ابنا للقاضي. فلما أرسل المأمون جيشاً إلي مكة بقيادة اسحق بن موسي؛ فإن هذا الجيش دخلها دون عائق وكانت الغلبة له. أما بخصوص محمد بن جعفر فإنه منح الأمان، علي أن يتنازل علانية عن الخلافة للمأمون، ثم سافر لمقابلته ولكنه مات في الطريق؛ فعاد الحجاز إلي إمرة المأمون[3].

---

(1) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٥.

(2) المصدر السابق، ص٥٣٧.

(3) نفس المصدر، ص ٥٣٧-٥٣٨.

خروج إبراهيم بن موسى العلوي في اليمن:

ولم تقتصر حركة العلويين علي الحجاز، بل تعدتها إلي اليمن، يقول الطبري: "وفي هذه السنة (٢٠٠) خرج إبراهيم بن موسى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب باليمن"[١].

وكان إبراهيم بن موسى وجماعة من أهل بيته بمكة حين خرج أبو السرايا، وبلغه خبر خروج أبي السرايا؛ فخرج من مكة مع من كان من أهل بيته يريد اليمن، ووالي اليمن يومئذ المقيم بها من قبل المأمون هو اسحق بن موسى بن عيسي بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلوي وقربه من صنعاء، خرج منصرفاً عن اليمن بجميع من في عسكره من الخيل والرَّجْل، وخلّى لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله، وبلغه ما كان من فعل عمّه داود بن عيسي بمكة والمدينة، ففعل مثل فعله، وأقبل يريد مكة حتى نزل المشاش[٢]؛ فعسكر هناك وأراد دخول مكة، فمنعه من كان بها من العلويين[٣].

وقد أساء إبراهيم بن موسى السيرة وتطرّف مع الناس حتى غلب عليه لقب "الجزار"[٤]، لكثرة من قتل منهم. ووجه بعض أتباعه خلف قافلة للحج بإمرة أبي اسحق بن هارون الرشيد وأخي المأمون، فاعتدوا علي الحجاج والتجار عند محلة "بستان بن عامر"[٥]

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٣٦.

(٢) المشاش: في منطقة تقع بين جبال عرفات وجبال الطائف، فيها مياه كثيرة وهو الذي يجرى بعرفات ويتصل إلي مكة (ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ٥، ص١٢١).

(٣) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٣٦.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) بستان ابن عامر: هو بستان ابن معمر؛ مجتمع النخلتين، النخلة اليمانية والنخلة الشامية، وهما واديان، (ياقوت الحموى. معجم البلدان جـ١، ص٤١٤)

وسلبوا التجار أموالهم وملابسهم[١]. فلما بلغ أبو اسحق ما فعله رجال إبراهيم بن موسى بالحجاج أرسل جيشاً إلي اليمن أدّبهم وأسر الكثير من العلويين وشرّدهم؛ فانتهت بذلك الحركات العلوية في اليمن.

ويذكر الطبري أنه في سنة ٢٠٠هـ وجه إبراهيم بن موسى بن جعفر ابن محمد الطالبي بعض ولد عقيل بن أبي طالب من اليمن في جند كثيف إلي مكة ليحج بالناس؛ فحورب العقيلي فهزم، ولم يقدر علي دخول مكة[٢].

كذلك ذكر الطبري في أحداث سنة ٢٠٧هـ، خروج عبد الرحمن بن أحمد العلوى باليمن، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك من اليمن، يدعو إلي الرضا من آل محمد، صلي الله عليه وسلم، وأفاد الطبري السبب في خروجه أن العمال أساءوا السيرة؛ فبايعوا عبد الرحمن هذا. فلما بلغ ذلك المأمون وجّه إليه دينار بن عبد الله في عسكر كثيف، وكتب معه بأمانة، فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحج، فلما فرغ من حجه سار إلي اليمن حتى أتي عبد الرحمن، فبعث إليه بأمانه من المأمون؛ فقبل ذلك، ودخل ووضع يده في يد دينار. فخرج به إلي المأمون، فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه، وأمر بأخذهم بلبس السواد، وذلك يوم الخميس لليلة بقيت من ذى الحجة (سنة ٢٠٧هـ=٨٢٢م)[٣].

---

(١) الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٤١.

(٢) المصدر السابق، ص٥٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٩٣.

الباب الخامس

واردات الدولة ونفقاتها

الفصل الأول: الواردات

واردات السواد - خراسان - العراق - الشام - مصر وغيرها

واردات متفرقة

الفصل الثاني: النفقات

الإنفاق على المشاريع العامة - رواتب عمال الدولة - العطاء - نفقات البلاط

الفصل الأول

المـــــــــــــواردات

النظام المالي في الإسلام:

تمتاز المالية الإسلامية بأنها مالية منضبطة؛ فقد حرص الرسول الكريـــــم صلى الله عليه وسلم، ومن بعده الخلفاء الراشدون على المال العام. ووقف أبـــو بكر موقف الشدة والحزم من مانعي الزكاة بعد موت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم في قوله لوفدٍ قديم المدينة لأناس يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبـــو بكر: "والله لو منعوني عقالاً[1] لجاهدتهم عليه"[2]. باعتبار أن الزكاة أحد قواعـــد الإسلام الخمس التي بنيَ عليها ودعامة من دعائم المالية الإسلامية التـــي تقـــوم على أساس الملاءمة والتوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة؛ خاصة أنـــها وردت بنصوص القرآن والسنة كمبادئ عامة ومحددة.

وأورد القرآن الكريم ذكراً لمصادر المال للأمة الإسلامية الأولى؛ فالزكـــاة والصدقة تؤخذ من المسلمين، وتعتبر رصيداً مالياً للجماعة الإسلامية لتنفق فـــي أوجه متعددة وبخاصة على الفقراء والمجاهدين في سبيل الله[3].

والعشر هي الضرائب المفروضة على أموال التجار الصادرة من البـــلاد الإسلامية والواردة إليها. وأول من وضعها عمر بن الخطاب؛ فقـــد كتـــب أبـــو موسى الأشعري إليه يذكر له أن تجار المسلمين إذا أتوا دار الحـــرب يـــأخذون منهم العشر. فكتب إليه عمر أن يأخذ من الحربيين، كما يأخذون منهم العشر مـــن

---

(١) العِقَال: زكاة عام من الإبل والغنم، تقول: "أديت عقال سنة" أي صدقتها، "وعليهم عقالان" أي صدقة سنتين، جمعها "عُقُل" (أقرب الموارد للشرتوني، جـ٢، ص٨١٢).

(٢) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، جـ٢، ص٢٠٦ (حوادث سنة ١١هـ).

(٣) الماوردي؛ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، نشـــر دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص١١٣.

التجار المسلمين، ومن أهل الفرقة نصف العشر، ومن المسلمين عن كل أربعين درهما أي ربع العشر، وليس فيما دون المائتين من الدراهم شيء؛ فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد بحسابه[1].

والفيء، هو المال الذي يؤخذ من غير المسلمين من غير قتال. وقد عرفه الماوردي بقوله: "أموال الفيء والغنائم: ما وصلت من المشركين، أو كانوا سبب وصولها، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: **"ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"**[2].

والغنيمة، وهو مال أو غيره يؤخذ قهرا نتيجة القتال، ويأخذ الخليفة منه الخمس. يذكر الماوردي أن الغنيمة هي أكثر أقساما وأحكاما؛ لأنها أصل تفرع عنه الفيء؛ فكان حكمها أعم؛ وتشتمل على أقسام: الأسرى والسبي والأرض والأموال[3]. وقد وضحها الدكتور الريس، وذكر أن الفرق بين الغنيمة والفيء بالآتي: "أن الغنيمة هي الأموال التي أخذها المسلمون بالقتال، والفيء هو الأرض أو العقار في الأصل أخذت عنوة، ثم أنفق عليها ويجوز أن تؤخذ بالصلح بدون قتال"[4].

والجزية: هي ما فرض من مال على رؤوس أهل الذمة الذين دخلوا في حوزة المسلمين من أهل الكتاب والمجوس، ما خلا نصارى تغلب ونجران

---

(1) محمد ضياء الدين الريس، دكتور؛ الخراج والنظم المالية للدولة، الطبعة الثالثة، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٢٩.

(2) قرآن كريم، سورة الحشر، جزء من الآية ٧.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٣١.

(4) محمد ضياء الدين الريس، دكتور؛ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص١١٤.

خاصة، وحُدّد الذين يتمتعون بهذا الامتياز أتباع الملل المعترف بها، وهي النصرانية واليهودية والمجوسية والسامرية والصابئة[1].

وحدّد الماوردى مَنْ الذى يدفع الجزية ومَنْ لا يدفعها فذكر أنه "لا تجب الجزية إلاّ على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تجب على امرأة ولا صبيّ، ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وذرارى"[2]. كما أضاف حسينى بأنها "تسقط عن المعوز والأعمى والمقعد والرهبان والمسنّ الذى ليس له عمل أو ثروة، وأن أبا يوسف حدّد الجزية بمقدار ٤٨ درهماً سنوياً للغنى، و٢٤ للطبقة المتوسطة و١٢ للعمال"[3].

وكان نظام الضرائب الإسلامي يستند في أساسه إلى تمييز المكلفين تبعاً لجماعتهم الدينية؛ فعلى المسلمين تكاليف وضرائب، (كالصدقة والزكاة والعشر على الأرض) لا تجب على أهل الذمة، الذين يدفعون بالمقابل الجزية على الرؤوس والخراج على الأرض، ثم تطوّر ذلك النظام فأضيفت إليه أنواع شتى من الضرائب شملت الجميع، كضرائب الأسواق ومكوس[4] التجارة[5].

واستمر العباسيون على نفس الأسس التى سار عليها الأمويون قبلهم سواء في النظام الضريبى أو فى جهاز الجباية وطرائقها؛ فكان للسواد نظام من

---

(١) قطب إبراهيم محمد؛ النظم المالية فى الإسلام، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٠١.

(٢) الماوردى؛ الأحكام السلطانية، ص١٤٤.

(٣) حسينى؛ الإدارة العربية، ص٣٥.

(٤) المكوس: جمع مكس، وهى الضريبة التى يأخذها المكاس (من يأخذ المكس بقدرها ويجبيها) ممن يدخل البلد من التجار (المعجم الوسيط، جـ٢، ص٨٨٨) أما الشرتونى فيذكر أن المكس دراهم تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق، وقيل درهم، يقال: "ضربت عليهم المكس والمكوس". (أقرب الموارد جـ٢، ص١٢٢٥).

(٥) سيدة إسماعيل كاشف؛ دكتورة، مصر فى فجر الإسلام، ص٣٧-٦٤.

الضرائب يختلف عن مثيله في الجزيرة أو في الشام أو في خراسان أو مصر. وإن جرى تعديل ضريبي في إقليم فليس يعني ذلك بالضرورة أن ذلك التعديل كان عاماً في أقاليم الدولة؛ فقد سار كل إقليم حسب ظروفه ومشاكله وأهواء ولاته[1].

ثم كان إحراق الدواوين في بغداد سنة ١٩٧هـ=٨١٢م خلال الفتنة بين الأمين والمأمون، قد أصاب النظام الإدارى والمالي وسجلاتها؛ فكان ذلك مع فتن الأقاليم قد شلّ الآلة المالية العباسية في تلك الفترة تمام الشلل؛ فلم تعاد هذه الآلة عملها إلاّ حين استقر المأمون في بغداد، وبدأ تنظيم أمر الخراج من جديد سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م، وهي كما قال قدامة بن جعفر "أول سنة يوجد حسابها بالدواوين"[2].

الخراج في عهد المأمون:

أورد ابن خلدون ثبتاً تاريخياً عن مقدار الجباية الخراجية من كافة أقاليم الدولة العباسية وما كان يحمل إلى بيت المال أيام المأمون، على النحو التالي:

غلات السواد: سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين، وثمانمائة ألف درهم، ومن الحلل النجرانية مائتا حلّة، ومن الطين الختم مائتان وأربعون رطلاً.

كسكر: أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وستمائة ألف درهم.

كُور دجلة: عشرون ألف ألف درهم وثمانية دراهم.

حلوان: أربعة آلاف ألف درهم مرتين، وثمانمائة ألف درهم.

الأهواز: خمسة وعشرون ألف درهم مرّة، ومن السكّر ثلاثون ألف رطل.

فارس: سبعة وعشرون ألف ألف درهم، ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة، ومن الزيت الأسود عشرون ألف رطل.

---

(١) شاكر مصطفى، دكتور؛ دولة بني العباس، جـ١، ص٥٧٩.

(٢) قدامة بن جعفر؛ كتاب الخراج، نشر دي خويه، لندن، ١٣٠٦هـ=١٨٨٩م، ص٢٣٧.

رمسان: أربعة آلاف ألف درهم مرتين وومائتا ألف درهم، ومن المتاع اليماني مسمائة ثوب، ومن التمر عشرون ألف رطل.

مكـران: أربعمائة ألف درهم مرة.

السند وما يليه: أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم، ومن العود الهندي مائة وخمسون رطلا.

سجستان: أربعة آلاف ألف درهم مرتين، ومن الثياب المعينة ثلاثمائة ثوب، ومن الفانيذ عشرون رطلا.

خراسان: ثمانية وعشرون ألف ألف درهم مرتين، ومن نقر الفضة ألفا نقرة، ومن البراذين أربعة آلاف، ومن الرقيق ألف رأس، ومن المتاع عشرون ألف ثوب، ومن الأهليلج ثلاثون ألف رطل.

جرجان: إثنا عشر ألف ألف درهم مرتين، ومن الأبريسم ألف شقة.

قومس: ألف ألف (درهم) مرتين وخمسمائة من نقر الفضة.

طبرستان والرويان ونهاوند: ستة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف، ومن الفرش الطبري ستمائة قطعة، ومن الأكسية مائتان، ومن الثياب خمسمائة ثوب، ومن المناديل ثلاثمائة، ومن الجامات ثلاثمائة.

الري: إثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل.

همذان: أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف، ومن رب الرمان ألف رطل، ومن العسل الأسود إثنا عشر ألف رطل.

ما سبذان والدينار (صحتها الدينور): أربعة آلاف ألف درهم مرتين.

شهر زور: ستة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم.

الموصل وما يليها: أربعة وعشرون ألف ألف درهم مرتين، ومن العسل الأبيض عشرون ألف ألف رطل.

آذربيجان: أربعة آلاف ألف دهم مرتين.

الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات: أربعة وثلاثون ألف ألف درهـم مرتيـن، ومن الرقيق ألف رأس، ومن العسل إثنا عشر ألف زق، ومن البزاة عشرة، ومن الأكسية عشرون.

أرمينية: ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين، ومن البسط المحفور عشرون، ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلاً، ومن المسايج السُورِماهى عشـرة آلاف رطـل، ومن الصُونج عشرة آلاف رطل، ومن البغال مائتان، ومن المهرة ثلاثون.

قنسرين: أربعمائة ألف دينار وومن الزيت ألف حمل.

دمشـق: أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار.

الأردن: سبعة وتسعون ألف دينار.

فلسطين: ثلاثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار، ومن الزيـت ثلاثمائـة ألـف رطل.

مصـر: ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار.

برقـة: ألف ألف درهم مرتين.

أفريقية: ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين، ومن البسط مائة وعشرون.

اليمـن: ثلاثمائة ألف ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع.

الحجـاز: ثلاثمائة ألف دينار[1].

ويحلل الدكتور حسن إبراهيم حسن هذه القائمة، ويذكر أن خـراج أقـاليم المشرق كان يقدّر بالدراهم وخراج أقاليم المغرب بالدنانير (إلاّ برقة وتونـس). والسبب في ذلك -على ما يظهر- يرجع إلى أن مناجم الفضة كانت أكـثر فـي أقاليم المشرق منها في المغرب، وبعكس ذلك مناجم الذهب[2].

---

(١) ابن خلدون؛ مقدمة ابن خلدون، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصـر، القـاهرة، بـدون تاريخ، ص١٧٩-١٨١.

(٢) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ٢ العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٢٨٤.

كذلك يحلّل جرجي زيدان هذا الثبت قائلاً: فمجموع جباية أقاليم المشرق (مع برقة وإفريقية) ٣١٨,٦٠٠,٠٠٠ درهم (أي ثلاثمائة وثمانية عشر مليوناً وستمائة ألف درهم). وبإضافة مقدار جباية المغرب إلى مقدار جباية المشرق، يبلغ مجموع الجباية ٣٩٠,٨٥٥,٠٠٠ درهم (أي ثلاثمائة وتسعون مليوناً وثمانمائة وخمسة وخمسون ألف درهم). هذا عدا خراج الكرخ ويبلغ ٣٠٠,٠٠٠ درهم (ثلاثمائة ألف درهم)، وجيلان ويبلغ خراجها ٥,٠٠٠,٠٠٠ درهم (خمسة ملايين درهم). وعلى هذا النحو يكون مجموع جباية الدولة العباسية في عهد المأمون نحو ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (أربعمائة مليون درهم)، عدا الأموال والغلات الأخرى. وقد جرت العادة أن تقدّر الغلات بما تساويه نقداً. وكان يصل إلى بيت المال ببغداد صافي ما يتحصل من الجباية في الأقاليم بعد دفع أموال الجند، وما تتطلّبه الجباية من نفقات وإصلاح الترع وما ينفق على الدواوين، وما يتطلّبه الخليفة ووزرائه وكتّابه ورجال بلاطه[1].

<u>الإيرادات الأخرى:</u>

وبجوار الخراج الذي كان العمدة في الإيرادات كانت الدولة في عهد المأمون تجبي إيرادات من المصادر التالية:

(١) الأعشار، أو ضريبة الدخل (العشر والزكاة والصدقة).

(٢) أخماس المعادن والمرعى.

(٣) الجزية.

(٤) المكوس.

(٥) الملاحات والأسماك.

---

[1] جورجي زيدان؛ التمدن الإسلامي، جـ٢، القاهرة، ١٩٠٢م، ص٥٥-٥٦.

(٦) الضرائب التى تؤخذ من أصحاب الحوانيت لاستعمالهم المحلات العامة كالشوارع والميادين.

(٧) ضرائب الصناعة وغيرها.

(٨) ضرائب الكماليات.

(٩) الجمارك[١].

وفى سنة ٢٠٤هـ=٨١٩م أعاد المأمون تخفيض الخراج بأن جعله خُمْسين بدلاً من النصف حتى فى أخصب الأراضي الزراعية. وكان يوجد فى العراق والجزيرة وفارس كثير من الملاكين والفلاحين الذين كانوا يدفعون ضريبة محدودة على أساس اتفاق كُتِب بينهم وبين قواد العرب فى إبّان احتلال العرب لبلادهم، وكان يتمتع بمثل هذه الامتيازات أهل القرى فى شمالى فارس وخراسان[٢].

وكانت الإمبراطورية العباسية زمن المأمون مزدهرة فى الصناعة والتجارة والثروة حتى بلغت إيرادات الدولة ستة آلاف دينار يومياً[٣].

كما أسقط المأمون عن بعض الولايات والبلاد جزءاً من إيراداتها؛ ذلك أنه لما وصل فى سنة ٢٠٣هـ=٨١٨م من طوس يريد بغداد، فلما صار إلى السرى أسقط من وظيفتها (أى إيرادتها) ألفي ألف درهم[٤].

---

(١) سيد أمير على؛ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى، ص٣٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦٨.

(٣) نفس المرجع، ص٣٦٩.

(٤) ابن الأثير؛ الكامل فى التاريخ، جـ٥، ص٥٦٨.

الفصـــــل الثـانــــي

النفقـــات

الإنفاق على المشاريع العامة.

رواتب عمال الدولة

نفقات البلاط

النفقــــات

كلمة عن المال وإنفاقه في الإسلام:

كان المال يأتي من موارد الإيرادات التي ذكرناها في الفصــــل الســابق، ويصب في خزانة الدولة في بغداد، حيث ينفق في مصالح المسلمين ومرافقـــهم العامة، وذُكر المال في القرآن الكريم مرات عديدة وأوجه الإنفاق مما يدل علــى اهتمام الإسلام بالمال. ومن ثنايا الآيات القرآنيـــة الكريمـــة يمكــن اســتخلاص المبادئ التي وضعها الإسلام، خاصتاً بإنفاق المال العام، على النحو التالي:

<u>أولا:</u> المال مال الله: قال تعالى: "**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكــم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**"[1]. وأيضاً قوله سبحانه وتعالى: "**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**"[2]. وعلى ذلك فالمال هـــو مـــال الله؛ وذلك المبدأ واجب التطبيق والعمل على حماية هذا المال من التعرض للإســراف أو الضياع أو الاختلاس[3].

<u>ثانيا:</u> ترشيد الإنفاق العام: تطبيقاً لقوله سبحانه وتعالى: "**والذين إذا أنفقــوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**"[4]. وأيضاً قوله ســـبحانه وتعـــالى "**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً**"[5].

وعلى ذلك فإن تبذير المال العام منهي عنه والإسراف في المـــال العــام محظور بصريح نص الآية، وأيضاً الإقتار في المال العام منهي عنه[6].

---

(١) قرآن كريم؛ سورة الحديد، جزء من الآية رقم٧.

(٢) قرآن كريم؛ سورة النور، جزء من الآية رقم٣٣.

(٣) قطب إبراهيم محمد؛ النظم المالية في الإسلام، ص١٣٥-١٣٦.

(٤) قرآن كريم؛ سورة الفرقان، الآية رقم٦٧.

(٥) قرآن كريم؛ سورة الإسراء، الآية رقم٢٦.

(٦) قطب إبراهيم محمد؛ النظم المالية في الإسلام، ص١٣٦.

ثالثاً: حسن اختيار القائمين على الإنفاق: قال تعالى: **"ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما"**[1]. وتحض هذه الآية الكريمة على حسن اختيار القائمين على الأموال العامة حتى يحسنوا انفاقه[2].

رابعاً: تخصيص موارد عامة لإنفاقٍ معيّن بالذات: وحدّد القرآن الكريم وجوه إنفاق بعض موارد النظام المالى الإسلامى، ولا يجوز إنفاق هذه الموارد فى وجوه أخرى غيرها، وهذه الموارد هى: أموال الغنيمة والفىء والزكاة، مصداق لقوله سبحانه وتعالى: **"واعلموا إنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"**[3] وأيضاً **"ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"**[4] وأيضا **"إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"**[5] وهذه الآية الكريمة تحض على الإنفاق العام على المسلمين وغيرهم، وهذا يؤكد سماحة الإسلام[6].

ووضح الدكتور حسن إبراهيم حسن المصالح التى ينفق فيها مال المسلمين بالآتى:

١- أرزاق القضاة والولاة والعمال وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين.

---

(١) قرآن كريم؛ سورة النساء، جزء من الآية رقم٥.

(٢) قطب إبراهيم محمد؛ النظم المالية فى الإسلام، ص١٣٧.

(٣) قرآن كريم؛ سورة الفرقان، جزء من الآية رقم٤١.

(٤) قرآن كريم؛ سورة الحشر، جزء من الآية رقم٧.

(٥) قرآن كريم؛ سورة التوبة، جزء من الآية رقم٦٠.

(٦) قطب إبراهيم أحمد؛ النظم الإسلامية فى الإسلام، ص١٤٠.

٢- أعطيات الجند، أي رواتبهم التى يتحصلون عليها فى أوقات معينة من السنة، وشراء ما يحتاجون إليه من وسائل الحرب.

٣- المنافع العامة؛ ككري الأنهار وإصلاح مجاريها، وكري الترع التى تأخذ منها الأنهار الكبيرة كدجلة والفرات؛ لتوصيل الماء إلى الأراضى البعيدة، وإصلاح الطرق وبناء المساكن والمدن والحصون والثغور والمساجد والمنشآت العامة كالقناطر والجسور والكليات والمدارس والملاجئ والمستشفيات.

٤- نفقة المسجونين وأسرى المشركين من مأكل ومشرب وملبس ودفن من يموت منهم.

٥- نفقات البلاط المأمونى.

٦- العطايا والمنح للأدباء والعلماء وغيرهم[1].

وفى عصر المأمون تعددت وتنوعت نواحى الإنفاق نظرا لزيادة نفقات الجنود الكبيرة؛ لكثرة الثورات والانتفاضات المحلية مما أتت على جزء كبير من ميزانية الدولة، والتى شغلت طوال عهد المأمون؛ فكان جنود وميزانية الدولة فى عهد المأمون فى حالة استنفار كامل لمواجهة تلك الثورات لمحلية وحماية حدودها ضد عدوتها الدولة البيزنطية.

نفقات المأمون:

يذكر أن طباطبا أن نفقة المأمون بلغت فى اليوم الواحد ستة آلاف دينار[2] ومجموع ذلك فى العام الواحد ٢,١٦٠,٠٠٠ دينار.

---

(١) حسن إبراهيم حسن، دكتور؛ تاريخ الإسلام، جـ٢، العصر العباسى الأول، ص٢٨٩.

(٢) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مرجع سابق، ص١٨٣-١٨٤.

هذا وقد أعدت للمأمون بعد عودته إلى بغداد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م قائمة تضم الرجال الذين يرغب في حضورهم على مائدته، واشتملت القائمة على الأدباء والعلماء ورجال الحاشية والقادة العسكريين. وتطلّب البلاط نفقات طائلة؛ فخصّص للمطبخ والمخبز ١٠,٠٠٠ دينار شهرياً (عشرة آلاف دينار)، وكان ينفق على المسك وحده في المطبخ مبلغ ٣٠٠ دينار شهرياً (ثلاثمائة دينار)؛ وذلك برغم أن الخليفة لم يهتم به كثيراً في طعامه، وغاية ما تطلبه منه قليل من الخشكانان (أي البقسماط، والكلمة فارسية مركبة من "خشك" بمعنى ناشف و"نان"[1] بمعنى الخبز، والكلمة المركبة تعني الخبز الجاف أو الناشف). وبالإضافة إلى تلك المبالغ كان يدفع شهرياً ما يلي:-

١٢٠ دينار للسقائين

٢٠٠ دينار للشموع والزيت

٣٠ دينار للدواء

٣٠٠٠ دينار للعطور والحمامات وكسوة الخدم والأسلحة والسروج والبسط[2].

وكان الإنفاق على الجيش يشغل حيّزاً كبيراً في نفقات الدولة، التي عملت على تأمين جنودها المجاهدين، وإشعارهم بالأمان لهم ولذراريهم من خلفهم. كذلك الإنفاق بسخاء على إعداد الجيوش ومدّها بالأسلحة والآلات الحربية والخيول وما إلى ذلك، مما شغل حيزاً كبيراً في ميزانية الدولة. كما كان ينفق على العلم والعلماء، وإقامة المساجد والمدارس والبيمارستانات والقلاع وغير ذلك من مظاهر العمران المنتشرة على امتداد الدولة الإسلامية[3].

---

(١) نان: كلمة فارسية تعني خبز .

(٢) حسيني، س. أ. ق.: الإدارة العربية، مرجع سابق، ص٢٨٨.

(٣) فتحية النبراوي، دكتورة: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٩٢.

الهدايـــا:

وكان من عادة المأمون قبول الهداية في المناسبات العامة أو غيرها سـواء من رجال دولته أو من خارجها؛ من ذلك ما رواه ابن طباطبا من أن أحمد بـن يوسف بن القاسم الوزير أهدى يوم نوروز إلى المأمون هدية قيمتها ألـف ألـف درهم، وأرفقها بيتين من الشعر هما:

على العبد حق فهو لا بدّ فاعلـــه وإن عظم المولى وجلّت فواضلـــه

ألم ترنا نهدى إلى الله ما لـــــه وإن كان عنه ذا غنى فهو قابلـــه[1]

وتذكر هدية قدّمها للمأمون ملك التبت؛ وكان صنماً من ذهب على سـرير من ذهب مرصّع بالجوهر؛ فأرسله المأمون إلى الكعبة يُعَرّف الناس هدايـة الله لملك التبت[2].

وأيضاً من الهدايا التى كانت تقدّم للمأمون، نورد ما ورد فى كتاب "العـالم الإسلامى فى العصر العباسى" لحسن أحمد محمود وأحمد إبراهيـم الشـريف: "…. وتوافد سفراء الإمارات التركية الشرقية إلى بلاط المأمون لتقديم فـروض الطاعة …… ويبعثون بالهدايا……"[3].

العطايا والمنح:

كانت العطايا والمنح التى كان يقدمها المأمون في شتى المناسبات تشـكل جزءاً كبيراً من نفقات الدولة، ويتصرف فيها المأمون كما يحلو له؛ فقـد كـان مسيطراً على موارد الدولة وأوجه إنفاقها. وكان يهب المال ما شاء لمـن شـاء؛ ونورد فيما يلى بعض عطايا المأمون:

---

(1) ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مرجع سابق، ص١٨٣.

(2) اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٥٢.

(3) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف؛ العالم الإسلامى فى العصر العباسى، مرجـع سابق، ص١٤١.

(١) يذكر الطبرى أن طاهر بن الحسين بعث برأس محمد (الأمين) إلى المأمون مع البردة والقضيب والمصلى -وهو من سعف مبطن- مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه؛ فأمر له بألف ألف درهم (أى مليون درهم)[١].

(٢) أورد ابن طباطبا عطية أخرى؛ نذكر أنه لما كان المأمون بدمشق أضاق إضاقة شديدة، وقل المال عنده؛ فشكى ذلك إلى أخيه المعتصم -وكان له بيده أعمال -فقال المعتصم: يا أمير المؤمنين؛ كأنك بالمال قد وافاك بعد أسبوع فوصل فى تلك الأيام من الأعمال التى كان المعتصم يتولاها ثلاثون ألف ألف ألف درهم (الألف مكررة ثلاث مرات)[٢]؛ فقال ليحيى ابن أكثم: اخرج بنا لننظر إلى هذا المال. فخرج (المأمون) وخرج الناس، وكان قد زين الحمل وزخرف؛ فنظر المأمون منه إلى شئ حسن كثير؛ فاستعظم الناس ذلك واستبشروا به. فقال المأمون: إن انصرافنا إلى منازلنا بهذا المال وانصراف الناس خائبين لؤم؛ فأمر كتابه أن يوقع لهذا بألف ألف، ولذلك بمثلها، ولآخر بأكثر منها، حتى فرق أربعة وعشرين

---

(١) الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٤٨٨.

(٢) ذكر الطبرى فى تاريخه (جـ٨، ص٦٥٢) الرواية ذاتها تختلف عن رواية الفخرى التى تذكر "ثلاثون ألف ألف ألف" أى الألف مكررة ثلاث مرات. وأنا شخصيا أرجح أن يكون الطبرى (الذى ذكر الألف مرتين) أصح من ابن طباطبا؛ وأن الألف الثالثة ربما من زيادة أحد النساخ. وبصفة عامة فإن محمد الخضرى ذكر الرقم الصحيح نقلا عن الطيفورى صاحب تاريخ بغداد فى كتابه "الدولة العباسية" (ص ٢٧٤)، وكذلك نقل الدكتور الريس فى كتابه "الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية (ص ٤٨١) الرقم الصحيح، أما الدكتور حسن إبراهيم حسن فإنه نقل رواية ابن طباطبا التى يشك فى صحتها، ولم يعلق عليها فى كتابه "تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، جـ٢ الدولة العباسية ص٨٣.

ألف ألف ألف درهم (والألف مكرر ثلاث مرات) ورجله فى الركاب. ثم حوّل الباقى على عارض الجيش برسم صالح الجند"[1].

ويذكر اليعقوبى شيئاً عن عطاء المأمون، يقول: "أن المأمون أنزل محمد ابن صالح بن المنصور دار الفضل بن الربيع وزوّجه بخديجة ابنة الرشيد، وأمر له بألفي ألف درهم مكافأة على ما كان من مسارعته إلى بيعته وطاعته، والامتناع عن بيعة إبراهيم ...... وزوّج محمد بن على الرضا ابنته أم الفضل، وأمر له بألفي ألف درهم ......"[2].

ويذكر حسن خليفة، وهو مؤرخ معاصر، أن مما يُرْوَى عن المأمون أنه في الغزوة الثانية ضد الروم اشترى سبْيَ الروم بماله وأطلقهم، وأعطى لكل واحد ديناراً ديناراً[3].

نستخلص من ذلك أن المأمون كان سخياً فى العطاء. وكان نتيجة ذلك أنه حينما عاد إلى بغداد عام ٢٠٤هجرية، أى بعد أن قضى ست سنوات بمرو يجبى خراج الدولة، لم يكن معه إلاّ "خمسون ألف درهم"[4]. وهذا فى حد ذاته دليل على كرمه وسخائه وثقته فى إيرادات الدولة الكبيرة التى كان يحكمها.

---

[1] ابن طباطبا؛ الفخرى فى الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٧٥.

[2] اليعقوبى؛ تاريخ اليعقوبى، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٥٤.

[3] حسن خليفة؛ الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، مرجع سابق، ص١١٠.

[4] الطبرى؛ تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، مرجع سابق، ص٥٧٥.

الخاتمة:

وبعد هذا العرض التاريخي للحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر المأمون (١٧٠-٢١٨هـ/٧٨٦-٨٣٣م) نستخلص الآتي:

أن حياة المأمون كخليفة كانت تنقسم إلى مرحلتين مختلفتين؛ الأولى منهما كانت فترة إقامته في مرو بعد وفاة والده وتمتد حتى سنة ٢٠٤هـ وفيها واجه المأمون صعوبات عديدة تتمثل في نزاعه مع أخيه محمد الأمين؛ مما ترك فراغاً سياسياً وإدارياً كاد يودي بالدولة برمتها. فقسامت حركات وانتفاضات سياسية كانت تحمل طابعاً دينياً، أو حركات دينية كانت تحمل بدورها عناصر سياسية واضحة مما أثر على استقرار الأحوال الداخلية وانطباعها في الحياة العامة للسكان.

وفي غياب السلطة المركزية تمزقت الدولة إلى الحد الذي أقام في كل بلد، وأحياناً في كل قبيلة أو جماعة سكانية متغلباً يدعو لنفسه، أو لبعض المتنفذين، أو بعض آل البيت.

وكان المأمون في تلك الفترة يقيم في مرو، وهي مدينة في خراسان، وتغلّب عليه وزيره الفضل بن سهل، وهو الذي أطلق المأمون يده في إدارة شئون الدولة وتصريف أمورها، وعصب عيني الخليفة عما كان يجرى في أنحاء الدولة، خاصة تنصيب بني هاشم والبغداديين عمه إبراهيم بن المهدى خليفة. تلك الأزمة التي واجهها المأمون والتي أجمع فيها بنو العباس ونصّبوا إبراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة خليفة. (وقد ألح عليه بنو هاشم قبول تعيينه؛ فصيّروه أميراً سنة ٢٠١ هجرية-٨١٦م) وعين المأمون الإمام على الرضا بن موسى الكاظم ولياً لعهده؛ فتلقت بغداد النبأ أسوأ التلقي وغضب بنو هاشم وبنو العباس، حتى اتفقوا على مبايعة إبراهيم بن المهدى بالخلافة، ومن بعده اسحق بن موسى بن المهدى. وهنا بايع البغداديون إبراهيم على الفور، وخلعوا المأمون في أول المحرم سنة ٢٠٢ هجرية.

وما أن بلغ ذلك المأمون، وكان وزيره الفضل بن سهل يكتم عنه هذا الخبر حتى قرر المسير إلى بغداد والاستقرار فيها بدلاً من مرو المنعزلة.

وفى هذه الرحلة التى استغرقت سنتين، قُتل فيها الوزير الفضل بن سهل فى شعبان سنة ٢٠٢هجرية - ٨١٧م فى مدينة سرخس، وتبعه موت ولى العهد على الرضا فى شهر صفر سنة ٢٠٣ هجرية - ٨١٨م، وبعد أن دفنه بجوار والده الرشيد فى طوس، تابع مسيرته ماراً بجرجان والرى، ووصل بغداد فى شهر صفر سنة ٢٠٤ هجرية.

أما الحركات الأخرى فتتمثل فى حركة ابن طباطبا بالكوفة، الذى أيّده أبو السرايا، السرى بن منصور الشيبانى. وحاربهما الحسن بن سهل عدة حروب هزم فيها، وانتهى الأمر بعد قتال مرير هزيمة أبى السرايا، والقبض عليه فضرب الحسن بن سهل عنقه، وأرسل رأسه إلى المأمون فى مرو. أما جسده فصُلب على جسر بغداد.

نشاط العلويين فترة النزاع بين الأمين والمأمون:

وكان لبقاء المأمون فى مرو فترة طويلة لعدم اطمئنانه لأهل بغداد وسخط العناصر العربية وعلى رأسهم العباسيون على المأمون، وأيضاً الفوضى الشاملة التى نتجت عن حصار بغداد ومقتل الأمين، أدى إلى ضجر الناس من تلك الخصومة الأخوية وخاب ظنهم؛ فانتهز العلويون هذه الفرصة وذلك التوقيت المناسب لطعن العباسيين ومحاولة الإحلال محلهم.

فقامت ثورة أبى السرايا فى العراق سنة ١٩٩ هجرية، الذى اتخذ بجانبه شخصية علوية هو ابن طباطبا الذى ظهر فى الكوفة؛ فانضمت إليه كل القوى العلوية التى كانت بالعراق آنئذ. وأخيرا تمكن المأمون من مقاومة هذه الحركة بسياسته الهادفة؛ فنصب على الرضا لولاية العهد وإحضاره من المدينة إلى مرو، ومبايعته فى السابع من رمضان سنة ٢٠١هـ، واستمر هذا الوضع قائماً

حتى قُتِل أبو السرايا، ومن قبله ابن طباطبا؛ فتخلص المأمون من على الرضا بدوره حيث لم يعد له لزوم فى سياسته ولا مكان فى خططه.

وتوصلتُ إلى أن تعيين علي الرضا كان مناورة سياسيةمن المأمون لتهديد بغداد ومَنْ بها من العباسيين ليعودوا إلى القبول به تمهيداً لانتقاله إليهم.

ووقع خبرُ بيعة العلوى وقْع الصاعقة في بغداد، حتى أن الناس بايعوا إبراهيم بن المهدى، فكان على المأمون معالجة هذا الأمر، وخطأ وزيره وقبّح فعله، وقرر الاعتماد على بغداد والعباسيين.

وتأتى بعد ذلك المرحلة الثانية من حكم المأمون بترك خراسان وانتقاله إلى بغداد. وتشمل إقامته فى بغداد من سنة ٢٠٤(٨١٩م) حتى وفاته سنة ٢١٨هجرية. ووضّحت كيف كان المأمون هو المتسلّط الحقيقى والمدبّر لأمور الدولة، وانتهاجه سياسة المداهنة والتروّى والحكمة والمعرفة والخبرة التى اكتسبها فى المرحلة السابقة. وواجه المأمون كافة الصعوبات بحزم وحسم، وقضى على فتن العلويين فى اليمن والحجاز والثورات التى قام بها العرب والقبط فى مصر، حتى يمكن القول أن حكم المأمون الحقيقى يبدأ من اتخاذه بغداد مقراً لحكومته.

وفى تلك الفترة تجلت قدرته، وبرزت مزاياه العظيمة، وساس الناس سياسة اللين التى لا يشوبها ضعف وقوة ولا يشوبها عنف، وبفضله عظمت فى بغداد الحركة العلمية.

وفى تلك الفترة استنتجت أن المجال انفتح للفرس على مصراعيه ولأول مرة حتى أن معظم رجال حاشيته، بل وأغلب موظفى الدولة كانوا من الفرس الذين تشكلوا فى عهده واعتبروه واحداً منهم، وعلى حد قولهم "ابن أختنا وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وخصصت الباب الثانى عن شخصية المأمون، وقسّمته إلى ثلاث نقاط:

الأولى: تشمل مولده ونشأته، ووصية هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة ثم ولايته للعهد وانتقاله إلى مرو وهو فى الثالثة عشرة من عمره، وآخرها النزاع الذى نشب بين الأخوين: الأمين والمأمون.

والثانية: تشمل تصرفه كخليفة، وتعرّضت للخطوط العامة لسياسته وانفراده بإدارة شئون الدولة، واهتمامه بالنواحى الاقتصادية والمالية والثقافية. ثم تحدثت عن الوزارة ونشأتها والأعمال الحكومية فى عصره، وتعرضت للعصبية العرقية والموالى فى عصره وموقفه منها، وأثبتَ أن الذين شغلوا كافة المناصب الكبيرة والصغيرة في عهده كانوا من الفرس. ثم تقريبه لأهل العلم ودخولهم بلاطه وتعامله مع الفرس.

أما القسم الثالث فكان عن زوجات المأمون وسراريه وأولاده، وعلاقته بأقربائه؛ وهم ولى عهده المعتصم، وعلاقته بآل على وسائر أبناء بنى طالب وختمته برعايته للفرس وتقريبهم إليه.

فتحدثتُ أولاً عن أنه وُلِدَ فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ، (٧٨٦م). ثم تعرضت للأحداث التى أعقبت وفاة الرشيد فى طوس وعودة الجيش إلى بغداد بأمر من الأمين وتحريض وزيره ووزير أبيه من قبل الفضل ابن الربيع وهو الذى أوصى به هو والأموال للمأمون قبيل وفاته. وبدأ الصراع العلنى بعد ذلك بعد أن كان مستتراً.

وعندما تعرضت للخطوط العامة لسياسة المأمون واهتمامه بالنواحى الاقتصادية والمالية والثقافية والدينية؛ فتحدثت عن اهتمامه بتنمية موارد الدولة وعنايته بالزراعة والتجارة وغيرها من شئون الاقتصاد والمال، ثم سياسته الضرائبية وموقفه التقدمى لصالح الشعب، وتنظيم جباية الخراج فى الأقاليم وتحصيل الجزية ممّن تجب عليهم الجزية.

أما الشئون الثقافية، والتي أوليتها عناية خاصة؛ فذكرت أنها نالت في عهد المأمون الاهتمام والرعاية، وساعد ثراء الدولة على خلق نهضة ثقافية لم تكن من قبل، حتى صار الناس أنصاراً للعلم وأصبحوا طلاّباً للمعرفة. وتحدثت عن بيت الحكمة الذي أضفى عليه المأمون طابعاً رسمياً حينما مده بهيئة علمية خاصة ، وبعث الوفود إلى بيزنطة لجلب المخطوطات اليونانية. ونقل وترجم الكتب من مختلف اللغات. وإنشائه المرصد المأموني الذي أضحى مدرسة رياضية فلكية كبيرة.

وختمت هذا الجزء بالناحية الدينية، وانتشار تعاليم المعتزلة، وانحياز الدولة في عهد المأمون لفرقة المعتزلة. ثم ناقشت مشكلة القول "بخلْق القرآن"؛ تلك المسألة التي أثارها المعتزلة، وكان لها أثر عميق في الأحداث السياسية والاجتماعية.

وعن "الوزارة" تعرضت لسبب إنشائها والدوافع إلى ذلك، وأن العباسيين أخذوا هذا النظام من الفرس، وكان وزراؤهم نتيجة لذلك من الأعاجم. وتحدثت عن مهارة الوزير، واستعرضت وزراء المأمون؛ ابتداءً من الفضل بن سهل؛ فالحسن بن سهل، ثم أحمد بن أبي خالد الأحول، فأحمد بن يوسف الكاتب، فالقاضي يحيى بن أكثم التميمي، وأبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي، فعمرو بن مسعدة، وآخرهم أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد المروزي، ومات المأمون وهو وزيره.

وعندما تحدثتُ عن الأعمال الحكومية في عصر المأمون، ذكرت أن الخليفة كان رأس الدولة، سياسياً وإدارياً ودينياً، وأن الدولة في عهده قامت على ثلاثة أركان: الدين والجيش والكتّاب، وأن ما يميّز عصره هو اتساع الجهاز الإداري الحكومي وتضخمه، وتعدّدت الدواوين، وتعرضتُ لعمل الولايات وكبار موظفي الولاية، والوضع في دواوين الولايات.

وعندما تعرضت لموضوع العصبية العرقية والموالى فى عصر المأمون وموقفه منها تحدثت عن بداية المشكلة التى ظهرت في العصر الأموى، وما ترتب عليها.

وتحدثت عن ذرية المأمون، وأنه أنجب سبعة عشر ولدا وعشر بنات. ومن أبرز أبنائه العباس الذى كان له دور مؤثر فى الدولة فى حياة أبيه حتى أن الجند كانوا يأملون أن يخلف والده. واشتهرت من البنات إثنتان هما أم حبيب، وكانت زوجة الإمام على الرضا ولى العهد، وأم الفضل زوجة محمد بن على الرضا.

وختمته بوفاته، وهو يجاهد في سبيل الله في البدندون ببلاد الروم فى سنة ٢١٨هجرية ودفنه فى طرسوس.

وصية هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة:

استعرضت وصية هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة؛ الأمين فالمأمون فالقاسم. وأن مبايعة الأمين كانت فى سنة ١٧٥هجرية، وهو ابن خمس سنين، ثم المأمون الذى عقد له فى سنة ١٨٣هجرية، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وولاه من حد همذان إلى آخر الشرق. ثم مبايعة ابنه القاسم بعد أخويه، ولقبه "المؤتمن" والذى كان لا يزال صبيا، وأسند إليه الجزيرة والثغور. ثم تعرضت للنزاع الذى نشب بين الأمين والمأمون، ويعتبر من أكبر الهزات التى تناولت العرش العباسي. وتأكد لنا أن الرشيد قد تصرف هذا التصرف لإحلال السلام والتعاون بين الأخوة وتأكيد تعاقبهم على الخلافة وعمل أقصى ما فى وسعه لتحقيق ذلك. وهى الليلة التى مات فيها عمه الخليفة الهادى، وتولى فيها والده هارون الرشيد الخلافة، وأن أمه "مراجل" أم ولد فارسية من بادغيس، ثم تعرضت لأوصافه، وأثبت ما قاله المؤرخون فى ذلك، ثم تعرضت لتربيته ونشأته منذ صغره، واهتمام والده بتربيته، هو وأخيه الأمين دون سائر أولاده..

وأن الذى وكَلّ إليه تأديب المأمون هو أبى محمد اليزيدى، ثم اختيار والده بعض رجال الدولة للإشراف على تأهيله؛ فكان مؤدب المسأمون جعفر بن يحيى البرمكى الذى نال على يديه تربية عالية وتهذيباً تاماً وتعليماً جيداً؛ ومما استوعبه وحفظه القرآن الكريم وأجاد تفسيره وتعمق فى علومه واشتغل بالحكمة.

وعندما تعرّضت لميل المأمون إلى الخراسانيين أخواله؛ بدأت الموضوع بأن زيادة نفوذ الفرس فى عهد المهدى (١٥٨-١٦٩هـ) أدى إلى ظهور تيار عربى أراد أن يستميل الخليفة إليه، حتى لا يتركوا العجم ينفردون به؛ فأدى ذلك إلى صراع بين العرب والعجم؛ تارة كان مكشوفاً وتارة أخرى مكتوماً. وما نتج عن ذلك من دخول الموالى فى صفوف الجيش العباسى الذى كان نتيجة للمكاسب التى نالوها حتى صاروا عمود جند الخلافة، وعوناً لها، وأداتها فى فاعليتها ونضالها. ثم إن فجوة الخلاف بين الأمين والمأمون مهّدت للخراسانيين أن تلعب دوراً رئيسياً استفاد المأمون منهم. وأطلق يدهم فى أمور الدولة مما أدى إلى اختلال مبدأ التوازن بين العنصرين؛ العربى والفارسى.

واستعرضت صلة المأمون بوزيره الفضل بن سهل ودوره فى تنصيبه الخلافة. ثم تحدثت عن أخلاق المأمون حتى يحق أن يحشر فى زمرة عظماء الخلفاء، ومن عقلاء الرجال، ووصفوه بفيلسوف الخلفاء. وكان قادراً على التوفيق بين المواقف المتناقضة، وعلى إرضاء كل المعسكرات حتى تغلّب على كل ما صادفه من صعاب.

وعندما انتقلت إلى زوجات المأمون وسراريه، أشرت إلى ما قالته بعض المصادر التاريخية إلى أنه تزوج نساء كثيرات؛ اشتهر منهن اثنتان هما: أم عيسى بنت موسى الهادى، وبوران بنت الحسن بن سهل، وكثيرات أم ولد وجوارى عديدة أنجبن منهن البنين والبنات.

وتحدثت بالتفصيل عن زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل والتي خطبها لنفسه وهي في العاشرة من عمرها في أواخر عام ٢٠٢هجرية، وهو في مرو، وزفافه في شهر رمضان سنة ٢١٠هجرية في بغداد، وتعرضت لما أنفق في هذا الحفل من أموال وغيره سواء ما أنفقه والدها الحسن بن سهل أو المأمون أو السيدة زبيدة زوجة أبيه هارون الرشيد مما يدل على ما وصلت إليه الدولة العباسية من الغنى والجاه. حتى سخط الموالي على الأمويين. وأنه تمت في خراسان روح قوية فارسية تسعى إلى إرجاع مجد إيران القديم، وأنهم انحازوا إلى بني هاشم لا لشئ إلاّ لإظهار سخطهم على الأمويين. وهداهم تفكيرهم إلى أنه إذا ما انتقلت السيادة إلى هؤلاء بمساعدتهم فستصبح السلطة في أيديهم؛ فيحققون نواياهم الأصيلة.

ومن الناحية المقابلة أظهر العباسيون تفضيلاً لخراسان، فاستجاب لهم أناس كثيرون، واعتزّ الموالي الفرس بحضارتهم الفارسية اعتزازهم بإشراكهم في الحياة العامة واليومية. وتوصلت إلى أن أهل خراسان كان هو الحزب السياسي العسكري الوحيد الذي حمل بني العباس فترة تقارب قرناً كاملاً، بعد أن أصبح "الخراسانية" هم مركز الثقل السياسي للدولة العباسية، واليد الحديدية للخلفاء في البطش بالثورات، والقيام بالحروب في كل مكان. وظهرت قوتهم بوضوح في الأزمة الطاحنة بين الأمين والمأمون الذي أيّده الفرس وشكّلوا كتلة معادية لجماعة الأمين، حتى أن الفضل بن سهل كان يشجع المأمون وهو في خراسان على الثبات، ويُبيِّن له قوة مركزه قائلاً: "وكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم ...... إصبر وأنا أضمن لك الخلافة".

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الكتّاب، وهم طائفة من الموظفين كانوا مكلفين بالأعمال الكتابية، بعدما تعددت الدواوين لمساعدة الوزير في أعماله الواسعة والإشراف على الدواوين؛ فكان لكل وزير كاتب أو كتّاب يساعدونه، وأن يكون

لكل والٍ من وة الأقاليم وكبار رجال الدولة كاتب أو أكثر، وأن الوزير كان يرأس جماعة الكتاب، وأثبتُّ أنه في كثير من الأحيان تولىّ بعض الكتّاب الوزارة معتمدين على كفاءاتهم الكتابية وبلاغة أقلامهم.

وتوصلتُ إلى أن الكتّاب في عصر المأمون كانوا من حيث الأصل إيرانيين. ومن حيث الثقافة مشبعين بالثقافة الفارسية. ثم تطرقتُ للدواوين وتكامل العمل الديواني في عملية بيروقراطية، وظهور أسلوب خاص في المراسلات الإدارية ووجود سجلات ونظام أرشيف لحفظ الوثائق الرسمية. وأخيراً أحصيتُ الدواوين في عصر المأمون، وذكرت الوزراء وبعض الكتّاب ونبذ عن حياتهم.

ثم انتقلت إلى مجلس المأمون، وأثبتُّ أنه كان يتميز بالأبهة والجلال وجلوس القوم في صفين عن يمينه ويساره على حسب أنسابهم ومراتبهم. وأنه كان للمأمون مجلسان: أحدهما "مجلس العامة" والآخر "مجلس الخاصة" وتحدثتُ عن الذين كان يتكوّن منهم مجلس المأمون. وذكرت أيضاً أنه نظراً لأن المأمون كانت تغلب عليه صفة العلم والأدب؛ فكان أغلب من كان يجلسُ معهم من العلماء والحكماء والشعراء. وكان المأمون يدلى برأيه في بعض المسائل العلمية. أما عن مجالس مناظراته؛ فذكرت مجلس مناظرة نقلاً عن المسعودى استخرجته من كتاب "مروج الذهب" جـ٤، وآخر نقلته عن كتاب الشيخ محمد الخضرى، وأن المأمون بكى فيه، وختمته بمجالس الغناء، ومَنْ كان يغنّي في حضرة المأمون.

وأنهيت الباب الثانى بموضوع تقريبه لأهل العلم وتعامله مع الفرس وذكرت أن المأمون وهو في مرو تعلّق بالعلم؛ ففوض الوزارة للفضل بن سهل واشتغل هو بالمسائل العلمية والفلسفية، وأنه صرف وقته في المجادلات

والمناظرات الكلامية بين جمهور العلماء الذين هرعوا إليه واحتلوا مكاناً بارزاً في بلاطه وهو في مرو.

ثم إن المأمون فتح صدره وبابه للعلماء والمتكلمين على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم الدينية، حتى كان مجلسه حافلاً بنخبة ممتازة من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة.

وختمته بأن المأمون تعامل مع الفرس وقرّبهم إليه، وأثبتُ أنه كان لاشتراكهم في الحكم أن تقدموا في جميع النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

أما الباث الثالث فكان عن الولاة وطريقة تعيينهم وفي ممارستهم للأعمال الإدارية، وتطرقت إلى ولاة العراق، والشام، وولاة خراسان وما وراء النهر، وولاة أرمينية وآذربيجان والقوقاز، وولاة الجزيرة والموصل، فولاية الحجاز والتي تشتمل على مدن مكة والمدينة والطائف واليمن، ثم ولاة مصر فشمال إفريقية وآخرهم وولاة السند.

وتحدثت عن الواجبات المكلفين بها، وأنه إذا كان الإقليم ثغرٌ متاخماً للعدو فيعتبر العمل به جهاد في سبيل الله، وكيفية تقسيم الغنائم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس.

ثم انتقلت بعد ذلك عن علاقة المأمون بالأمويين في الأندلس وذكرت أنه لم تكن هناك علاقة من أي نوع، بل كان كل طرف ينظر إلى الآخر نظرة حقد وتذمّر، وأن الأمويين لم يستطيعوا أن يثأروا لأنفسهم بسبب بعد المسافة. وأثبتُّ أن المأمون عاصر اثنين من الحكام الأمويين هما الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ) وعبد الرحمن الثاني بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ).

وفي الباب الرابع تحدثتُ عن الثورات والحركات المناهضة للحكم العباسي في عصر المأمون. وبدأته بأن القتال الذي نشب بين الأمين والمأمون

أدى إلى أن جميع فئات السكان فى كل منطقة تقريباً كانت متورطة فيـــها، ودام الصراع طويلاً وامتد إلى جميع أنحاء الإمبراطورية العباسية.

ثم أشرتُ إلى أن غياب المأمون عن بغداد كان له أثر كبير فى إحـــداث الفتن والحروب التى قامت فى أكثر من مكان، وانتقلت عدواهـــا إلـــى الأقـــاليم الإسلامية، أو انتهاز العلويين الفرصة لتحقيق مآربهم.

وتحدثت عن الثورات وغلَبة المأمون عليها والممثلة في:

١- ثورة رافع بن الليث فى خراسان وما وراء النهر.

٢- ثورة نصر بن شبث العقيلى فى شمالي الشام والجزيرة.

٣- ثورة العرب والقبط فى مصر.

٤- ثورة الزط فى جنوب العراق.

٥- ثورة بابك الخرمي فى آذربيجان والقوقاز.

وانتقلت بعد ذلك إلى الباب الخامس والأخير، وعنوانه "واردات الدولـــة ونفقاتها". ووضّحت أن سياسة الدولة المالية فى عهد المأمون كان الهدف منـــها تحقيق التوازن بين إيرادات الدولة ونفقاتها. وتحدثتُ عن أهم موارد بيت المـــال المتمثل في الخراج والجزية والزكاة والفيء والغنيمة والعشور. وأفضتُ الحديـث عن الخراج الذى كان يمثل جزءاً كبير من الـــواردات. وأشـــرت إلـــى نفقـــات المأمون والبذخ فى ذلك. والهدايا التى كان يقبلها المأمون فى المناسبات العامـــة أو غيرها من رجال دولته أو من خارجها. ثم العطاء والمنح التى كـــان يقدّمـــها المأمون فى شتى المناسبات، وأنها كانت تشكل جزءاً كبيراً من نفقـــات الدولـــة، وتوصلتُ إلى أن المأمون كان سخياً فى العطاء، كما كان متسامحاً فى من يســـئ إليه.

وأعقبت ذلك بثبت بالمصادر والمراجـــع العربيـــة القديمـــة والحديثـــة والمراجع الإفرنجية.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب الدينية:

١-القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية:

٢-ابن الأثير، علي بن أحمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)؛
الكامل في التاريخ، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
وأيضاً الطبعة الثالثة، نشر الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

٣-الأزدى، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ)؛
تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧م.

٤-الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ)؛
الأغاني، المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٢٥م.

٥-مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر؛
نشر إحياء دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.
وأيضاً، طبعة طهران، ١٣٧١هـ=١٩٥١م.

٦-ابن إياس الحنفي أبو البركات، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)؛
بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول-القسم الأول، تحقيق محمد مصطفي، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة (مجموعة الذخائر رقم ٣٦)، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧-أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢هـ/١٣٣١-١٣٣٢م؛

المختصر في أخبار البشر، جـ٢، القسطنطينية، ١٢٨٦هـ=١٨٦٩م.

٨-البغدادي، أبو منصور عبد القادر بن طاهر الأشعري (ت٤٢٩هـ)؛

الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩٢٤م.

٩- البلاذرى، أحمد بن يحيي بن جابر (ت ٢٧٩هـ)؛

فتوح البلدان، تحقيق دي خويه، ليدن، ١٨٦٦م.

وأيضاً؛ تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٠-البلخي، أحمد بن سهل، (ت ٣٢٢هـ/٩٣٣-٩٣٤م) (وينسب الكتاب إلى مطهر بن طاهر المقدسي)؛

كتاب البدء والتاريخ، ستة أجزاء، تحقيق هيوارت Huart، باريس، ١٨٩٩-١٩٩٠م.

١١-أبو المحاسن ابن تغري بردي الأتابكي؛ جمال الدين بن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩-١٤٧٠م)؛

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٣٠م.

١٢-التهانوي، مولوي محمد أعلي بن علي؛

كشاف اصطلاحات الفنون، طبعة أوفست من طبعة كلكته، ١٨٦٢م في طهران، إيران سنة ١٩٦٧م.

١٣-الثعالبي النيسابوري، (أبو منصور عبد الملك)؛ ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م؛

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، طبعة الظاهر، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

١٤-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ/٨٦٩م؛
البيان والتبيين، المجلد الثالث، تحقيق عبد السلام هارون، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ=١٩٦١م.

١٥-ـــــــ؛ كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

١٦-ـــــــ؛ كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ٥، الطبعة الثانية طبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

١٧-ـــــــ؛ كتاب القيان؛ من رسائل الجاحظ، جـ٢، تحقيق عبد السلام هارون نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

١٨-ـــــــ؛ رسائل الجاحظ؛ رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة، نشر دار النهضة، بيروت، ١٩٧٢م.

١٩-ـــــــ؛ رسائل الجاحظ، كتاب "ذم أخلاق الكتّاب"، جـ٢، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

٢٠-الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م)؛
الوزراء والكتاب، القاهرة، ١٩٣٨م.

٢١-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ)؛
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ٥، طبعة حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥٧-١٣٥٩هـ.

٢٢-حمزة بن الحسن الأصفهاني ت٣٠٦هـ؛
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، برلين، ١٣٤٠هـ.

٢٣-الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علـــي ت٤٦٣هـــ/١٠٧٠-١٠٧١م؛
تـــاريخ بغـــداد أو مدينـــة الســـــلام، جـــــ٢، القـــاهرة، ١٢٤٩هـــ=١٩٣١م.
٢٤-ابن خلدون، عبد الرحمن بـــن محمـــد (ت٨٠٨هـــــ=١٤٠٥م-١٤٠٦م)؛
المقدمة، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القـــاهرة، بـــدون تاريخ.
٢٥-ابن خلكان، شمس الدين أبـــو العبـــاس أحمـــد بـــن إبراهيـــم الشـــافعي (ت٦٨١هـــ=١٢٨١م)؛
وفيات الأعيان، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣١٠هـــ.
ونسخة أخرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٦م.
٢٦-الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـــ=٨٩٥م)؛
الأخبار الطوال، جـــ٢، تحقيق جرجاس، طبعة ليـــدن، ١٨٨٨م.
وأيضاً تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠.
٢٧-الذهبي، شمس الدين محمد بـــن أحمـــد (ت٧٤٨هـــــ/١٣٤٧-١٣٤٨م)؛
مختصر دول الإسلام، جــــــ١، حيـــدر آبـــاد الدكـــن، الـــهند، ١٣٣٨هـــ=١٩١٨م.
٢٨-ابن الساعي الخازن البغدادي، تاج الدين أبو طالب أنجب؛
كتاب "نساء الخلفاء" المسمى "جهات الأئمة الخلفاء من الحرائـــر والإماء"، تحقيق دكتور مصطفى جـــواد، نشـــر دار المعـــارف بمصر، مجموعة ذخائر العرب رقم "٢٨"، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢٩-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين (ت٩١١هـــــ=١٥٠٥م)؛
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بـــأمر الأمـــة، القـــاهرة، ١٣٥١هـــ.

٣٠-الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ)؛

الديارات، بغداد، ١٩٥١م.

٣١-الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)؛

الملل والنحل، جـ١، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، نشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ=١٩٦٨م.

٣٢-الصلاح الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الدمشقي، (ت٧٤٨هـ)؛

الوافي بالوفيات، جـ٣، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٩٧٠م.

٣٣-طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زاده (ت٩٦٨هـ/١٥٦١م)؛

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، جـ٢، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.

٣٤-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)؛

تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣٥-ـــــــــ؛اختلاف الفقهاء؛ تحقيق شاخت، ليدن، ١٩٣٣م.

٣٦-ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي؛

الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، طبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٧-طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر؛ (٢٨٠هـ/١٩٣-٨٩٤م)؛

تاريخ بغداد، جـ٦، طبعة هـ. كيلر H. keller، ليبزج، ١٩٠٨م. وأيضا: طبعة القاهرة، ١٩٤٩م.

٣٨-ابن ظافر، أبو الحسن علي بن منصور الخزرجـي الأزدى (٦١٣هـ)؛
أخبار الدول المنقطعة، مخطـوط بـالمتحف البريطـاني رقـم ٣٦٨٥.
٣٩-ابن العبري (أبو الفرج بن هارون الملطي ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)؛
تاريخ مختصر الدول، بيروت، ١٨٩٠م، وأيضاً، طبعة القاهرة، الطبعـة الأولـى، نشـر دار الآفـاق العربيـة، القـاهرة، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
٤٠-ابن العديم، كمال الدين عمر بـن أبـي جـرادة (ت٦٦٠هـ/١٢٦١-١٢٦٢م)؛
زبدة الحلب من تاريخ حلب، جـ١، تحقيق سامي الدهان، نشـر المعهد الفرنسي بدمشق، دمشق، ١٩٥٤-١٩٥٦م.
٤١- ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد)؛ ت أواخـر القـرن ٧هـ/ أواخر القرن ١٣م؛
البيان المغرب في أخبار المغرب، جـ١، بيروت، ١٩٥٠م.
٤٢-ابن عساكر الدمشقي، أبو القاسـم علـي بـن الحسـن بـن هبـة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)؛
تهذيب تاريخ دمشق، جـ٤، تحقيق بدران، دمشق، ١٣٣٣هـ.
٤٣-العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، لمؤلف مجهول؛
نشر دي خوية، ليدن، ١٨٧١م (طبعة مصورة في بيروت).
٤٤-ابن الفقيه، ت أواخر القرن ٣هـ/ أوائل العاشر الميلادي؛
مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي خويـه (المكتبـة الجغرافيـة العربية-المجلد الخامس)، ليدن، ١٨٨٥م.

٤٥-قدامة بن جعفر، ت ٣١٠هـ أو ٣٢٠هـ أو ٣٣٧هـ/ ٩٢٢ أو ٩٣٢م أو ٩٤٩م؛
كتاب الخراج، تحقيق دي خويه، ليدن، ١٣٠٦هـ=١٨٨٩م.
٤٦-القفطي، جمال الدين أبو المحاسن علي بن يوسف بن إبراهيم (ت٦٤٦هـ)؛
إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، ١٣٢٦هـ.
٤٧-ـــــــ؛ أنباه الرواة علي أبناء النحاة، جـ٣، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٥م.
٤٨-الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ)؛
فوات الوفيات، جـ٢، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.
ونشرة دار صادر، تحقيق دكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٤م.
٤٩-الكندي المصري، أبو عمر محمد بن يوسف؛
كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصليح رُفن جست (Rhuvon Gust)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
٥٠-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ/١٠٨٥م)؛
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ١٩٧٨م.
٥١-المبرد، محمد بن زيد بن عبد الأكبر (ت٢٨٥هـ)؛
الكامل، المجلد الثاني، القاهرة، ١٩٥٦م.

٥٢-المسعودي، أبو الحسن بن علي الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)؛
التنبيه والإشراف، القاهرة، ١٩٣٨م.
٥٣-ـــــــ؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة مجلدات، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
٥٤-المقدسي، مطهر بن طاهر، من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ أو النصف الأخير من القرن العاشر الميلادي؛
البدء والتاريخ، الجزء الرابع، تحقيق كليمنت هيوار Cl. Huart باريس، ١٨٩٩م.
٥٥-المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٣٨٨هـ)؛
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي خويه، ليدن، ١٩٠٦م.
٥٦-المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)؛
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٤٩م.
٥٧-المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)؛
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخطط المقريزي، جـ١، ٢، طبعة القاهرة، ١٣٢٦هـ.
٥٨-ابن النديم، محمد بن اسحق؛ ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م؛
الفهرست، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

٥٩-نظام الملك الطوسي؛
سياست نامه (كتاب السياسة)، الترجمة العربية من الفارسية للدكتور السيد محمد العزاوي، نشر دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.
٦٠-ياقوت الحموي، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م؛
معجم الأدباء، المجلد الرابع، الطبعة الاولى، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩١م.
٦١-______؛ معجم البلدان، ٧ مجلدات، الطبعة الثانية، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
٦٢-اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت٢٨٢هـ)؛
تاريخ اليعقوبي جـ٢، نشر دار صادر بيروت، ١٩٦٠م.
وأيضاً جـ٣، طبعة النجف، العراق، ١٩٣٩م.
٦٣-______؛ مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، نشر عالم الكتب، القاهرة.

<u>ثالثاً: المراجع العربية:</u>

٦٤-إبراهيم أحمد العدوى، دكتور؛
الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
٦٥-إبراهيم أيوب، دكتور؛
التاريخ العباسي: السياسي والحضاري، الطبعة الأولى، نشر الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩م.

٦٦-أبو زيد شلبي؛

تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.

٦٧-أحمد أمين؛

ضحى الإسلام، جـ١، القاهرة، ١٩٣٤م. وجـ٣، الطبعة الخامسة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

٦٨-أحمد السعيد سليمان، دكتور؛

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، جزءان، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦٩-أحمد فريد الرفاعي؛

عصر المأمون، مجلدان، الطبعة الثانية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب (الألف كتاب الثاني، رقم ٢٩٢)، القاهرة، ١٩٩٧م.

٧٠-بارتولد، فاسيلي فلاديميرفتش؛

تركستان: من الفتح العربي إلي الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

٧١-ـــــــ؛الحضارة الإسلامية، نقله إلي العربية حمزة طاهر، القاهرة، ١٩٤٢م.

٧٢-بندلي جوزي؛

من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، القدس، ١٩٢٨م.

٧٣-جرجي زيدان؛

تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، ١٩١١، ١٩١٣.

٧٤-جولدتسيهر، إجنتس؛
المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة الدكتور علي حسن عبد القادر، القاهرة، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م.
٧٥-جي لسترنج؛
بلدان الخلافة الإسلامية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
٧٦-حسن إبراهيم حسن، دكتور؛
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ٢، العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
٧٧-حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن؛
النظم الإسلامية، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
٧٨-حسن خليفة؛
الدولة العباسية: قيامها وسقوطها، الطبعة الأولى، نشر المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣١م.
٧٩-حسيني، س.أ.ق. (الهندي)؛
الإدارة العربية، ترجمة الدكتور إبراهيم أحمد العدوى، مراجعة عبد العزيز عبد الحق، مجموعة الألف كتاب، القاهرة، ١٩٥٨م.
٨٠-رمزية محمد الأطرقجي؛
الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلي قسم التاريخ بكلية البنات، جامعة عين شمس.

٨١-زامباور (Edward von Zambaur)؛

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب، بجامعة فؤاد الأول وحسن أحمد محمود، ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الأول. واشترك في ترجمة بعض فصوله الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي من خريجي كلية الآداب. بجامعة فؤاد الأول، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

٨٢-الزركلي، خير الدين؛

الأعلام: قاموس تراجم، ثمانية مجلدات، الطبعة العاشرة، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.

٨٣-زكي محمد حسن، دكتور؛

مصر والحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٢م.

٨٤-سعيد الديوجي؛

بيت الحكمة، الطبعة الأولى، الموصل، ١٩٥٤م.

٨٥-سعيد عبد الفتاح عاشور، دكتور؛

الحركة الصليبية، جـ١، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

٨٦-سيدة إسماعيل كاشف، دكتورة؛

مصر في فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧م. وأيضاً طبعة الهيئة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م.

٨٧-ـــــــ؛ مصر في عهد الإخشيديين، القاهرة، ١٩٥٠م.

٨٨-ـــــــ؛ أحمد بن طولون، القاهرة، ١٩٦٥م.

٨٩-سيد أمير علي؛
مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
٩٠-شاكر مصطفي، دكتور؛
دولة بني العباس، جزءان، نشر وكالة المطبوعات بالكويت، الكويت، ١٩٧٣م.
٩١-شوقي ضيف، دكتور؛
العصر العباسي الأول، نشر دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م.
٩٢-عبد الرحمن الرافعي وسعيد عبد الفتاح عاشور؛
مصر في العصور الوسطي: من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، الطبعة الأولى، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.
٩٣-عبد العزيز الدوري، دكتور؛
العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، الطبعة الثالثة، نشر دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧م.
٩٤-عبد القادر أحمد اليوسف، دكتور؛
الإمبراطورية البيزنطية، نشر المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
٩٥-عبد الله خورشيد البري؛
القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، نشر الهيئة المصرية العاملة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٩٦-عبد الله بن العباس الجراري؛
تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
٩٧-عبد المنعم ماجد، دكتور؛
تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، الطبعة الخامسة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.
٩٨-ـــــــ؛ العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين: التاريخ السياسي، جـ١، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
٩٩-فتحية عبد الفتاح النبراوى، دكتورة؛
تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الطبعة الثامنة، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
١٠٠-قطب إبراهيم محمد؛
النظم المالية في الإسلام، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
١٠١-كراتشكوفسكي، اغناطيوس؛
تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الجزء الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
١٠٢-كلود كاهان؛
تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، المجلد الأول، ترجمة بدر الدين قاسم، بيروت، ١٩٧٢م.

١٠٣-محمد الخضري؛

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة العباسية، تحقيق وتعليق إبراهيم أمين محمد، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠٤-محمد ضياء الدين الريس، دكتور؛

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الطبعة الثالثة، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٠٥-محمد كرد علي؛

الإسلام والحضارة العربية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٠٦-ـــــ؛ أمراء البيان، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٧م.

١٠٧-محمد عبد الحي محمد شعبان؛

الدولة العباسية: الفاطميون، نشر الأهلية للنشر والتوزيع بلبنان، بيروت، ١٩٨١م.

١٠٨-محمود إسماعيل، دكتور؛

الأغالبة: ١٨٤-٢٩٦هـ: سياستهم الخارجية، الطبعة الثالثة، نشر "عين" للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٠٩-الموسوي، عباس بن علي؛

نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، جـ٢، القاهرة، ١٢٩٣هـ.

١١٠-ميخائيل عواد؛

نصوص ضائعة من كتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م=١٣٨٤هـ.

١١١-ناجي معروف؛
أصالة الحضارة العربية، الطبعة الرابعة، نشر دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.
١١٢-نورمان بينز؛
الإمبراطورية البيزنطية، تعريب دكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة، ١٩٥٠م.
١١٣-نبيلة حسن محمد، دكتورة؛
في تاريخ الدولة العباسية، نشر دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
١١٤-وليم الخازن؛
الحضارة العباسية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٤م.
١١٥-يوسف العش، دكتور؛
تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه دكتور محمد أبو الفرج العش، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
١١٦-يوليوس فلهاوزن (Wellhausen)؛
تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٨م.
١١٧-يوهان فك؛
العربية: دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة وتعليق دكتور رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

رابعاً: المعاجم والمقالات والرسائل:

١١٨- المعجم الفارسي الكبير؛ ٣ مجلدات، تدوين دكتور إبراهيم الدسوقي شتا، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة؛ ١٤١٢هـ.ق، ١٣٧٠هـ.ش، ١٩٩٢م.

١١٩- المعجم الوسيط؛ نشر مجمع اللغة العربية، جزءان، طبع بمطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م.

١٢٠- المعجم الفلسفي؛ نشر مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

١٢١- أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد، معجم عربي، تدوين سعيد الخورى الشرتوني، مطبعة المرسلين اليسوعية ببيروت، لبنان، ١٨٨٩م=١٣٠٧هـ.

١٢٢- ثورات البربر في أفريقية والأندلس؛ مقال للدكتور حسين مؤنس منشور بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول

١٢٣- دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، المجلدان ٥، ٦، نشر دار الشعب بالقاهرة، مادتا: "بابك" و "خرمية".

١٢٤- دائرة المعارف الإيرانية- "لغت نامه" حرف "ب" (بابك).

خامساً: المراجع الإفرنجية:

125- Bury, Y.B., History of Eastern Roman Empire, London, 1912.

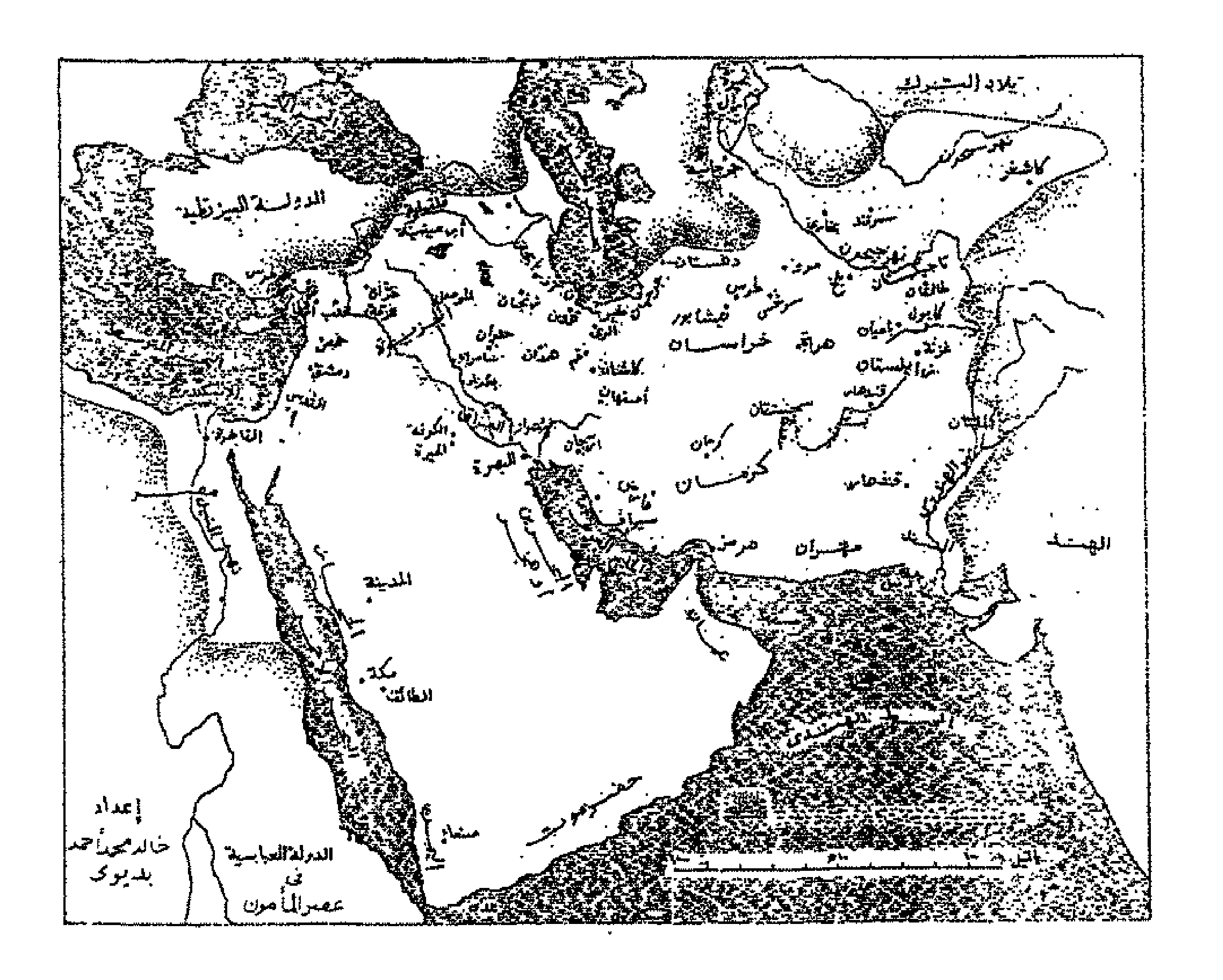
126- Muir, Sir William Temple; The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, Edinburgh, 1924.

127- Nicolson, A. Reynold; Literary History of the Arabs, Cambridge, 1930.

128- Palmer, Edward Henry; Haroun Al-Rached, London, 1880.

129- Sykes, P.M.; A History of Persia, 3 ed., London, 1930.

130- The Encyclopaedia of Islam, Vol. 1, London, 1974



بلاد الترك
الدولة البيزنطية
كاشغر
سمرقند
بخارى
مرو
بلخ
سرخس
نيشابور
هراة
خراسان
كابل
غزنة
زابلستان
سجستان
كرمان
الري
قزوين
همذان
قم
أصفهان
الموصل
حلوان
سامراء
بغداد
الكوفة
الحيرة
البصرة
الأهواز
شيراز
مكران
قنداهار
الهند
حمص
دمشق
القدس
القاهرة
نهر النيل
المدينة
مكة
الطائف
حضرموت
صنعاء
إعداد
خالد محمد أحمد
بديوي
الدولة العباسية
في
عصر المأمون

ملخص رسالة

الحياة السياسية و الإدارية و الاجتماعية و الثقافية في عصر الخليفة المـــأمون (١٧٠-٢١٨هـــ - ٧٨٦-٨٣٣م)

مقدمة من الطالب : خالد محمد أحمد بدوى

لنيل درجة الماجستير في الأداب – قسم التاريخ – تاريخ إسلامى – كليـــة البنـــات جامعة عين شمس .

تحت إشراف : الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف

أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي و الوسيط بكلية البنات جامعة عين شمس

يعتبر عصر عبد الله المأمون من أزهى عصور التاريخ الإسلامى عامـــة ، و العصر العباسي خاصة ؛ ذلك أنه كان يحكم دولة كبيرة شاسعة تمتد من المغـــرب حتى تخوم الصين ، وتضم شعوباً عديدة و أجناس بشرية مختلفة وديانات ســـماوية وغير سماوية عديدة ذات كثرة عددية ؛ وتشمل الإســـلام ، وهـــو ديـــن الدولـــة ، و المسيحية و اليهودية و الزرادشتية و المانوية و المزدكية و الصابئة و البوذيـــة . وتلـــك الشعوب و هذه الديانات جعل منها المأمون وحدة متناغمة تتفانى في خدمة الدولـــة ؛ وواجه المأمون مشاكل عديدة كانت متراكمة قبل توليه السلطة ، ومتحفّزة للثـورة ؛ فانتهزت الخلاف الذى نشب بين الأخوين : الأمين والمأمون ؛ فـــاندفع الثـــائرون و الطامعون في الحكم للنيل من الدولة العباسية . كذلك ثار العلويون يطالبون بالحكم وأشعلوا الثورات في مناطق عديدة من الدولة . ومع كل ذلك واجه المـــأمون تلـــك المشاكل وعمل على وأدها ، وشارك بنفسه في حل بعضها ، وتمكّن بذكائه وكياسته من المحافظة على الأمة الإسلامية وتجنبها التمزّق و التفتّت .

وكانت حياة المأمون كخليفة تنقسم إلى مرحلتين مختلفتين ؛ الأولى منها كانت فترة إقامته في مرو بخراسان بعد وفاة والده هارون الرشيد امتدت حتى قدومه بغداد سنة ٢٠٤هـ – ٨١٩م ، وفيها كان وزيره الفضل بن سهل مطلق اليد في إدارة شئون الدولة وتصريف أمورها ، وعصب عينيْ الخليفة عما كان يجري في أنحاء الدولة ، وساعده على ذلك انشغال المأمون نفسه بمجالسة العلماء والفقهاء ، والانهماك في المسائل العلمية والفلسفية وغيرها . وفي غمرة الانشغال بالفلسفات توصل المأمون إلى أن الإمام علياً الرضا بن موسى الكاظم أفضل شخصية في البيتين العباسي والعلوي يمكنه شغل منصب ولاية العهد . وتم ذلك ؛ فثار بنو هاشم عليه ، وكان على رأسهم عمّه إبراهيم بن المهدي ، وبتأييد من البيت الهاشمي صيّروه أميراً سنة ٢٠١هـ = ٨١٦م . ونتج عن ذلك أن بايع البغداديون إبراهيم على الفور وخلعوا المأمون في أول المحرّم سنة ٢٠٢هـ ٨١٧م .

وعندما علم المأمون ، وهو في مرو ، بما كان يجري في الدولة ، وأن وزيره الفضل بن سهل كان يكتم عنه خبر عزله وتنصيب إبراهيم بن المهدي خليفة ، حتى قرر السير إلى بغداد والاستقرار فيها بدلاً من مرو عاصمة خراسان المنعزلة .

وفي فترة رحلته التي استغرقت سنتين ، قُتل فيها الوزير الفضل بن سهل في شعبان ٢٠٢هـ – ٨١٧م ، ومات فيها أيضاً ولي العهد علي الرضا في شهر صفر ٢٠٣هـ = ٨١٨م ، وواصل مسيرته إلى بغداد ، ودخلها في شهر صفر سنة ٢٠٤هـ = ٨١٩م ، في رحلة استغرقت عامين .

وجعلت الدراسة تشمل الفترة من ١٧٠ – ٢١٨هـ = ٧٨٦ – ٨٣٣م ، أي من مولده حتى وفاته ؛ فجاءت في خمسة أبواب وخاتمة .

وعنوان الباب الأول : " أحوال البلاد الإسلامية عند تولي المأمون الحكم " وهو في ثلاثة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : " الاستقرار النسبي للأحوال الداخلية وأثره في الحياة العامة للسكان " ؛ تحدثت فيه عن مواجهة المأمون صعوبات عديدة تتمثل في نزاعه مع أخيه محمد الأمين ، وما نجم عن ذلك من فراغ سياسي وإداري كاد يودي بالدولة ؛ فقامت ثورات وانتفاضات سياسية واضحة مما أثّر على استقرار أحوال البلاد ، وانطباعها في الحياة العامة للسكان ؛ حيث أدّى غياب السلطة المركزية إلى تمزق الدولة ، وتمكّن كل من كان في يده قوة أو سلطة أن انتهزها لصالحه ، بل وصل الأمر أحياناً كان يوجد في كل قبيلة أو جماعة سكانية متغلباً لنفسه ، أو لبعض المتنفذين ، أو بعض آل البيت .

الفصل الثاني : " ولاة الأقاليم والخطوط العامة لسياستهم " ويوضح هذا الفصل أن المأمون سار على نهج أسلافه من العباسيين الذين لم يحدثوا تغييراً في التقسيم الإداري وجهاز الإدارة ، إلاّ القليل عما كان عليه في العهد الأموي ؛ حيث أن حدود الأقاليم الجغرافية كانت تتطابق لحد كبير في عهد المأمون مع حدود الأقاليم الإدارية . وطبقاً لما أورده اليعقوبي في تاريخه أن الولايات كانت تشمل : مصر والعراق والبصرة وخراسان والجزيرة والشام والثغور والمغرب والسند وأرمينية وأذربيجان وكور الجبال وطبرستان والرقة والحرمين واليمن . وتميّز عصر المأمون بكثرة عزل الولاة ليضمن عدم الاستبداد بالسلطان أو الاستقلال مستفيدين من الإقليمية الجديدة التي وضعها المأمون المتمثلة في إطلاق السلطات مع قصر مدة التولية . ومع ذلك فإن بعض الولاة اكتسبوا سعة في النفوذ وانطلاقاً في اليد ؛ فكوّنوا إمارات شبه مستقلة كما فعل الأغالبة في تونس والطاهريون في خراسان والزياديون في اليمن .

أما الفصل الثالث من الباب الأول وعنوانه : " مناطق الحدود وصلتها بالدول المجاورة " ؛ فكانت للمأمون علاقات مع بلدان المشرق والهند والصين والتركستان والخزر ، وأيضاً كانت له علاقة مع الجبهة الشمالية ؛ وهي أرمينية والدولة البيزنطية التي كان صراعها مستمراً ومستميتاً حتى أن المأمون غزاها ثلاث مرات . ثم علاقته بأفريقية التي تشمل المنطقة ما بين طرابلس إلى مراكش

(أي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب حاليا) ، وعلاقته بدولة الأغالبة ، فعلاقته بالأندلس فالنوبة .

وعنوان الباب الثاني : " شخصية المأمون " ويشمل أربع فصول ؛ الفصل الأول من الباب الثاني وعنوانه : " المأمون قبل توليه الخلافة " ، ويشتمل على : مولده ونشأته ، ثم وصية هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة : الأمين فالمأمون فالقاسم ، ثم ولاية المأمون العهد وانتقاله إلى مرو ، فالنزاع بينه وبين أخيه الأمين . وفي هذا الفصل تعرّضت الدراسة لتربية المأمون وصفاته وأخلاقه وميله إلى الخراسانيين ، وصلته بالفضل بن سهل وحلّلت الدراسة وصية هارون الرشيد ولاية العهد ، والتي نصت على أن يتولى المأمون ولاية العهد بعد أخيه الأمين في سنة ١٨٣هـ = ٧٩٩م ، وكان سنّه آنذاك ثلاث عشرة سنة ، مع توليته خراسان وما يتصل بها إلى همذان .

والفصل الثاني وعنوانه : "بعد توليه الخلافة " ، ويشتمل على ست موضوعات؛ أولها : " الخطوط العامة لسياسته واهتمامه بالنواحي الاقتصادية والمالية والثقافية " ؛ وأوضحت فيه أن حكم المأمون الفعلي بدأ بعد وفاة والده هارون الرشيد في سنة ١٨٣هـ = ٨٠٨م ، بعد أن وجّهه قبل وفاته بثلاثة وعشرين ليلة إلى مرو ، ومعه جماعة من القادة والقضاة واتخاذه الفضل بن سهل وزيراً ومنحه حكم كافة البلاد التي كانت تحت تصرفه . وتعرض المأمون في هذه الفترة لبعض الأزمات الداخلية ، وقيام الثورات ضده وهو في مرو ؛ كان أبرزها العداء بين السنّة والشيعة وبين العرب والعجم ، وتحدثت عن خطأ ارتكبه المأمون باغتيال هرثمة بن أعين القائد العباسي الشهير ، الذي لولاه ما انتصر على أخيه الأمين نتيجة تحريض الفضل بن سهل . واستمر هذا الوضع المستتر على الخليفة حتّى قرر العودة إلى بغداد ؛ فوصلها في سنة ٢٠٤هـ = ٨١٨م ، وكان لا يزال يرتدى زى العلويين الأخضر ، تاركاً لباس السواد الذى هو زي آبائه ، حتى رأى المأمون طاعة الناس له في لبس الخضرة مع كراهيتهم لهذا الزى ؛ فجمع الناس ، ثم دعا قادته بارتداء السواد ؛ فكان لباسه الخضرة ببغداد نحواً من أسبوع .

وفي هذا الفصل (الثاني) توصلت إلى أن حكم المأمون قام على ركائز ثلاثة : الدين والجيش والكتاب ، وكانت سياسته تتسم بالحزم ، واهتم بالعلم والعلماء . ومن سياسته أيضاً مزج الدين بالدولة لاعتناقه مبادئ المعتزلة ، ومحاولته نشرها ؛ حتى وصل به الأمر أنه تصور أن كل أمل في التقدم والرقي إنما يتوقف على اعتناق مبادئ المعتزلة . وكان اهتمامه بالشئون الاقتصادية والمالية كبيراً ، وعمل على تنمية موارد الدولة والعناية بالزراعة والتجارة وغيرها من شئون الاقتصاد والمال . أما الشئون الثقافية فأثبتّ أن عصر المأمون كان ألمع عصور الحضارة العربية في العلوم والآداب، بل وجميع النواحي الفكرية والثقافية حتى ازدهرت في عهده العلوم الفلسفية والطبية . ثم إنه بفضل المأمون أصبحت اللغة العربية لغة حضارة في المنزلة الأولى بين لغات العالم . وازدهرت في عهده " بيت الحكمة " ؛ فأضاف المأمون على ما وضع نواته المنصور ، واهتمام هارون الرشيد ببيت الحكمة والترجمة ، حتى جاء عهد المأمون فجعلها تفي بحاجة العلماء والأدباء ، وعمل فيه جماعة من المترجمين نقلوا الكتب من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها من اللغات . وتحدثت عن المرصد المأموني الذي شيده في بغداد ، وألحق به جماعة من الفلكيين والرياضيين ، ثم ما لبث أن تحول إلى مدرسة فلكية كبيرة أفادت في الأبحاث الفلكية والرياضية والجغرافية التي سبق أن قدمها الهنود والفرس واليونان والسريان مع إضافات جديدة . أما عن سياسته الدينية فإنه نشر تعاليم المعتزلة ، واشتعل بسبب ذلك النزاع بين رجال الدين حول محنة القول بخلق القرآن ومحنة أحمد بن حنبل ورفاقه .

ثم تحدثت عن الوزارة في عهد المأمون ، ووضعها في المجتمع العباسي ، وتوصلت إلى أن الوزارة في عهده بدأت بوزارة تفويض ؛ عندما أسندها إلى الفضل ابن سهل ، وأن بقية الوزراء كانوا وزراء تنفيذ ، وأوردت وزراء المأمون الثمانية . كما استعرضت مجلس الشورى الذي أنشأه المأمون ؛ حيث كان يمثل فيه جميع الطوائف التي تعترف بسلطان الخليفة ؛ وكان لهم مطلق الحرية في إبداء ما يعن لهم من الآراء في حرية التعبير والمناقشة .

وأفردت قسماً عن " العصبية العرقية والموالي في عصر المأمون وموقفه منها " من بداية استعانة المأمون بالخراسانيين وانتصارهم في الحرب ضد أخيه الأمين الذي أيّده العرب ، وما نتج عن ذلك من ظهور مجموعة جديدة من رجال الإدارة والجيش كان لهم تأثير في الدولة قبل أن يحل محله العنصر التركي الوافد مع المعتصم .

وأفضت الحديث عن الكتّاب في عصر المأمون ومهنة الكتابة ، وأثبتت أن الدولة كانت في حاجة ماسة إلى مجموعة من الموظفين (الكتّاب) للقيام بالأعمال الكتابية بعد تعدد الدواوين لمساعدة الوزير في أعماله الواسعة والإشراف على الدواوين وإدارات الدولة والعمل فيها . وتوصلت إلى أن كتّاب عصر المأمون كانوا من حيث الأصل مستعربين ، ومن حيث الثقافة مُشبَعين بالثقافة الفارسية ، ومن حيث الدين غير عميقي الإيمان بالإسلام .

ثم تعرضت للدواوين في عهد المأمون ، وذكرت الدواوين الرئيسية وقسّمتها إلى مجموعات ثلاثة ؛ الأولى دواوين عملها شئون البلاط والخدمة ، والثانية دواوين مؤسسات لتأمين العدالة والأمن ، والثالثة مجموعة دواوين مساعدة للشئون المالية ، ثم ختمت بالحديث عن كتّاب المأمون التسعة .

وتحت عنوان " تقريبه لأهل العلم وتعامله مع الفرس " ، تحدثت عن تقريبه للأدباء والشعراء والمغنين وعلماء الكلام . أما تعامله مع الفرس ، وخاصة الخراسانيين منهم فكان ميله لهم واضحاً لا يحتاج لبرهان ؛ حيث تولوا المناصب الخطيرة المؤثرة في توجيه الدولة ، مثل منصب الوزير والكاتب والوالي وقيادة الجيش وكبار رجال الدولة .

أما الفصل الثالث من الباب الثاني وعنوانه : " **حياة المأمون الأسرية** " **فهو** يشتمل على قسمين : الأول زوجاته وسراريه ومحظياته وأولاده ، وأشرت إلى أنه تزوج نساء كثيرات ، اشتهر منهن اثنتان ، هما أم عيسى بنت موسى الهادي ، والثانية بوران بنت الحسن بن سهل ، وأخريات أم ولد كثيرات ، وجواري عديدة ،

اشتهرت منهن " بدعة الكبيرة " جارية عُريب الشاعرة والمغنية ، و " مؤنسة الرومية " التي كانت أثيرة عند المأمون مقرّبة إليه . أما الأولاد الذكور فكانوا ستة عشر والداً ، وبنات عديدات اشتهر منهن : أم حبيب زوجة علي الرضا ، وأم الفضل زوجة محمد بن علي بن جعفر . ثم تحدثت عن وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ - ٨٣٣م والطريقة التي قضى بها نحبه ، وهو في جبهة القتال محارباً البيزنطيين في البندون ، ثم انتهاء أمره بأن قام بحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس ودفناه بدار خاقان خادم الرشيد .

وفي الفصل الرابع من الباب الثاني وعنوانه " علاقة المأمون بأقربائه " ، تحدثت في أقسامه الثلاثة عن علاقة المأمون بولي عهده المعتصم ، وعلاقته بآل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسائر أبناء بني طالب ، وكيف كان يعامل الطالبيين مُعاملة تناسب اعتقادهم في فضل أبيهم ، وأن الخلافة اغتصبت منهم . إلاّ أن العلويين أشعلوا الفتن في عهده ، منتهزين التمزق الذي وقع في البيت العباسي . ثم ناقشت موضوع شعور المأمون نحو علي الرضا ، وتوصلتُ إلى أن شعوره نحو آل البيت كان دينياً يحمل في ثناياه مشروعاً سياسياً يرمي إلى اكتساب ولاء الخراسانيين .

وإذا انتقلنا إلى الباب الثالث وعنوانه " **إدارة الدولة في عهد المأمون** " قسّمتُه إلى ثلاثة فصول : الفصل الأول عنوانه :" **تعيينه الولاة وطريقتهم في ممارستهم للأعمال الإدارية** " ، وتطرّقت فيه إلى ولاة العراق والشام ، وولاة خراسان وما وراء النهر ، وولاة أرمينية وأذربيجان والقوقاز ، وولاة الجزيرة والموصل ، وولاية الحجاز ومصر وشمال أفريقية وآخرهم ولاة السند .

أما الفصل الثاني وعنوانه " **علاقة المأمون بالأمويين في الأندلس** " وذكرت أنه لم تكن هناك علاقة تذكر من أي نوع ، بل كان كل طرف ينظر إلى الآخر نظرة حقد وتذمّر ، وأن أمويي الأندلس لم يستطيعوا أن يثأروا لأنفسهم بسبب بعد المسافة .

والفصل الثالث من الباب الثالث وعنوانه : " **علاقة الولاة بعمال الدولة الآخرين** " ، وفيه تحدثت عن الوالي وتعامله مع الموظفين أمثال عامل الخراج وصاحب البريد وصاحب الشرطة والقضاء ، وتوصلت إلى أن الوالي كانت له علاقة بكافة عمال الدولة ، وأن الولاة لم يتولّوا أمر القضاء ، وفي القليل النادر كان يترك الخلفاء لهم أمر تعيين القضاة .

والباب الرابع وعنوانه : " **الثورات والحركات المناهضة للحكم العباسي في عهد المأمون** " ، وبدأته بأن القتال الدامي الذي نشب بين الأمين والمأمون أدّى إلى تورّط جميع فئات السكان في كل منطقة تقريباً ، وامتد حتى شمل جميع أنحاء الإمبراطورية العباسية . وأن غياب المأمون عن بغداد كان له أثر كبير في اشتعال الفتن والحروب التي قامت في أكثر من مكان ، وانتقلت عدواها إلى الأقاليم الإسلامية ، وأيضاً انتهاز العلويين الفرصة وقيامهم بعدة ثورات في العالم الإسلامي العربي لتحقيق مآربهم ، وتحدثت عن الثورات بالتفصيل وغلبة المأمون عليها والممثلة في :

١- ثورة رافع بن الليث في خراسان وما وراء النهر .

٢- ثورة نصر بن شبث العقيلي في شمالي الشام والجزيرة .

٣- ثورة العرب والقبط في مصر .

٤- ثورة الزط في جنوب العراق .

٥- ثورة بابك الخرّمي في أذربيجان والقوقاز .

ثم تحدثت بتفصيل وأنّب عن ثورات العلويين خاصة ثورة أبي السرايا .

والباب الخامس وعنوانه : " **واردات الدولة ونفقاتها** " ، ويقع في فصلين :

الأول وعنوانه : " **الواردات** " وفيه تحدثت عن واردات السواد وخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها . وأفضت الحديث عن الخراج الذي كان يمثل جزءاً كبيراً من الواردات . أما أهم موارد بيت المال فكان يتمثل في الخراج والجزية والزكاة والفيء والغنيمة والعشور . ثم تحدثت عن مصادر أخرى هي : الأعشار وهي

ضريبة الدخل – أخماس المعادن والمراعي والمكوس – والملاحات والأسماك – والضرائب التي تؤخذ من أصحاب الحوانيت لاستعمالهم المحلات العامة كالشوارع والميادين ، وضرائب الصناعة وغيرها ، وضرائب الكماليات والجمارك .

وفي الفصل الثاني من الباب الخامس وعنوانه " النفقات " . وتحدثت فيه عن الإنفاق وترشيده ، وحسن اختيار القائمين عليه ، وتخصيص موارد عامة لإنفاق معين بالذات كذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل من واقع آيات قرآنية كريمة كانت تطبق بحذافيرها .

أما الإنفاق على المصالح الحكومية ؛ فكان يشمل أرزاق القضاة والولاة والعمال وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين ، وأعطيات الجند والمنافع العامة ككري الأنهار الكبيرة وإصلاح الطرق وبناء المساكن والمدن والحصون والثغور والمساجد والمستشفيات ، والمدارس والملاجئ والمنشآت العامة كالقناطر والجسور وغيرها . والإنفاق على المسجونين وأسرى المشركين من مأكل ومشرب وملبس ودفن من يموت منهم .

ثم هناك نفقات البلاط المأموني ، وذكرت بالإحصائيات أنه كان يبتلع جزءاً كبيراً من النفقات والعطايا والمنح للأدباء والعلماء وغيرهم .

أما الإنفاق على الجيش فكان يشغل حيزاً كبيراً في نفقات الدولة ، والتي كانت تشمل تأمين الجنود وإشعارهم بالأمان لهم وذرياتهم ، وإعداد الجيوش ومدها بالأسلحة والآلات الحربية والخيول وسائر الدواب .

وانتهت الدراسة بخاتمة هي عرض تاريخي موجز للغاية لما كانت عليه الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر المأمون ، وهو ما ذكرناه في هذا الملخص بتفصيل أكثر ؛ وأتبعتها بقائمة المصادر والمراجع العربية والأفرنجية ، والتي شملت ٥٧ مصدراً و ٥٠ مرجعاً متخصصاً باللغة العربية ، ومن المعاجم والمقالات ٧ ، ومن المراجع الإنجليزية ٦ .

خالد محمد أحمد بديوي

choose the best elements for such job and the allocation of specific money for the kin, orphans, the needs and the wayfarers as indicated by the Koran in its verses as they were applied as a whole.

As for the spending on the governmental authorities, it included the wages of judges, governors, officers and the holder of the public treasury as well as other officers. It also includes gratuity given to the soldiers and public interests such as the lease of the big rivers repair of roads and construction of houses, towns, forts, ports, mosques, hospitals, schools, refuges, public establishments like barrages and bridges. Also spending on the prisoners and the prisoners of war from polytheists as regards food and drink, clothing and even burying their dead.

The expenditures of the royal palace were also taking a great deal of funding for the gifts and gratuities for literary men and scientists.. etc. As for the spending on the army, it took a significant part of the state expenditures. It included logistics of the soldiers, spreading the spirit of security among them as well as the excellent preparation of the armies through supplying them with weapons, war tools, horses and other riding animals.

The thesis has been concluded with a brief historical presentation for the political, administrative, social and cultural life during the reign of al-Mamun which we demonstrated here in more details and followed by a reference list for the Arabic and foreign reference books that comprised 57 references and 50 specialized references in Arabic, 7 dictionaries and articles as well as 6 English references.

Khalid Mohamed Ahmed Bedeawy

In the fourth part titled "Revolutions and unrests against Abbasids ruling in al-Mamun Reign". I began this chapter with the bloody and fierce struggle between Al Amin an al-Mamun which led to the involvement of all population categories in almost every region till covered the whole of the Abbasids empire. Being away from Baghdad, the absence of al-Mamun had a great effect in the eruption of wars and mutiny in more than one place. The corruption had spread to the Islamic provinces and the Alawis have seized this opportunity to break out a number of revolutions in the Arab Islamic world with an aim to achieve their objectives. I spoke about these revolutions in detail and how al-Mamun quelled them.

These revolutions are:

- Rafei Bin El Laith in Khurasan and Behind the River
- Nasr Bin Shabath El Okaily in North Al Sham and the Island.
- Arabs and Copts in Egypt
- Al Zatt in South Iraq
- Babek El Kharami in Azerbaijan and Caucasia

Then I detailed for the Alawis revolutions and that of Abi El Saraya in particular.

In the fifth part titled "*The Revenues And Expenditures Of The State*" which comes in two chapters, I spoke about the revenues of Al Sawad, Khurasan, Iraq, Al Sham, Egypt and others. I explained the land tax which represented in that time a large portion of the revenues. The most significant sources for the exchequer were land tax, tribute, zakat, booty, loot, tithe. Then I explained other sources such as tithe (Income tax, fifth the metals and farms and customs tax, salterns, fishes, taxes collected from shops owners for utilizing the public streets and squares and industry taxes, accessories tax and customs).
In the second chapter of the fifth part titled "*Expenditures*" I spoke about the rationalization of expenditures and how to

In the fourth chapter of the second part titled "*The Relationship between al-Mamun and His Relatives.*" I discussed the relation between al-Mamun and his successor al-Muatasem and his relation with the family of Ali Bin Abi Taleb (*May Allah be pleased with him*) and the rest of his sons. Also how he dealt with the Talebians in a way that is adequate to his belief that the caliphate was usurped from them. However, the Alawis broke the fire of dissension in his reign seizing the opportunity of the disintegration in the Abbasid family.

I, then, argued the feeling of al-Mamun towards Ali El Reda and concluded that his feeling towards the Family of the Prophet was religious with a political implication with an intension to acquire the loyalty of the Khurasanis.

If we moved to the third part titled "*The State Administration at al-Mamun Reign*". I divided this part into three chapters, the first titled "*Appointment Of Governors And Their Method In Practicing The Administrative Works*". In this chapter I pointed out the governors of Iraq, Al sham, Khurasan, Behind the River, Armenia, Azerbaijan, Caucasia, the Island, Al Mossel , El Hegaz, Egypt, North Africa and finally Sind.

In the second chapter "*The Relationship Between Al-Mamun And Umayyads In Andalusia*", I mentioned that there were no substantial relations, however, each party had bitter feeling towards the other. Moreover, the Umayyads of Andalusia were unable to revenge for themselves due to the far distance. The third chapter of third part titled" the relationship between the governors and state officers", I handled the governor with relation to the respective officers such as land tax collectors, post officers, police officers, judges and I concluded that the governor had relations with all state officers except the judiciary matters. It was unlikely to the caliph to give authority to the governor to appoint judges.

I proved that the clerks were originally Arabized and dedicated to the Persian Culture but not thoroughly familiar with Islam doctrine.

Then I demonstrated the divans at the reign of al-Mamun in three groups: divans for the court affairs and service. divans for the organizations ensuring the justice and security and finally divans for helping in the financial affairs. At the end, I spoke about the nine writers of Al Mamun.

Under the title "*His approach to scientists and dealing with Persians*," I spoke about his leaning to literary men, poets and singers as well as speech scholars. As for dealing with Persians. especially Khurasanis, his tendency to them was evident. They were assigned to the vital posts that affect the direction of the state like the post of vizier, the clerk and the governor, army commanders, and the prominent statesmen.

The third chapter of the second part titled "The *Life of al-Mamun Family*". It comprises two sections: the first, his wives. concubines and children. I pointed out that he got married to a large number of women, the famous two of them were Um Issa Bent Mousa El Hadi and the Boran Bent Al Hasan Bin Sahl and several maids like "Bed'aa Al Kabirah" the maid of Oraieb the poet and singer, "Moenisa Al Romeia" who was very close to Al Mamun. For the sons, they were 16 and too many girls like Om Habib the wife of Ali El Reda, Um El Fadl the wife of Mohamed Bin Ali Bin Gaafar.

I moved to speak about the death of al-Mamun in 218 h = 833 G and how he died while he was on an expedition against the Byzantines. Then his son El Abass and his brother El Muatasem carried his body to Tarsus where he was buried in Khakan's House, the servant of Al Rashid.

previously presented by Indians, Persians, Greek and Syriac plus the new additions.

As for his religious policy, al-Mamun spread the principles of Mutazilites. For this reason, the dispute arose between the religious scholars about the inquisition that the Koran was not uncreated but created and the inquisition of Ahmed Bin Hanbal and his companions.

Hence, I spoke about the ministry in the reign of al-Mamun and its situation in the Abbasids community. I realized that the ministry in his reign started with a delegated one when he assigned it to AL Fadl Bin Sahl. The rest of the ministers were implementation as I mentioned the eight ministers for Al Mamun. I also discussed he Shura Council, which he established where all factions recognizing the caliph are represented. They had the utmost freedom to say what they think of opinions and to discuss them.

I assigned a special section for (*Racial Tribalism and The Patrons in the Reign of al-Mamun and His Position regarding them*). With the advent of the Khurasani support to al-Mamun in his victory over his brother Al Main, whom the Arab were supporting, and emerge of a new group of administration and army men who have a significant effect in the state before the imported Turkish element substituted them at the reign of Al Muatasem.

I elaborated the writers in the reign of al-Mamun as well as the profession of writing. I proved that the state at that time was in a dire need for a number of (officers) clerks to perform the clerical works after the expansion in the divans to help the vizier in his works, the supervision on the divans and state's departments, and the work progress at these departments.

gown and disregarding his predecessors black uniform till he saw the obedience of the people whilst they dislike the green uniform. Accordingly he gathered the people and asked his commanders to wear the black uniform ending the green wearing in Baghdad after one week from the date he arrived there.

Also in the second chapter, I concluded that the reign of al-Mamun was based on three pillars; religion, army, and writers. His policy was characterized with prudence as he was giving much concern to science and scientists. One of the characteristics of his rule was mixing the religion with the state owing to his attraction to the principles of Mutazilites and his attempt to spread them. He even imagined that all hopes for progress and prosperity are based on the adoption of the Mutazilites principles. His concern about economic and financial affairs was highly appreciated. He worked to develop the state's resources and was paying much care to agriculture, commerce as well as economic and financial affairs. As for the cultural affairs, I proved that the era of al-Mamun was the shiniest in the Arab civilization not only as regards science and arts but also all intellectual and cultural aspects until it was clear for the richness of philosophic and medical sciences. Thanks to Al Mamun, the Arabic language became a language of civilization in the first rank among the rest of the world languages. He developed the "House of Wisdom" which was initiated by Al Mansour and the concern of Harun Al Rashid with the House of Wisdom and translation till the reign of al-Mamun came to fulfill the needs of scientists and lettermen. Translations were made from Greek, Persian, Indian and Syriac writings by a group of translators in this center. I also mentioned the Mamuni Observatory which was established in Baghdad and comprising a number of astronomers and mathematicians, then it was transferred into an astronomical school that guided in the astronomical geographical and mathematical researches

Second part titled "*The Personality of al-Mamun*". It includes four chapters. The first chapter: "*Al-Mamun Before Being A Caliph*" including his birth, breeding and the will of Harun Al Rashid for the succession of his three sons (al-Amin, al-Mamun and al-Kasem), then the reign of al-Mamun and his transfer to Merv, then the dispute between him and his brother al-Amin. In this chapter, the research has come across the breeding of al-Mamun, his characteristics, ethics, and tendency to the Khurasanis and his relation with Al Fadl Bin Sahl. It also analyzed the will of Harun Al Rashid for succession to the throne. It stipulated that al-Mamun shall assume power after his brother al-Amin in 183 H = 799 G while he was at this time only 13 years old, from Khurasan and its related provinces till Hamazan.

The second chapter titled "*After Assuming The Caliphate*". It includes six subjects; the first of which is "*The general Outlines for the Rule of al-Mamun and his Interest in the Economic, Financial and Cultural Aspects*". I clarified that the real rule of al-Mamun started after the death of his father, Harun Al Rashid in 183 H = 808 G after he had moved him 23 nights before his death to Merv with a group of commanders and judges and the appointment of El Fadl Bin Sahl as Mamun's vizier, with the delegation of power of all the states under his disposition. Also the internal difficulties that al-Mamun encountered and the revolts against him while being in Merv, the most significant of which was the hostility between the Sunnite and Shiites on one hand and between the Arab and Persians on the other. I also discussed the fatal mistake, which al-Mamun commits when he killed Herthima Bin Ayun because of the instigation of Al Fadl Bin Sahl although Ayun was an outstanding Abbasid commander who helped al-Mamun in conquering his brother.

This situation continued in its disguise till the caliph decided to return to Baghdad in 204 H = 818 G wearing the Alawis green

it to his interest. Not only that, but sometimes there was a victorious for each tripe or group or some of the family of the Prophet.

Second chapter titled "*The Governors of the Provinces and Their General Outlines*" In this chapter, it is explained that al-Mamun has followed the steps of his predecessors from Abbasids who did not make any change in the administrative divisions and the administrative body except little than it was evidenced in the Umayyad reign where the geographical boundaries of the provinces were typical to that in al-Mamun reign. As reported by Al Ya'cobi in his history that the provinces included Egypt, Iraq, Al Basra, Khurasan, the Island, El Sham, Al-Thoghour, Morocco, Sind, Armenia, Azerbaijan, Kur El Gable, Tabarestan, Al Rekka, El Haramen and Yemen The reign of al-Mamun characterized with the abundance of removed governors to ensure that they would not exploit their power to their private interests due to the new province system, which gives full power but for a short ruling period. However, some governors have acquired too much power and were openhanded. They formed semi-independent Emirates as Al Aghaliba in Tunis and Tahirids of Khurasan and Ziadians in Yemen.

The third chapter of the first part titled "*Border Areas And Its Relations With Neighboring Countries*". Al–Mamun had good relations with the oriental countries like India, China, Turkstan and Khazar. As for the northern frontiers, he had relations with Armenia and the state of Byzantine with its fierce and continued struggle to the extent that al-Mamun invaded them three times. His relations with Africa included the area between Tripoli till Marrakech (Libya, Tunis, Algiers, and Morocco at the time being). Finally his relations with Al-Aghaliba, Andalusia and Nubia.

Hashemites, headed by his uncle Ibrahim Bin El Mahdi, provoked and with a support of the Hashemite dynasty, they crowned him as a prince in 201 H = 816 G. As a result, the Baghdadis have sworn fealty to Ibrahim and dethroned al-Mamun at the beginning of Muharram 202 H = 817 G. When al-Mamun came to know about that while settling in Merv, and that his vizier was withholding the news about dethroning him and appointing Ibrahim Bin El Mahdi as caliph till he decided to move to Baghdad to settle there instead of living in Merv, the isolated capital of Khurasan. In his trip that lasted for two years, Al Fadl Bin Sahl was killed in Sha'ban 202 H= 817G as well as his successor Ali El Reda in Safar 203 H = 818 G. Al-Mamun continued his march to Baghdad and reached there in Safar 204 H = 819 G after a 2-year journey.

My research, consists of five parts and a conclusion. It covers the period from 170 – 218 H = 786 – 833 G i.e. from the date of his birth until death.

The title of the First Part: "*The Status of the Islamic Countries at the Time of al-Mamun Reign.*" This part comes in three chapters:

First chapter titled "*The Relative Stability in the Internal Statuses and Its Effect in the General Life of the Inhabitants.*" In this chapter I discussed the difficulties that al-Mamun encountered as the dispute with his brother Mohamed al-Amin resulting in a power vacuum both politically and administratively that would tumble the state. Rebellions and revolutions have escalated with a mark of religious or racial implications or as a sort of religious movements embracing political elements that affected the stability of the state and its feedback on the general life of the population.

The absence of a centralized power led to the deterioration of the state and gave the chance to any one who has a power to turn

The reign of Abdullah al-Mamun is considered one of the most prosperous eras in the Islamic history on the whole and the Abbasids dynasty in particular, as he was ruling over a vast empire expanding from Morocco in the west till the borers of China in the east. It comprised various peoples and different races with their numerous heavenly or positive religions such as Islam; the religion of the state, Christianity, Judaism, Zoroastrianism, Manichaeism, Mazdaism, Sabians and Buddhism. Al-Mamun has gathered all these different peoples with their varied religions in one synchronized unit dedicated to the service of the state. Al-Mamun has encountered many obstacles accumulated and ready for revolution before he assumes the power. As a result of the war broke out between al-Mamun and his brother al-Amin, the agitators and greedy seized this opportunity to get hold of the Abbasid state. Also the Alawis claimed the power and aggravated the rebellion in various areas of the state. Nevertheless, al-Mamun has faced all these problems and worked hard to quell them. He participated himself in solving some of them. Due to his cleverness and dexterity, he could preserve the unity of the Islamic nation from splitting and disintegration.

The life of al-Mamun, as a caliph was divided into two different phases; the first was the period of his stay in Merv in Khurasan after the death of this father Harun Al Rashid till he moved to Baghdad in 204 H = 819 G

At this period his vizier Al Fadl Bin Sahl was free in managing the state's affairs. He could conceal the running events from the caliph. Thanks to the devotion of al-Mamun to the venues of scholars and jurists and his patronizing to the scientific and philosophic matters. In the mid of such dedications, al-Mamun has come to the conclusion that Imam Ali El Reda Bin Musa Al Kazem is the best one in the Abbasid's and Alawi's families to assume the succession to the throne as he already did

SUMMARY OF THE THESIS

ON

THE POLITICAL, ADMINISTRATIVE, SOCIAL AND CULTURAL LIFE AT THE REIGN OF CALIPH AL-MAMUN REIGNED (170-218 H = 786-833 G)

PRESENTED BY

KHALID MOHAMED AHMED BEDEAWY

TO OBTAIN

THE M.A. DEGREE IN HISTORY – ISLAMIC HISTORY
FACULTY OF GIRLS
EIN SHAMS UNIVERSITY

UNDER THE SUPERVISION OF

PROF. DR. SAYEDA ISMAIL KASHEF
FULL PROFESSOR OF ISLAMIC AND MIDDLE HISTORY
FACULTY OF GIRLS
EIN SHAMS UNIVERSITY